

اليوميات

ليف تولستوي

الجزء الثاني

- ♦ المؤلف: ليف تولستوي
- ♦ العنوان: اليوميات - الجزء الثاني
- ♦ ترجمة: يوسف نبيل
- ♦ طبعة آفاق الأولى 2020
- ♦ تصميم الغلاف: عمرو الكفراوي
- ♦ مستشار النشر: سوسن بشير
- ♦ المدير العام: مصطفى الشيخ



رقم الإيداع:

٢٠١٩ / ١٦٢٦١

الترقيم الدولي: ISBN

978 - 977-765 - 243 - 8

جميع الحقوق محفوظة. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه، أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات، أو نقله بأي شكل من الأشكال دون إذن مسبق من الناشر.

All rights are reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form, or by any means without prior permission in writing from the publisher.

Afaq Bookshop & Publishing House

1 Kareem El Dawla st. - From Mahmoud Basiuny st. Talaat Harb

CAIRO – EGYPT - Tel: 00202 25778743 - 00202 25779803 Mobile: +202-0111602787

E-mail: afaqbooks@yahoo.com – www.afaqbooks.com

١ شارع كريم الدولة - من شارع محمود بسيوني - ميدان طلعت حرب - القاهرة - جمهورية مصر العربية

ت: ٢٥٧٧٨٧٤٣ ٠٠٢٠٢ - ٢٥٧٧٩٨٠٣ ٠٠٢٠٢ - موبايل: ١١١١٦٠٢٧٨٧

ليف تولستوي
اليوميات

ترجمة
يوسف نبيل

الجزء الثاني
١٨٥٨ - ١٨٨٩

آفاق للنشر والتوزيع

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشؤون الفنية

تولستوي، ليف.

ليف تولستوي : اليوميات - الجزء الثاني - ترجمة: يوسف نبيل

ط 1 القاهرة - دار آفاق للنشر والتوزيع - 2020

584 ص، 21 سم.

رقم الإيداع 16261 / 2019

الترقيم الدولي 8 - 243 - 765 - 977 - 978

1 - الأدباء

2 - تولستوي، ليف

١ يناير.

في موسكو. زيارات للمنزل، وكتابة. مضيت في المساء إلى آل سوشكوف. كاتيا (توتشيفا) لطيفة جدًا.

٥ يناير (٢ - ٥).

أبذل جهودي من أجل تأسيس جمعية موسيقية. كاتية تزداد ضعفًا، لكن ليس هناك أي شعور بالكراهية صوبها. يراودني شعور بالاشمئزاز يتعذر تفسيره من خطبة كوكوريف^(١).

٦ يناير.

ذهبت إلى آل أكساكوف. تجادلت مع العجوز. المشاعر الأرستقراطية تعني الكثير، ولكن الأمر الرئيس هنا هو أن أشعر أنني مواطن، وإن كانت لدينا السلطة، فإني أريدها أن تكون في يد أمينة.

(١) من كبار رجال المال، وكان حديثه على مأدبة الطعام عما يمكن أن تستفيد به طبقة التجار من تحرير الأتقان.

تغديت بالمنزل. تيتينكا مسرورة بنيكولينكا. لعبتُ مع الأطفال^(٢) بالفاصوليا^(٣). ذهبت إلى الحفل الراقص في مزاج رائق، لكنني لم أجده^(٤) هناك.

٧ يناير.

مورتي^(٥) خنزير حقيقي. لقد ضحّم أمر الخطابات، وأخذ مالا من المجلس^(٦). ذهبت إلى أوستروفسكي. إنه يزداد غباءً مع مرور الوقت. ذهبت إلى آل أرسينيف. فاليريا أرسينيفا كما كنت أفكر تمامًا، لكنها جميلة. الأمور رائعة بالمنزل. أندرسن^(٧) جذاب جدًا. عزفنا قطعة مرحة لبيتهوفن. الحفل الراقص صغير وبذيء ومشوه، وقد أصابني بعدها الحزن. توتشيفا هراء حقيقي.

٨ يناير.

لا، ليست هراء. الأمور تمضي على نحو بطيء، لكنها تأسرني تمامًا وبجدية.

(٢) أبناء ماشا شقيقته.

(٣) كانت هناك عادة قديمة أن يخبزوا في العيد فطيرة فاصوليا، وتقسم الفطيرة إلى قطع وفقًا لعدد المشاركين، وفي الجزء الذي تظهر فيه الفاصوليا يُعلن صاحبه ملك العيد.

(٤) غير مفهوم هوية الشخص، ربما يقصد توتشيفا وأخطأ في كتابة الضمير.

(٥) مورتي دي فونتين: عازف بيانو ومؤلف موسيقي.

(٦) مجلس الأمناء القائم على ضيعة تولستوي.

(٧) هانز كريستيان أندرسن: كاتب قصص الأطفال الشهير.

١٤ يناير (٩ - ١٤).

ذهبت إليهم ذات مرة^(٨) لحضور قراءة أكساكوف. غبي. لقد هرمت إلكسندرين تولستايا، وتوقفت عن النظر إليها كامرأة. التقيت آل تروبتسكي. آل كارامزين فاتنون، خاصة الزوج. مكثت طويلاً بالمنزل. ماشينكا تشعر بالضعف.

١٥ يناير.

في سوجوليفو^(٩). اصطحبت إلكسندرين إلى الحقل، وعرجت على الأميرة، وكذبت قليلاً. بدأت الكتابة على نحو جيد في قصة «ثلاث موتات».

١٦ يناير.

كُتبت وتنزهت. كان الطقس ساحراً هادئاً. صليت في الحقل.

١٧ يناير.

مضيت إلى الصيد منذ الصباح. حالتي الصحية جيدة. أنهكت نفسي. شربت ثم نمت. لم أكتب شيئاً بعد. الساعة الآن الثامنة.

١٨ يناير (سوجوليفو - موسكو).

صححت قليلاً^(١٠) مساء أمس. استيقظت في السابعة. ثرثرنا قليلاً، ثم قرأت وتغديت. خرجت كي ألتقيه في فيشني فولوتشيك لكنني

(٨) يقصد آل سوشكوف، حيث تعيش تولشيفا.

(٩) ضيعة الأميرة فولكونسكايا ابنة عم والدة تولستوي، حيث كان يقضي بضعة أيام.

(١٠) في قصة ثلاث موتات.

وجدته قد ذهب بعيداً^(١١). حكى لي سامارين عن مأدبة الغداء^(١٢). غياب! انصرفت شاعراً بالملل. وجدت سيريوجا في المنزل. ببساطة لا أشعر بالراحة لوجوده. علاقتي به تشبه علاقتي بتورجينيف. أكلت كعكة.

١٩ يناير (موسكو).

توتشيفا تشغلني باستمرار. الأمر مزعج جداً، خاصة لأنه ليس حباً، فألق الحب غائب. استيقظت في الثامنة. كتبت بضعة خطابات، وقرأت فصلاً. خرجت مع نيكولينكا. سرنا وسط الحشود وذهبنا للكرملين والتقينا بآل بيرس. ذهبنا إلى المنزل بصحبة تشيتشيرين. تتلخص فلسفته - ككافة الفلاسفات - في معاداة الشعر والحياة. كلما تزداد صواباً، تزداد عمومية وبروداً. وكلما تزداد خطأً، تزداد حلاوة. لست شخصية سياسية. أقول هذا لنفسي ألف مرة. ذهبت إلى المسرح. حضرت أوبرا: «الحياة للقيصر». الجوقة رائعة. ذهبت إلى النادي. أسيا^(١٣) نفاية.

٢٠ يناير.

استيقظت مبكراً. أخذت أفكر وأعيد التفكير في «ثلاث موتات»، وكتبت «الشجرة»^(١٤). لن تُكتب بسهولة. ذهبت لأداء تمريناتي الرياضية. لا بأس بها. تحدثت مع سوخوتين بحدة عن توتشيفا. مازلت أفكر فيها باستمرار. يا للهراء! على أي حال إنني أعرف أنني

(١١) عاش هناك صياد عجوز يُدعى جروميكا. كان تولستوي يود الذهاب إليه لاصطياد الدببة.

(١٢) يتحدث عن مأدبة غداء كبيرة أقيمت لمناقشة بعض الأمور السياسية.

(١٣) رواية لتورجينيف.

(١٤) أحد أجزاء القصة.

أريد حبها بقوة، لكنني لا تأخذني بها شفقة. ماشينكا ذاهبة إلى حفل تنكري. تجادلت معها بسخط وقلت لها إني سأتركها. بدأت الأمور تتحسن مجددًا مع سيريوجا. تصفحت يومياتي. كم يبدو انحداري شديد الوضوح!

٢١ يناير (٢٢ يناير).

استيقظت في الثامنة، وكتبت خطابًا لفاسيلي. قرأت في يومياتي ثم في الإنجيل. أنهيت القراءة والتفكير في جزء «الشجرة». ثرثرت مع نيكولينكا. في الثالثة خرجت لأجلب بعض المجلات. ثرثرت ولعبت مع الأطفال. فارينكا^(١٥) بدأت تتدلل. في الثامنة لم تعد لديّ القوة، وذهبت إلى آل سوشكوف. حفلة مسائية. لقد ابتهجوا بقדومي. كانت كتب المؤلفين المدعويين موجودة على الطاولة. استأثت قليلًا من ذلك. توتشيفا لا تحب الناس إلا لأن الله قد أمر بذلك. إنها سيئة بشكل عام، لكنني لا أشعر باللامبالاة صوب ذلك؛ بل بالحزن.

٢٣ يناير.

كتبت في الصباح، مع أنني استيقظت متأخرًا. لم أذهب إلى أي مكان. أنهيت الكتابة بعد الغداء، وقرأت للخالة (تاتيانا) والدموع تغالبني. مضيت إلى آل سفيريف. هاجم يشيفسكي أكساكوف بحقد. كان خومياكوف يتملص مني ويبدو عليه الضعف. عرجت عليه هذا العابث العجوز!

(١٥) ابنة شقيقته.

٢٤ يناير.

استيقظت في وقت متأخر. أنهيت «ثلاث موتات». أدت تمريناتي. تجادلت في المنزل مع ماشينكا. وصل تشيتشيرين. إنه شديد الذكاء. أخذ يسب بحدة أنصار النزعة السلافية. مضيت معه إلى كورش (ناشر). يشعر بذكائه بهدوء ونبل.

٢٥ يناير.

استيقظت في العاشرة. قرأت في الصباح. تنزهت كثيرًا. تغديت بالمنزل. حدثتني الخالة عن ماشينكا. إنها محقة. ذهبت إلى آل فيت. كنت أراقب بسرور وحسد سعادة هذه الأسرة. بالأمس أقيمت حفلة موسيقية رائعة. فيبر^(١٦) رائع. إني واقع في عشقهن جميعًا: توتشيفا، سفيرييفا، شيرباتوفا، تشيتشيرينا، ألسوفيفا، ريبيندر. شعرت بالأسف على ماشينكا. لم يراود النوم عيني من فرط السعادة حتى الرابعة.

٢٦ يناير.

وصل عزيزي بوشين^(١٧). تنزهت ثم ذهبت لمسرح العرائس مع الأطفال. تغديت عند كيريفا. ذهبت إلى توتشيفا وقلبي مستعد لحبها. كم هي أرستقراطية باردة مثيرة للشفقة! هراء! تشيتشيرينا لطيفة، لكنها غير ناضجة بتانًا على ما أعتقد. كيريف رفيق طيب. شاهدت مسرحية «المفتش العام». شيبكين ممثل صارم. شربت مع بوشين. ذهبت إلى

(١٦) مؤلف موسيقي ألماني.

(١٧) ميخائيل بوشين: أحد الديسمبريين، وشقيق إيفان بوشين = صديق بوشكين.

الحفل التنكري. التقيت بشخصيتين متنكرتين؛ واحدة منهما من سمارا، وقد عرفتها. إنها كريهة. الأخرى كانت بصحبة سيليفانوف، لديها ذراعان وأذنان جميلتان. كتبت إلى أ. ب.^(١٨).

٢٧ يناير.

وصل فاسينكا^(١٩). أنا أحبه بشدة. أدت تمريناتي. سيريوجا يتعامل بشكل مريع مع ماتيلدا. ذهبت إلى آل أكساكوف بعد الغداء. ملل! أشعر بلا مبالاة صوب توتشيفا. ذهبت إلى ليديا شيفيتش، وتجادلت مع آل سامارين عن الفن. خرجت مع فاسينكا وشرب نيكولينكا خمراً.

٢٨ يناير.

استيقظت في الثانية. جاء فاسينكا. تنزهت وسببت فيرجاني^(٢٠). شيء ما يحزنني. أجريت حديثاً جيداً مع آل تشيتشيرين. ذهبت إلى آل كاشكين. تشيتشيرينا مختالة بذاتها، وهو أمر ممل بالطبع.

٢٩ يناير.

لا أتذكر ماذا فعلت صباحاً. تغديت في النادي. غروب أصفر. مهرجان، وزيارة لآل بيرفيليف.

(١٨) ربما إلكسندرا بتروفنا.

(١٩) فاسيلي بيرفيليف: صديق تولستوي منذ الصبا.

(٢٠) مربية، وكانت حينها تعيش عند آل أرسينيف، وقبل ذلك كانت مربية أطفال ماشا شقيقة تولستوي، وقد صورها تولستوي في رواية "السعادة الأسرية".

٣٠ يناير.

قرأت لفيت وتشيتشيرين وكورت^(٢١). يريدونها أكثر قسوة. هراء! تغديت عند آل بيرفيليف. أنا مسرور. حضرت مسرحية هزلية مع الأطفال. ذهبت إلى آل رومين شاعرًا بالملل والنعاس. شيرباتوفا فاتنة. لم تكن تبدو بهذا الألق من قبل. شربت شمبانيا مع رال.

٣١ يناير.

تغديت بالمنزل مع فاسينكا. ذهبت إلى آل سوشكوف في المساء. الأميرة شيرباتوفا في حالة سيئة. قضيت وقتًا ممتعًا مع آل ألسوفيف. ذهبت إلى النادي مع آل تشيتشيرين وفاسينكا، وحظينا بحديث رائع في المنزل عن الجمال الذي يسحق المرء.

١ فبراير.

استيقظت في الثانية. وصلت إلكسندرا بتروفنا. أشعر بالضيق. حفلة راقصة في ردهة نبلاء موسكو. تشيتشيرينا لطيفة. ما زلت لم أعود على التعامل بحرية مع توتشيفا. تغديت غداءً سيئًا مع آل تاليزين وآل بولينسكي وآل بوريسوف وآل بوبرينسكي وآل تشيتشيرين وآل سامارين وآل كورساكوف وآل شيرباتوف. أمسية موسيقية لا تؤثر فيّ تقريبًا. لقاء مع آل سوشكوف. لفوفا لطيفة ولبقة، وربما أفضل من توتشيفا. إنها ساطعة!

(٢١) ربما ثلاث موتات.

٢ فبراير.

أصبحت الأمور على ما يرام مع سيريوجا. تنزهت. شيرباتوفا رائعة. كنت مسرورًا طوال اليوم. لا أشعر بالبرودة والضييق في حضور توتشيفا. تعشيت في مطعم شيفالي مع إلكسندرا بتروفنا.

٣ فبراير.

أديت تمريناتي. تغديت في المنزل مع فاسينكا. تجادلت بحدة مع فيت، وتكاسلت بالمنزل. الأمور على ما يرام مع ماشينكا والخالة.

٤ فبراير.

استيقظت متأخرًا. لست بخير. جاء ريباينين. مضيت معه إلى المعرض. فاسينكا يتعامل ببرود شديد. في المساء التقيت بتشيتشيرين وفيت ونيكولينكا، وثرثرنا بسرور. ذهبت إلى النادي. تشيتشيرين ليس جذابًا.

٥ فبراير.

أديت تمريناتي. تغديت. ذهبت إلى النادي ولعبت الورق. قضيت فترة المساء بالمنزل.

٦ فبراير.

ذهبت إلى المعرض. تغديت عند آل بيرفيليف، وقضيت فترة المساء كلها هناك. ذهبت إلى النادي في وقت متأخر. فساد وتبطل.

٧ فبراير.

أديت تمريناتي بصحبة الأطفال. تغديت عند كيرييفا. مسرور. عدتُ إلى المنزل بصحبة فاسينكا ونيكولينكا، وتجادلنا حول التنويم المغناطيسي. فاسينكا غاضب مني. ذهبت إلى شيفالي، ووجدت هناك الغجر، فرحلت.

٨ فبراير.

تبطل، تبطل، تبطل. قضيت المساء عند آل سوشكوف. انزلقت بشدة للحديث مع توتشيفا عن لونجينوف وعن مدى ملائمة الزوجة غير الأرستقراطية، أما هي فانتقلت بدفة الحديث إلى شرباتوفا.

٩ فبراير.

جاء ريبينين في الصباح. خرجت مع الأطفال وتغديت معهم. ذهبت في المساء إلى فاليريا. لا بأس بها. عضني الكلب عند آل ميشيرسكي، ثم ذهبت إلى ستانكيفيتش. كبرياء وعدم احترام من جانب واحد. لا يوجد من هو أرفع من الآخرين بسبب مهنته، فسواء كان جلاذًا أو أديبًا، فالأمر سيان إن كانت الأسباب التي تدفعهم للعمل أسباب أنانية. كروزي^(٢٢) مشير للاشمئزاز.

١٢ فبراير (١٠ - ١٢).

قال تشيتشيرين إنه يحبني. كان ذلك بعدما شربنا عند شيفالي. أنا

(٢٢) أحد أعضاء لجنة الرقابة على المطبوعات.

ممتن له وفخور بذلك. إنه مفيد لي جدًا، لكنني ما زلت لا أشعر بانجذاب قوي ناحيته.

١٥ فبراير (١٣ - ١٥) ياسنايا بوليانا.

قضيت آخر مساء قبل سفري في منزل شيفالي. تحدثت حديثاً رائعاً مع تشيتشيرين حتى منتصف الليل. بعد ذلك لم أره، فقد قضيت الوقت حتى الصباح بصحبة الغجر في قرية جورياتشي. سافرت إلى تولا. أسناني تتساقط. بدأت العمل بالأمس على «الضائع». بدأ العمل يثمر. أما بالنسبة للحب، فلا.

١٦ فبراير.

وصل سيريوجا بالأمس. إنه أمر مدهش للغاية أن يصبح حبي للأفكار عائقاً بيني وبين رفاقي القدامي. من الجيد أن يتزوج الناس في الثلاثين. كل مَنْ حولي يعرفونني جيداً بحيث يمكنهم أن يحبوني. عملت ثانية على «الضائع». كنت أظن أنني انتهيت منها، لكنني سأعاود العمل عليها. قرأت مقاليتين رائعتين في «*Revue des deux mondes*»^(٢٣). العمل هو أعظم ما في العالم وأكثر ما يمنح المرء استقلالته. أنا مغرم بالعمل.

١٨ فبراير (١٧ - ١٨).

راجعت قليلاً في «ألبرت»، ودونت بعض الملاحظات عن أنواع العقوبات، ثم قرأت قليلاً في مجلة: «أتيني» و*Revue des Deux Mondes*. مونتيغيو صحفي بارع. مقالته «اعتراف موسوس» رائعة

(٢٣) مجلة شهرية للأدب والثقافة والشؤون السياسية تصدر باللغة الفرنسية منذ عام ١٨٢٩.

فعلاً وما من عيب فيها. «حلم ليلة منتصف الصيف» بالإنجليزية والروسية^(٢٤). ترجمة جريجوريف جيدة. جاءني براندت وأثار أعصابي. ما زال رأسي يؤلمني. يعذبني التفكير في اقتراب الشيخوخة. أنظر إلى نفسي في المرأة لأيام كاملة. أعمل بكسل، وسواء كنت أعمل عملاً بدنياً أو عقلياً، أصرّ على أسناني بقوة.

٢٤ فبراير (١٩ - ٢٤).

قضيت ثلاثة أيام أخرى في القرية على نحو جيد. البداية القديمة لرواية القوزاق جيدة. سأعمل عليها قليلاً. مررت بعاصفة ثلجية في موسكو. أدت تمريناتي واغتسلت في الحمامات العامة، وأفطرت في الطعام.

٢٥ فبراير.

استيقظت مبكراً وقرأت في المجلات عن اللورد جري^(٢٥)، وقرأت مقالة فقيرة لنيكرا سوف. التقيت بفيرجين والخالة ودارت بيننا الأحاديث واستسلمت لهما. ذهبت لأتمشى. لست في حالة مزاجية راقية. تغديت في غياب أشقائي. قرأت لتشيتشرين عن تحرير العبيد، ومقالة عن الإصلاحات البرلمانية الإنجليزية. الأولى ليست جيدة. كتبت صفحة من «القوزاق». عزفت بغباء ولكن بسرور. نمت في الحادية عشرة.

(٢٤) كانت مسرحية شكسبير الشهيرة قد تُرجمت إلى الروسية لتوها، وهو ما يشير إليه تولستوي.

(٢٥) لورد إنجليزي، كان من المحركين للإصلاحات البرلمانية الإنجليزية في ١٨٣٢.

٢٦ فبراير.

استيقظت مبكرًا. كتبت قصة ييشكا القوزاقي عن الرحيل من جرينيا^(٢٦). ليست جيدة. جاء كل من تشيتشيرين وفاسينكا. أتعرق بشدة ولا أشعر أنني على ما يرام. أدت تمريناتي. تعشيت في النادي. مللت من كل ذلك. لقد نضجت قليلًا. تحسنت حالة ماشينكا في المنزل قليلًا. يبدو أنني رجل متجهم. دلفت إلى غرفتي وكتبت لألكسيف عن الأغاني^(٢٧)، وتصفححت قصة الموسيقي (ألبرت) ثانية. إما أن أعيد كتابتها كاملاً، وإما أن أرسلها هكذا. لا أشعر أنني بخير.

٢٧ فبراير.

لم أستيقظ مبكرًا، ولم أكتب شيئًا تقريبًا. خرجت. ذهبت إلى أكساكوف وزوبنوم وتشيتشيرين وشيرباتوف. كنت صعب المراس. مضيت بعدها لآل بيرفيليف، وتغديت هناك. مضيت بصحبة فاسينكا إلى تشيخاتشيفا. رجل وفتاة وبيانو مع بيتهوفن وموتسارت. هذه هي المرة الثالثة التي أرى فيها ذلك. حسنًا. عرجت على المنزل للحظة ثم ذهبت لفيت. قضيت أمسية رائعة ولم أنم حتى الرابعة بسبب الحر.

٢٨ فبراير.

استيقظت متأخرًا. جاء فاسينكا. لم أقم بتمريناتي تقريبًا، فقد شعرت بالملل في صالة التمرينات. لم أكن في حالتي الطبيعية طوال

(٢٦) صياغة أولى لرواية القوزاق.

(٢٧) كان ألكسيف قد أرسل له أغاني قوزاقية.

اليوم. أعدت العمل في المساء على "ألبرت"، ويبدو أنني انتهيت منها.
٤ مارس (١-٤).

قرأت في الصباح لشيتشيرين وكورش. وجدت ما قرأته سيئاً.
خرجت ليومين. في المساء حفل موسيقي. اغتبت لفوفا بالتفاهات
حينما تساءلت لماذا تمضي إلى ألسوفيفا وتهزل مع عمها. أعدت
العمل قليلاً على "الموسيقي" (ألبرت). أصابني صداع نصفي في
المساء. وصل جريجوروفيتش^(٢٨).

٧ مارس (٤-٧).

تشيتشيرين يعذبني. أحاديث سرية عن الحب. قضيت بالأمس
مساءً رائعاً عند توتشيفا. لدى سيريوغا قطعة سوداء. اندلع جدالٍ هامٍ
بيني من جهة وبين فاسينكا ونيكولينكا من جهة أخرى. تصرفت على
نحو أخرق، ولسبب ما شربت على غير إرادتي.

١٠ مارس (٨-١٠).

كنت عند توتشيفا. إنها لا تخجل من شيء. التقيت شيرباتوفا في
الحفل الموسيقي وتحدثت معها. إنها لطيفة ولكن بدرجة أقل. أنهيت
«الموسيقي» (ألبرت).

(٢٨) روائي وكاتبٌ روسي، اعتُبرَ أولُ الكُتّاب الروس الذين تناولوا تصوير الحياة الواقعية في
الأرياف الروسية وإدانة نظام العبودية.

١١ مارس (موسكو - بطرسبرج).

رحلت مع تشيتشيرين إلى بطرسبرج. تولستوي العجوز^(٢٩) سعيد.

١٢ مارس.

التقيت بدروجينين ومن معه. إنه لطيف. حصلت على المال^(٣٠).

١٣ مارس.

تغذيت عند آل تولستوي، وكنت ألتقي كثيرًا بتشيتشيرين. أحترم العلم وأحبه. حالتي الصحية أفضل. لا شيء أفعله هنا في بطرسبرج.

١٤ مارس.

في الصباح وصل شينشين، ليس عندي، بل عند تشيتشيرين، الأمر الذي أغضبني. آل بوشين وتروبتسكي لدى آل تولستوي. صحتي أفضل. ذهبت إلى الإرميتاج ورأيت أعمال روسدال، وعمل روبنس الجميل عن الابن الضال ومؤخرة رأسه الخشنة^(٣١)، وكذلك رأيت لوحة «نزول الجسد من على الصليب». لم أعجب كثيرًا بلوحات موريلو. أما لوحات ستين فذات تركيب لوني رائع. تغذيت عند كافيلين. أبهجنني كل ذلك. عرجت على آل كولباسين. إنهم مرضى، بينما لديّ خراج في اللثة.

(٢٩) أحد أقرباء ليف تولستوي.

(٣٠) من مجلة سوفريمينيك لقاء نشر أعماله.

(٣١) أخطأ تولستوي، فلوحة الابن الضال لرامبرانت.

١٦ مارس (١٥ - ١٦).

مريض في المنزل. وحده تشيتشيرين مَن أُناني. إنه ضيق الأفق جدًّا، ولذلك فهو قوي. في المساء جاء ميلنيكوف. عينان صغيرتان براقتان، وذراعان قصيرتان. شخصية خجلة قلقة. جاء إيسلينيوف. قوة الشهوة تعتمل بداخلي. كل شيء فيه فاسد كاذب، لكنه قوي. خرجت لأتَنزه. ملل. لم ألتق أحدًا سوى شيفيتش. تغديت عند آل تولستوي. إلكسندرين تخشاني، وأنا وحش يخشى الاعتدال دون جدوى. إيسلافين يجدُّ في عمله البيروقراطي. زوجته جميلة. جاءني إيفان إيفانوفيتش كراسوفسكي، ودارت الحكايات الرائعة عن جيمتشونيكوف. التقيت بإلكسندرا بتروفنا، وتعاملت معها بدناءة. إنها مريضة.

١٧ مارس (بطرسبرج - موسكو).

جاء سالتيكوف شيدرين، وقرأ لي من قصته «المثالي». إنها جيدة. إنه موهوب فعلاً. رحلت بصحبة أورلوف وزوجته وكورساكوف وبوليتشيف. لا أشعر بالملل. أسناني تؤلمني.

١٨ مارس (موسكو).

وصلتُ. شيء ما ليس على ما يرام. أعدت فحص ما كتبت. غفوت. تغديت عند ماشا. عدت إلى المنزل في الثامنة وكتبت في «القوزاق» حتى الواحدة.

١٩ مارس.

عاودت العمل على القوزاق في الصباح. أسناني تؤلمني اليوم

وأمس. قرأت لسان بيو (كاتب فرنسي). أدت تمريناتي، والتقيت
فيت. كتبت قليلاً بعد الغداء ثم اغتسلت. تعشيت عند بيتشكين بصحبة
نيكولينكا. دار الحديث عن أنايتي. أشعر بالضيق والحزن، لكنني
أستحق اللوم.

٢٠ مارس.

كتبت قليلاً، لكن ألم الأسنان يشتتني عن الاستمرار في العمل.
قرأت لتشيتشيرين مقالة شيقة جداً عن الصناعة الإنجليزية. منذ بعض
الوقت وكل تساؤل لديّ يثير بداخلي إشكاليات هائلة. أنا مدين بالكثير
لتشيتشيرين. في الفترة الأخيرة، في كل ظرف ومع كل المواضيع، وبعيداً
عن تلك الظروف الخاصة بأمر ما، لا يسعني إلا أن أبحث عن موضعها
من منظور الأبدى واللا نهائي في التاريخ. تمشيت حتى الرابعة. كتبت
قليلاً عند ماشينكا، وقرأت نصف كتابي: الطيور - الحشرة لجون
ميشليه^(٣٢). بعض المواضيع عميقة للغاية، وأخرى مجرد هراء.

٢١ مارس.

أسناني تؤلمني بفضاعة. أقرأ لجون ميشليه. كتبت خطاباً صغيراً
لتورجينيف. خرجت لأتمشى. اشترت بارومتر وورق حائط. تعشيت.
كتبت قليلاً. رواية «القوزاق» تأسرنى تماماً. السياسي يستبعد الفني؛
لأن الأول إن أراد أن يثبت شيئاً عليه أن ينظر من جانب واحد. التقيت
كيتشير عند شيبكين. لا بأس. ماشينكا هادئة ولطيفة. قرأت اليوم عن

(٣٢) مؤرخ فرنسي.

محاكمة برنار^(٣٣). عجوز مجنون أمام محكمة ومحام إنجليزين.
الثورة القادمة ستكون ضد قوانين العقل والمؤسسات الاجتماعية.

٢٢ مارس.

كتبت قليلاً في القوزاق. ذهبت لماشينكا. التقيت تشيتشرين.
اشترت بذورًا وبيضًا. كنت سعيدًا جدًا في المنزل. ماشينكا لطيفة.
ذهبت إلى كورش ثم إلى ميدان الكرملين. شعب يهوى التحديق!
عرجت على الكنيسة. المسيح قام!

٢٣ مارس.

صحتي ليست بخير. جاءني مدير مدرسة جورجوريسكي. تغديت
بالمنزل ثم ذهب لياكوفليفا، وتساءلت: من يمكنه أن يريح النفس
المتعبة أكثر من الآخر: المتروبوليت فيلاريت، أم الأرشمندريت
أنطوني؟ عدت للمنزل مريضًا.

٢٤ مارس.

استيقظت في وقت متأخر شاعرًا بالمرض. حمدًا لله أنني لم
أشرب فودكا. أنهيت قراءة «الحشرة». مسرف في العاطفة ومزيف.
قرأت في صحيفة *Literarishes Centralbl* قصيدة عن اتحاد ألمانيا
في المستقبل، ومقالاتي إيمرسون عن شكسبير وجوته، وفي صحيفة
Athenaeum قرأت خطبة ديكنز عن جمعية صندوق النقد الأدبي، وعن

(٣٣) طبيب تم اتهامه باشتراكه مع الثوري الإيطالي الكونت أورسيني في محاولة اغتيال نابليون
الثالث في ١٨٥٨.

حصار مدينة لاكناو^(٣٤). لقد تعاملت إنجلترا بوحشية. تناولت حساءً على الغداء في السابعة. جاءت الخالة. كتبت إلى إلكسندرين تولستايا، وقرأت في كتاب *Lachapelle Voyage* لإيمانويل شابيل، تحسنت حالتي الصحية.

٢٥ مارس.

لم أكتب شيئاً. قرأت في ملحق *L'asino* ما قاله ماركوس أوريليوس عن السلام. جاءت تشيتشيرين واندلع بيننا جدال عن السكك الحديدية وعن المسيحية. تغذيت عند شيفالي، واندلع جدال هناك أيضاً بخصوص أنني لا أفهم الوثنية.

٢٦ مارس.

قرأت مقالات رائعة لكوكوريف وسولوفيوف عن البوذية. كنت في حالة رائعة، لكنني تمشيت طويلاً، فأصبت بالبرد، وعاودني ألم الأسنان. علم الجيولوجي علم قاتل.

٢٧ مارس.

أيقظني مجيء أوستروفسكي وجوربونوف. أوستروفسكي شنيع. التقيت تشيتشيرين وفيت، واندلع بيننا جدال عن المسيح. قرأت في علم الجيولوجي في المنزل. ذهبت لماشا. حالتها تتحسن أكثر فأكثر.

(٣٤) مدينة هندية كانت مركز انتفاضة الجنود والضباط الأصليين بشركة الهند الشرقية. استمر الحصار من يوليو ١٧ أكتوبر ١٨٥٧، حتى وصلت قوات الجنرال كامبل وقمعت الانتفاضة بوحشية.

قرأت في رواية أمريكية. كتبت في «أحد العيد»^(٣٥).

٢٨ مارس.

جاء أوستروفسكي وأكسكوف وسوخوتين. تبطل كامل. ذهبت إلى آل سوشكوف في المساء. للأسف كنت باردًا مع توتشيفا. كل شيء آخر كان شنيعًا.

٢٩ مارس.

جاءني تشيتشيرين في الصباح، وأخذ يتذكر ما رآه خارج البلاد. ماشا في حالة ممتازة. فارينكا (ابنة ماشا) مريضة. ذهبت في المساء إلى حفل يوم السبت الموسيقي. مات فولكوف. أشعر بالحزن والضعف.

٣٠ مارس.

استيقظت في الثامنة ضعيفًا مريضًا. قرأت بعض الصحف. تناولت كمية رهيبة من الطعام حتى المساء. تشيتشيرين ضيق الأفق وغير لطيف.

٣١ مارس.

لست بخير. أدت تمريناتي. كسل وتبطل. فارينكا ما زالت مريضة. شربت خمرًا وتحسنت حالتي. نمت. ذهبت لآل سوشكوف. كنت أحمق. توتشيفا لا تروقني.

١ أبريل.

استيقظت في العاشرة. جاء تشيتشيرين. أشعر بالضيق معه. لم

(٣٥) قصة لم تكتمل.

يصدر المسيح أوامرًا بل كشف لنا عن القانون الأخلاقي الذي سوف يبقى دائمًا معيارًا يُفرّق بين الخير والشر. ذهبت لبيكولين، والتقيت بساتين. إنهما يتصرفان على نمط غربي يُشعرني بالخجل. تغديت عند ماشا. لم تنم طوال الليل من قلقها على فارينكا. ذهبت لآل بانين. لم يكن أحد هناك. وصلت المنزل سعيدًا. ليوفا^(٣٦) قدر بذيء.

٢ إبريل.

التقيت بتشيتشيرين عند ماشينكا. واستمعت لكذبة إبريل.

٣ إبريل.

قمت بشراء بعض الأغراض. أجلت الرحيل.

٤ إبريل.

أديت تمريناتى. تغديت عند كيريفا. جلب سالتيفكوف موسيقيًا معه. سيء جدًا. تعشيت عنده. لآمني على عدم استغلال موهبتي. تحدثنا مع تشيتشيرين. إنه إنسان صالح.

٥ إبريل.

مشتروات ثم إفطار عند سامارين. ذهبت في المساء إلى كيريفا. موسيقى ولقاء بآل سوشكوف والأميرة شيرباتوفا.

٦ إبريل.

لا أذكر شيئًا. تشوش كل شيء في ذهني تمامًا.

(٣٦) ربما يقصد نفسه: ليف تولستوي.

٧ إبريل.

مشتروات، ثم لقاء بتروبيتسكايا^(٣٧). تذكرت باريس وابنته. أحرق، أحرق! عدت للمنزل مع تشيتشيرين. حكى لي ماشينكا عن الحفل الموسيقي حوالي ٢٣ مرة. حكى تشيتشيرين عن ألمه ويأسه. ذهبت لكورش، ثم لآل سوشكوف، وشعرت بالملل والبرودة.

٨ إبريل.

رتبت أغراضي. جاء تشيتشيرين. مشتروات ثم غداء بالمنزل. ذهبت بصحبة تشيتشيرين إلى سامارين، وشرينا. ذهبت لفيت، ونمت هناك.

٩ إبريل (موسكو - ياسنايا بوليانا).

رحلنا قبل ضوء الفجر. إنه الربيع. تراودني فرحة جديدة بالخروج من المدينة. أكمّني أسناني. وصلنا ياسنايا في الليل.

١٠ إبريل.

استيقظت في الثانية عشرة، والتقيت بآل فيت الرائعين. ودّعهم، وبدأت أتابع أعمال الضيعة.

١١ إبريل.

نمت نومًا قلقلًا. كوابيس وتفكير في نظرية اللا وعي الفلسفية. استيقظت في التاسعة وقرأت في مجلة *Literarisches Zentralblatt* ورّبت أوراقى وكتبي. تمشيت قليلاً. الفوضى تعم أمور الجياد. تغديت

(٣٧) إحدى أقرباء تروبتسكي الذي التقى به تولستوي في باريس هو وابنته التي أعجب بها حينها.

وحدي. وقرأت في *Journal des Débats*. ريجولت ذكي^(٣٨). ما من دين، ولكن هل كان هناك في أي وقت ذلك الدين الذي ينشده؟ وبخت أحدهم، وتنزهت على متن الجواد. بدأت أأخذ قراراتي سريعاً، وبدأت أشعر بالخجل. عزفت قليلاً. كتبت خطابات لتشيتشيرين ونيكولينكا وإيسلافن وميرينسكي. كتبت بحماسة خطاب الضابط عن الإنذار^(٣٩).

١٢ إبريل.

استيقظت وخرجت لأتمشى. سببت ياكوف^(٤٠) وخشيت أن يتطور الأمر. أمر دنيء، لكنه في الأساس بسبب ألم أسناني. في المنزل قرأت ما كتبه وايسمان عن البابا ليو الثاني عشر وبيو الثامن. كتبت قليلاً. قرأت على العشاء في *Scènes de la vie américaine*. سيكون من الشيق أن أكتب نقدًا عامًا عن هذه الرواية الفرنسية. كتبت مضمونًا ثريًا ولكن بإهمال. لا يمكنني كتابة مشهد الهروب إلى الجبال على نحو مُرضٍ. تنزهت على متن الجواد. الأمور متذبذبة في الضيعة. لا بد وأن آلف ذلك. عزفت كثيرًا إلى حد ما، ولكن بإهمال.

١٣ إبريل.

طقس سيئ جدًا. قرأت في مجلة *Athenaeum*، وقرأت عن الباباوات و *Revue des Deux Mondes*. قصص تافهة. أجّلت مشهد الهروب إلى الجبل، وبالتالي كتبت قليلاً. تمشيت وتنزهت على متن

(٣٨) صحفي وكاتب فرنسي، والمقال المقصود كان عن الدين.

(٣٩) جزء من رواية القوزاق.

(٤٠) فلاح من ياسنايا.

الجواد. عزفت بشرود. كتبت خطابات لنيكولينكا وتشيتشيرين، وبينما كنت أتنزه على متن الجواد عاودتني ذكريات الشباب.

١٤ إبريل.

حلمت بنيكولينكا يرتدي فستانًا أزرق، ويحمل زهورًا في طريقه إلى حفل راقص. كتبت خطابًا أحمق لـالكسندرين تولستايا. تمشيت قليلًا. بشكل عام لم أفعل شيئًا، ومن ناحية أخرى قررت كيف ستكون نهاية الرواية. لا بد وأن يتوقف الضابط عن حبها^(٤١).

١٥ إبريل.

ملل. كتبت صفحتين. أعيد الكتابة. أسناني تؤلمني. مطر.

١٦ إبريل.

طوال اليوم بالمنزل. لست على ما يرام. كتبت صفحة واحدة، وعلى نحو سيئ. ليس لديّ ما أفعله. سأواصل العمل وأحاول أن أحسن، لكنني لن أعيد صياغة كل الأجزاء.

١٧ إبريل.

بالأمس كتبت صفحة ونصف، وأرسلت خطابًا شريرًا لزيلينوي. تنزهت على متن الجواد. وقرأت في *Débats*. ريجولت ذكي. رأسي يؤلمني.

(٤١) لم تنته القوزاق على هذا النحو.

١٩ إبريل (١٧ - ١٨).

كتبت قليلاً وعلى نحو سيء. ذهبت لجيمبوت. ناديجنا نيكولايفنا غاضبة. بدأت عملية إلقاء البذور.

٢٠ إبريل.

يوم رائع. بدأ العشب الأخضر يلوح، والثلج يذوب. كنت حزيناً وفرحاً في الوقت ذاته. طارت بومة من فوق، وقد رفرت بجناحيها مرة أو مرتين، ثم استمرت في التحليق لمدة ثم استراحت.

٢١ إبريل.

يوم رائع. الفلاحات في الحديقة. أبدو كرجل مجنون. جاءني خطاب من تشيتشيرين. هناك أمر خاطئ^(٤٢). آآه يا عزيزي... لقد صبَّ في الخطاب كافة مشاعره المكبوتة.

٢٢ إبريل.

اضطراب وتبطل.

٢٣ إبريل.

رياح باردة. البراعم متفتحة. لليوم الثالث تتساقط القطرات الثلجية، ولليوم الثاني ينشد العنديل. كتبت قليلاً في خطاب ريجافسكي^(٤٣).

(٤٢) تحدث تيتشيرين في خطابه عن علاقته الدافئة بتولستوي ورغبته في مزيد من التقارب. شعر تولستوي بتلميح للرغبة في علاقة مثلية.

(٤٣) من شخصيات القوزاق.

٢٤ إبريل.

كتبت في خطاب ريجافسكي. سارت الأمور بشكل جيد. أنا أهدأ الآن. عملت في الحديقة، وتحسنت حالتي. نمت الزهور الصفراء، وتساقطت أمطار خفيفة دافئة. اللون الأصفر يغطي شجر البتولا، وأخضر رقيق يفرش الأرض.

٢٥ إبريل.

منذ الصباح وأنا مشغول بأمور الضيعة. أعدت قراءة القصص العسكرية^(٤٤). القصص الأخيرة سيئة. جاءني خطابات من ألكسيف ونيكولينكا ومن دروجينين لأرسل شيئاً للنشر في المجلة ومن كولباسين ومن إلكسندرين. بدأت أنزعج من لطفها المسيحي المصطنع. تمكنت أخيراً من كتابة نهاية خطاب ريجافسكي. صحيح أنني كتبت به إهمال، ولكن على نحو مقبول. لا بد وأن أراجع كل ذلك في الصيف.

٢٦ إبريل.

في الصباح الباكر تنزهت في الحقول على متن الجواد. كان مزاجي سيئاً. أعدت قراءة ومراجعة كل شيء. عبثاً ذهبت إلى أحد الجنود كما طلب. تغديت ونمت وتمشيت في الحقول. وضعت اللمسات الأخيرة لجزء: «الكوردون»^(٤٥) (نطاق من الجند)، وتراودني أفكار جديدة

(٤٤) غارة - قصة متطوع - قطع الغابة - قصة فارس - سيفاستوبول في ديسمبر - سيفاستوبول في مايو - سيفاستوبول في أغسطس.

(٤٥) فصول من القوزاق التي يقتل فيها لو كاشكا أحد القوزاق داخل نطاق الجند.

كثيرة من منطلق مسيحي. عزفت لثلاث ساعات؛ ثلاثة كوردات من نوع الستة^(٤٦) بمصاحبة شدو العندليب.

٣٠ إبريل (٢٧-٣٠).

طوال اليوم بالمنزل. أزعجني الجندي المكلف بحراسة الغابة^(٤٧).
بالأمس ذهبت إلى سوداكوفي (ضيعة آل أرسينيف) وجيمبوت.
التغييرات التي حدثت في سوداكوفي محزنة، لكنني لا أشعر بالأسف^(٤٨).
ينجاليتشيف إنسان صالح، وأنا أحسده على زواجه. كانت ناديجدا
نيكولايفنا بمفردها. إنها غاضبة مني. ابتسامتها لطيفة. ليتها فقط لا
تختال بذراعيها. في الأيام الأخيرة كنت أقرأ كتاب ماكولي^(٤٩) وبعض
الصحف. لا، التاريخ بارد بالنسبة لي. أنهيت بالأمس قراءة يومياتي في
القوزاق. عبثاً تصورت أنني كنت فتى لطيفاً هناك. كنت على النقيض من
ذلك، ولكن على أي حال كان الماضي جميلاً جداً. تذكرت الكثير مما
يمكن أن يفيدني في روايتي القوزاقية. لقد وصلت إلى الجزء الثاني من
الرواية لكنه مرتبك جداً، لذا يلزم أن أبدأ العمل عليه من البداية ثانية، أو
أكتب جزءاً ثانياً آخر.

(٤٦) نغمتان متتاليتان تبعدان ست مسافات من مقياس النغم.

(٤٧) بالقرب من ياستايا بوليانا كانت هناك غابة كبيرة مملوكة للدولة، وربما هذا الجندي هو المكلف بحراستها.

(٤٨) يقصد زواج أولجا أرسينيفا من ينجاليتشيف قد وصفه تولستوي في يومياته قبل ذلك بالحماقة والجهل والطيبة.

(٤٩) الجزء الأول من تاريخ إنجلترا.

١ مايو.

طقس سيئ. لم أكتب شيئاً، لكنني توصلت لفكرة إجراء تغيير هام. لا بد وأن تكون ماريانا فقيرة مثل كيركا^(٥٠). أما عن سبب ذلك، فالله أعلم. استلقيت لأنام بعد الغداء.

حسنًا، في المساء كتبت خمسة خطابات؛ لإلكسندرين ونيكولينكا وألكسيف ودروجينين وكولباسين. لساني يؤلمني. لا بد وأن أضع جدولاً بأعمالي. سأحاول مجددًا: قراءة حتى الحادية عشرة، ثم عمل بشؤون الضيعة من الحادية عشرة حتى الثانية عشرة، ثم كتابة في الرواية حتى الثانية، وقراءة من الثانية للرابعة، وكتابة من الرابعة للسادسة، ثم تمشية من السادسة للسابعة، ثم كتابة من السابعة للعاشرة.

٢ مايو.

قراءة من العاشرة للحادية عشرة، ثم تمشية حتى الثانية عشرة، وكتابة من الثانية عشرة للثانية، ثم قراءة حتى الرابعة، وكتابة من الرابعة للسادسة، وقراءة من السادسة للسابعة، وكتابة من السابعة للعاشرة.

٣ مايو.

لساني ورأسي يؤلمانني. لم أكتب شيئاً ليومين. أنهيت قراءة الجزء الأول من تاريخ إنجلترا لماكولي. أعدت التفكير في «القوزاق». أحاول الكتابة في الفصول الأخيرة بلا جدوى.

(٥٠) كيركا: هو اسم لوكاشا الأصلي أحد أبطال القوزاق.

٨ مايو (٤ - ٨).

وصل سيريوجا. تحدثنا بسرور حتى الثانية. في اليوم التالي وصلوا جميعاً. شعرت ماشينكا بالصدمة من خبر غياب تورجينيف. لقد كانت دعابة دنيئة. قام فوروييفسكايا (فلاح) بحراسة الجياد. كنت عاطفياً طوال اليوم. طوال هذا الوقت لم أكتب ولم أقرأ شيئاً، لكنني تابعت أمور الضيعة إلى حد ما. لقد رحلوا، وأنا وحدي الآن مع الخالة.

٩ مايو.

كتبت قليلاً ومن دون تركيز عن عودة كيركا^(٥١). خرجت على متن الجواد واصطدت فريستين. أعيش مع الخالة على نحو رائع كما كنا في الماضي. جاءني خطاب من فيت. عبثاً ننتظره. لم ننهِ أمر حدود الغابات.

١٣ مايو (١٠ - ١٣).

عيد عنصرة^(٥٢) رائع. الكرز يتساقط بين أيدي العاملين القاسية، ويتناهى إلى الأذان صوت فاسيلي دافيدكين (فلاح). لمحت أكسينيا^(٥٣). إنها فاتنة. عبثاً انتظرتها في الفترة الأخيرة. إنها الآن في الغابة الكبيرة القديمة مع حماها. أنا أحرق. أنا بهيمة. احمرّ عنقها بفعل الشمس. ذهبت إلى آل جيمبوت. أنا واقع في الحب كما لم يحدث أبداً معي من

(٥١) زوج ماريانا في رواية القوزاق.

(٥٢) عيد حلول الروح القدس، الذي تحتفل به الكنيسة الأرثوذكسية.

(٥٣) فلاحا من ياسنايا كان تولستوي على علاقة غرامية بها قبل زواجها، وأنجبت طفلاً منه.

صوّرها بعد ذلك في رواية أنشودة رعوية وغيرها من الأعمال.

قبل. لا أفكر في شيء آخر. أنا مُعَذَّب. سأبذل كافة جهودي غداً.

١٢ يونيو.

اليوم ١٢ يونيو، وطوال هذا الوقت لم أكتب شيئاً. كنت مشغولاً بأمور الضيعة، لكنني انشغلت أكثر بـ..... ذهبت إلى بيروجوفو. التقيت فيت. جاءني نيكولينكا ليوم واحد. صرفت فاسيلي. بالأمس جاء تورجينيف. يعتقد أنني نضجت. أشعر بالراحة معه. قرأت «ثلاث موتات». إنها ضعيفة. أنا في حاجة إلى العمل، والأهم من ذلك النظام.

١٣ يونيو.

ودّعت الخالة. أنا مريض.

١٤ يونيو.

طوال اليوم في الحقول. مساء رائع. ضباب نديّ أبيض، والأشجار تظهر وسطه، والقمر يلوح من خلف أشجار البتولا، وظهرت طيور الماء بينما اختفت طيور العندليب.

١٥ يونيو (١٥-١٦).

حماسة أوسيب (فلاح) لها حدود لها. من المستحيل مغادرة الشرفة الخارجية حتى الثانية عشرة. مع اختفاء القمر أظلم الليل تماماً، وانتشرت طيور الماء في كل مكان. انشغلت طوال اليوم بالعمل. يبدو أن حالتي الصحية تتحسن. استطعت الانفراد بأكسينيا لكنها أخزنتني.

١٩ يونيو (١٦-١٩).

لا أكتب شيئاً ولا أقرأ ولا حتى أفكر. أنا منغمس كاملاً في أمور

الضيعة. المعركة على أوجها. لقد أشعل الفلاحون المعركة^(٥٤). وجوه فلاحى جرومانت مكفهرة لكنهم صامتون. أنا خائف من نفسي. شعور بالرغبة في الانتقام يتكون بداخلي الآن؛ انتقام من الجميع. أخشى أن أتصرف بجور^(٥٥). أنا موهوب في الحسد! تلقيت خطاباً من فيت مرفق به مقالة نُشرت في *Continental Review* عن «الطفولة»، وخطاباً آخر من تشيتشيرين. أنا ذاهب اليوم لتولا.

٢٢ يوليو (٢٠-٢٢).

سوَّيت أموري مع كابيلوف^(٥٦) في تولا، ولكني لم أجد عمالاً. جنود حمقى متباهون بأنفسهم. رأيت امرأة جميلة والجنود ملتفون من حولها. إنهم يتجادلون بشأن إمكانية العمل لفترة من دون مقابل بدلاً من دفع مقابل لي. وجدت خمسة يريدون العمل بهذا النظام، وأربعة فلاحين. إيفان إيفانيتش بستاني رائع يحب عمله. انعقد اجتماع بالمنزل. وقعوا على التزامهم بالحصاد، وتعالى ضجيج الأطفال. بدأوا العمل في اليوم التالي. بالأمس حاول جافريلا بولخين أن يهيج العمال. استدعيته وأمرته أن يعمل حتى عيد الشفاعة، بينما طلب أنيسيم العفو.

(٥٤) في صيف ١٨٥٦ انتوى تولستوي تحرير الفلاحين مع تخصيص ٤ ديسياتين ونصف دين مستحق له، ومعها نصف ديسياتين حصل الفلاحون عليها مجاناً، ويتعهدون بدفع ٥ روبل للديسياتين الواحد لمدة ثلاثين عامًا لما تبقى، لكنَّ الفلاحين لم يوافقوا على هذا الاقتراح ظناً منهم أنهم سيُمنحون الأرض كلها مع تنويع القيصِر إلِكسندر الثاني. انتهى الأمر إلى أن حوّل تولستوي حالة فلاحيه جميعاً إلى عمل بالإيجار، وقرر زراعة أرضه بواسطة المزارعين المستأجرين.

(٥٥) يشير إلى مفاوضاته مع الفلاحين ورفضهم لرغبته في تحويلهم إلى نظام العمل بالإيجار.

(٥٦) تاجر في تولا تربطه بتولستوي علاقات مالية.

٤ سبتمبر.

رتبت أموري على نحو جيد. عروق الدوالي تتمدد. ذهبت إلى نيكولينكا وتورجينف. كان الأول لطيفًا جدًا بالمنزل، بينما كان لقاء الثاني صعبًا بصورة لا يمكن تحملها. فيت عزيز عليّ. أُقيمت الانتخابات. أصبحت عدو مقاطعتنا^(٥٧). إن عصابة تشيركاسكي قدرة فعلاً. ذهبت لإلكسين واشترت بضعة جيا. تورجينف يعامل ماشا على نحو سيئ جدًا. لعبنا الورق. ربحت. أرغب في العمل. أنا في الثلاثين من عمري.

١٥ سبتمبر (موسكو).

لقد هرمت على نحو مرعب، وأنهكتني الحياة في هذا الصيف. كثيرًا ما أسأل نفسي برعب: ما الذي أحبه حقًا؟ لا شيء. هذا الوضع بائس. ليست هناك إمكانية لنيل السعادة في الحياة، ولكن من ناحية أخرى تسهل إمكانية أن أعيش وفقًا للروح أكثر فأكثر؛ أن أصبح أحد ساكني الأرض الذين يفتقرون إلى الاحتياجات الجسدية. أنا في موسكو. لديّ أعمال ستبقيني هنا لأسبوع. التقيت كورش وتوتشيفا. كنت على وشك أن أعد نفسي للزواج منها بهدوء ودون حب، لكنها استمرت في معاملتي ببرود. كانت قرية تورجينف على حق فعلاً، فمن الصعب أن يلتقي المرء بمخلوق قبيح بهذه الطريقة. المرض يعذبني معنويًا. حالتي الصحية سيئة جدًا. أنا محموم. تغذيت عند شيفالي.

(٥٧) بسبب توقيعه مع آخرين على التماس بتحرير الفلاحين ومنحهم قطعًا من الأراضي.

بالأمس جلست بصحبة ياكوفليف مع الخالة. يستحيل على الناس ألا يحبوا... إننا جميعًا مثيرون للشفقة بشكل مفزع. غدًا سوف أعود للمنزل.

١٦ سبتمبر.

لم أعد للمنزل، وجاء الأطباء. التضخم ليس خطيرًا، لكنه ليس بسيطًا. معاناة رهيبة. تغذيت عند آل أكسكوف. أكسكوف العجوز يعذبني. ثرثت بلا انقطاع. لماذا؟ في المساء ذهبت إلى الخالة. صوت تشيريكوفا فاتن. ذهبت إلى النادي. مكثت قليلًا، وثرثرت ثانية. على المرء أن يُقصر نفسه على الأمور الهامة، ولا يهلك نفسه من أجل تفاهات.

١٧ سبتمبر.

أخذت أتسكع طوال النهار والحزن يملأ قلبي. تغذيت عند بيرس. يا لجمال بناته! فحصني الأطباء وطمأنوني. قضيت المساء عند كورش. دار بيننا حديث ممتع، ولكن وجب التوقف. شربت، ونتيجة لذلك...

١٨ سبتمبر.

تحسنت حالتي كثيرًا. تغذيت بالمنزل. ذهبت للإرमितاج والتقيت بالغجر. رأيت ساشا كريفلياكا. ذهبت إلى آل سوشكوف. لا يمكنني أنا وتوتشيف فهم بعضنا البعض إلا على أرضية فلسفية. يا للأسف! يا للأسف! في النادي شعرت بسرور مسعور بصحبة موخانوف وكونستنتين. ما السبب؟ لا أشعر بالملل.

١٩ سبتمبر (موسكو - ياسنايا بوليانا).

رَبَّتْ أَغْرَاضِي. أَدَيْتِ تَمْرِينَاتِي. فِي حَالَةٍ جَيِّدَةٍ. سَافَرْتُ. ابْتَهَجْتُ.
اتَّخَذْتُ قَرَارًا بِالْحُبِّ وَالْعَمَلِ وَكَفَى! كَمْ مَرَّةً فَعَلْتُ هَذَا!

٢٠ سبتمبر.

وَصَلْتُ يَاسَنَايَا بُولِيَانَا. مِنْهُكَ. لَمْ أَحِبْ وَلَمْ أَعْمَلْ.

٤ أكتوبر.

ذَهَبْتُ لِلصَيْدِ مَعَ سُوخُوتِينَ وَرَأَيْتِ كَاتِينْكََا. بِالْأَمْسِ عَلَى الْغَدَاءِ
قُلْتُ إِنَّهُ مِنَ الْمُسْتَحِيلِ إِثْبَاتِ التَّنْوِيمِ الْمَغْنَاطِيْسِيِّ. تَقُولُ مَاشِينْكََا إِنِّي
أُغَيِّرُ أَفْكَارِي دَائِمًا، وَإِنِّي تَعُودْتُ عَلَى الثِّقَةِ فِيهَا فِي الْمَاضِي. طَلَبْتُ
مِنْهَا أَنْ تُرَكِّزَ عَلَى الْمَوْضُوعِ الرَّئِيسِ. تَقُولُ إِنِّي دَائِمًا مَا أَرَدْتُ أَنْ
أَلْعَبَ دَوْرَ الْقِيَادَةِ وَإِنِّي أَعْتَبِرُهَا طِفْلَةً. طَلَبْتُ مِنْهَا أَنْ تَنْصِتَ لِي. قَالَتْ
إِنْ سِيرِيوْجَا يَفْتَقِدُ إِلَى اللَّبَاقَةِ. فَقَدْتُ أَعْصَابِي وَقُلْتُ لَهَا إِنَّهَا شَرِيرَةٌ.
اسْتَعَاءَتْ جَدًّا وَتَوَتَّرَتْ. بَكَتِ الْخَالَةَ، وَقَدْ كَانَتْ فِي صَفِيٍّ، وَكَذَلِكَ
فَعَلْتُ مَارِيَا إِيْفَانُونَفْنَا، وَبِالتَّالِيِ بَكَتِ مَاشَا هِيَ أَيْضًا. قَالَتْ لِي إِنِّي لَمْ
أَكُنْ لِأَجْرٍ عَلَى قَوْلِ مَا قُلْتَهُ لَهَا الْآنَ إِنْ كَانَ زَوْجُهَا مَوْجُودًا وَإِنِّي أَذْهَلُهَا
لَأَنَّهَا تَعِيشُ مَعِي وَلَآنَ لَيْسَ لَدَيْهَا مَلْجَأٌ سِوَايَ إِنْ جَازَ التَّعْبِيرُ. اسْتَمَرَّتِ
الْخَالَةُ فِي الْبَكَاءِ لِيَوْمَيْنِ. لَقَدْ تَغَيَّرَتْ كَثِيرًا. وَأَصْبَحَ مِنَ الْمُسْتَحِيلِ سَبْرِ
أَغْوَارِ شَخْصِيْنِي، لَكِنِّي أَسْأَلُ اللَّهَ فَعَلًا أَنْ يُلْهَمَنِي الصَّبْرَ.

٣٠ أكتوبر.

رَأَيْتِ فَالِيرِيَا، وَلَا يَسَاوِرْنِي أَيُّ نَدَمٍ عَلَى مِشَاعِرِي. عَادَتْ الْأُمُورُ

على ما يرام مع ماشا، ومضت على نحو رائع مع الأطفال. ذهبت لتولا. تشيركاسكي ليس غيبًا، لكنه ضيق الأفق. أصحاب النزعة السلافية لا يفهمون شيئًا في الموسيقى. أعدت كتابة القوزاق. لا بد وأن أستنسخها مرة أخرى. نقد المال، وأمور الضيعة تسير على نحو سيئ.

٢٧ نوفمبر.

لا، لقد تركت نفسي أنساق كثيرًا، والأمر هكذا مستحيل. إدارة شؤون الضيعة عمل فظ. لقد كذب رزون^(٥٨) اليوم. اشتعلت غضبًا وانسقت للعادة الدنيئة وصحت: «اضربوه»^(٥٩)! انتظرت عودته لأراه. أرسلت أحدهم ليوقف الأمر، لكنه لم يصل إلى هناك في الوقت المناسب. سوف أطلب غفرانه. لن أوبّخ أحدًا ثانية قبل الثانية بعد الظهر. طلبت غفرانه وأعطيته ثلاثة روبلات لكنني تعذبت كثيرًا. في المساء كتبت فصل «السر»^(٦٠) على نحو جيد، وأعتقد أن كل شيء سيمضي قدمًا على نحو جيد.

٦ ديسمبر.

رتّبت أوراقتي. سوف أعيد العمل على بداية القوزاق حتى الغداء، وبعده سوف أعمل على أمور صغيرة.

١٣ ديسمبر (٧ - ١٢).

عملت قليلًا، ولكن حالة الشبق المستولية عليّ تشتتني كثيرًا. أنا

(٥٨) نجار من ياسنايا

(٥٩) كانت العقوبة يتم تنفيذها بالضرب بالعصى على الظهر.

(٦٠) أحد فصول القوزاق.

اليوم في موسكو. الأدب الذي كنت أتنشق عييره بالأمس عند فيت
يشعرنني الآن بالاشمئزاز. هذا يعني أنني أعتقد أنه طالما بدأت عملي
الأدبي وسط مديح كبير، ولمدة عامين كنت أتلقي الثناء وأحتل المكانة
الأولى، فإني لا أرغب فيه خارج هذه الشروط، وأقصد الكتابة للناس
والحمد لله. لا بد وأن أكتب بهدوء وفي صمت دون أن أشغل بالي
بالطباعة. كتبت بعض الملحوظات عن قضية طبقة النبلاء ولم أرَ ما
كتبته لأحد.

٢٢ ديسمبر.

وصلت موسكو مع الأطفال. لم أستطع أن أرهن شيئاً آخر. الناس
في كل مكان في حاجة إلى المال. مضيت إلى رحلة صيد لاقتناص دب.
قتلت واحدًا في الواحد والعشرين من الشهر، وفي الثاني والعشرين
عضني آخر. بددت كمية كبيرة من المال.



١ يناير (موسكو).

كنت أعمل طوال هذا الوقت، وكذلك اليوم. ما زال رأسي يؤلمني. إما أن أتزوج هذا العام وإمّا ألا أتزوج أبداً. مر اليوم الأول من العام في هدوء تام. لم أر أحداً. كنت أعمل على عمل ليس شديد الأهمية^(٦١).

١٦ فبراير.

كنت أعمل طوال هذا الوقت على رواية، وقد حققت تقدماً كبيراً وإن لم يكن على الورق. جميل حقاً. أنا راضٍ عما يدور في رأسي. الحبكة جاهزة تماماً في رأسي وغير قابلة للتغيير. لم أذهب لمكان تقريباً. بالأمس قمت بزيارتي الأولى للأمير لفوف. قبل أمس بيوم قضيت المساء معه عند جاجارين، وعدت شاعراً أنني واقع في غرام امرأتين^(٦٢). لم أنم بالليل. بالأمس لم أستطع أيضاً النوم حتى الخامسة. الآن أنا أهدأ حالاً وأعمل. صحتي ليست بخير، فهناك مشاكل تتعلق بالمعدة والأعصاب. رأيت حلمًا: فراولة وزقاق، وقد أدركت ما أمامها

(٦١) يقصد رواية: «السعادة الأسرية».

(٦٢) إلكسندرا لفوفا (زوجة لفوف)، وشقيقتها (زوجة جاجارين).

على لفور دون أن تعرفه، وكذلك رأيت شابيغ^(٦٣) دون فرع واحد جافاً
أو ورقة صغيرة.

١٩ فبراير.

مرت ثلاثة أيام أخرى. ما زلت حالتي ليست على ما يرام. لم أكن
أتحدث مع أحد إلا نادراً. يحتاج المرء إلى هذا التركيز مع النفس سواء
في الحياة أو في الفن. جاءني من يسنايا ١٠٠ روبل بدلاً من ٣٠٠.
أمر سيئ جداً. لم أستطع الكتابة بالأمس. كنت أشرب خمراً ليومين
و كنت.... أشعر الآن أن صحتي في حالة رائعة.

٩ إبريل (موسكو).

ذهبت للصيد ثم إلى بطرسبرج. قضيت عشرة أيام رائعة في
بطرسبرج. رأيت لفوفا مرتين مجدداً في موسكو. عاودتني مشاعري
القديمة، ولكن ليست بنفس القوة. كنت سأهنأ بما فيه لولا حالتي
الصحية. جاءني بعض المال وفقدته في البليارد الصيني. كنت أعمل،
وأنهيت «آنا»^(٦٤)، ولكن على نحو غير جيد. في ٦ إبريل ذهبت
إلى جاجارينا وكتبت خطاباً لشقيقها. المور ليست على ما يرام مع
كاتكوف^(٦٥). استسلمت في الأيام الأخيرة وانحدر بي الحال تماماً.
أردت العودة لياسنايا لكنني لم أعد.

(٦٣) بستان من شجر البلوط خلف منزل تولستيو في ياسنايا.

(٦٤) بطولة السعادة الأسرية.

(٦٥) ناشر دارت المفاوضات معه حول نشر "السعادة الأسرية".

٩ مايو (ياسنايا بوليانا).

منذ أسبوع وأنا في ياسنايا. أمور الضيعة تمضي على نحو سيئ وقد سئمتها. وصلنتي «السعادة الأسرية»^(٦٦). دناة تدعو للخجل. وجدت نفسي باردًا بشكل مفرز صوب كل شيء. لا يسعني تذكر أكسينيا^(٦٧) إلا باشمئزاز؛ خاصة هذان الكتفان! فيوليت موهوب للغاية^(٦٨). أنا حزين على نفسي. ببساطة، قلبي لا يستجيب هذا العام لشيء. لا يسعني حتى الشعور بالأسف، ولا أشعر سوى بحاجتي للعمل والنسيان. ماذا؟ ليس لديّ ما أنساه. ربما أنسى أنني حي. صليت اليوم وأردت أن أجبر نفسي على العمل بانتظام وفعل أي عمل صالح. لا بد وأن أكتب لالكسندرين وبوتكين وفيسنيك.

٢٨ مايو.

قصص شعري بالأمس، وأشعر كما لو أنها علامة على بعثي من جديد. لست راضيًا عن نفسي. إن نظام حياتي يخرج عن السيطرة. ذهبت أكسينيا لدير الثالوث المقدس. كانت هنا منذ قليل، وكذلك جاء آل فيت. البيت يُعاد بناؤه وترميمه. ما زلت أشعر بالآلام أسفل الظهر. أريد أن أعاد العمل الآن على «القوزاق».

٢ أكتوبر.

صيف من العمل في الضيعة. حزن وفوضى وحدة طبع وكسل. شيدت ماشا منزلها ورحلت.

(٦٦) نسخة التصحيحات قبل الطباعة للجزء الثاني من الرواية، أما الجزء الأول فكان في ذلك الوقت قد نُشر فعلاً.

(٦٧) راجع حاشية ٥٣.

(٦٨) أوكتاف فيوليت: روائي فرنسي.

٩ أكتوبر.

من ٢٨ مايو وحتى اليوم وأنا في ياسنايا. فوضى وحدة طبع وملل ويأس وكسل. كنت مشغولاً بالعمل في الضيعة قليلاً، ولكن على نحو سيئ. واصلت رؤية أكسينيا على انفراد. رحلت عني ماشا وذهبت لمنزلها الجديد. كان بإمكانني ألا أتشاجر معها نهائياً. حدث هذا الصيف أن أضرب شخصاً في مناسبتين مختلفتين. سافرت إلى موسكو في ٦ أغسطس، وحلمت بأن أخصص في علم النباتات. بالطبع مجرد أحلام وصبيانية. ذهبت إلى آل لفوف، وما إن أتذكر هذه الزيارة، حتى أصبح بقوة. كنت على وشك أن أقرر بأن تكون هذه هي الماولة الأخيرة للزواج^(٦٩)، ولكن هذه صبيانية أيضاً. بعدها بدأت أستعد للرحيل ورأيت إيفان يارفسكي وتسينجر وجولوبكوف ويلاجين وكوبيلين ورايفسكي....

وها أنا وحيد في المنزل، ولسبب ما أشعر بالهدوء والثقة في خططي لتحقيق الكمال الأخلاقي بهدوء. فليهنني الله ذلك! أما الآن فلا بد وأن أتابع أعمال الضيعة وأقرر مصير مشرف الضيعة وأكتب بعض الخطابات وأكتب في الرواية بالمساء.

١٠ أكتوبر.

زال الهدوء الأمل تماماً. بالأمس كتبت خطابات وفحصتها الآن بهدوء. أما اليوم فتابعت أمور الضيعة وأرسلت يجور إلى الطاحونة،

(٦٩) كان على وشك أن يتقدم لطلب يد إلكسندرا لفوفا.

وبالرغم من فائدتها لكنها لا تستحق الكثير. اليوم سأكتب لكاترينا نيكولايفنا وإلكسندرين، وسأعيد العمل على «القوزاق».

١١ أكتوبر.

مع مرور كل يوم تزداد حالتي المعنوية سوءًا، وعدت تقريبًا لحالة الشبق التي تتابني في الصيف. سأحاول المقاومة. أقرأ الآن في رواية: «آدم بيد»^(٧٠). تحوي حسًا تراجيديًا قويًا بالرغم من زيفها واقتصارها على فكرة واحدة. الأمر ليس على هذا النحو معي. حالة الجياد تزداد سوءًا، وصببت جام غضبي على لو كان.

١٣ أكتوبر (١٢-١٣).

لم أغضب، لكنني لم أعمل أيضًا. قرأت لرابليه^(٧١)، وجاءتني أكسينيا. كتبت خطابًا لإلكسندرين وكاترينا نيكولايفنا. أشعر بالاشمئزاز والضيق.

١٦ أكتوبر (١٤-١٦) صباحًا.

رأيت حلمًا. الجريمة ليست فعلًا بقدر ما هي علاقة معينة بظروف الحياة. في ظرف ما قد لا يكون قتل الأم جريمة، بينما تناول قطعة خبز أعظم جريمة. كم كان عظيمًا أن يستيقظ المرء في قلب الليل على فكرة كهذه! أحمل مجددًا على كاهلي الضيعة بكل ضغوطها ومشاكلها. أتعذب، بالإضافة لاستيلاء الكسل عليّ.

(٧٠) رواية لجورج إليوت.

(٧١) فرانسوا رابليه: هو كاتب فرنسي وطبيب وراهب وعالم باليونانية وأحد إنساني النهضة.

١ فبراير (ياسنایا بولیانا).

لم أستطع النوم بالأمس حتى الخامسة. قرأت في مقالة: «انحطاط الجنس الإنساني»^(٧٢)، وعن حقيقة أن هناك درجة مادية أعلى من التطور العقلي. أنا الآن في هذه المرحلة. تذكرت الصلاة على نحو آلي. أصلي لمن؟ من هو الله الذي يمكنني تخيله بهذا الوضوح، لأطلب منه الطلبات وأحاول التواصل معه؟ إن تخيلته على هذه الصورة فسيفقد كل عظمته بالنسبة لي. الله الذي يمكنني أن أطلب منه شيئاً وأخدمه هو تعبير عن ضعف العقل. إنه الله تحديداً؛ لأنني لا أستطيع تخيله. إنه ليس له كيأناً، لكنه قوة وقانون. لتبقى هذه الصفحة تذكراً لقناعاتي بقوة العقل.

١٦ فبراير.

بالأمس أجريت بعض التغييرات على أمور الضيعة. قرأت ودرّست قليلاً^(٧٣). اليوم سوف أكتب في القوزاق صباحاً، وأتابع أمور الضيعة. سأعرج على الصبية وأدرّس لهم قليلاً وأتعدى. سأغفو ثم أكتب في القوزاق أو أكتب على الآلة الكاتبة حتى موعد شرب الشاي، وفي المساء أكتب خطاباً لبوريسوف وفيت ولإخوتي عن الآلات وعن طرق

(٧٢) مقالة لأفريد موري عالم الآثار وعالم النفس.

(٧٣) بدأ تولستوي من خريف ١٨٥٩ في التدريس لبعض أطفال الفلاحين في ضيعته.

العلاج ولدروجينين وبودشاسكي.

١٧ فبراير.

أتممت كل شيء بالأمس. قال لي أندريه - الطالب بالمدرسة - إن سبب عدم حضوره للمدرسة يوميًا هو أن والده يخشى من عدم دفع المال مقابل تعليمه. أغضبني ذلك، وقلت له إن والدك أحق وما إلى ذلك، حتى بدأ في البكاء.

سأكتب في القوزاق (المهم ألا أتوقف). بشكل عام سيكون تخطيط اليوم مثل أمس. سأكتب خطابات في المساء.

٢٢ مايو.

أحد العنصرة. مطر. أقرأ ليرثولد أورباخ (كاتب ألماني) وقصيدة *Reineke Fuchs* (لجوته). أعدت قراءة المذكرة^(٧٤) ووجدتها جيدة. فقدت كل سروري. أنا حزين. لا بد وأن أحب الجميع بما فيهم فيلات (فلاح) وإيفان، وأن أتعامل معهما بمزيد من التبسط. سببت رئيس الفلاحين وماتفي.

٢٥ مايو.

استيقظت في الرابعة، وتابعت أمور الضيعة بهدوء وحس عملي. ارتدى بالاكيريف وشاحًا فوق كتفه. لم أرها^(٧٥)، ولكن بالأمس كنت أشعر بالهلع لمجرد اقترابها مني.

(٧٤) مذكرة قدمها لوزارة التعليم أعرب فيها عن بعض الانتقادات فيما يخص التعليم الابتدائي والثانوي.

(٧٥) يقصد أكسينيا.

قالت لي الخالة: «قُل لي يا عزيزي، ماذا تفعل في هذا الوقت المبكر؟». يبدو أنني راضٍ عن أمور الضيعة.

٢٦ مايو.

رأيت حلمًا غير عادي. إن ديانتني الغربية وديانة زماننا هذا هي ديانة التقدم. مَنْ قال حتى لإنسان واحد أن التقدم أمر جيد؟ إنه غياب الإيمان والحاجة إلى العمل الواعي وقد تنكرا في ثوب الإيمان. الإنسان في حاجة إلى الاندفاع والتوتر... نعم.

استيقظت في الخامسة. رتبت أموري بنفسي وكل شيء على ما يرام، وأشعر بالسرور. لم أجد أكسينيا في أي مكان. لم أعد أشهر بالشهوة صوبها بقدر ما هو شعور الزوج نحو زوجته. غريب! أحاول أن أضعف شعوري السابق بالتخمة بلا جدوى. أشعر بلا مبالاة رهيبة صوب العمل، وهذا أكثر ما يثير شعوري صوبها. في المساء فقدت أعصابي تقريبًا على ما يتعلق بالروث المستخدم كسماد، وعملت بكل قوتي حتى السابعة. كل شيء أصبح جيدًا وشعرت بالمحبة لهم جميعًا. سيكون من الغريب أن يضيق عبثًا هذا الحب للعمل. لا يمكنني النوم، وصحتي ليست على ما يرام. كتبت خطابًا لماشينكا.

٢١ يوليو (كيسنجن)^(٧٦).

لم أكتب شيئًا تقريبًا منذ شهرين. اليوم ٢٠ يوليو. سأحاول العودة إلى تلك الفترة الممتدة من يوم رحيلي إلى اليوم.

(٧٦) بلدة ألمانية. سافر تولستوي مع ماريا شقيقته وأطفالها عبر موسكو إلى سان بطرسبرج، ومن هناك بالباخرة إلى برلين، ثم وصلا كيسينجن في الطريق إلى ليبزيغ.

١٩ / ٣١ يوليو (كيسنجن).

قرأت في كتاب «تاريخ التربية»^(٧٧). لوثر^(٧٨) عظيم. تمشيت. العاملون باليومية يعملون نصف ما تعمله فلاحاتنا، ويربحون ٢٠ كوبيكاً يومياً. جهل وفقر وكسل وضعف. بالأمس ذهبت لزيارة كاهن أمريكي للنقاش حول المدارس. إنها جميعاً مسيطرٌ عليها من قبل الحكومة، وقد أدت امتيازاتها إلى وأد روح المنافسة الخاصة. تعليم الدين يتم عبر كتاب واحد بلا اختصار ولا تفسير.

١٨ / ٣٠ يوليو.

كنت أتجول مع أويرباخ (مالك أراضي ألماني)، وأقرأ لرومير.

١٧ / ٢٩ يوليو.

ذهبت للمدرسة. الوضع مريع! صلاة من أجل الملك وضرب وحفظ عن ظهر قلب وتخويف وتشويه الأطفال.

١٦ يوليو.

زرت مدرسة أطفال صغار. الوضع سيئ أيضاً. يستخدمون طريقة لوثر. التقيت بألماني عجوز حر الفكر. تمشيت في الحقول.

١٥ / ٢٧ يوليو (ليبيزيج - كيسينجن).

في الطريق من ليبيزيج. التقيت بامرأة سويسرية ساكسونية جميلة، وطالب من جماعة مسيحية بإيرلانجن.

(٧٧) للكاتب لألماني كارل فون رومير.

(٧٨) واضع نظام لتعليم الصوتيات.

١٤ / ٢٦ يوليو (ليبزج).

وصلت من برلين. التقيت بدكتور في القانون. أزعجني فرانكل (طبيب ألماني شاب) وزرت سجن *Cellengefängniss*.

١٣ / ٢٥ يوليو (برلين).

زيارة لاتحاد الحرفيين.

٧ - ٩ / ٢١ يوليو.

آلام بالأسنان.

٥ - ٦ / ١٨ يوليو.

وصلت برلين بصحبة ماشينكا.

٢ - ٥ / ١٧ يوليو (برلين - شتشتين - بطرسبرج).

كلانا على متن الباخرة من بطرسبرج.

٢٢ يوليو / ٣ أغسطس.

قرأت في «تاريخ التربية». قرأت عن فرانسيس بيكون مؤسس الاتجاه المادي، وعن لوثر المصلح الديني والعودة إلى المصادر، وعما كتبه بيكون عن العلوم الطبيعية، وعما كتبه وليم ريل في السياسة، وعن جوليوس فروبيل. إنه أرستقراطي ليبرالي ثرثار. لا يمكن للفن أن يقدم شيئاً عندما يكون واعياً.

٢٣ يوليو / ٤ أغسطس.

قرأت لريل وهيرزن. عقل يعمل دون جماح، وغرور مريض، ولكن

هناك اتساع أفق ومهارة وطنية وأناقة. هكذا هم الروس. مضيت للصيد.
كتبت لياسنايا.

٢٤ يوليو/ ٥ أغسطس.

مونتين^(٧٩) هو أول من عبّر بوضوح عن فكرة حرية التعليم. أكرر،
أهم ما في التعليم: المساواة والحرية.

٢٥ يوليو/ ٦ أغسطس.

قرأت لريل *Kulturstudien aus drei Jahrhunderten*. فهمت
التعامل مع التورية. إنه ينسى الفن. الفلكلور يتكون من مجموعة من
العلوم الفردية، والفن معاون له لكنه مستقل. ريل ليس فناناً ويريد أن
يصنع من فلكلوره مزيجاً من الفن والعلم. وصل سيريوجا. تحقق الحلم.
أخبار سيئة للغاية. لقد خسر كل شيء في القمار. حالة نيكولينكا أسوأ.
٢٦ يوليو/ ٧ أغسطس.

تمكنت من القراءة قليلاً عما كتبه ريله عن التقويمات. إنه محق فيما
يتعلق بالدلالة الراسخة للتقويمات الشعبية القديمة، وبشكل عام الأدب
الشعبي. ولكن أين موضع أورباخ من ذلك؟ إنه في موضع الوسيط بين
الناس والطبقات المثقفة. حلمت بإلغاء الروليت. تمشيت في المساء.
ثرثرت مع الفلاحين. راودتني فكرة رواية^(٨٠). عامل يسيطر على فتاة أو

(٧٩) ميشيل دي مونتين أحد أكثر الكتاب الفرنسيين تأثيراً في عصر النهضة الفرنسي. رائد المقالة
الحديثة في أوروبا.

(٨٠) أول ذكر لرواية «أنشودة رعوية».

امرأة قروية. لا أعرف بعد كيف سيتطور الأمر.

٢٧ يوليو/ ٨ أغسطس.

سيريوجا يريد التمتع بصحبة المجتمع، وهو مفتون ببريق الأرستقراطية. تنزهت بمفردي. بالنسبة للرواية فستعتمد منظور الفلاح للأمر، واحترام الثروة الريفية مع نزعة محافظة. سخرية وازدراء للتبطل. لا يمكن للإنسان أن يعيش من نفسه، بل الله يرشده.

٢٨ يوليو/ ٩ أغسطس.

رحل سيريوجا، ووصل نيكولينكا، وتحدث عن وجهة نظره في الإنجيل.

٢٩ يوليو/ ١٠ أغسطس.

تعرفت على فروبيل (عالم ألماني). ثرثار ليبرالي. رحل آل أويرباخ أول أمس، وقبل ذلك بيوم حظينا بنقاش ممتع حول الأدب. عرضت عليه ملكية ليستأجرها. جاءني خطاب من المنزل، وقد أعاد لي الشعور بالسوء حيال مشاكل الضيعة.

٣٠ يوليو/ ١١ أغسطس.

ذهبت لقرية جاريتز، والتقيت هناك بمدرس شاب مهتم بأمر الكتابة، وما إن كان من الأفضل الكتابة على سطر أم اثنين. التقيت أيضًا بعجوز عابد للروتين. استأجرت بعض العمال وقمنا بحصاد الأرض.

٣١ يوليو.

موقف نيكولينكا مريع. إنه شديد الذكاء والتنبه، ولديه رغبة شديدة

في العيش، لكن تعوزه الطاقة. ذهبت للمدينة. آل أويرباخ جميعاً يتحلون باللف حتى هي.

١٣/١ أغسطس.

رحل نيكولينكا، ولا أعرف ما العمل. هو وماشينكا في حالة سيئة، ولا نفع مني. قضيت كل الوقت بعد الغداء مع فرويل. بدأ يشعر بالاحترام صوبي. ذهبت في المساء إلى لاندوير.

١٦/٤ أغسطس (١٤ - ١٦).

تعرفت بصورة أفضل على فرويل. لقد أنهكت السياسة تماماً. التقيت بلوم واقتصادي آخر. ليسوا شديدي الذكاء. فكرة التربية التجريبية مثيرة، لكنني لم أستطع أن أمسك نفسي فتحدثت عنها وأضعفت من قوتها بداخلي. كتبت قليلاً. وصل آل أويرباخ، ومكث سكوبين^(٨١). جاءني خطاب من نيكولينكا.

١٧/٥ أغسطس.

قرأت عن التربية، وشرحت فكرتي لسكوبين.

١٨/٦ أغسطس.

لست بخير. رحل سكوبين. التقيت بـسياسي فرنسي. لم يقل أويرباخ عنه شيئاً سوى أنه يهودي. قرأت بعض الإحصائيات عن أمريكا. أعطاني الكاهن ورقة. لا بد وأن أكتب خطاباً لياسنايا.

(٨١) مُدرسة لغة روسية بمدرسة بتولا.

١٩/٧ أغسطس.

فرنس (ناشر ألماني) أذكى من فروبيل، وهو إنسان عملي. أقام عندي. صحتي ليست بخير، وأشعر بالملل.

٢٠/٨ أغسطس.

أُصبت ببرد.

٢٣/١١ أغسطس.

حلمت أنني أرتدي ثياباً قروية، وأن أمي لم تعرفني. يقول سيد من مكلنبورج: «النظام القديم جيد، أما الجديد فيجلب كل ما هو سيئ». يبدو أن الرواية بدأت تتشكل بوضوح في ذهني.

٢٤/١٢ أغسطس.

كنت أقرأ لريل. النزعة المحافظة غير ممكنة. طوال اليوم كنت أخشى من حالة صدري.

٢٥/١٣ أغسطس.

ودّعني لاندوير بلطف. تمشيت مساءً على ضفة نهر سال. ضحكت من غباء ميشيرسكي.

٢٦/١٤ أغسطس.

فحصني الطبيب. أنا مصاب بتمدد في الأوعية الدموية. سافرت عبر طريق بلدة جيموندن الرائع. وصلت لسودين. نمنا جميعاً.

٢٧/١٥ أغسطس.

تمشيت في الحديقة بصحبة ماشينكا. إنها تشعر بالملل بدا لي أن

حالة نيكولينكا قد تحسنت. مضيت إلى ضفة نهر سولتسباخ، واصطحبني معلم لطيف إلى الكنيسة، وعزف على الأرغن، وابتسمت لي هناك بفخر ولطف فتيات صغيرات يرتدين غطاء الرأس الروسي التقليدي.

١٦/ ٢٨ أغسطس.

ذهبت للمدرسة. راقبت هناك طريقة تعليم الكتابة والحساب. ذهت لمدينة هوكست، واغتسلت في المياه. كانت ليلة فاتنة. كانت هناك نُزُل للرجال والنساء، وتعاليت الصيحات من الحقول ومن الطابق العلوي.

١٧/ ٢٩ أغسطس (سودن - فرانكفورت^(٨٢)).

استيقظت في الثامنة والنصف. لست بخير. سافرت بصحبة نيكولينكا إلى هوسكت. في الطريق راودتني فكرة أن أجعل الراوية (أنشودة رعوية) بسيطة. أخذت أتخيل أندريه وهو مستمع. نيكولينكا مسرور. حان الوقت للتوقف وانتظار هدايا الحياة غير المنتظرة، وأن الوقت كي يصنع المرء حياة حقيقية لنفسه.

١٣/ ٢٥ أكتوبر (هيريس).

قارب شهر على الانقضاء منذ وفاة نيكولينكا. ما حدث انتزعني من الحياة بفضاعة. يراودني السؤال ثانية: لماذا؟ لن ينقضي وقت طويل قبل أن أرحل من هنا، ولكن إلى أين؟ لا مكان. أحاول الكتابة، أجبر نفسي،

(٨٢) ذهب تولستوي لسودن ليلحق بأخيه نيكولاي الذي تفاقم مرضه بالسل. سافرا معاً إلى هيريس، وتوقفا في فرانكفورت وجينيف ومارسيليا، حيث زار تولستوي هناك الكثير من المدارس. مات نيكولاي في هيريس في ٢٠ سبتمبر.

لكني لا أستطيع كتابة شيء، وهذا لأنني لا يمكنني أن أعزو إلى العمل الأهمية التي يجب أن أعزوها إليه كي أتمتع بالقوة والصبر اللازمين لأجله. أثناء الدفن راودتني فكرة أن أكتب إنجيلًا ماديًا؛ أن أكتب عن يسوع مادي. ليس هناك ما يشير الانتباه في الرحلة من سودين. ذهبت إلى الجامعة بجينيف. يُدرّسون التاريخ بالإملاء، وهناك واحد يتولى الحسابات. معلم سكير. الأطفال يتم تشويهم في مدرسة الأطفال. تورجينيف^(٨٣) أحمق. لقد ترك في موت نيكولينكا أقوى انطباع مررت به في الحياة. ذهبت لمارسليا. التعليم الحقيقي هناك خارج أسوار المدرسة؛ تجده في الصحف وعلى المقاهي.

١٦ / ٢٨ أكتوبر (يوم الأحد).

ثمة طريقة واحدة للعيش؛ ألا وهي العمل. وكي يعمل الإنسان لا بد له وأن يحب العمل، وكي يحب العمل لا بد وأن يكون العمل جذابًا، وكي يكون جذابًا لا بد وأن يؤدي نصفه فقط وبصورة جيدة. إنها حلقة مفرغة. ولكن ما العمل؟ قراءة البخت بالورق وتردد وتبطل وحزن وتفكير في الموت. لا بد من الخروج من كل ذلك. هناك مخرج واحد، ألا وهو إجبار نفسي على العمل. الساعة الآن الواحدة، ولم أفعل شيئًا بعد. سوف أنهي الفصل الأول حتى موعد الغداء، وبعد ذلك أكتب خطابات.

كتبت في الصباح. لم أكتب أكثر من نصف فصل، ولم أكتب خطابات. سوف أكتب الخطابات غدًا قبل الإفطار، وسأنهي ثلاثة فصول إن استطعت. تغديت عند شانجيري. جادلني موريل بشأن

(٨٣) غالبًا المقصود تورجينيف آخر غير الروائي المشهور.

الموسيقى. لا يمكنه فهم شيء سوى الأوبرا. أشعر بالسرور بصحبة الأمير وكاتينكا. ذهبت لماشينكا. إنها تتظاهر بالمرض.

٢٩ أكتوبر / ١٠ نوفمبر.

طوال ما يقرب من عشرة أعوام لم أحظَ بمثل هذه الثروة من الصور والأفكار كتلك التي حظيت بها في الثلاثة أيام الأخيرة. لا يمكنني الكتابة من فرط وفرتها.

٣١ أكتوبر / ١٢ نوفمبر.

فتى في الثالثة عشرة من عمره مات إثر عذابات السل. لماذا؟ ليس هناك تفسير لذلك إلا إن آمنة بإمكانية التعويض في الحياة الأخرى. إن لم تكن هناك حياة أخرى، فما من عدالة إذن ولا حاجة لنا بها، وسيكون السعي إثرها مجرد خرافة.

١٣ / ١ نوفمبر.

تُشكّل العدالة حاجة الإنسان الماسة لإنسان آخر، وهو الأمر ذاته الذي يبحث عنه الإنسان في علاقته بالعالم، وسيغيب كل ذلك إن لم تكن هناك حياة أخرى. النفعية؟! يقول العلماء إن هذا هو القانون الوحيد الثابت في الطبيعة، ولكن لا وجود له في كافة تجليات نفس الإنسان: في الحب والشعر اللذين يشكلان أفضل ما في الإنسان. إنه غير موجود هناك. كل هذه التجليات تحيا وتموت دون أن تجد تعبيراً عنها يتعلق بالنفعية. إن كان هذا هو قانون الطبيعة الوحيد فقد ابتعدت إذن تماماً عن ذلك الهدف الذي يقضي بمنح الإنسان الحاجة إلى الشعر والحب.

١٣/١ إبريل (فايمار).

من الصعب أن أكتب الآن ماذا حدث في الأربعة شهور الماضية في إيطاليا ونيس وفلورنسا وليفورنو. أحاول الكتابة عن أكسينيا^(٨٤) في نابولي. شعرت بأول انطباع حي عن الطبيعة والعصور القديمة في روما، وفي هيريس عدت إلى الفن، وفي باريس تصالحت مع تورجينيف. لم تكن الأمور شديدة السوء في لندن، ولكنني شعرت باشمئزاز من الحضارة. في بروكسل شعور بسيط بالآلفة. كتبت لماشينكا (شقيقته) خطابًا عن كاتينكا^(٨٥). في الطريق إلى مدينة إيزيناخ راودتني أفكار عن الله والخلود. استعدت التفكير في الله والأمل في الخلود. في أول ليلتين بإيزيناخ استمعت لبكاء طفل مريض، ولدقات الساعة ولتمتمات الطفل، وفي فيمار حظيت ببغيّ قالت لي بالألمانية: «يا عزيزي... أنت مخطيء!». التقيت بلاندمان وتروبت (مدير مدرسة بفايمار) وبالقوق (مؤسس مدرسة فنية في فايمار).

في الثالث عشر من إبريل استيقظت في العاشرة وأسناني تؤلمني وذهبت إلى حديقة الأطفال، ومن الجيد أن تتوفر مثل هذه الحديقة في المدينة، لكنها نفس الشيوعية. بعد ذلك سألتقي بلانجهارت

(٨٤) علاقة تيون ومالانيا في الأناشود الرعوية مستمدة من علاقة تولستوي بأكسينيا.

(٨٥) صديقة لشقيقته، وكان تولستوي معجبًا بها وفكر في الزواج منها.

(مدير مدرسة أخرى)، وهو مدرس ضيق الأفق، والإصلاح من وجهة نظره يتلخص في ربط المدرسة بالحياة. تروبت غير راضٍ عن بلانجهارت. كان بإمكانه أن يفهمني لكن لم تكن لديه الطاقة لفعل ذلك. ذهبنا إلى قصر البلدية. عدت إلى المنزل مسرعًا لاستقبال الدوق. سيدات حمقاوات متصنعات، ورأيت امرأة ألمانية فاتنة من العامة قد تبدو حمقاء، لكنها أذكى منهن جميعًا. ذهبت للمسرح، وكان محض محاكاة ألمانية للإيطاليين والمالطيين. أفكر في إعادة العمل على كتابة مقالة تربوية بعد التفريق بين دار الأيتام والمدرسة الخاصة والحياة.

١٤/٢ إبريل.

أيقظني كيلير^(٨٦)، وأنا أعتقد أنه من الرائع أن أعثر على معلم مثله. بعدها جاء لانجهارت وتروبت، وتحدثت مع الأخير عن مفهوم المدرسة، وعن التربية والتعليم. وها هي الإجابة التي خرجت بها منه بسهولة. قال: إن دخول عنصر التربية في المعادلة هو ما حوّل المدرسة لكيان استبدادي. ذهبنا إلى منزل جوته. ذهبت بصحبة تروبت وكونتس إلى المقصورة الموجودة في الحديقة، ودار الحديث ثانية عن التربية والتعليم. التقيت ببيدرمان (صحفي ومؤرخ ألماني) الذي ابتعدت معه عن البقية. ذهبت للمسرح. كانوا يعرضون مسرحية فروسية، والصيحات تتعالى. تمشيت في الشوارع ثم عدت للمنزل. يبدو أن صحتي بخير.

(٨٦) معلم ألماني، دعاه تولستوي للعمل في مدرسته بياسنايا.

١٥/٣ إبريل (جينا «مدينة ألمانية»).

أرق طوال الليل. لم أستطع حل إشكالية التربية والتعليم، لكنني الآن أنظر بمزيد من الهدوء إلى التعليم الألماني. في العاشرة ذهبت إلى أبولدا (مدينة صناعية)، ثم ذهبت سيرًا بسرور إلى جينا. التقيت بيريجا زوجة ستوي^(٨٧) وتحدثنا عن كتاباته. إن زوجته ثرارة بارعة جسورة. أما تسينكر (تربوي ألماني) فهو بهيمة فظة ثملة يسمح بالضرب بالعصا. شيفير ذو تفكير حسابي بحت. التقيت ثايبوت وإلكوند وزيس، وتحدثت معهم عن التعليم. نبدأ على أسس جديدة. أرق واضطراب مجددًا حتى الواحدة، ثم اطلاع على كتب تسينكر وستوي. ألمانيا هي البلد الوحيد الذي استنبط تعليمًا من الفلسفة. إنه نوع من تهذيب الفلسفة، وقد حاكتها في ذلك إنجلترا وفرنسا وأمريكا.

١٦/٤ إبريل (فايمار).

حضرت *Schullehrerseminar*^(٨٨). ممتاز. تعليم الحساب بالعصي وتحويلها لأرقام. وتعليم الجغرافيا بالتعامل مع مشاكل الأبعاد والمساحات. بالنسبة للغة؛ فالأمر ليس جيدًا فهم يبذلون جهدًا كبيرًا في تعريف ما هو مُعرَّف بالفعل. ذهبت لزواتن (مدينة بها مدرسة زراعية). المدرسة هناك غبية جدًّا، وهي مثال على ما يمكن أن يصل إليه الأمر عندما تُملَى التعليمات من أعلى. نظرية دون ممارسة. انصرفنا سيرًا على الأقدام. ذهبنا للجبل وللغابة. استمتعت بالطبيعة ببساطة وسعادة.

(٨٧) تربوي ألماني، جرَّب وسائل جديدة في التعليم بمدينة جينا.

(٨٨) سيمينار لمعلمي المدارس.

أشعر بالارتياح. ذهبت لفايمار. رأيت فارسًا بروسياً يحمل الزهور في يديه، وامرأة تنحني بحرية على أرضها الزراعية في ضوء السماء. الذراعان عاريان. يبدو أن كيلير غير مُجَدِّ في هذه المسائل. التقيت بمالطي، وشعرت بالملل. العجوز مسرورة من أنني لا أحب الحضارة. في المساء يزعجني التفكير ثانية في التربية. إن وظيفة المدرسة لا تتلخص في نقل المعرفة، ولكن في نقل فكرة احترام المعرفة. بينما كنت أفكر في ذلك استغرقت في النوم بهدوء. في الطريق، وبينما كنت أرمي الحصى فكرت في الفن أيضًا. هل يمكن أن يقتصر هدف المرء على المواقف لا الشخصيات؟ أعتقد أنه من الممكن فعل ذلك، وهذا ما فعلته وهو سبب نجاحي. لكن الأمر لا يتعلق بالجميع، بل بي وحدي.

١٧/٥ إبريل.

استيقظت في الثامنة. في حديقة الأطفال. الرسم الهندسي وصنع السلال هما هراء. لن يمكنك تفهم قوانين تطور الطفل بهذه الطريقة. إنهم يتعلمون بالحفظ عن ظهر قلب عندما لا يتقاطع الموضوع مع عالمهم، لكنك بذلك لا يمكنك تفهم عالمهم. يمكن لطفل أن يرسم عصي، لكنه لا يُكوِّن فكرة واضحة عن الدائرة، ولا يمكنك أن تعلمه المثابرة على التقدم حينما يكون كل شيء جديدًا عليه. المثابرة على التقدم هي قوة أن يفرض المرء كل ما لا يريد الانشغال به. بيدرمان ليس غيبًا، لكنه عامل وأديب قد أصبح جزءًا منه في كتابه بالفعل لا فيه. ولكن بغض النظر عن «الطفولة» فأنا كامن كاملاً في داخلي، لذلك

يمكنني أن أنظر إليهم بحرية. التقيت بعدها بتروبيست وكوهلر^(٨٩) ووالدته. بعد لقائها أدركت أنني أُحمّل نفسي مسؤولية اصطحابه معي، لكنه يمكنه الاحتمال. يمكنني الآن أن أفكر بمزيد من الحرية في عمله طالما أن المدرسة قد بدأت تتشكل فعلاً. أفكر في الانتقال من الممارسة العملية إلى النظرية، بمعنى أن آخذ ما هو جاهز فعلاً من الحياة لخدمة المنظومة، وذلك في كافة العلوم، وخاصة في العلوم الطبيعية. ذهبت للتمشي قبالة قصر البلدية بصحبة بيك وتروبيست وكيلير، وثرثرتنا معاً. لدوق أحرق. حضرت أوبرا الناي السحري (موتسارت) وكنت مسروراً، وأعجبت خاصة بالثنائي. أعتقد أن كيلير لن يفيدني في شيء.

١٨/٦ إبريل (دريسدن).

دراسة في علم نفس الطفل. نهضت في الرابعة. في الطريق بصحبة موظف كومي وابنته. الابنة ذات وجنتين متوردتين، يهتز جسدها فوق الوسائد. نمت. جاءني في دريسن خطاب من جوليتسينا تحدثني فيه ثانية عن فاليريا. لا بد وأن أحسم أمر الضيعة. كتبت خطاباً للأميرة ك، ومزقته. أرسلت خطاباً لماشينكا، وآخر وللأمير. ذهبت إلى صلاة المساء بالكنيسة. يمكنني احتمال المكوث في الكنيسة. ربما سوف أصوم. ثرثرت مع لفوف. أشم رائحة أمي روسيا. تشيتشيرين كرهه جداً.

١٩/٧ إبريل.

استيقظت في وقت متأخر. أرسلت خطاباً للألماني وللخاله، ولم أرسل لتشيتشيرين. المدارس هنا سيئة. انحلال. اشترت بعض الكتب

(٨٩) مدرس ألماني، دعاه تولستوي للعمل بمدرسته في ياسنايا.

التعليمية. فوتي ليست أمًا ممتازة، أما لابتيفا فطيبة^(٩٠). بانكراتيفا تستحق الشنق! إنها أرستقراطية تثرثر طوال الوقت بالفرنسية. تغديت مع ستوليين. صوفيا جالاحوفا وابنتاها يتحلىن باللطف، وهن سعداء. ذهبت للمسرح لحضور أوبرا. موهبة ألمانية واهنة! ذهبت لجمعية المناظرة الألمانية وتحدثت عن أمور تخص التعليم وعن الرأي العام.

٢٠/٨ إبريل.

يوم شنيع. اشترت كتبًا. أصبح المال بحوزتي قليلًا. أحببت تناول القربان المقدس. تحدثت مع تانييف الأحق. تغديت مع جالاحوفا وابنتيها. شخصياتهن متوسطة. في المساء حضرت افتتاحية *Coriolan* (بيتهوفن) وسيمفونية لمندلسون. لم أتأثر كثيرًا. تسكعت هنا هناك بابتذال وحماقة. يراودني شعور بعدم الرضى.

٢١/٩ إبريل (برلين).

استيقظت في الخامسة. طوال الطريق بصحة جيدة ومسرور. أجلس قبالة شاعر وتاجر من مكلنبورج يحمل أغراضًا ويرتدي خاتمًا في إصبعه وثالث من نواحي نهر الراين يرتدي ثيابًا قدرة. ليس الشباب كله فاتنًا. أويرباخ!!! يا له من إنسان فاتن! لقد كان بمثابة وحي من السماء لي. حكاياته عن عضوية هيئة المحلفين وعن كلوسر الكاهن... كما لو أن لاشيء أرفع من الروح الإنسانية. إنه يتلو الشعر بشكل رائع، وبالنسبة للموسيقى فحدث بلا حرج. في رأيه هناك تحول صوب الفساد يحدث الآن. إنه في التاسعة والأربعين الآن، ولا يزال شابًا مستقيمًا مؤمنًا، ولا يتغنى بالحرمان.

(٩٠) من أقارب تولستوي.

١٠/٢٢ إبريل.

ديسترويج (تربوي ألماني) ذكي لكنه بارد، ولا يريد أن يؤمن، ويحزن إن أمكنك أن تكون أكثر ليبرالية منه وأن تتجاوزه. ذهبت لمعهد التعليم الثانوي بصحبة ثيلو. إنه مدرس بلاغة ثرثار، وقد فتح لي أبواب الأدب الألماني الروحي الصادر منذ عام ١٨١٠. إنه مسيحي حقاً. التقيت أويرباخ وزوجته، وكنت بارداً معه، لكنه رائع طوال الوقت. قال لي: «آه يا عزيزي، صدقني، هناك فضيلة واحدة في هذا العالم؛ إنها الأمانة». إنه في حاجة إلى المال. وصل غلامي الصغير^(٩١). تفوح من كيلير رائحة نبيذ أبيض. رحلنا، وكانت صحتي جيدة طوال الطريق.

١٢/٢٤ إبريل.

وصلنا الحدود. أنا سعيد وبخير، بالكاد لاحظت أنني أصبحت في روسيا. قضيت الليلة بصحبة بعض اليهود. ليهمان ممتع. الصقيع يدخل العربة.

١٤/٢٦ إبريل (بطرسبورج).

في صحبة كوفاليفسكي وأكساكوف. أشعر بالراحة معهما. آل تولستوي بخير، لكنهم مزيفون بعض الشيء. تغديت عندهم. في المساء ذهبت لأنينكوف، وقد وجد أنني معتدل.

١٦/٢٨ إبريل.

مدارس أحد^(٩٢) دنيئة. التقيت كاترينا نيكولايفنا. وآل تولستوي.

(٩١) ربما يشير لدعوته لكيير للتدريس بياسنايا.

(٩٢) مدارس الأحد هي اجتماعات تنظمها الكنيسة للأطفال والصبية لتعليمهم مبادئ الدين.

٢٠ إبريل (١٧ - ٢٠).

رريض. التقيت بيروفسكي وسليبتسوف. رواية *Uli der Kne* ^(٩٣) ممتازة.

٢٢ إبريل.

في الطريق من بطرسبرج لموسكو.

٢٣ إبريل.

وصلت موسكو. نمت. صخب في كنيسة «منزل الأرامل». التقيت
بإلكسندرين أبولينسكايا. لدي خراج في اللثة.

٢٤ إبريل.

تغديت عند آل سوخوتين، وسلكت بحماقة. جيمتشونيكوف
غبي. في المساء ذهبت لآل سوشكوف. كاترينا فيدوروفنا لطيفة، لكنها
مغرورة ومضطربة.

٢٥ إبريل.

جاءني ديمتريف (مؤرخ روسي). إنه ذكي وهادئ. جيمتشونيكوف
بأس بسبب غروره وافتقاره إلى الموهبة. تغديت بالمنزل. المزاج هنا
محدودة للغاية، وبالكاد تناسب الجمهور. ساءت حالة الخُراج. هناك
سبب خلف ذلك.

(٩٣) رواية للكاتب السويسري ألبرت بويتسوس.

٦ مايو (ياسنایا بولیانا).

لم أكتب يومياتي منذ حوالي عشرة أيام. سافرت مع فيت وكنت أشعر بالملل. في تولا أثار آل أویرباخ وجولوفاتشيف وفویكوف الفوضى. الخالة حزينة، وقد هرمت. سیریوجا جید في كافة أمورہ، لكنه يعيش في عطالة. عینوني قاضي صلح، وقبلتُ. سافرت لتولا، وثرثرتنا كثيرًا، وبدأت أختال بنفسی، ومن ثم أصبحت أحمق. رفض مارکوف أن یشارکني في إصدار المجلة^(٩٤)، وبشكل عام فإن فكرة المجلة تضعف. الفوضى تعم بیروجوفو، ولا يمكنني أنا أو سیریوجا فعل شيء. نسيت أن أقضي يوم مع آل بیرس، ولكن ليس بإمكانی أن أتزوج لیزا^(٩٥). غدًا صباحًا سأعمل على قصة «بوليكوشكا» وأقرأ البيان^(٩٦)، وفي المساء سأعد المنهج الدراسي للمدرسة، والمحاضرة.

٧ مايو.

قرأت البيان مع الفلاحين، ولم أفعل شيئًا آخر. غلبني الكسل. صاح یرمیل: «الرحمة يا رب!»، وصاح إيفان ديف: «الخوف من البوليس السري!»، أما البستاني فلا جدوى منه. أشعر بالاشمئزاز من الجياد.

٨ مايو.

انشغلت حتى الثانية عشرة في إعداد محاضرة تاريخية. أخذت أقرأ

(٩٤) مجلة تربوية، سيبدأ تولستوي في إصدارها منذ عام ١٨٦٢.

(٩٥) الابنة الكبرى لبیرس وشقيقة صوفيا زوجة تولستوي المستقبلية.

(٩٦) بيان رسمي متعلق بتحرير الفلاحين من القنانة.

فيها وأستنسخها حتى موعد الغداء، وبعد ذلك خرجت لأتنزه على متن الجواد. انسقت للغضب فيما يتعلق بأمور الضيعة. قضيت وقتاً رائعاً بالمدرسة مجدداً، ثم قضيت ساعتين بالمنزل دون أن أفعل شيئاً.

٩ مايو.

ذهبت لحضور القداس، ودعوت الكاهن ليقراً للأطفال. إن تفسير الأطفال للشعائر أكثر غباءً من ذلك الذي يطرحه الكاهن. أتى بعض السادة من المدرسة الثانوية وانعقد اجتماع. دعوتهم للكتابة في المجلة. اجتماع مع الفلاحين. ماكاريتش (فلاح من ياسنايا) هو تعبير فظ عن أفكارهم. افترقنا بود.

١٠ مايو.

التقيت بسيريوجا وتحدثنا عن التقسيم^(٩٧). محاضرة الفيزياء ممتازة.

١١ مايو.

المحاضرة التاريخية جيدة، لكنني لست بخير. ذهبت لتولا. اتفقنا على أمور المجلة حتى تتاح الكتب العلمية.

١٢ مايو.

قدمت طلباً رسمياً بإنشاء المدرسة. أنا معلم إقليمي. أنهكت نفسي مع مسائل رياضية. محاضرات رائعة في الحديقة. عدت للمنزل وقد استولت عليّ رغبة شديدة في الكتابة في «القوزاق». الألمانى

(٩٧) تقسيم ضيعة الأخ المتوفى.

غبي^(٩٨). كتبت خطابات لـالكسندرين وتورجينف وفيت وللمعلم
دوبنير ولفاسيلي تروبتسكي.

١٣ مايو.

استيقظت مبكرًا. لست بخير. دَوَّنت محاضرة الأدب التي لم أكن
قد دونتها بعد، ولم أفعل شيئًا آخر.

١٥ يونيو.

مشاجرة مدهشة مع تورجينف^(٩٩) انتهت منها بأنه وغد حقيقي،
لكنني أظن أنني سألين مع الوقت وأسامحه. عملي كقاضي صلح أمدني
بوفرة من المواد، وجعلني أتشاجر مع كافة ملاك الأراضي بشكل
حاسم، وقضى على صحتي، ويبدو أن ذلك بشكل حاسم أيضًا. النظام
يسود المدرسة، لكنني أخشى أنها تفتقر إلى الحيوية. لن أذهب بسبب
مرضِي. سأكتب استعدادًا لعدد المجلة الأول.

٢٢ سبتمبر.

في موسكو. كنت على حق بشأن تورجينف. أردت لسبب ما أن
أكتب له خطابًا أطلب فيه عفوَه. أمامي عمل ضخم، وسوف أنخرط فيه.
ليزا بيرس تغويني، لكنَّ شيئًا لن يحدث. الحسابات وحدها لا تكفي،
وليس لديَّ مشاعر صوبها.

(٩٨) إما البستاني الألماني أو المعلم الألماني كيلير.

(٩٩) مشاجرة عنيفة تمت في ضيعة فيت، حيث أساء تولستوي لتورجينف بالإشارة إلى ابنته غير
الشرعية.

٢٣ سبتمبر.

كتبت خطابًا لتورجينيف. ذهبت لراتشينسكي، ووجدت عنده حشدًا من شباب الأساتذة وكأنهم يقولون: «نحن أذكاء، ويمكننا أن نستمتع نحن أيضًا ببساطة». تشيتشيرين يتيه فخراً، الأمر الذي يسعدني. أعاد قراءة خطابي له. حسنًا فعلت بعدم إرساله. سيفحصني الطبيب بيكولين اليوم. لن أتعشى، وأشعر أنني بخير. لدي قدر من السل^(١٠٠)، لكنني أفتته. أشعر بالملل لأن الدائرة المحيطة بي محدودة جدًا. ربما هي^(١٠١) في المكان الذي لم أذهب إليه.

٨ أكتوبر (ياسنايا بوليانا).

بالأمس جاءني خطاب من تورجينيف يتهمني فيه أنني أقول عنه للناس إنه جبان وأنا أوزع عليهم نسخًا من خطابي له. كتبت له أن هذه إشاعة، وقلت له: أنت تعتبر تصرفي شائنًا، وأردت أن تلکم وجهي، وأنا أعتبر نفسي مذنبًا وأطلب عفوك وأرفض أن تتحدى بعضنا في مبارزة. لدي طالبان^(١٠٢). أمور المدرسة تجري على نحو سيئ. بدأ أُملي يخيب في المجلة

٢٨ أكتوبر.

تمضي أمور المدرسة على ما يرام، وكذلك أمور كقاضي صلح، لكننا لم نبدأ إصدار المجلة بعد. أشعر برغبة في الكتابة. بالأمس

(١٠٠) لم يُصب تولستوي بالسل.

(١٠١) ربما يقصد عروسه المستقبلية.

(١٠٢) طالبان جامعيان، داهما تولستوي للتدريس في مدرسته.

افتتحت مدرسة الثالثة لا أعتقد أنها ستصيب نجاحًا. كتبت لتشيتشيرين
عن الطلبة.

٥ نوفمبر.

ذهبت للكنيسة بصحبة المنشدين. المدرسون سيئون. ألكسي
إيفانوفيتش غبي، وإلكسندر بافلوفيتش ليس على ما يرام معنويًا. إيفاش
إيليتش هو أكثرهم جدارة بالثقة. تشاجرت مع المدير، وبدأت بداية لا
بأس بها في مقالة يوميات ياسنايا. حال الطلبة بيني وبين الاستمرار.
لدى المعلمين بعض الأسرار القميئة. إن كان الأمر متعلقًا بالنساء
فحسنًا. تجارب كيلير مثيرة وجيدة. إنه لطيف ومفيد. أنا بخير، ولديّ
رغبة في الكتابة. لا أعلم ما الذي سوف يحدث غدًا. أسيستم ذلك
المزاج الجيد أم أن كل ما في الأمر أن عصارتني الصفراء تُفرز بشكل
جيد؟

٦ نوفمبر.

كتبت في يوميات ياسنايا صباحًا. جيد. لدي كومة من المواد.
عملت بالمدرسة. ما زلت أتحسس طريقي مع التحليل. كان بيوتر
فاسيليفيتش (معلم من تولا) مخمورًا. أدت تمريناتي. قرأت كتاب
بيريفيلسكي (كتاب في نظريات التعليم). إنه غير محق. بعد الغداء
بددت الوقت في الغناء. لم أستطع الكتابة بالمساء. ما زلت أشعر
بالرغبة في العمل. سرى ما سيحدث.

٢٠ مايو.

على متن الباخرة^(١٠٣). كأني أُبعث للحياة والوعي بها من جديد. منذ أن كنت في موسكو والتفكير في حماقة التقدم يلازمي. لا أتحدث إلا عن نفس الموضوع؛ مع الغبي والذكي، مع الشيخ والطفل. كتبت من هذا المنطلق مقالة للعدد السادس من مجلة ياسنايا. بوبوف^(١٠٤) غير محق. الصبية رائعون. فاسكا^(١٠٥) فاتن، تشيرنوف مُضَجِر. بيرسوف يتمتع بمزيد من الحرية. لقد أطلقوني قليلاً. سافرت في عربة الدرجة الثالثة من قطار هادئ. ما من زحام. مررتُ بحادث يخص التذاكر^(١٠٦)، ثم اعتذروا لي. على متن القارب بصحبة العامة.

٢٣ أغسطس.

في موسكو. لم أتناول شيئاً منذ يومين، وأسنانني تعذبني. قضيت

(١٠٣) في نهر الفولجا في الطريق إلى سمارا؛ كي يحصل على لبن الفرس المتخمّر كعلاج له.

(١٠٤) تلميذ في جامعة موسكو، يتولى عمل التصحيحات بالمجلة.

(١٠٥) فلاح من ياسنايا، ومن أحب التلاميذ إلى قلب تولستوي بالمدرسة.

(١٠٦) كان وتولستوي يرتدي ثياب فلاحين، ولم يكن باستطاعته أن يحصل على متاعه إلا عندما قال لرئيس المحطة أنه نبيل وكاتب.

الليلة عند آل بيرس. طفل؟! ربما^(١٠٧)! يعتريني اضطراب فظيع. لو كان بإمكانني فقط أن أحظى بوظيفة واضحة وكريمة! لا بد وأن أكتب مقالتين: واحدة عن ماركوف^(١٠٨)، والأخرى عن لجنة التعليم. أرسلت خطابًا للقيصر^(١٠٩). أعجبتني المناورات العسكرية التي حضرتها. أخطأ أحد الفرسان بينما قفز القيصر بجواده. أخشى نفسي. ماذا إن كان الأمر مجرد رغبة في الحب لا الحب نفسه؟ أحاول ألا أنظر سوى لجوانب شخصيتها الضعيفة ولكن بلا جدوى. طفل؟! ربما.

٢٤ أغسطس.

استيقظت في حالة جيدة وصفاء ذهني. كتبت على نحو جيد ولكن المحتوى فقير. ثم شعرت بحزن لم يراودني منذ فترة طويلة. لا، ليس لديّ أصدقاء على الإطلاق. أنا وحيد! كان لديّ أصدقاء عندما كنت في خدمة المادة، لكن ليس الآن وأنا أخدم الحقيقة. ذهبت إلى الخالة. الحياة صعبة للسيدات المسنات كذلك، فالتعقيدات تظهر مع كافة تفاصيل الحياة الصغيرة. مضيت لكريجانوفسكي. حاول أن يظهر لي أنه ما زال يتمتع بأهمية شديدة^(١١٠). آه لو يعلم كم أعتقد أن هذا سيء له! أورلوف أحرق. لم أستطع أن أكمل حضور الباليه بالمرح، بينما القيصر يفعل ذلك كل يوم. ذهبت لكاتكوف والتقيت بابست

(١٠٧) ربما يشير إلى تفكيره في الزواج، فصوفيا زوجته المستقبلية من منزل بيرس. (ص. أ بيرس).

(١٠٨) أحد المعلمين بتولا، ومقالة تولستوي ردُّ على مقالته بخصوص مدرسة تولستوي.

(١٠٩) بشأن التفتيش الذي قامت به الشرطة في مدرسته.

(١١٠) كان تولستوي يريد الاستفادة من علاقات كريجانوفسكي كضابط قديم بحرب القرم؛ كي

يضمن وصول الرسالة إلى القيصر.

الكريه. يتناقشون طوال الوقت عن خير روسيا. أما عن زوجة كاتكوف فيشعرون بالخزي منها مع أنها أذكى منهم جميعاً. إنها أم. أفكر قليلاً في صوفيا، ولكن عندما أفكر أجدها جيدة.

٢٥ أغسطس.

حزين بالمنزل. كتبت في مقالة. تنزهت سيراً ثم على متن الجواد. التقيت كراسنو كوتسكي (أفكاره دنيئة) ثم بليشيف (شخصية ضعيفة)، ثم بوجودين (حياة وشيخوخة عظيمتان). كانت ليلة فاتنة.

٢٦ أغسطس.

ذهبت مشياً على الأقدام إلى آل بيرس، وكانت الأجواء هناك هادئة ومريحة. ضحكة نسائية. صوفيا ليست جميلة، وتتصرف بسوقية، لكنها تشير اهتمامي. أعطتني قصة كي أقرأها^(١١١). يا لقوة الحقيقة والبساطة! غياب الوضوح يعذبها. قرأتها كلها دون انفعال ولا أدنى دلالة على الغيرة أو الحسد، ولكن المظهر غير اللائق وغير المعتاد بالإضافة لتبدل الأحكام أصابني بشدة، ثم هدأت. اتضح أنني لست المقصود بكل ذلك. فلاأعمل، وسأجد تلبية لاحتياجاتي.

٢٨ أغسطس.

أبلغ من العمر ٣٤ عاماً. استيقظت شاعراً بالحزن كالمعتاد. كتبت خطاباً لصوفيا بالحروف (طريقة رمزية) فكرت في صنع جمعية

(١١١) القصة تُدعى نناشا، وهي من تأليف صوفيا (زوجة تولستوي المستقبلية)، وقد وصفت فيها صوفيا تولستوي قليلاً في شخصية الأمير دوبليتسكي، وقد تقدم لطلب يد شقيقتها.

للمتدربين على الحرف من الطلاب. جاءني باكوت (معلم فرنسي لدى آل بيرس) بحزمة من الخطابات والزهور، ثم التقيت سيردوبولسكي (معلم بياسنايا) وسوفورين (صحفي) وبوبوف. أهدرت وقتي بالغداء عند بيتشكين، ثم غفوت بالمنزل. ذهبت لآل سوشكوف وكذبت بخصوص الألف روبل^(١١٢). قضيت أمسية جميلة عند آل توتشيف. أنت أيها الدنيء القبيح لا تفكر في الزواج، فأنت مدعو لأمر آخر، ولذلك وُهِبَ الكثير.

٢٩ أغسطس.

كتبْتُ على نحو سيئ. إن تجنبت ما هو جوهرى، فلن يبقى سوى لغو فارغ. تغديت بالنزل. ذهبت لبيرس، ومضيت بصحبته إلى بوكروفسكوي. لا شيء، لا شيء، صمت! لا أشعر بالحب كالعادة، ولا بالغيرة، ولا حتى بالشفقة، لكنني أشعر بشيء ما جميل ربما هو بعض الأمل الذي لم يكن عليَّ الشعور به. أنت خنزير! بعض الشفقة والحزن، لكنها كانت ليلة فائنة وراودتني مشاعر جميلة. لقد جعلتني أفك شفرة الخطاب، الأمر الذي أربكني، وكذلك فعل بها. كان مشهدًا كبيرًا، كل شيء فيه غير طبيعي. بوبوف ذكي ولطيف جدًا. أشعر بالحزن لكنني على ما يرام. تقول ماشينكا: أنت دائمًا تنتظر شيئًا ما، فما الذي يسعني فعله؟

(١١٢) ربما خسارته لألف روبل في اللعب.

٣٠ أغسطس.

عملت بالصباح. تيميريازوف عطلني بينما جيلياروف (عضو بالرقابة) أغضبني بشدة. تغديت بالمنزل ثم غفوت قليلاً، ثم ذهبت لآل بيرس. لا أشعر بالغيرة على صوفيا من ب. لا أصدق أن هذا ليس أنا. بدت لي أنها اللحظة المناسبة، لكن ظلام الليل قد حلّ. إنها تتكلم بنفس الطريقة التي يملؤها الحزن والهدوء. تمشيناً معاً وتحدثنا ثم عدنا للمنزل من أجل العشاء. آاه من عينيها ومن الليل! أنت أحق! لم تكتب هذا من أجلك أنت! لكنني ما زلت واقفاً في حبها بدرجة لم تحدث لي من قبل إلا مع سونيتشكا كولوشينا و(أ). قضيت الليلة في منزلهم، ولم أستطع النوم. أفكر فيها طوال الوقت. قالت لي: «أنت لم تحب قط»، وكان الأمر مضحكاً وبعث في السرور.

٣١ أغسطس.

حل الصباح وشعور جميل يراودني بحب الحياة. كتبتُ. بليشيف وياكوشكين أحققان. عمل على مقدمة مقال عن محمد^(١١٣). ذهبت إلى آل توتشيف. كم يسيئون إليّ. أحدهم تحدث، وأظنه صوتها، تقول: هذا الحب الثالث والأخير. الحديث ليس عنك أيها الشيطان العجوز! دع مقالاتك النقدية تنفعك! بدأت أكتب لها، لكنهم حالوا بيني وبين الكتابة. حسناً حدث ذلك. لا يمكنني الرحيل الآن.

(١١٣) مقالة كتبها يليزافيتا بيرس عن محمد، ويقوم تولستوي بتصحيحها.

١ سبتمبر.

عملت بالصباح برخاوة. آلمني رأسي بسبب البواسير. ذهبت لرحمانينوف (عضو بلجنة الرقابة). لم تجز الرقابة المقالة الأولى. لا بد أن أضعف عملي إذن. ذهبت لآل بيرفيليف. أحبهم الآن أكثر من السابق. أنا أهدأ حالاً الآن من ناحية صوفيا.

٢ سبتمبر.

كتبت في الصباح على نحو شديد السوء. ذهبت لبيرس. إنهم عند آل أبولينسكي. عرضوا مسرحية هناك. آه من ليزا البائسة! صوفيا هناك، وتبدو رائعة. بيرس في عربته. حكّت لي عن المعلم بروبوف، وعن تنورتها. لا يمكن أن يكون كل هذا قد حدث عرضاً.

٣ سبتمبر.

في منزلهم. لم يحدث شيء مميز في البداية، ثم تمشيننا. «إنه قبيح. بينما أنت تبدو على ما يرام»، ثم تناولت المنظر المقرب وقالت: «تعال ثانية أرجوك». هدأت! في طريق العودة قلت في نفسي إما أن كل ذلك حدث عرضاً وإما أن مشاعرها رقيقة جداً وإما أنها تتدلل بفحش رهيب. اليوم رجل، وغداً آخر. الأمر الرئيس من هو الرجل المنشود؟ أو ربما تفعل ذلك عن غير عمد وبلطف وفحش في الوقت ذاته! لا شيء، لا شيء، صمت! لم أتصور حياتي المستقبلية أبداً مع زوجتي بهذا الوضوح والسرور والهدوء. في المساء مضيت لآل بيرفيليف. شيوخ مملون! كيف يمكن أن يخدع أحدهم الآخر بهذا الهدوء؟ إنها حسابات، ولكن ربما هذا مصيري أنا أيضاً. تذكر ذلك!

دوبليتسكي^(١١٤) شيطان عجوز. مشاعري تقول لي: «آه يا قلبي العزيز!». أعتقد أن الأمر سيكون بسيطاً ومناسباً جداً بلا هيام ولا خوف ولا أدنى ندم.

٤ سبتمبر.

لا أذكر ماذا حدث في موسكو. شعرت بالملل.

٥ سبتمبر.

وصل فولوديا وطرق الباب. عشية ذلك اليوم لم أستطع النوم، وقد تمثلت لي السعادة بوضوح. تحدثنا في المساء عن الحب. الأمر أسوأ. أردت التحدث مباشرة مع تانيتشكا. رأيت في الحلم كلباً سلوكياً مريضاً بئساً.

٦ سبتمبر.

ذاكرت في الصباح، ثم تنزهت وأنا في حالة سيئة. لم أفعل شيئاً وعدت للمنزل. أصبحت عجوزاً على المرح. احسم الأمر، أو ارحل بعيداً. كان من الجيد أن أتمشى وحدي بالمساء. ذهبت للمسرح لعرض ما. لا أفكر في شيء سوى آل بيرس.

٧ سبتمبر.

أخبرت فاسينكا بالأمر وصرت أهدأ حالاً. فاسينكا مثير للشفقة. عجوز وضحل في الوقت ذاته. في الطريق إلى المنزل اليوم يمكنني أن أفكر في الأمر بإمعان. لا بد أن أنتظر. دوبليتسكي لا يمكنه أن يتطفل

(١١٤) الشخصية الموجودة في قصة سونيا بيرس التي تمثل تولستوي.

على الشباب والشعر والجمال والحب. فلندع ذلك للطلبة يا صديقي!
أتخمننا أنفسنا بالطعام أنا وفاسينكا اليوم، وغفونا وقد استلقينا في
مواجهة بعضنا البعض. هذا ما تناله! هراء! ذهبت للدير ثم عملت...
هذا هو نداؤك! ومن عليك يمكنك أن تنظر إلى الأسفل بهدوء وسرور
إلى حب وسعادة الناس. ذهبت إلى ذلك الدير قبلاً، وسأذهب إليه
مجدداً. نعم.

يومياتي مختلة. هناك فكرة في أعماق ذهني أنها قد تجلس بجاني
وتقرأ... هذا من أجلها!

٨ سبتمبر.

جاءني أويرباخ صباحاً وقد جلب مقالة زوجته. جاء فاسينكا
وسوفورين وساشا بيرس. ذهبت لمنزل آل بيرس على الغداء. ظل
أندريه يفستافيف^(١١٥) في غرفته. بدا الأمر كما لو أنني سرقت شيئاً. بدت
تانيشكا (شقيقة صوفيا وليزا) جادة وصارمة. فتحت صوفيا الباب. بدا
أنها ازدادت نحافة. لم يكن لديها ما يناسبني مثلما هو موجود في بقيتهن
من قبيل الشاعرية وما إلى ذلك، لكنها كانت تجذبني بشكل لا يقاوم.
ذهبت إلى القرية مع ساشا ويا حسرتاه. عبثت مع عاهرة هناك. يبدو لي
كما لو أن ليزا تحكم سيطرتها عليّ. يا إلهي! كم كانت تعاستها لتبدو
جميلة إن تزوجتني! في المساء منعت عني النوتة الموسيقية مطوّلاً.
كنت أشعل في داخلي. بدا لي سلوك صوفيا مشجعاً. تنزهنا معاً في
المساء.

(١١٥) والديزا وصوفيا، وكان في انتظار أن يطلب تولستوي يد ليزا لا صوفيا.

٩ سبتمبر.

تورد وجهها خجلاً واضطربت بشدة. آخ يا دوبليتسكي، لا تنسُ خلف الأحلام. عدتُ بصحبة باكوت وساشا وتغديت ثم نمت. حاولت العمل، لكنني لم أستطع. بدلاً من ذلك كتبت لها خطاباً لن أرسله^(١١٦). لا يمكنني أن أفارق موسكو. لا يمكنني. أكتب دون أفكار مسبقة. أكتب لنفسي فقط، وأحاول ألا أضع أي خطط. يبدو لي كما لو أنني في موسكو منذ عام لم أستطع النوم حتى الثالثة. نمت وعانيت معاناة صبي في السادسة عشرة من عمره.

١٠ سبتمبر.

استيقظت في العاشرة مرهقاً بعد ليلة مضطربة. عملت بتكاسل، وانتظرت المساء كما ينتظر الطلبة عطلتهم يوم الأحد. تمشيت. مضيت لآل بيرفيليف. براسكوفيا فيدوروفنا حمقاء. ذهبت لجسر كوزنيتسكي ثم إلى الكرملين. لم تكن هناك. كانت عند شباب آل جورسكين. عادت وتبدو عليها إمارات الجد والصرامة. رحلت ثانية دون أمل غارقاً في الحب أكثر من ذي قبل. أمل يراودني في أعماق قلبي. لا بد أن أمزق هذه الرابطة. بدأت أشعر صوب ليزا بكراهية ممزوجة بالشفقة. آه يا رب! ساعدني وأرشدني! ليلة أخرى مليئة بالاضطراب والقلق. أشعر بذلك، أنا الذي كان يسخر من آلام العاشقين. ما كنت أسخر منه أصبحت عبداً له. كم مرة خططت أن أصارحها هي وتانيتشكا بلا جدوى؟! آه يا سيدي أعني وأرشدني. العون يا والدته الإله!

(١١٦) خطاب يوضح فيه معنى الرموز التي كتبها في خطابه السابق لها.

١١ سبتمبر.

منذ الصباح وأنا أكتب على نحو حسن. الشعور قوي بداخلي طوال الليل والنهار. لم أستطع الذهاب لمنزلهم. تمشيت كثيرًا وذهبت لياكوفليف. تحدثت مع فاسيا. لا أحد بإمكانه أن يساعدي إلا الله. وها أنا أطلب منه العون. قضيت المساء عند آل بيرفيليف. أشعر بالإنهاك، وثمة اضطراب جسدي يعتريني.

١٢ سبتمبر.

قضيت اليوم كله في التسكع وأداء التمرينات. تغديت في النادي. أنا عاشق. لم أكن أصدق أن بإمكانني أن أحب. أنا مجنون. سأطلق النار على نفسي إن استمر الوضع هكذا. ذهبت إليهم في المساء. إنها فاتنة في كل شيء، وأنا دوبليتسكي مُنفّر. كان عليّ التزام الحذر، لكني الآن لا أستطيع التوقف. دوبليتسكي، لا يهم، لكنني رائع بالحب. نعم. غداً، سأذهب إليهم صباحاً. مرّت لحظات كان بإمكانني أن أستغلها لكني لم أفعل. جنت، وكان عليّ أن أتكلم ببساطة. الآن أرغب في أن أعود وأقول كل شيء أمام الجميع. يا رب أعني.

١٣ سبتمبر.

لم يحدث شيء. وصل سيريوجا. أقول لنفسي كل يوم أنني لا يمكن أن أصبح سعيداً إن استمرت هذه المعاناة، وكل يوم أزداد جنوناً. خرجت مجدداً حزينةً يائساً، والسعادة تملأ قلبي! غداً ما إن أستيقظ، حتى أذهب وأقول كل شيء، وإلا سأطلق النار على نفسي.

١٤ سبتمبر.

الرابعة صباحًا. كتبت لها خطابًا وسأعطيها إياه غدًا؛ أقصد اليوم
١٤ سبتمبر. يا إلهي، كم أخشى الموت! مثل هذه السعادة تبدو لي
مستحيلة. يا إلهي، أعني!

١٥ سبتمبر.

لم أنم إلا لساعة ونصف فقط، لكنني أشعر بالإنعاش، كما أنني متوتر
بفضاعة. الشعور ذاته في الصباح ذهبت لسيريوجا، وضحكنا هناك على
فكرة خلود النفس. ذهبت للكريملين، ثم لآل توتشيف ثم إليهم. يبدو
أن الموقف قد بان. إنها غريبة. لا يمكنني أن أكتب لنفسني فقط. يبدو لي
أني قريبًا لن تكون لدي أسرار خاصة بي وحدي، بل خاصة باثنين، وأنها
ستقرأ كل شيء. في الحقيقة أنا متيقن من ذلك. ذهبت لآل بيرفيليف. أنا
منهك عصبيًا، لذا استلقيت لأنام، لكنني لم أنم إلا قليلًا؛ ست ساعات.
بالأمس هدأت حالتي قليلًا، واليوم أنا أهدأ. شيء ما سيحدث.

لم أقل شيئًا، لكنني قلت إن هناك شيئًا لا بد أن أقوله. حكيت
لفاسينكا عن موت نيكولينكا، وبكيت كالطفل. غدًا.

١٦ سبتمبر.

تكلمت. وافقت. إنها تشبه طائرًا. لا شيء لأكتبه. لا يمكن أن
يُنسى كل هذا، ولا يمكن أن يُكتب أيضًا.

١٧ سبتمبر.

أعلننا الخطبة وتلقينا الهدايا وشربنا الشمبانيا. ليزا تبدو بائسة

وحزينة. لا بد وأنها تكرهني الآن. قُبِّلَني.

١٨ سبتمبر.

عملت بالصباح، ثم ذهبت إليها. التقيت أولجا زايكوفسكايا وسيريوجا. كانت شعثناء. تغدينا في غياب ليزا. حديث مع أندريه يفتسافيتش. لا تُقبِّلني ببساطة؛ بل بعمق.

١٩ سبتمبر.

أنا أهدأ حالاً. نمت صباحاً. جاء تشيرتشين وشعرت بالملل. تسكعت بلا هدف. في الخامسة والنصف ذهبت لمنزلهم. كانت قلقة. ليزا أفضل حالاً. في المساء قالت لي إنها تحبني.

٢٤ سبتمبر (موسكو - ياسنايا بوليانا).

لا أفهم كيف مرَّ هذا الأسبوع^(١١٧)! لا أذكر شيئاً سوى تلك القبة عند البيانو في حضور الشيطان، ثم الغيرة من الماضي، والشك في حبها، والتفكير في أنها تخدع نفسها.

جاءتني أخبار جيدة عن المقالة (إجازتها من الرقابة)، وعن بيع أعمالي. يوم الزفاف شعرت بالخوف والارتياح والرغبة في الهروب. أقيمت الطقوس الاحتفالية. بكْتُ. ركبنا العربة. إنها تعرف كل شيء ببساطة. في بيوليف^(١١٨). تبدو حيناً خجلة، وحيناً معتلة. وصلنا ياسنايا. استقبلنا سيريوجا بمحبة، وأعدت الخالة نفسها للمعانة.

(١١٧) عُدَّ القرآن في ٢٣ سبتمبر.

(١١٨) المحطة الأولى في الطريق من موسكو لتولا.

راودني كابوس ثقيل ليلاً. لم يكن عنها.

٢٥ سبتمبر.

في ياسنايا. قهوة بالصباح. أنصرف بخراقة. التلاميذ مضطربون. تجولت معها ومع سيريوجا. الغداء. كانت متوتدة العزم. غفوت بعد الغداء، بينما أخذت تكتب. سعادة لا تصدق. كتبتُ ثانية بالقرب مني. من غير المعقول أن تستمر هذه السعادة طوال الحياة!

٣٠ سبتمبر.

في ياسنايا. لا يمكنني التعرف على نفسي. كافة أخطائي واضحة لي. أحبها بقدر ما تحبني، وربما أكثر. لا يمكنني العمل. اليوم طراً أمر. كنت حزينةً من أننا نتصرف كما يتصرف الآخرون. قلت لها، فأساءت لي، فبكيتُ. إنها فاتنة. حبي لها يزداد، ولكن أليس هناك أي زيف في مشاعري؟

١ أكتوبر.

التزمتنا بكلمتنا. صباح رائع. بعض المشاكل بالضيعة. غضبت من إيجناتيف بخصوص مشكلة البنك. وصل ف. أ. بعد الغداء. انشغلت بكتابة الخطابات. لا تريد أن تصطنع التودد لأقربائي بكتابة الخطابات. إنها شديدة الحساسية. ودَّعتُ الطلبة^(١١٩) والعاملين بالمدرسة.

١٤ أكتوبر.

تشاجرنا مرتين؛ الأولى بسبب فظاظتي، والأخرى بسببها. حبي

(١١٩) توقف تولستوي عن التدريس بالمدرسة بعد الزواج.

لها يزداد أكثر فأكثر، لكنه يأخذ شكلاً مختلفاً، مع أنني مررت بلحظات صعبة. اليوم أكتب لأن روحي تفصح عن مدى سعادتي. كل شيء واضح: المجلة والعمل.

١٥ أكتوبر.

طوال ذلك الوقت وأنا مشغول فقط بما يطلقون عليه: «أمر عملية». لكنني شعرت بالضيق من هذا التباطؤ. لا يمكنني أن أكونَ احتراماً لنفسي، وبالتالي أنا غير راضٍ عن نفسي، وعلاقاتي غير واضحة مع الآخرين. قررت أن أنهي أمر المجلة، وكذلك المدرسة على ما يبدو. كل شيء في حياتي يحزنني، وكذلك أنا حزين منها. لا بد وأن أعمل.

١٩ ديسمبر.

شهر ونصف آخر من السعادة. لا يحزنني سوى أمر ستيلوفسكي (١٢٠) والخطأ الذي ارتكبته بخصوصه. الآن مشاعري هادئة صوبها. أعمل بجد، مع أن الناتج يبدو سيئاً. أنهيت الجزء الأول من القوزاق.

ملامح حياتي الآنية: الامتلاء، وغياب الاستغراق في الأحلام والأمل والوعي الذاتي، وبالتالي الخوف والحزن بسبب الغرور. الطلبة يرحلون وأشعر بالأسف عليهم. لاح على وجه الخالة تعبير جديد يشي بالشيخوخة؛ الأمر الذي أثر في كثيرًا.

٢٢ ديسمبر.

تراودني حالة غامضة غريبة كما تقول زوجتي، لكنني مليء بالطاقة.

(١٢٠) ناشر جرت معه مفاوضات لنشر أعمال تولستوي، ولم تنجح المفاوضات.

لا أَدخن. غضب التلاميذ بسبب أنهم مدينون لي بالمال، ويشعرون بالذنب، وأشعر بالأسف بسبب هذا العنصر المادي الخارج عن كافة حساباتي.

٢٧ ديسمبر.

ذهبنا إلى موسكو. كما هو الحال دائماً، دفعت ثمن كفارتي باعتلال صحي وحالتي المزاجية. كنت ساخطاً عليها بشدة، وقارنتها بالآخرين إلى حد الندم، لكنني عرفت أن هذا أمر مؤقت وانتظرت حتى فارقتني هذه الحالة. تحدثنا عن الدمية. أرادت أن تتباهى ببساطة ذوقها أمامي. تخطينا الأمر. ذهبنا للمسرح. لم يُرَق لها. أخشى والدها. لوبوف إلكسندروفنا (أمها) لطيفة. حدّقت تانيا فيّ طويلاً. لم ألتق بأدباء إلا فيت، ولن ألتقي.

٣٠ ديسمبر.

ركام من الأفكار ورغبة في الكتابة. لقد نضجت بشدة. هل أحسد نفسي؟ وكيف لا أنضج؟ قضيت أمسية سيئة عند آل بيرس. أخشى تانيا وأخشى حسيتها. خوف صوفيا يؤثر فيّ. وجود فاروق واحد بيننا بإمكانه أن يؤلمني بشدة. سوف أحبها دائماً.



٣ يناير (موسكو).

اليوم فقط بدأت حدة آلام أسناني تخفت قليلاً. تحدثني عن الغيرة قائلة: «على المرء أن يحترم الناس». أنا واثق أن هذه مجرد عبارات بينما خوف المرء يزداد. أصبح الجنس الملحمي هو الوحيد المألوف لي. أشعر بالضيق من غياب بوليفانوف. لا بد وأن أحتمله إلى أقصى حد. نحن بمفردنا في موسكو. في لحظة أشعر أنني لا بد وأن أقترب منها، وفجأة يسوء الموقف ويأتي الحزن، لكن الآن الوضع على ما يرام. قبلتني بينما أكتب. شعرت أنها قبلة حقيقية، فالتفتُ إليها ووجدتها تبكي. تاتيانا تضايقتني. أشعر بالدهشة من عدم شعوري بالحاجة لأحد. الوحدة تدهشني لكنها لا تخجلني، لكنها تشعر أن الوقت يضيع منا دائماً.

٥ يناير

لقد غصت في غمار السعادة الزوجية تماماً، حتى أصبح من المستحيل أن أفعل شيئاً. لا بد وأن أفعل شيئاً بالنسبة للعدد القادم من المجلة. كثيراً ما تخطر على بالي فكرة أن السعادة وكافة سماتها المميزة تتلاشى، وأن لا أحد يختبرها حقاً أو حتى سيختبرها، وأن أمراً كهذا لم

يحدث ولن يحدث أبداً، وأنا أعني ذلك. بوليكوشكا^(١٢١) لا تروق لي. قرأت بعضاً منها عند آل بيرس.

أشعر بالحب تجاهها عندما أستيظ ليلاً أو نهراً وأجدها تنظر إليّ بحب. لا أحد - خاصة أنا - يحول بينها وبين أن تحب بالطريقة التي تختبرها. أحبها عندما تجلس بالقرب مني، وحينما ندرك أننا نحب بعضنا البعض بقدر ما نستطيع ونقول: «ليفوتشكا (تدليل ليف)...»، ثم تتوقف قليلاً وتكمل: «لماذا تبدو أنايب المدخنة مستقيمة هكذا؟»، أو تسأل: «لماذا تعيش الخيول طويلاً؟»... إلخ. أحبها عندما نمكث وحدنا مدة طويلة وأسألها: «ماذا سنفعل يا صوفيا؟»، وتبتسم. أحبها عندما تغضب مني، وفجأة في طرفة عين تفكر وتتحدث بحدة ونقول لي: «اتركني، لقد سئمت منك»، وفي غضون دقيقة واحدة تبتسم لي بخجل. أحبها عندما لا تراني ولا تدرك أنني موجود، وأحبها بطريقتي الخاصة. أحبها عندما تبدو فتاة في فستان أصفر ويلوح فكها السفلي ولسانها. أحبها عندما أرى رأسها مائلاً للخلف، وعندما تلوح على وجهها إمارات الجدية والخوف والطفولة والحماسة. أحبها عندما...

٨ يناير.

أثيرت مشكلة في الصباح حول ثوبها. تحدثني أن أبدي اعتراضاً عليه، وكنت أعترض عليه فعلاً فأخبرتها، فسالت دموعها وتفهوت بعبارات سوقية. ساشا كوزمين^(١٢٢) شاب لطيف، لكنه في موقف

(١٢١) الرواية التي قد بدأ فيها سابقاً.

(١٢٢) أحد أقرباء عائلة بيرس وسيتزوج ناتيانا بعد ذلك.

صعب، وهو شديد الضعف وما زال يافعاً، والإغواءات تحيط به. تصالحنا بطريقة ما. دائماً ما لا أشعر بالرضى عن نفسي في هذه الأوقات، خاصة عندما نعالج المشكلة بالقبلات، فهي علاج مزيف. بان زيف العلاج على الغداء، وانهمرت الدموع وتصرفت بهيستيرية. أكبر دليل على حبي لها هو أنني لم أغضب منها. كنت أشعر بضيق وحزن رهيبين. ابتعدت عنها كي أنسى. ما زال أكسكوف نفس البطل المختال بنفسه صاحب العقل الجميل. في المنزل كنت أشعر بالضيق منها. أعتقد أن الكثير قد تراكم بداخلي خفية. أشعر أنها متضايقة، لكنني أشعر بالضيق أكثر منها، ولا يمكنني أن أقول لها شيئاً... نعم، لا يمكنني. أتصرف ببرود، وأعمل بحرارة. سوف تتوقف عن حبي. أنا متيقن تقريباً من ذلك. الأمر الوحيد الذي يمكن أن ينقذني هو ألا تسقط في حب شخص آخر، ولن يكون هذا ذنبى. إنها تقول إنني طيب. لا أحب سماعها تقول ذلك، فلهذا السبب تحديداً سوف تتوقف عن حبي.

١٥ يناير (موسكو).

دفتر يوميات جديد، ولكن لا شيء آخر جديد. ما زلت كما أنا. ما زلت لا أشعر بالرضى عن نفسي في أحيان كثيرة، وما زلت أو من نفسي وأنتظر منها الكثير. آه لو لم أكن سعيداً! لقد احتشدت كافة شروط السعادة من أجلي. الأمر الوحيد الذي ينقصني طوال هذا الوقت هو الوعي بأنني فعلت كل ما يتوجب عليّ فعله كي أنعم بما وهب لي، وأن أرد الجميل للآخرين جميعاً بعملتي.

استيقظت في وقت متأخر. الخلاف الأخير بيننا ترك آثاراً طفيفاً غير

ملحوظة، أو ربما ستلوح مع الوقت. كل خلاف حتى إن لم يكن مدمراً، لكنه يترك ندبة على الحب. سيمر أي شعور خاطف بالهيام أو الحزن أو حب الذات أو الكبرياء، لكنَّ ندبة صغيرة ستبقى إلى الأبد على أفضل ما في العالم؛ الحب. لا بد أن أدرك ذلك وأن أحمي سعادتنا، وأنتِ تعرفين ذلك. قمتُ ببعض التصحيحات. صحت فجأة بالمنزل في صوفيا لأنها لا تفارقني، وبعدها شعرت بالخزي والفرح. على الغداء شعرت بالسرور. تانيا تمثل جاذبية البراءة والكبرياء والرهافة. أنظر لجمال طريقتها وهي تتناول الشاي من لوبوف إلكسندروفنا (حماته) أو كيف تصبه لها. أحبها ولا أخشاها. هكذا تبدو لي صوفيا أحياناً. غفوتُ، ثم كتبت خطاباً لتولكوفو. ذهبت للكرملين مع إيلينيم، وراودتني ذكريات الحرب والشباب والقوة. تذكرت ذلك الجنرال الجاف ذا الأنف الروماني الذي لا يولي شيئاً اعتباراً سوى النجاح. دار حديث بيني وبين صوفيا وتانيا وساشا عن المستقبل والصداقة والحب والرقعة. لانت تانيا وتأثر ساشا. تقول صوفيا: « ماما تغيرت بشدة. أصبحت أشعر بالأسى كلما نظرت إليها ». لم يعد بمقدوري أن أعبر لها عن مقدار ما أكنه لها من حب كما كنت سابقاً.

٢٣ يناير.

قال لي أحدهم -وهو محق- أنني لا أستغل الوقت كما يجب في الكتابة. منذ وقت طويل لم تتملكني مثل هذه الرغبة القوية الواثقة الهائلة في الكتابة. ليس لديّ مواضيع، ولا شعور برغبة حقيقية في الكتابة عن أحدها، لكن يبدو لي أنني قادر على الكتابة في أي موضوع، ولا أدري

ما إن كان ذلك مجرد وهم أم حقيقة. خطر على ذهني الكتابة عن نمط الأستاذ الغربي الذي حمل على عاتقه أن يعمل بكدح في فترة الشباب عملاً ذهنيًا يجعله يعيش في تبطل وحماسة؛ ذلك النموذج المناقض لإنسان حافظ على نضج جرأة أفكاره واتساقها مع مشاعره وأفعاله. أفكر في موقف آخر: حب زوج شديد الصرامة في المتطلبات التي يفرضها على نفسه، ابتلعه التفكير في ذلك تمامًا، وشغل حياته كاملاً، ورصدُ التصادم الحادث بينه وبين نغم الكبرياء واللحظات الشاعرية المتصاعد. بولينكا ساكس، وربما أيضًا المسرحية التي تعرض الآن: «الخطية والبلاء»^(١٢٣). لم يحدث لي أن اختبرت من قبل انطباعاً قوياً كهذا لا تشوبه شائبة. صَحَّحت في القوزاق. إنها ضعيفة بشكل مريع، وربما لهذا السبب تحديداً سوف تروق للناس. كنت محمومًا طوال الوقت، وفي الوقت ذاته عاطلاً تمامًا، وهذا ما يثقل علي نفسي. علاقتي مع زوجتي على أفضل ما يمكن. هذا المدر والجزر في العلاقة لا يفاجئني ولا يخيفني. أحياناً - وهذا حالي اليوم - أخشى أنها شابة وأنها لا يمكنها أن تفهم وتحب فيَّ شيئاً، وأنها تقمع الكثير بداخلها من أجلي، وأنها ستطالبني بحساب كل هذه التضحيات في لا وعيها. اليوم كان مليئاً بالعمل. زرت الخالة وآل جورتشاكوف. إلين (ابنة جورتشاكوف) رائعة. ذهبت أيضاً لفيت وزوجته. يتلخص التغيير الرئيس الذي حدث لي في تلك الفترة في أنني بدأت أحب الناس باعتدال. من قبل إما كنت أعشق أو أكره تمامًا، لكن الآن الحب في مكانه الصحيح، وأصبحتُ

(١٢٣) الأولى رواية لإلكسندر دروجينين، والأخرى مسرحية لأوستروفسكي.

علاقاتي أبسط. التقيت بالأصدقاء في المسرح. سررت أنهم جميعاً أعجبوا بها.

٢٥ يناير (صباحاً).

تشاجرنا بالأمس، ظاهرياً بسبب الغرفة الكبيرة، ولكن في الحقيقة كان الأمر بسبب (....) ولأن كلانا عاطل. فكرتُ من قبل، والآن ما زلت على قناعة تامة بذلك كرجل متزوج، أن العمل هو أساس كافة العلاقات الإنسانية، فالأمر لا يقتصر على أن الفكر والمنطق لا يرشدان الشعور والفعل، بل إنهما يزيغان الشعور ذاته. حتى الظروف لا تستطيع توجيه دفة المشاعر، بل الشعور هو الذي يوجّه دفتها؛ أي أنه يختار شيئاً من بين آلاف الحقائق.

٨ فبراير (ياسنايا بوليانا).

في ياسنايا. يزعجني كل من إيسلينييف وسيريوجا، لكني بخير على أي حال؛ بخير تماماً وأحبها جداً. أمور الضيعة والمجلة بخير. أمور التلاميذ وحدها ما تزعجني، وذلك لطبيعة العلاقة غير الطبيعية التي تربطنا ببعض، بالإضافة إلى شعورهم اللا إرادي بالحسد، الأمر الذي لا ألومهم عليه. كم اتضح الأمر لي الآن! لقد كان جموح الشباب؛ اندفاعاً شديدة لا يمكنني الاستمرار فيها الآن بعد أن نضجت. إنها تمثل لي كل شيء. إنها لا تعرف -ولا يمكنها حتى أن تدرك- التغيير الذي تلحقه بي بدرجة تفوق عدم فهمي لما ألحقه بها من تغيير. الأمر يحدث عن لا وعي، فكلانا عاجز على مستوى الوعي.

في الطريق خطرت على ذهني فكرة مفادها أن اكتشاف القوانين في العلم هو اكتشاف رؤية جديدة، وكل ما كان غير صحيح يبدو الآن من هذا المنظور الجديد صحيحًا ومتسقًا، وتؤدي تلك الرؤية الجديدة لازدياد الجوانب الأخرى من الموضوع غموضًا. أفهم أن الحديد بارد، والمعطف المصنوع من الفرو دافئ، ويمكنني أن أدرك أن الشمس تشرق وتغرب، والأجساد تفنى والروح خالدة. ولكن طبقًا للرؤية الجديدة لا بد وأن أنسى ما يتعلق بالمعطف والمعدن، وألا أفهم طبيعة كل منهما، وأن أرى الذرات وهي تتجاذب وتتباعد بحيث يمكنها أن تصبح موصلات جيدة أو سيئة لشيء ما يُدعى: «الحرارة»، ولا بد أن أنسى أن الشمس تشرق وتغرب، وأن أنسى الفجر والسُّحب، وأُصوِّر لنفسي أن الأرض تتحرك وأنا أتحرك معها. يمكنني أن أذكر أمورًا أخرى كثيرة من نفس المنطلق، لكن هذه الرؤية لا تشكل الحقيقة، لكنها جانب منها فقط. نجد أكثر من ذلك في الكيمياء. عليَّ أن أنسى أني روح وجسد، وأن أذكر فقط أني جسد يحوي أعصابًا. شكّل ذلك نجاحًا في الطب، والأمر على النقيض من ذلك لعلم النفس.

٢٣ فبراير.

أرسلت المقالة. إنها جيدة^(١٢٤)، مع أنها مكتوبة بإهمال. بدأت أكتب^(١٢٥). لم أكمل. أخذت أتصفح أوراقتي. حشد من الأفكار، وعودة -أو محاولة للعودة- إلى الغنائية في الكتابة. حسن هذا. لا يمكنني أن أكتب، يبدو أني أفترق الآن إلى الأفكار والعواطف المناسبة.

(١٢٤) التقدم وتعريف التعليم. مقالة نُشرت في العدد الأخير من مجلة ياسنايا بوليانا.

(١٢٥) غالبًا في قصة: Холстомер - Kholstomer.

رواية «البؤساء»^(١٢٦) قوية. غفوتُ اليوم. بكتُ وقبّلت يدي. ماذا؟ متُّ في الحلم! يزداد حبي لها أكثر فأكثر.

١ مارس.

بدأنا مؤخرًا نشعر بالهلع من سعادتنا. الموت هو نهاية كل شيء بالطبع. أيمن فعلًا أن ينتهي كل شيء؟ يا أله! صلينا معًا. أريد أن أشعر أن هذه السعادة ليست مصادفة، بل هي قدرتي.

٣ مارس.

حدث مرتين أن أوشكنا على الشجار في المساء. صوفيا تشعر اليوم بالملل والحصار. الأحمق يبحث عن العاصفة. الشاب لا الأحمق. أخشى من هذه الحالة المزاجية أكثر من أي شيء آخر في العالم. انغمست طوال اليوم في شؤون الضيعة. لا يمكنني الكتابة في «الجواد المخصي»^(١٢٧). إنها مزيفة، ولا يمكنني تغييرها. كل ما يقوم الناس به... كل شيء، يقومون به تلبية لمطالب طبيعتهم، والعقل وحده هو ما يزيّف كل فعل يقوم به بستر من أسباب وهمية يمكنها أن تُقنع الفرد وتبعث فيه الإيمان، ويمكنها أن تبعث أفكارًا بعينها في الشعوب على مدار التاريخ. هذه واحدة من أقدم وأكثر الأخطاء ضررًا. إن لعبة الشطرنج العقلية هذه تتم بمعزل كامل عن الحياة. التأثير الوحيد لها في الحياة يكمن في المستودع الذي تنال منه الطبيعة تدريبها. يمكن للمرء أن يتعلم على المستوى المادي فقط. الرياضيات يتم تدريسها

(١٢٦) رواية فيكتور هوجو الشهيرة.

(١٢٧) الاسم الأصلي لـ: Холстомер.

بشكل مادي. أما ما نُطلق عليه «إنكار الذات» أو «الفضيلة» فهي بمثابة إشباع ميل مَرَضِي متطور. المثال يكمن في التناغم. الفن وحده ما يشعر بذلك. الحقيقي هو وحده ما يتخذ الآتي شعارًا له: «ما من مذنبين في هذا العالم. مَنْ يحظى بالسعادة مُحق!». ذلك مَنْ يضحي بروحه هو أكثر عماءً وقسوة من الآخرين. كل شيء يسير على نحو سيئ في قصة: «الجواد المخصي» عدا مشهد جلد الحوذي ومشهد الهروب.

٢٤ مارس.

يزداد حبي لها أكثر فأكثر. أتمننا اليوم سبعة أشهر، ويراوني الآن شعور لم أشعر به منذ فترة طويلة، منذ بداية علاقتنا. إنه شعور بالضالة مقارنة بها. إنها نقية وجميلة وكاملة بشكل لا يُصدق. في هذه اللحظات أشعر أنني لا أمتلكها، بالرغم من أنها تمنح نفسها لي كاملاً. إني لا أمتلكها لا لأنني لا أستطيع، ولكن لأنني لا أشعر بأنني أستحقها. أنا مضطرب عصبياً، ولذلك سعادتي ليست كاملة. شيء ما يعذبني. إنها الغيرة من ذلك الرجل الذي يستحقها فعلاً. أنا لا أستحقها.

١ أبريل.

مكثتُ في غرفة الخالة اليوم. كانت نائمة. تذكرت حوارًا سابقًا جرى مع سيردوبولسكي. عيد القيامة مختلف هذا العام مع تلك المخططات المملة لشؤون الضيعة. بدأت أمقت نفسي. أنا فاسد مغرور، لكني سعيد. لا بد وأن أعمل هنا على تحسين نفسي، ولا بد أن أحمي سعادتي بالنظام والنشاط والحسم والمثابرة والرغبة في فعل الخير للجميع وتنفيذ ذلك. سوف أراقب نفسي فيما يتعلق بهذه الأمور.

١١ إبريل.

نحن غارقون تمامًا في أمور الضيعة. وصل أندريه يفتسافيتش. إنه رائع ويبعث على السرور والراحة. قرأت يومياتها مرتين. ممتازة! إنها سعيدة الآن على نحو خاص. وصل سيريوجا. وجنته نائثة، وتلوح الوقاحة على أنفه وعينه.

٢ يونيو.

طوال تلك المدة كنت أمر بفترة نوم جسدي كثيب، وربما لهذا أو لسبب آخر كانت كذلك فترة نوم معنوية كثيبة بلا أمل. كنت أظن أنني ليس لدي اهتمامات أو عواطف قوية (وكيف يمكن ذلك؟ ولماذا؟). كنت أظن أنني أهرم وأموت، وأني لا أحب شيئاً وأن ذلك أمر فظيع. كنت أشعر بالخوف على نفسي، ومن حقيقة أن اهتماماتي محصورة داخل نطاق المال أو السعادة المبتذلة. كانت تلك فترة غفوة دورية، وقد استيقظت على ما يبدو. أحبها وأحب المستقبل ونفسي وحياتي. لا يمكن للمرء أن يفعل شيئاً لما قد حدث فعلاً. ما يبدو ضعفاً قد يكون تحديداً منبع القوة. أقرأ لجوته، والأفكار تتزاحم داخل رأسي.

١٨ يونيو.

أين أنا، أقصد تلك الأنا التي أحببتها وعرفتها والتي تبرز أحياناً إلى السطح فتبهجنني وتخيفني؟ أنا ضئيل وتافه. أنا على هذا الحال منذ أن تزوجت هذه المرأة. كل ما هو مكتوب في هذا الكتاب محض كذبة وزيف. فكرة أنها هنا، واقفة عند كتفي لتقرأ، يفسد حقيقة ما

أكتب. سرورها الواضح اليوم وثرثرتها وجذب انتباه إيرلندين^(١٢٨)، وتلك الليلة المجنونة أعادتني فجأة لسمو الحقيقة والقوة القديم الذي كان لديّ. يجدر بالمرء أن يقرأ ذلك فقط ويقول: «نعم، أعرف. إنها الغيرة!»، وكي أريح نفسي يلزم أن أفعل شيئاً آخر كي ألقى بنفسي ثانية إلى تلك الحياة التافهة التي كنت أعيشها أثناء الشباب. أعيش في هذه الحالة منذ تسعة أشهر. الأمر مريع. أنا مقامر سكير. دمرت تسعة أشهر لا يمكن استرجاعها في الانغماس في أمور الضيعة، وكان بالإمكان أن تكون أفضل أوقات عمري، لكنني جعلتها الأسوأ. ما الذي أحтаجه؟ أن أعيش بسعادة، أي أن أستمتع بحبها وأحب نفسي، لكنني أكره نفسي. كم مرة كتبت: «اليوم، انتهى الأمر!»؟ لن أكتبها الآن. أعني يا إلهي! دعني أعيش دومًا في هذا الوعي بنفسي وبقوتي. ليلة مجنونة! أبحث عن وسيلة أسيء بها إليك رغماً عني. أمر دنيء، وسيمر، ولكن لا تغضبني. لا يمكنني التوقف عن حُبكِ.

لا بد وأن أكتب شيئاً لأجلها، فسوف تقرأه. ليس من الحقيقي أنني لا أكتب من أجلها، لكنني أختار من بين الكثير من الاختيارات شيئاً لم أكن أكتبه لنفسني فقط. إن حقيقة أنها قد تُعجب بشخص آخر، مهما كان تافهاً، أمر مفهوم، ويجب ألا تبدو غير عادلة بالنسبة لي مهما كانت غير محتملة؛ لأنني أثناء هذه الشهور التسعة كنت تافهاً وضعيفاً غير عاقل، وفضلاً.

الليلة رفعتني القمر إلى أعلى، ولكن كيف لا يعلم أحد ذلك؟ ليس

(١٢٨) معلم بمدرسة بابوريني، أشارت صوفيا في سيرتها لغيرة تولستوي منه.

عَبثًا أَنْ فَكَّرْتُ الْيَوْمَ فِي أَنَّ قَانُونَ الْجَازِبِيَّةِ الَّذِي يَجْذِبُ الْأَجْسَادَ إِلَى الْأَرْضِ مَوْجُودٌ كَذَلِكَ فِيمَا نَدْعُوهُ «الرُّوحَ»، وَيَجْذِبُهَا صَوْبَ الشَّمْسِ الرُّوحِيَّةِ. وَحَدَهُ النُّحْلُ مَا يَطِيرُ صَوْبَ الشَّمْسِ. تَعْمَلُ النُّحْلَةُ وَتَضَعُ الْبَيْضَ وَتَضَاجِعُ وَتَلْعَبُ فِي ضَوْءِ الشَّمْسِ (وَهَذَا مَا نَدْعُوهُ تَبْطُلُ). سَأَكْتُبُ غَدًا.

أَجْلَسْتُ لِأَكْتُبَ لِلْمَرَّةِ الثَّالِثَةِ. أَمْرٌ مَرِيعٌ فَظِيعٌ وَعَبَثِي أَنْ تَرْتَبِطَ سَعَادَةُ الْمَرْءِ بِظُرُوفِ مَادِيَّةٍ: زَوْجَةٍ، أَطْفَالٍ، صَحَّةٍ، ثَرْوَةٍ. الْمَجْذُوبُ عَلَى حَقٍّ. يُمْكِنُ لِلْمَرْءِ أَنْ يَنَالَ زَوْجَةً، أَطْفَالًا، صَحَّةً... إلخ، وَلَكِنْ السَّعَادَةُ لَيْسَتْ فِي ذَلِكَ. فَلْتَرْحَمْنِي يَا رَبِّ وَتَعْنِي.

٥ أغسطس.

لَا أَكْتُبُ الْآنَ لِي وَحْدِي كَمَا كُنْتُ أَفْعَلُ، وَلَا مِنْ أَجْلِ كَلِينَا كَمَا اعْتَدْتُ فِي الْفَتْرَةِ الْأَخِيرَةِ، بَلْ مِنْ أَجْلِهِ هُوَ^(١٢٩). فِي لَيْلَةِ ٢٧ كَلَانَا كَانَ شَدِيدَ الْاضْطِرَابِ. أَلَمَتَهَا بَطْنُهَا وَأَخَذَتْ تَنْتَفِضُ، وَظَنْنَا أَنَّ الْأَمْرَ بِسَبَبِ تَنَاوُلِهَا لِلتَّوْتِ. فِي الصَّبَاحِ سَاءَتْ حَالُهَا، وَاسْتَيْقَظْنَا فِي الْخَامِسَةِ وَقَدْ اتَّخَذْنَا قَرَارًا فِي اللَّيْلَةِ الْمَاضِيَةِ أَنْ أَذْهَبَ لِلِقَاءِ قَوْمِي. كَانَتْ مَحْمُومَةً، تَرْتَدِي فَسْتَانَهَا، ثُمَّ هَدَأَتْ وَابْتَسَمَتْ وَقَالَتْ: «أَنَا عَلَى مَا يَرَامُ». أَرْسَلْتُ لِأَنَا كَيْ تَأْتِي وَتَقُومَ بِمَا كَانَ بِإِمْكَانِي الْقِيَامَ بِهِ لَكِنِّي لَمْ أَصْدُقْ أَنَّ هَذَا ضَرُورِي. كُنْتُ قَلَقًا وَهَادئًا فِي الْآنَ ذَاتِهِ، وَشَغَلَتْ نَفْسِي بِالتَّفَاهَاتِ كَمَا يَفْعَلُ الْمَرْءُ قَبْلَ انْدِلَاعِ الْمَعْرَكَةِ أَوْ لِحِظَةِ اقْتِرَابِ الْمَوْتِ. شَعُرْتُ بِالضِّيقِ مِنْ نَفْسِي مِنْ شَعُورِي بِهَذِهِ الضَّآلَةِ. أَرَدْتُ الذَّهَابَ لِتَوَلَا وَأَنْ

(١٢٩) فِي ٢٨ يُونِيُو وَلَدَ ابْنُ تُولَسْتُوِي الْبَكْر: سِيرْجِي.

أقوم بكل شيء بأقصى دقة ممكنة. رحلنا بصحبة تانيا وساشا، ولم نكن نشعر أننا على ما يرام. كنت هادئًا ولم أودَّ أن أسمح لنفسي بالانسياق إلى هذه الحالة. شعرت بالدهشة في تولا من رغبة كاييلوف أن يتحدث عاداته في السياسة، وكان الصيادلة بيرشمون صناديق أدويتهم. ذهبنا بصحبة مارينا إيفانوفنا (قابلة سيريوجا). وصلنا المنزل، ولم يكن هناك أحد. أما الخالة التي لم ترد في البداية أن أمضي بعيدًا وخافت، خرجت لتلتقيني بعينين تشيان بالاضطراب والنشاط والخوف والطيبة. «كيف الحال؟ كم من الرائع أنك جئت يا عزيزي!». ثم بدأت التقلصات الشديدة. دخلتُ. كم بدت عزيزتي جميلة وذلك التعبير الذي يشي بالجدية والأمانة والقوة والعاطفة يرسم على وجهها! كانت ترتدي ثوبًا طويلًا مفتوحًا، وبلوزة علقت عليها دبوس زينة، وشعرها الأسود مبعثر، ووجهها متوهج متورد، بعينيها الكبيرتين المشتعلتين بالعاطفة، واقتربت مني ونظرت إليَّ. «كيف الحال؟». «آلام رهيبة».

أنا بتروفا ليست هنا، ولكن أكسينيا (عاملة) موجودة. قبَّلني ببساطة وهدوء. بينما كان الموجودون منشغلين بمختلف الأمور، عادت الآلام. أمسكتُ بي. قبَّلتها كما فعلتُ في الصباح، لكنها لم تكن تفكر فيَّ، وبدا أن أمرًا خطيرًا شديدًا ألم بها. دخلتُ معها ماريا إيفانوفنا إلى غرفة النوم ثم خرجتُ ثانية. «لقد بدأ المخاض!». هكذا قالت بهدوء ومهابة وفرحة وهي تحاول إخفاءها كما يحدث مع الممثل حينما يرتفع الستار. أخذت تذرع المكان جيئةً وذهوياً وتتسكع حول خزائن الثياب وتعد نفسها للحدث، ثم تجلس لبرهة وعيناها تشعان بالهدوء والمهابة.

بضع نوبات أخرى من الآلام والتقلصات، وفي كل مرة كنت أمسك بها أشعر بجسدها يرتجف ويتمدد وينكمش، وكان الانطباع الذي تركه جسدها عليّ مختلفاً تماماً عن السابق، قبل وبعد الزواج. في الفترات المتقطعة التي تفصل بين هذه النوبات كنت أهرع لأعد الأريكة التي وُلدتُ عليها، وأنقلها لغرفتها وما إلى ذلك من أمور. كنت لا أزال أشعر بالالا مبالاة وأوَّخ نفسي على ذلك وأغضب. أردت أن أقوم بكل شيء على أسرع وأفضل نحو ممكن. جعلوها تستلقي، وبدأتُ تفكر في.... (لم أكمل هذه العبارة ولا يمكنني كتابة المزيد عن عذابي الآن).

شخصيتها تسوء كل يوم. يمكنني أن أرى بداخلها شخصيتي بولينكا وماشينكا^(١٣٠) بصيحاتها وتوبيخاتها المريرة الشريرة. صحيح أن هذا غالباً ما يحدث عندما لا تكون في حالة جيدة، لكن أنايتها وسلوكها غير العادل معي يخيفني ويعذبني. لقد سمعتُ من أحدهم أن الأزواج لا يحبون الزوجات المريضات، وعلقت الفكرة في ذهنها، ومن ثم تواسي نفسها بأنها على حق. إما أنها لم تحبني أبداً وإما أنها كانت تخدع نفسها. أعدت قراءة يومياتها، ووجدتها تنفس بضغينة مكتومة ضدي متقنعة بكلمات رقيقة. هكذا الأمر في الحياة أيضاً. إن كان الأمر كذلك، وإن كان زواجنا خطأً من ناحيتها، فهذا يعني أن الأمر مريع. أن يمنح المرء كل ما لديه، لا أقصد حياة عزوبية فاسقة أو التمتع بالخليلات كما يفعل الرجال المتزوجون، بل شاعرية الحب

(١٣٠) الأولى براسكوفيا بيرفيليف، والثانية شقيقتها.

والأفكار والعمل من أجل الناس، ويستبدل ذلك بحياة أسرية حارة،
ويرتفع عن كل شيء سوى أسرته، وبدلاً من كل ذلك يقلق بشأن الطعام
وبودرة الأطفال والمربي، ويقوم بكل ذلك متلقيًا صيحات الاستهجان
في غياب أي شيء يُلطّف من حياته الأسرية، من دون حب ولا سعادة
أسرية هادئة هائلة، ولا ينال إلا نوبات محمومة من الرقة والقبل... إلخ!
أنا مكتئب بشدة. ما زلت لا أصدق ذلك، لكنني لم أترك نفسي فريسة
للمرض والكآبة طوال اليوم، بل على العكس من ذلك. في الصباح آتي
سعيداً، حسن المزاج وأجد الكونتيسة في مزاج سيئ، وقد مشطت لها
خادمتها دوشكا شعرها، وأفكر في ماشينكا عندما مرت بظروف سيئة،
وينهدم كل شيء، وأخشى كل شيء كالملجنون، وأعتقد أنني لا يمكن
أن أكون على ما يرام حسن المزاج، إلا في مكان ما وحدي. أنال قبلات
رقيقة بحكم العادة، ثم تبدأ الشكوى من دوشكا ومن الخالة ومن تانيا
ومني ومن الجميع، ولا يمكنني احتمالها بهدوء لأنها ليست مجرد
سيئة؛ بل مريعة، مقارنة بما أريده. لا أعرف شيئاً واحداً لم أقم به من
أجل سعادتنا، لكن الناس بإمكانهم أن يلفقوا شيئاً يحطّون به من قدر
علاقتنا، فيدّعون أنني آسف على التخلي عن جواد أو خوخة! ليس لديّ
ما أوضحه... ليس لديّ ما أوضحه، لكنني في حاجة إلى أخفت بارقة
فهم أو مشاعر، وحينها أعود سعيداً ثانية، وأصدق أن بإمكانها فهم
الأمر بطريقتي. فلتؤمن بما تريده بشدة. أنا راضٍ عن معاناتي وحدي.
تتميز ماشينكا بنفس سمة الثقة المريضة والمتقلبة في الذات والإذعان
لخيالاتها عن مستقبلها التعيس.

إنها الواحدة صباحًا ولم أنم بعد، وما زلت لا أذهب للنوم في غرفتها إلا قليلًا شاعرًا أنها تضغط عليّ، فعندما يسمعها أحد يجدها تنن، لكنها الآن تغط في نوم هادئ. سوف تستيقظ وكلها ثقة أنني غير عادل، وأنها ضحية بائسة لنزواتي المتقلبة حول إرضاع الطفل والعناية به^(١٣١). حتى والدها من نفس الرأي. لم أسلمها يومياتي لتقرأها، لكني لا أكتب كل شيء هنا. أفضع الأمور هو أنه يتوجب عليّ ألا أقول شيئًا وأكتم غضبي، بغض النظر عن كم أكره وأحتقر تلك الحالة. الحديث معها الآن مستحيل، ولكن ربما ما زال بالإمكان شرح كل شيء. لا، إنها لم تحبني ولا تحبني الآن. لم يعد هذا يُشعرنني بالأسف إلا قليلًا، ولكن لماذا تحتم خداعي بهذه الطريقة المؤلمة؟

٦ أكتوبر.

كل هذا قد انتهى الآن، وهو غير حقيقي. أنا سعيد معها، لكنني غير راضٍ عن نفسي بدرجة مريعة. أنا أسقط؛ أسقط إلى وادي الموت، ولا أجد في نفسي القدرة على التوقف. لا أريد الموت، لكنني أريد الخلود وأحبه. لا حاجة للاختيار. لقد قمت باختيار من منذ زمن. الأدب - الفن - التدريس - الأسرة. إن أعدائي هم: عدم الاتساق والخجل والكسل.



(١٣١) عهدت صوفيا بالطفل لمرضعة بحجة التهاب الثدي، الأمر الذي لم يوافق تولستوي عليه.

١٦ سبتمبر (ياسنايا بوليانا).

مر عام سريعاً منذ أن كتبت آخر مرة في هذا الدفتر. كان عامًا جيدًا. أصبحت علاقتي مع صوفيا قوية ومتينة. نحب بعضنا البعض، أي أن كل منا بالنسبة للآخر أعز من كافة الناس جميعاً، ويمكننا أن نرى بعضنا بوضوح، فما من أسرار بيننا، وبالتالي لا شيء يدعو للخزي. بدأت كتابة رواية^(١٣٢). كتبت حوالي عشر صفحات حتى الآن، والآن أنا في مرحلة التصحيح والمراجعة. عذاب! اهتماماتي التربوية بدأت تزول. ابني ليس قريباً مني بما يكفي. منذ أيام تذكرت يومياتي التي دونتها عن صوفيا حينما أصبحت أمّاً. لا بد وأن أنهيتها من أجل الأطفال.

بالنسبة للرواية^(١٣٣):

إنه يحب أن يُعذَّب مَنْ يحبه. كل شيء يُهيِّجُه.

الأب والابن يكرهان بعضهما البعض. يتصرف بخراقة في حضور الناس.

(١٣٢) العمل الخالد «الحرب والسلام».

(١٣٣) تشير الملحوظتان إلى شخصية الأمير بولكونسكي بالرواية.

٧ مارس (ياسنایا بولیانا).

حالي الصحية ليست جيدة ولا سيئة. إنه اليوم الثالث الذي أحافظ فيه على موقعي، دون أن أتخاذل أو أبذل كل ما في جهدي. أكتب وأراجع. كل شيء واضح، لكن كمية العمل المفترض أن أقوم بها ترعيني. من الجيد أن أضع حدودًا لما سأقوم به من عمل في المستقبل. حينها لن أشغل بالي كثيرًا بالأمر البسيطة ولن أراجع التفاصيل غير الهامة إلى ما لا نهاية في ضوء الأمور الهامة التي يتوجب عليّ القيام بها. مرضت صوفيا، وسير يوجا مريض جدًا بالسعال. بدأت أحبه. إنه شعور جديد تمامًا. أمور الضيعة بخير.

٩ مارس.

كتبت وراجعت طوال يومين. لم أستطع الكتابة اليوم بعد شرب الشاي. ثمة برودة تسري بيني وبين صوفيا. أنتظر أن تنقضي بهدوء. قرأت في فاوست لجوته. إنها مليئة بشاعرية الأفكار؛ تلك الشاعرية التي لا يمكن لشيء في العالم أن يعبر عن موضوعها سوى الفن، بينما نريد أن نزيد من جمالها بنزعها عن واقع الرسم وعلم النفس... إلخ.

١١ مارس.

جاء دياكوف. ضاع اليوم، لكنني كنت سعيدًا بحضوره. أنهيت اليوم الفصل الثالث. كتبت مرتين. سيريوجا ينهكني بمزاجه النكد. استعدت علاقتي الجيدة مع صوفيا. أمور الضيعة كذلك بخير.

١٧ مارس.

ذهبت لتولا لحضور الجنازة مع سيريوجا^(١٣٤). حتى مع الحزن، لا بد أن يكون لدى الإنسان قضبان يمكنه السير فوقها: العويل وصلاة الجنازة... إلخ. بالأمس رأيت على الثلوج آثارًا عميقة لقدم كلب على آثار باهتة لقدم إنسان. لماذا يترك الكلب أثرًا على بقعة صغيرة من الأرض؟ ذلك لأنه لا يأكل كما يشاء من الأرانب البرية، بل بقدر ما يحتاج فقط. إنها حكمة الله؛ لا، ليست حكمة ولا ذكاء؛ بل غريزة من الله. لدينا الغريزة نفسها أيضًا، بينما يمكن لعقلنا أن ينحرف عن متطلبات الغريزة وأن يُمنطق هذه الانحرافات. راودتني هذه الأفكار بوضوح مرعب وقوة وسرور. ذهبت اليوم إلى آل باشكوفي. صوفيا والأطفال مرضى. لم أكتب شيئًا منذ أربعة أيام، لكنني كتبت اليوم. غضبت ذات مرة من ألماني، واستغرق مني الأمر وقتًا طويلًا كي أسامحه. أقرأ الآن في مذكرات المارلاشال مارمونت^(١٣٥). مفيدة جدًا لي.

(١٣٤) سيريوجا شقيق تولستوي، وقد توفي ابنه.

(١٣٥) مارشال فرنسي في جيش نابليون. أمده هذه المذكرات بتفاصيل عديدة عن نابليون وإلكسندر (القيصر الروسي).

انغمست كاملاً في تاريخ نابليون وإلكسندر. حاوطتني سحب
الفرح من فكرة كتابة رواية تاريخية نفسية عن إلكسندر ونابليون،
وكذلك الوعي بإمكانية عمل شيء عظيم. إنها كتابة عن كل ندالة وكل
عبارة فارغة وجنون، وكافة تناقضات البشر وتناقضات مَنْ يحيطون
بهم. نابليون يتخط كإنسان ومستعد للتخلي عن ١٨ برومير^(١٣٦) قبل
الاجتماع. «في زماننا الناس متنورون كفاية لإنتاج أمور عظيمة»^(١٣٧).
دعا إلكسندر المقدوني نفسه «ابن جوبيتر»، وقد صدّقه الناس. كانت
الحملة الفرنسية على مصر بلا جدوى، محض ندالة متكبرة. كذب كافة
البلاغات عن عمد. معاهدة سلام براتيسلافا التي تمت بالخداع. سقوطه
في الماء عند جسر أركول بدلاً من الإمساك بالعلم. فارس رديء.
انتزاعه كافة اللوحات والتماثيل أثناء الحرب الإيطالية. حبه للتجول
بجواده في ساحة المعركة. ابتهاجه برؤية الجرحى والموتى. الزواج من
جوزفين. نجاحه في أوساط المجتمع. تصحيحه لنشرة معركة ريفولي
ثلاث مرات، وكذبه في كل مرة منها. ما زال إنساناً في البداية وقوياً
من أحد الجوانب ثم يصيبه التردد، ويقول في نفسه: لا بد من إتمام
ذلك! ولكن كيف؟ أنتم بشر عاديون، لكنني بإمكانني أن أرى نجمي في
السماء. إنه غير مثير للاهتمام، ولكن الحشد المجتمع حوله مثير، وهو

(١٣٦) انقلاب ١٨ برومير: هو الانقلاب الذي قام به نابليون بونابرت في ١٨ برومير السنة الثامنة،
أطاح بحكومة المديرين، وأوجد بدلاً عنها حكومة القناصل، وفيها سيكون نابليون القنصل
الأول

(١٣٧) بالفرنسية، وهي عبارة لنابليون بعد تنويجه بيوم.

يعتمد عليه في إحداث التأثير المنشود. في البداية يتصرف من منظور أحادي، وتكون الظروف مؤاتية مقارنة بجان مارات وباراس^(١٣٨)، ثم يصيبه الارتباك؛ ثقة في الذات وسعادة، ثم جنون (يجلب ابنة قيصر لتشاركه فراشه). جنون كامل ولهو وتفاهة في جزيرة القديسة هيلانة. أكاذيب، وتلوح عظمته فقط عندما تكون الأمور ذات أبعاد ضخمة، أما عندما يكون الأمر صغيراً، تتضح تفاهته، ثم يأتي الموت المشين!

إلكسندر ذكي ولطيف وحساس، يبحث عن سمو الإنسانية من منظور ضخم للغاية. يتخلى عن العرش، ويمنح موافقته على قتل بافل، أو على الأقل لا يحول دون تنفيذ ذلك، فهذا مستحيل. أحلام عن نهضة أوروبا. أوسترليتز^(١٣٩)، دموع، جرحى. خيانة ناريشكينا (خليلة إلكسندر). سبيرانسكي ومشروع تحرير الأقنان. تيلسيت وإيرفوت^(١٤٠) الثمل بالعظمة. لا أعرف تحديداً ماذا حدث في الفترة حتى عام ١٨١٢. عظيم كإنسان ثم يصيبه التردد. النصر والاحتفال والعظمة والجلال، الأمر الذي بعث فيه الخوف، ثم البحث عن العظمة الإنسانية؛ عظمة العقل. فوضى تعتري الأمور الخارجية وصفاء الذهن. طبع عسكري، ومناورات وأفعال قاسية. فوضى خارجية وصفاء ذهني. الموت. سيكون الأفضل أن يكشف عن عملية قتل.

لا بد وأن أكتب روايتي وأعمل عليها.

(١٣٨) أعضاء مجلس الثورة الفرنسي.

(١٣٩) مدينة في النمسا حيث مزق فيها نابليون في عام ١٨٠٥ الجيش الروسي النمساوي.

(١٤٠) شهدت المدينتان لقاء إلكسندر بنابليون في ١٨٠٧.

٢٠ مارس.

الطقس فاتن. أنا بخير. ذهبت لتولا على متن الجواد. راودتني أفكار عظيمة. ما زالت خطة تاريخ نابليون وإلكسندر لم تضعف بعد. إنها قصيدة ملحمة بطلها إنسان يحتشد الجميع من حوله. قرأت في مذكرات مارمونت. أسر بيروفسكي^(١٤١). إعدام دافو (جنرال فرنسي). مقالة ماركوف النقدية سيئة^(١٤٢). يُقدّر الفكرة جيدًا، ثم يغضب منها. حسنًا، ماذا ستفعل؟ أشعر بالهلع من قواي! قال يازيكوف إنني أسهب. إنه محق. اختصر! اختصر!

٢١ مارس.

الطقس فاتن. صوفيا مريضة. يحزنني ضعفها عندما تكون مريضة. أشعر بالقلق من مرض سيريوجا. أشعر بالسرور والبهجة في العناية بالماشية. ما زلت أقرأ مذكرات مارمونت وأدوّن ملاحظاتي. كتبت بالمساء مشهد الجسر. سيء.

٢٢ مارس.

صداع نصفي. لم أكتب شيئًا.

٢٣ مارس.

الطقس فاتن. صوفيا مريضة. عاود السعال سيريوجا. اعتقدنا أننا فهمنا حياة الحيوان عندما خمننا أن لديه أسنانًا قوية كالحجر كي يأكل

(١٤١) تم أسره في معركة بورودينو وأخذوه لفرنسا، وظل هناك حتى استولت الجيوش على باريس في ١٨١٤.

(١٤٢) مقالة نقدية تناول فيها رواية القوزاق.

العشب! وقال الكلب إنه فهم الإنسان حينما أدرك أن لديه ذراعين لبناء منزل! كتبت قليلاً بالمساء ولكن على نحو جيد. يمكنني القيام بالعمل. تراودني طوال الوقت أفكار عن عمل جديد وأكثر أهمية، وكذلك شعور بعدم الرضى عن القديم. لا بد وأن أكتب كل يوم، ليس لصالح العمل بقدر ما هو مهم حتى لا تفارقني حالة الكتابة. لا بد وأن أترك المزيد. غداً سأحاول أن أصف بيليبيين (دبلوماسي روسي).

٢٤ مارس.

سيريوجا عندنا. كتبت قليلاً عن بيليبيين. ذهبت بالأمس إلى تولا. لو كان هناك إله للشعر والإخلاص، فمن كان بإمكانه أن ينال ملكوت السماوات؟ واحد من خيوط الكتابة هو تباين الشعر مع الشعور وحسب.

٢٥ مارس

سيريوجا عندنا. لست بخير. مشكلة العصارة الصفراء. حكت لسيريوجا عن نابليون. لم أكتب. قرأت في مذكرات مارمونت. يشبه فاوست، فهو يبني المصانع بعد المعارك ويشعر بالرضى. شاعرية عمل يقوم به عجوز... لا بد وأن أفعل ذلك^(١٤٣).

٢٧ مارس.

كتبت قليلاً. لست على ما يرام لكني متماسك. لم تنهمر الثلوج.

(١٤٣) غابت أي مقارنات بين نابليون وفاوست في الحرب والسلام.

٢٨ مارس.

ذهبت بصحبة أوسيب لخلية النحل، وأكملت قراءة مذكرات مارمونت. وصل سيريوجا. كتبت على نحو سيئ. يجب التخلص مما كتبتة.

١٠ إبريل.

كنت مريضًا. أحب صوفيا جدًا والأمور بيننا على ما يرام. لثلاثة أيام متواصلة أكتب بنشاط، فكل شيء حولي يحفزني. برنو^(١٤٤). قررنا السفر للخارج. صباح اليوم كتبت عن التربية.

١٩ سبتمبر (نيكولسكوي فيازيمسكوي^(١٤٥)).

لا أشعر بالراحة. لا أعرف هل أنا مريض، ولذلك لا يمكنني التفكير بشكل سليم والعمل، أم أنني أطلقت العنان لنفسي لدرجة لم أعد قادرًا معها على العمل؟ كم ستكون سعادتني لو تمكنت من العمل على نحو سليم! طوال اليوم بالمنزل، أحاول العمل دون جدوى. لم أشعر بالرضى عن العمل. أفكارني الكثيرة لا تتركني أنعم بالراحة. أُملي ضعيف؛ بل ليس لدي أمل. كما لو أنني لا أمل شيئًا في المستقبل! أهذا نذير بالسوء أم أنه فجور! إني أبذل كل ما وسعي لأناضل ضد الفجور.

الطقس فاتن ورائق وبارد.

(١٤٤) مدينة تشيكية، وهو يكتب هنا في الفصل المتعلق بسفر أندريه بولكونسكي إلى برنو.

(١٤٥) في ٢٦ يونيو وصل تولستوي وأسرته إلى ضيعة نيكولايتولستوي ومكثوا هناك حتى أكتوبر وقام تولستوي بعدة زيارات لشقيقته في بوكروفسكوي.

٢٠ سبتمبر.

لم أستطع كتابة شيء بالصباح. مارست العادة السرية. تنزهت قليلاً. ما زلت في ذات الحالة المحمومة. قرأت في رواية ميريميه (كاتب فرنسي) عن تشارلز التاسع. غريب هذا الترابط الفكري بينه وبين بوشكين. إنه شديد المهارة والحساسية، لكنه غير موهوب. كتبت خطاباً لفلاديمير فيدوروفيتش وللخالة. في المساء فكرت في الرواية وقمت ببعض التصحيحات.

٢١ سبتمبر.

مضينا إلى آل دياكوف حيث كانت هناك وليمة غداء خاصة مع الجيران. سوخوتين لطيف. رقصت سوخوتينا مع الفلاحات وكانت نظرتها تشي بتعبير وحشي. لا يمكنني أن أشرح ذلك لنفسني إلا بقولي إن ردود الأفعال كانت غائبة.

٢٢ سبتمبر.

ذهبت للصيد. حالتي الصحية تسوء أكثر فأكثر. الجو جاف، وثمة رياح باردة. عدت مريضاً. آل دياكوف جميعاً يتحلون باللطف.

٢٣ سبتمبر.

استلقيت طوال اليوم. انتعشت ثانية بعدما اغتسلت. قرأت في ^(١٤٦)Consuélo. محض هراء تتخلله عبارات علمية وفلسفية وفنية وأخلاقية. فطيرة مصنوعة من عجين فاسد ومربى زنخة تحتوي على

(١٤٦) رواية لجورج صاند.

نبات كمأة وسمك حفيش وأناناس!

٢٤ سبتمبر.

أفضل حالاً. قرأت لهم من روايتي (يقصد آل دياكوف). لم ترق لهم. لكنها بدت لي جيدة إلى الحد الذي لا يتوجب عليّ مراجعتها ثانية. لا بد وأن أزرع داخل نيكولاس مزيداً من حب الحياة وخوفاً من الموت على الجسر. أما بالنسبة لأندريه فسأستخدم ذكريات معركة برنو.

٢٥ سبتمبر.

العيد. أحضر دياكوف فودكا. قرأت، ثم ذهبت للصيد. لم أصطد شيئاً. موسيقى شوبن تبهجني حد البكاء.

٢٦ سبتمبر (ياسنايا بوليانا).

بدأت أؤدي تمرينات رياضية. أنا في حالة ممتازة. عدنا أنا وصوفيا للمنزل. ربما لا يوجد من هو أسعد منا حالاً سوى واحد في المليون. فيما يتعلق بتعليم ماشا (ابنة دياكوف) فقد فكرت كثيراً في مبادئ التعليمية. من واجبي أن أكتب كل شيء أعرفه عن هذه المسألة.

٢٧ سبتمبر.

أردت أن أكتب مساء أمس، لكنني اكتفيت بالتفكير. بدأت اليوم، ثم تخلصت مما كتبه. قرأت للغبية جوليا كافانا (كاتبة إنجليزية). صحتي بخير. خرجت بصحبة دورا (كلبة صيد). صقيع ورياح.

٢٨ سبتمبر.

لم أكتب شيئاً. آلام في الظهر. خرجت بصحبة كلبة الصيد، لكنني

لم أجد شيئاً. غضبت من بافل (فلاح). جوليا كافانا غبية فعلاً.

٢٩ سبتمبر.

صحتي ليست جيدة. آلام في الظهر. كتبت لسيريوجا وآل دياكوف.
انخرطت طوال اليوم في كتابة المعركة^(١٤٧). سيئة! لا جدوى.. ليست
جيدة. قرأت لترولوب (كاتب إنجليزي).

٣٠ سبتمبر.

خرجت للصيد مبكراً وسط الثلوج المتساقطة حديثاً. استمتعت
وقتلت أرنباً برياً. كتبت خطاباً لأندرية يفستافيتش (حمو تولستوي)،
ثم قرأت في رواية ترولوب *Bertrams*. جيدة. تكمن شاعرية الروائي
في اهتمامه بتركيبة الأحداث. أمامي أعمال برودون^(١٤٨) وروايتي
”القوزاق“ وعملي الجديد. شاعرية الروائي تتوفر أيضاً في الصورة
التي يرسمها للأخلاق والعادات القائمة على حقائق تاريخية مثلما نجد
في الإلياذة والأوديسا. العامل الثالث يكمن في جمال وبهجة المواقف
مثلما نجد في بيكويك لديكنز و”رحلة صيد“ لي. الرابع في سمات
الشخصيات مثلما نجد في هاملت وفي شخصيات أعماله المستقبلية:
أبولون جريجوريف وفي فجور تشيتشيرين وبلاهة سوخوتين وضيق
أفق التفكير في النجاح وفي كسل نيكولينكا، وفي البلادة المستقيمة
لدى ستوليبين ولانسكوي وستروجانوف.

(١٤٧) معركة Schöngraben (فصول ١٧ - ٢١) من الجزء الأول من الحرب والسلام.

(١٤٨) في مكتبة تولستوي بإسبانيا كتابان للروائية الإنجليزية ماري برادون.

١ أكتوبر.

أقوم بتمريناتي دائماً. الأيام تمر متشابهة، ولا أكتب شيئاً. ذهبت للصيد، ولم أصطد شيئاً. شاعرية العمل والنجاح لا تؤثر في أحد في أي مكان. ما زلت أقرأ *Bertrams* لترولوب. رائعة!

٢ أكتوبر.

أنا بخير صحيحاً. عبثاً خرجت للصيد. كتبت، لكنني أشعر باليأس. ترولوب يقتلني بأستاذيته في الكتابة. ما يعزيني أن مهارته مختلفة عن مهارتي. الفن الحقيقي هو أن أكتشف ما أنا ماهر فيه، أو بمعنى أصح ما أنا لست ماهرًا فيه. لا بد وأن أعمل كعازف البيانو.

٣ أكتوبر.

اليوم وأمس عملت باجتهاد، ولكن بلا جدوى. اليوم أشعر بالآلام في الكبد وكآبة في الروح. هذا يثبط الهمة. لا بد وأن أكبح جماح نفسي في القراءة والانخراط في الأحلام. لا بد وأن أستخدم هذ القوى في الكتابة وأستبدلها بالعمل الجسدي. ذهبت مجدداً للصيد حول غاباتي دون جدوى. أنهيت رواية ترولوب. فيها الكثير جداً مما هو تقليدي.

٤ أكتوبر.

مضيت لغابة كامن وتروبتس، وأطلقت النار على ثعلب، لكنني أخطأته. صوفيا حامل. ما زال سيريوجا مصاباً بالإسهال. صحتي ليست على ما يرام. لم أكتب.

٥ أكتوبر.

ذهبت لآل دياكوف. إنهم رائعون. اضطربت صوفيا. حالتي الصحية أفضل. أريد أن أكتب وأستغرق في التفكير.

٦ أكتوبر.

استيقظت في حالة صحية سيئة. يوم رائع. يبدو أن هناك شيئاً بين دياكوف وتانيا. ثمة شائعات عن إيفان إيفانوفيتش (مدرس بمدرسة ياسنايا). تحدثت معه بخراقة.

٧ أكتوبر.

لم نخرج من المنزل. يوم ممل.

٨ أكتوبر (باكروفسكوي).

في الطريق. ماشينكا والأطفال في غاية اللطف.

٩ أكتوبر.

عند ماشينكا. كتبت في «رحلة صيد». النتيجة غير متوقعة.

١٠ أكتوبر.

ما زلت عندها. خرجت للصيد. اصطدت ثعلباً. التقيت بالبارون. بليد وضيق الأفق، ولديه حب للذات خطير وحي الضمير.

١١ أكتوبر.

خرجت للصيد وحدي. اصطدت أرنبين. لستُ على ما يرام.

١٢ أكتوبر.

وصلنا ياسنايا. أنا مسرور، لكنني قَلِقٌ من خوفاي على أمور الضيعة.

١٣ أكتوبر.

في ياسنايا. صمْتُ صباحًا. ملأ الشجار المتعلق بأمور الضيعة اليوم كله. أفكر بتكاسل.

١٤ أكتوبر.

بخير صحياً، ولكن هناك اضطراب كبير في إفراز العصارة الصفراء. صَحَّحت قليلاً في المساء. ثمة برودة بيني وبين صوفيا.

١٥ أكتوبر.

أعاني من العصارة الصفراء. صببت جام غضبي على الصيد. الصيد عملية مريعة. أنهيت التفكير في فصلين كاملين. لم أُصِبْ نجاحاً مع بريكوف ودولوخوف (من شخصيات الحرب والسلام). أعمل قليلاً. تحدثت بالأمس مع صوفيا. لا فائدة. إنها حامل.

١٦ أكتوبر.

قتلت أرنبين بريين. قرأت لهنريت جيزوت ويت (كاتبة فرنسية) وأدلتها الدينية، وكتبت أول مقالة عن فكرة استلهمتها من مونتين^(١٤٩).

١٧ أكتوبر.

محاولات صيد فاشلة حتى الغداء. لا أشعر برغبة كبيرة في الكتابة.

(١٤٩) مقالة قديمة لم تكتمل بعنوان "في الدين"، رصدت بدايات تشكل وجهات نظر تولستوي الدينية.

ولا أود أن أسوق نفسي بعنف من أجل لا شيء. أثناء الصيد فكرت في موضع لدولوخوف، وقد اتضح الآن.

١٨ أكتوبر.

أمور الضيعة سيئة على نحو مريع. ما العمل؟ لم أكتب شيئاً. قتلت ثلاثة أرانب.

١٩ أكتوبر.

سافرت صوفيا لتولا. الطقس دافئ وجاف. غريب جداً!

٢٠ أكتوبر.

أنهكت من الصيد. أعدت القراءة والتصحيح. الأمور تمضي على مايرام. تخلصت من مشهد دولوخوف. يسود التناغم بيني وبين صوفيا.

٢١ أكتوبر.

اليوم يشبه الأمس. قبالة المساء فكرت في مشهد دولوخوف. قرأت لديكنز. تانيا^(١٥٠) جميلة.

٢٩ أكتوبر.

لم أكن على مايرام. الصفراء. سوء الصحة يؤثر بشكل مريع على الحياة. كنت أكتب طوال الوقت ولكن بلا رغبة أو أمل. اليوم فقط تحسنت صحتي. تناولت القليل جداً من الطعام. لا يمكن أن يكون ذلك بسبب الإفراط في الطعام وحده. بدءاً من اليوم سأحاول الالتزام

(١٥٠) إحدى شخصيات رواية ديكنز "صديقنا المشترك".

في تناول الطعام وسأكتب. إنه اليوم الثاني لقيام صوفيا بالفطام (فطام الابنة تاتيانا).

٣٠ أكتوبر.

ضبطت نفس والتزام غذائي كامل، وتمارين. ما من ضجيج في أذني، وشعور بالراحة، ولكن هناك تجشؤ ولسان سيئ خاصة في الصباح. كتبت.

٣١ أكتوبر.

التزام غذائي صارم. نمْتُ جيدًا لكنني لم أتبوّل أو أتبّرّز. لسانني ملوث تمامًا، وشعرت بألم في الرأس. صُمْتُ وغضبتُ. وصل آل إيسلينيّف. لم أستطع الكتابة، لكنني تقدمت قليلًا. الطقس مريع. ثلج وصقيع ورياح.

١ نوفمبر.

نفس الالتزام الغذائي. صحتي بخير تمامًا وهو أمر نادر. كتبت كثيرًا إلى حد ما. أضع اللمسات الأخيرة على بيليّين، وأشعر بالرضى. أقرأ مقالة «العودة الحرة للسلطة» لدي ميستر (كاتب فرنسي).

٢ نوفمبر.

أحافظ على التزامي الغذائي. صعوبة بالتنفس ليلاً وجفاف بالفم، ولسان ملوث في الصباح. حالة صحية ممتازة نهارًا وتبرز جيد بالمساء. اليوم تعشيت باعتدال. أنهيت الجزء الخاص ببيليّين. رحل آل إيسلينيّف. أعدت قراءة «القوزاق» ومجلة «ياسنايا بوليّانا» باستمتاع.

٣ نوفمبر.

نفس الالتزام الغذائي. عشاء خفيف ونوم جيد. غازات وضجيج خفيف بالأذن، ولكن حالة لساني أفضل. طوال اليوم كنت أفكر جيدًا وأكتب قليلًا. ثمة شيء عدائي بيني وبين صوفيا.

٤ نوفمبر.

ما زلت أحافظ على نظام غذائي صارم، لكنني خرجت للصيد فأصبت بالبرد. ساءت حالة لساني بسبب ذلك أو ربما بسبب اغتسالي، وعاود الضجيج أذني. آلام في الأسنان. لم أكتب شيئًا تقريبًا.

٥ نوفمبر.

آلام بالأسنان، والالتزام الغذائي. بالصباح ذات المشكلة مع لساني. كتبتُ بطريقة جديدة بحيث لا أراجع مرة ثانية. أفكر في كتابة كوميديا. بشكل عام لا بد وأن أجرب طريقة الكتابة الجديدة بلا مراجعة. تعشيتُ، عبثًا على ما يبدو.

٧ نوفمبر (٦،٧).

لم أكتب شيئًا بالأمس. لم أكن على ما يرام، وبالتالي أهملت العمل. أحيانًا ما يبدو المرض وكأنه مجرد إصابة بالبرد. كتبت كثيرًا، وفشلت كافة المحاولات، لكنني أتقدم على أي حال.

٩ نوفمبر (٨، ٩).

نظام غذائي أقل وطأة بالأمس، لكنني عدتُ اليوم للنظام الصارم.

أنا بخير، خاصة رأسي. وفرة من الأفكار الجيدة بالأمس. كتبت الجزء السابق للمعركة^(١٥١) وكونتُ فكرة واضحة عن كل ما سيليه. اتخذت قرارًا هامًا اليوم يقضي ألا أنشر شيئًا قبل أن أنهي العمل كاملاً.

١٢ نوفمبر (١٠ - ١٢).

أكتب، وحالتي الصحية بخير. أنهيتُ الجزء الثالث، وقد تبلور الكثير مما هو قادم بوضوح في ذهني. قتلت أرنيين في نصف ساعة.



(١٥١) مشاهد المعسكر قبل معركة Schönggraben.

٥ نوفمبر.

إن الفنان؛ سواء كان فنان أصوات أو سطور أو ألوان أو كلمات، يجد نفسه في وضع مريع عندما لا يعود يؤمن بأهمية التعبير عن أفكاره. علام يعتمد هذا الإيمان؟ لا يعتمد على حب الأفكار، فالحب يربك، بينما هذا الإيمان صافٍ. أحيانًا ما يكون لديّ هذا الإيمان، وأحيانًا لا. لماذا؟ إنه لغز.

٦ نوفمبر.

أسير وسط الثلج المتساقط حديثًا. منذ فترة الشباب وقد تعودت على تحليل كل شيء وكذلك على التدمير بلا رحمة. كثيرًا ما كنت أخاف وأقول لنفسى إن شيئًا لن يبقى سليمًا بهذه الطريقة، ولكن ها أنا أهرم، وقد بقيت لي موضوعات سالمة تمامًا أكثر مما لدى الآخرين. ربما أداة التحليل لديّ كانت قوية أو أن الاختيار كان سليمًا، لكني على أي حال لم أدمر شيئًا منذ فترة طويلة، وما زال لديّ حب شديد لم

يُمسّ بسوء لامرأة واحدة، وللأطفال ولكل ما يتعلق بهم وللعلم والفن الحقيقيين دون أي اعتبارات فخمة، ولكن باعتبار اهتماماتي الحالية الساذجة بالصيد والقرية والخزف... أهذا كل شيء؟ هذا كثير جدًا. إن معاصريّ الذين يؤمنون بكل شيء بينما أنا أدمر كل شيء ليس لديهم ١٪ من ذلك.

١٧ نوفمبر.

دار بيني وبين سفيريف حديث عن الزيمستفو^(١٥٢). الإدارة تشعر أن السلطة لها وحدها. قرأت لجولز فيرن. لا يمكن تصور الحركة دون جاذبية. الحركة حرارة، ولا يمكن تصور الحرارة دون جاذبية. بعد الحياة الآن على المستوى الفيزيائي قد تكون الحياة بعد الموت على مستوى كيميائي.

١٨ نوفمبر.

نتعرف على الصوت بآذاننا بفضل الهواء، وعلى الضوء بأعيننا بفضل الإثير (على حد ما يقولون). نشعر بالحرارة في أجسادنا عن طريق دمائنا. أما الحركة والقوة فنذكرها بإرادتنا.

٢ ديسمبر.

أقرأ في الفيزياء. لعمود الهواء قوة ضغط. لكن السائل يتمتع

(١٥٢) تعني الحكم الذاتي. كان إلكسندر الثاني قبل اغتياله قد استحسن مشروع الدستور الذي وضعه الكونت لوريس ميليكوف والذي قضى بتحديد قيود على الحكم القيصري المطلق ومشاركة ممثلي الحكم الذاتي المحلي (زيمستفو) في إدارة الدولة.

بخاصية الضغط من كافة الاتجاهات^(١٥٣). لم أستطع فهم ذلك في طفولتي وظننت أنني غبي. ما زلت لا أفهم حتى الآن، لكنني أعتقد أنهم هم الأغبياء. هذا معتقد إيماني. إن آمنت بالتجسد وتحول الخمر لدم فلن تكون نهاية لهذا الهراء^(١٥٤).

ماذا يعني ذلك إذن؟ يصنع الهواء قوة في مساحة مغلقة مفرغة من الهواء محكمة الغلق. هذا ما في الأمر. إن أردت أن أوقف جوادًا، وألقاني من على متنه سأقول ببساطة: لقد واجهتُ قوة وأعرف ماهيتها تحديدًا. إن ذهبت للنهر وجدفت بسرور، فهناك ما ينتج ضغطًا. سأقول حينها: إنها قوة. لمن هذه القوة؟ إنها قوتي أنا الذي أُجَدِّف. إن صنع الهواء ضغطًا، أقول إنها قوة تحمل الهواء، ولكن ما الهواء؟ إنه قوة. ما الذي يحاول فعله وكيف يعمل؟ بقدر ما أعرف فإنه يحاول أن يفيض على الأرض بالتساوي تحت تأثير الجاذبية، وهذا يعني أن هناك مزيجًا بين قوتين: قوة الهواء والجاذبية. وما الجواد؟ إنه مزيج من قوتين: قوته الشخصية وقوة الجاذبية. لا يمكن تصور الجواد والهواء دون هذين المفهومين: الجواد والهواء - الجاذبية.

(١٥٣) غير واضح المعنى المقصود تحديدًا. بشكل عام: ضغط الغاز والسائل يمكن حسابه بمعادلة واحدة: الضغط = الكثافة × الارتفاع × عجلة الجاذبية. الفارق يتلخص في أن كثافة الغاز بسيطة للغاية وبالتالي تأثيره لا يكون عظيمًا لو أنه في حاوية صغيرة وساعتها لا يعود التأثير لتلك المعادلة بقدر ما يعود لسرعة حركة الجسيمات التي تتأثر بالحرارة لو أننا قمنا بتسخين حاوية فإن الجسيمات ستتحرك أسرع وبالتالي ستضغط الوعاء أقوى.

(١٥٤) يقصد تجسد المسيح وتحول الخمر في سر التناول لدم المسيح حسب المعتقدات الأرثوذكسية.

أليست هناك قوة أولية واحدة تنبع منها كافة القوى الأخرى (الحرارة - الكهرباء - الجاذبية... إلخ)؟ قوة دائرية الأرض. الجاذبية الأرضية والمرونة... إلخ، جميعها قوى التحام الأجزاء، كما هو الأمر مع كأس يدور داخل حلقة.

إن ظن إنسان أن حياته هي مجرد ظاهرة زائلة (صوت قيثارة أفلاطون^(١٥٥))، فهذا بسبب أن حياة الناس جميعاً تبدو له مجرد صوت قيثارة، ولكن إن كان يُحِبُّ أو يُحَبُّ، فحينها تتخذ حياته معنى أعمق بالنسبة له.



(١٥٥) في محاوراة أفلاطون "فيدو" يُشَبَّه الجسد بقيثارة والنفس بالنغمات التي تنتجها القيثارة. إن تحطمت القيثارة تزول النغمات.

١٧ إبريل (ياسنایا بولیانا).

بعد مرور ثلاثة عشر عامًا أود أن أعود ثانية لتدوين يومياتي. ذهبت للصلاة بالأمس (عيد القيامة) وقرأت ملاحظات فينيفيتنوف^(١٥٦). تنزهت مع فاسيلي إيفانوفيتش. تحدثنا عن أمره، في المساء ذهبنا جميعًا مع الأطفال للصيد في غابة زاكاز. قرأت لبولوتوف ويوميات بوتشاروف. يبدو أن كل شيء واضح كي أبدأ. استيقظت اليوم في العاشرة وقرأت وبدأت أكتب، لكنني أصبت بالبرد وشعرت بالضعف الجسماني والذهني. خرجت لأتنزه، فوجدت الطقس باردًا، فعدت. تحدثت صوفيا مع يelizافيتا إلكسندروفنا، وسُررت بتقديم خدمة إليها. إنهم يدحرجون بيض العيد. سأكتب بعض الخطابات.

٥ مايو.

بالأمس لم أساعد عجوزًا من تيلياتينو. دار بيني وبين فاسيلي إيفانوفيتش حديث فارغ. تباهيت بفكرة وتشاجرت مع صوفيا. اليوم

(١٥٦) عن تاريخ حركة الديسمبريين، ففي هذا الوقت بدأ تولستوي روايته التي لم يكملها: "الديسمبريين".

غضبت من إلكسي (مدير الضيعة) ورئيس العمال بسبب الحفر السيئ الذي تم حول أشجار التفاح. في الصباح قرأت مذكرات فوزنفينا^(١٥٧). أن يكرس المرء نفسه لله أمر صائب وخطير.

٢٢ مايو.

راودتني أفكار ومشاعر مؤلمة وهامة بعد حديثي مع فاسيلي إيفانوفيتش عن سيريوجا (ابن تولستوي الأكبر). كافة الدناعات التي ارتكبتها في شبابي، جعلتني أرتجف رعباً وأشعر بالآم الندم. لقد تعذبتُ طويلاً. ذهبت لتولا مع سيريوجا وتحديثُ معه. بدأتُ أستيقظ مبكراً وأحاول الكتابة دون جدوى. ربما السبب أنني لست بخير صحياً، ولكن يبدو أنني مليء تماماً بما هو طيب. أنهيت بولوتوف. قرأت لبارفين (رئيس رهبان). تكشف لي فكرة الانشقاق عن الكنيسة أكثر فأكثر أهمية تلك الفكرة التي مفادها أن علامة مصداقية الكنيسة تكمن في وحدتها العامة، ولكن تلك الوحدة لا يمكن تحقيقها بقيامي أنا أو غيري بتوجيه الآخرين جميعاً إلى نظرتنا إلى الإيمان، وهذا ما حدث حتى الآن، فكافة الانشقاقات التي حدثت (الكاثوليكية- اللوثرية وغيرها) هي نتاج لذلك، لكن الوحدة لا يمكن أن تتحقق إلا عندما يطرح كل إنسان أسباب الانشقاق من داخله بعيداً عندما يلتقي بما لا يوافق وجهة نظره، وأن يحاول أن ينتزع من غيره قاعدة أساسية يمكنهما الاتفاق عليها. لذا فالخلاف على أن يكون الصليب ذا أربعة أطراف أو ثمانية،

(١٥٧) زوجة أحد الديسمبريين، وقد رافقته إلى المنفى.

وما إن كان الخمر يتحول لدم فعلاً أو أن الفعل مجرد ذكرى^(١٥٨)، يشير لنفس الأمر.

حضرتُ القُداس يوم الأحد. يمكنني أن أجِد التفسيرات التي تلائمني لكافة صلوات الكنيسة، ولكن الصلاة من أجل إطالة عمر الحاكم واستعباد الأعداء هي بمثابة تجديف على الله. على المسيحي أن يصلّي من أجل أعدائه لا أن يدعو عليهم.

قرأت الإنجيل. في كافة المواضع يقول المسيح إن كل ما هو زائل مزيف، وإن هناك شيئاً واحداً أبدياً، أي حقيقي. نجد هذا في «طيور السماء....»^(١٥٩) وغيرها من المواضع. النظرة التاريخية للدين تدمره تماماً.

الأطفال: إيليا وتانيا يتبادلان الأسرار. إنهما غارقان في الحب. كم يبعثان على الرعب والحماقة والطف!

بدأت أكتب «حياتي»^(١٦٠).

١ يونيو.

زوار الصيف: ماشينكا وفارينكا وتانيا وآل سفيريف، وإيسلينييف وإيسلافين وبوبرينسكي وأروسوف. المكان يعج بهم جميعاً وأشعر

(١٥٨) خلافات بين الكنائس المختلفة، والخمر هنا مقصود به سر التناول، ففيما يؤمن الأرثوذكس والكاثوليك بتحول الخمر لدم المسيح فعلاً، تعتقد كثير من الطوائف البروتستانتية أن هذا الفعل مجرد إحياء لذكرى ما فعله المسيح في العشاء الرباني.

(١٥٩) ربما يقصد متى ٢٦: ٢٦: «انظروا إلى طيور السماء: إنها لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع إلى مخازن، وأبؤكم السماوي يقوتها. ألسنم أنتم بالبحري أفضل منها».

(١٦٠) عمل لم يتم، مستمد من ذكريات الطفولة.

بالانزعاج. بالإضافة إلى ذلك أندريوشا مريض (ابن تولستوي). أبنني
كوخًا في غابة شيبيز. طوال هذا الوقت لم أمسك القلم. في الحقيقة
كتبتُ بعض الخطابات. أقرأ لبارفيني.

٣ يونيو.

جاء بوبرينسكي. لقد عذبنني بحديثه عن الدين والعالم. إنه مولع
بالحديث. قدرته على مدهانة ذاته مدهشة. إنه مهم بالنسبة لي؛ لأن
شخصيته توضح لي بجلاء ضلال أساسيات الإيمان بالكلمة؛ الكلمة
وحدها. بالأمس كتبت كثيرًا إلى حد ما عن الإيمان في دفتر صغير، ولا
أعرف لماذا.



٢٢ ديسمبر.

في موسكو مجدداً. عانيت مجدداً من عذابات روحية مريعة لأكثر من شهر، لكن ذلك لم يذهب هباءً.

إن أحببت الله والخير (وأنا أعتقد أنني بدأت أحبه)، فعش به، وجد السعادة والحياة فيه، وحينها ستجد أيضاً أن الجسد يقف عائناً أمام الخير الحقيقي؛ ليس أمام الخير نفسه، بل يقف عائناً أمام القدرة على رؤيته ورؤية ثماره. ما إن تولي عنايتك لثمار الخير، حتى تتوقف عن فعله، والأكثر من ذلك أنك كلما نظرت إلى الثمار كلما دمرت الخير وأصابك الكبرياء والقنوط. لن تفعل الخير الحقيقي إلا عندما لا يكون بإمكانك تدميره. يتوجب عليك أن تدّخر منه قدر ما تستطيع. ألقِ ببذورك، ألقِ ببذورك، واعلم أنك لن تكون الحاصد. أحدهم يزرع والآخر يحصد. أنت أيها المدعو ليف نيكولايفيتش لن تحصد. إن حصدت وأزلت العشب الضار ستفسد المحصول. ألقِ ببذورك، ألقِ ببذورك. إن ألقيت بذوراً ربانية، فما من شك في أنها ستنمو. ما كان يبدو لي قاسياً من قبل؛ أي حقيقة أنني لن أرى الثمار، لا يبدو لي الآن

(١٦١) اضطرت لحذف يوميات ١٨٨١. الجزء الأغلب منها عبارة عن ذكر أسماء وأوصاف متسولين التقى بهم تولستوي بالإضافة إلى الاقتطاع الشديد في مواضع كثيرة منها.

فقط غير قاسٍ، بل يبدو لي خيرًا ومنطقيًا. كيف كان من الممكن لي أن
أُمَيِّز الخير الحقيقي (الرباني) عن غير الحقيقي، أنا الإنسان الجسدي،
إن كان بإمكانني أن أستفيد من ثماره؟

اتضح الأمر لي الآن: ما تفعله بحب دون أن ترى ثماره هو لا
شك فعلٌ ربانيٌّ. ألقِ ببذورك، ألقِ ببذورك، وسَيُنَمِّيها الله الذي يحيا
بداخلك، لا أنت أيها الإنسان.



١ يناير.

يحدث كثيراً أن تخطر لي أفكار فور أن أستيقظ من النوم تُجلي لي ما كان غامضاً، فأشعر بالسرور لإحرازي تقدماً.

هذا ما حدث مؤخراً مع فكرة «الملكية». لم يكن بإمكانني أن أفهم طبيعتها مطلقاً. الملكية - كما هي الآن - هي محض شر، ولكن الملكية في حد ذاتها والسرور بما استطعت صنعه خير. اتضح الأمر لي الآن. لم يكن لديّ ملاعق، ولكن كانت لديّ قطع خشبية، فأمنت التفكير واستطعت صنع ملعقة. أهنأك أدنى شك في أنها ملكي؟ مثلما نقول أن هذا عش الطائر الفلاني. إنه يريد الاستفادة منه كما يشاء. ولكن الملكية التي يتم حمايتها بالعنف من قبل رجل شرطة يمسك بعصا في يده هي شر. اصنع ملعقة وتناول بها طعامك طالما غيرك ليس في حاجة إليها. هذا واضح. يصبح السؤال صعباً إن صنعت عصا من أجل أعرج، واستولى عليها سكير يريد أن يكسر بها الأبواب. أول ما عليك فعله هو أن تسأل السكير أن يترك العصا. كلما ازداد عدد الناس الذين يطالبونه بذلك، كلما ازداد احتمالية أن ينتهي أمر العصا مع من يحتاجها فعلاً.

اليوم ماتت فارفارا جودوفيتش. ماتت بصورة نهائية، بينما أنا
وجميعنا متنا لعام، ليوم، لساعة. نحن نعيش، وهذا يعني أننا آخذون في
الموت. العيش بصلاح يعني الموت بصلاح. عام جديد! أتمنى لنفسي
وللجميع أن نحظى بموتة صالحة!



شهر مارس.

ذات ليلة خرج فلاح ورأى نارًا تتوهج أسفل إفريز سطح المنزل.
صاح، فهرب رجل من أسفل الإفريز. تعرف عليه الفلاح؛ إنه جاره
وعدوه، وركض إثره. بينما كان يركض خلفه أمسكت النيران بالسطح،
واحترق المنزل والقرية بأكملها.

أمثال صينية:

لا يمكن للفأر أن يشرب من النهر بأكمله أكثر مما تستطيع بطنه أن
تحتمل. (الثراء).

من الأفضل ألا تقوم بشيء لا تستطيع قوله.

إن هجرت الله، فليس بإمكانه أن يساعدك.

عندما تريد أن تشرب، لن يكون لديك وقت لتحفر بئرًا.

الأحاديث المعسولة سم، والمرة دواء.

البيضة قوية، لكنها رغم ذلك ستفقس، وسيخرج منها الكتكوت.

من يُعوّل على الأفضل، ينل شيئًا لا بأس به. ومن يُعوّل على ما لا

بأس به، لن ينال شيئاً أبداً.

لا يمكن لبرميل زيت القطران أن يحوي سوى القطران.

الصلاح يزداد صلابة بالواجبات.

يمكن للمرء أن يعيش على مال الغير وقتاً قصيراً، لكنه بإمكانه أن يعيش على عمل الآخرين طويلاً.

افتح كتاباً، ولا بد أنك ستعرف شيئاً.

الإنسان الحقيقي دائماً كالطفل.

تجلب السعادة سروراً للذكي، وحزناً للغبي.

لَمْ نفسك على ما تلوم الآخرين عليه، واصفح للآخرين على ما تصفح لنفسك عنه.

مما كتبه لاو تسو(*):

عندما يولد الإنسان يكون مرناً وضعيفاً، وعندما يكون صلباً وقوياً يموت.

عندما تولد الأشجار تكون مرنة وغضة، وعندما تجف وتقسو تموت. الصلابة والقوة يلازمان الموت، أما المرونة والضعف فيلازمان الحياة، لذا فالقوى هو مَنْ لا يهزم أحداً.

عندما تصبح الشجرة قوية، يقطعونها.

القوي والعظيم غير مهم، أما المرن والضعيف هو المهم.

(*) لاو تسو: هو مؤلف كتاب الطاو والفضيلة المشهور. «المحرر».

انتهيت الآن من قراءة كتاب تعليمي صغير عن تاريخ العصور الوسطى والتاريخ الحديث. أ هناك في العالم كله كتاب مثير للرعب أكثر من ذلك؟ أ هناك كتاب يمكن أن يكون أكثر ضررًا للصغار من ذلك الكتاب؟ هذا ما يُدرّسونه. لم أستطع أن أعود لحالتي الطبيعية طويلاً بعدما انتهيت منه. قتل وتعذيب وخداع ونهب وزنى ولا شيء آخر.

يقولون إنه من الضروري للإنسان أن يعرف من أين تحدّر. ولكن هل أي منا قد تحدّر من ذلك؟ المكان الذي تحدّرت منه أنا والجميع بما لدينا من وعي للعالم من حولنا غير موجود في هذا التاريخ الذي يُدرّسونه. إن دراسة ذلك لا تفيدني بشيء.

كما أنني أحمل بداخلي كافة السمات الجسمانية لأسلافي، ف كذلك أحمل بداخلي كافة نشاطهم الفكري (التاريخ الحقيقي). أنا وكل واحد على دراية به. إنه بداخلي كاملاً، يأتيني عبر البنزين والتلغراف والجريدة والكبريت والحوار وشكل المدن والقرى. أيمكن أن يكون الإنسان على دراية بهذه المعرفة؟ نعم، لكنه يحتاج من أجل ذلك إلى دراسة تاريخ الفكر، وهو أمر يمكن أن يحدث بمعزل تمامًا عن هذا التاريخ الآخر. إن هذا النوع من التاريخ هو بمثابة صورة فظة للتاريخ الحقيقي. حركة الإصلاح الديني كانت بمثابة انعكاس فظ عرضي لعمل الفكر الذي يُحرّر الإنسان من أسر الظلام. إن لوثر بكل حروبه وليالي مذابح برثلماوس ليس له مكان وسط إرازموس وبوثيوس وروسو... إلخ.

من الفيدا (١٦٢):

الحياد والبقر والبشر والأفيال، وكل ما يحيا ويتحرك ويسبح ويطير، وكل ما لا يتحرك حتى مثل النبات والعشب؛ الكل بمثابة تجلٍّ للعقل. الكل قد تشكل بالعقل. العالم تجلٍّ للعقل، والأخير قاعدة الأول. العقل هو الوجود الحقيقي الوحيد. مَنْ يلتصق بالعقل ويخدمه، يهجر عالم التجليات إلى عالم آخر سعيد وحر ويصبح خالدًا.

لا يذكر كونفوشيوس شيئًا عن شانغ تي (الإله الشخصي)، بل يتحدث دائمًا عن السماء، وهذه هي علاقته بعالم الروح: يسأله: كيف نخدم أرواح الموتى؟ أجابهم قائلاً: كيف يمكنكم خدمة الموتى حينما لا تستطيعون خدمة الأحياء؟ وعندما سأله عن الموت، أجاب: ما نفع السؤال عن الموت وأنتم لا تعرفون الحياة؟ سأله: أيعرف الموتى عن خدمتنا لهم؟ قال: إن قلت إنهم يعرفون أخشى أن يُبدد الأحياء حياتهم في خدمتهم، وإن قلت: لا يعرفون، أخشى أن تنسوهم كلية. لا حاجة بكم لمعرفة ما يعرفه الموتى. ستعرفون كل شيء في الوقت المناسب. ما الحكمة؟

الحكمة هي أن يمنح الإنسان نفسه لخدمة الناس ويلتصق بما يدعونه العالم الروحي.

التوجيه يعني التصحيح. إن قُدت الشعب بطريقة صحيحة، فمن سيجرؤ على العيش باطلاً؟

(١٦٢) الكتاب المقدس للديانة الهندوسية.

كان هناك لصوص كثيرون، فتساءل الناس: كيف يمكننا التخلص منهم؟ أجاب كونفوشيوس قائلاً: «إن لم تكونوا أنتم أنفسكم جشعين، وإن كنتم قد دفعتم لهم ما يلزمهم من مال، لما أقدموا على السرقة».

سأله: أحسن أن نقتل الأشرار من أجل خير الصالحين؟ أجاب: «ولماذا القتل؟ فلتكن رغباتكم خيرّة، وكل شيء سيكون خيرًا. أسماك كالريح، وأدناكم كالعشب. الريح تُدوي، والعشب تطوُّه الأقدام».

سأله: ما الأسمى بين الأشياء وبين البشر؟ قال: «الأسمى هو مَنْ أو ما يُقدَّر الصلاح ويرفع من شأنه. إنه مَنْ يحترق الشر دون تفكير».

١٨/٦ مارس (موسكو).

انتهيت من ترجمة لاو تسو. النتيجة ليست كما توقعت. جاء أوزميدوف (ناسخ). إنه يعيش في الريف مع أسرته في فقر ولكن بسعادة. جمعت بعض العطايا من القرية من أجل فقير مقعد يعيش مع أسرته. لم أنم ليلاً. غفوت قبل الغداء، ثم ذهبت بعده إلى أوسوف. إنه إنسان بسيط ومعافى وقوي. لديه بعض العيوب، لكنها ليست راسخة. إنه يشاركني نفوري من مجتمع الرسميات الذي يدعو إليه خطاب شيبكين^(١٦٣).

ذهبت بعد ذلك إلى الممشى. جاء الأخوان فورتوناتوف، ويوريف وآل لاباتين. قضيت أمسية غير مجدية. في المساء قرأت ليليزافيتا سالياس عن كودرياتيف. رائع. خطايا: تبطل وشهوانية طوال اليوم - شعور بالكراهية ل: (ف). جاءني خطاب من شيبكين. غير واضح ودوافعه

(١٦٣) دار الخطاب عن فكرة التعليم الشعبي التي دعا إليها تولستوي بدلاً من المؤسسات الهادفة إلى حصر المجتمع داخل أطر الرسميات.

ليست جيدة. وجاءني خطاب من كوفاليفسكي ومن الطبيب النفسي:
خاركوفسكي.

١٩/٧ مارس.

قرأت عن كونفوشيوس. استيقظت في وقت متأخر جدًا. ذهبت إلى
أمينفو على متن الجواد ذهابًا وإيابًا. الجميع يعملون، بينما أنا وحدي
من يتنزه. تغديت مع فارينكا (ابنته الكبرى) وزوجها. شعرت بالضعف
طوال اليوم. بالمساء عملت على صنع الحذاء على نحو جيد. جاء
إيليا وليف (ابنا تولستوي) وعملنا جميعًا بسرور. جلسنا لشرب الشاي
مع الأطفال الأكبر عمرًا. ذهبت لأولسوفيف وأعطيته كتبًا، ثم التقيت
بسيريوجا (شقيق تولستوي) وكوستينكا وناجورنوف وأبولينسكي.
تحدثنا بهدوء والحمد لله.

خطايا: قرأت خطابًا لروولستون^(١٦٤). لم أستمع لصوفيا حتى
النهاية فشعرت بالظلم. اشتعلت غضبًا لبرهة من الوقت. استيقظت
بتكاسل ولم أرتب غرفتي.

٢٠/٨ مارس.

استيقظت في التاسعة، ورتبت غرفتي بسرور. ما يتوجب عليّ فعله
أؤديه بخجل؛ أقصد حمل القدر. غفوت. ذهبت بارانوفسكي بشأن إيلين
(ابنة أخي تولستوي). يتحطم الفقير بالثروة... هذا هو بارانوفسكي.

(١٦٤) ويليام رولستون: كاتب إنجليزي وكان على علاقة بتورجينيف ثم تولستوي، وتولستوي هنا يقصد أنه قرأ أمامه خطابًا قد وصله من تورجينيف.

عرجت على سيريوجا. تناولوا غداءهم، فتغديت بالمنزل. أمضيت وقتاً طويلاً في الحياكة وصنع الأحذية بسرور. في الحادية عشرة مضيت لسيريوجا وتحديثنا بود. شربت نبئداً أكثر من المعتاد. لا أذكر أنني فعلت شيئاً شريراً. بل إنني سخرت كثيراً من بوينوس والثرثرة. بالنسبة للخطابات فما من أمر هام. لا، بل هناك خطاب أورو سوف. إنه جيد.

خطايا: تباهيت أمام أخي سيريوجا قائلاً إنني لو أردت، لربحت مليوناً كي أعطي كوستينكا.

٢١/٩ مارس.

نمت حتى الثانية عشرة. جاء جوريفيتش^(١٦٥) وهو مهاجر يهودي. يود أن يجد ما يربط بين اليهود والروس. لقد وُجد مثل هذا العامل منذ زمن طويل.

قرأت عن الصين ومضيت إلى المدينة على متن الجواد. الجميع يعملون سواي. شعرت بالضعف في المساء. لم يصل الإسكافي^(١٦٦). ذهبت للمغسل وقرأت للاو تسو. يمكنني أن أترجم عمله، ولكن ليس كاملاً. كان سيريوجا معنا. إنه طيب ولطيف. في الصباح ذهبت للإسكافيين. إنهم يعملون في القبو بهمة وسرور، ويشربون الشاي. الجميع يعملون سواي. سأنام.

خطايا: كبرياء وتبطل. ارتبك فلاح سمارا، لكن الأمور مضت

(١٦٥) عضو إحدى الجماعات الاشتراكية السرية.

(١٦٦) ليعلم تولستوي كيف يصنع أحذيته بنفسه.

بخير. جاءني خطاب من تشير تكوف يدعوني فيه لكتابة وصايا للشعب. يبدو أن الأمر ضروري. الأمر يأسرني، لكنني لا أعرف. جاءني خطاب مؤثر من كيف من زوجة وكيل نيابة. آه لو كان هذا حقيقياً؟

٢٢/١٠ مارس.

استيقظت مبكراً، ورَبَّتْ غرْفتي. سكب أندريوشا الحبر ووبخته. لا بد أن وجهي كان ينفث غضباً. سرعان ما غادر ميشا الغرفة. ناديته كثيراً لكنه لم يأت، وانشغل برسم لوحة. بعد أن أرسلته للحجرة سألتُ تانيا عنه وصاحت فيه، فغادر الغرفة. استدعيته ثانية، فقال: ”لا، لا أريد... أريد أن أبقى معك“. تسوء الأمور حينما يسود الغضب. غادر بعدها المكان بنفسه دون غضب أو حزن، فما حدث لا يمكن أن يُعكَّر من صفو أفراده ومشاغله في الحياة في هذا العمر. علينا أن نكون كالماء مثلما يقول لاو تسو. عندما تلقى عوائق تتجاوزها، وعندما تلقى سداً تتوقف. عندما ينهار السد تعود لتجري ثانية. عندما تدخل إناءً مربعاً تأخذ شكل مربعاً، وتتخذ شكلاً دائرياً في الإناء المستدير. لذا هي أهم وأقوى من أي شيء آخر. كنت أقرأ لإرازموس. كم كان إصلاح لوثر الديني غيباً! إنه احتفال بضيق الأفق والحماقة. إن فكرة الخلاص من الخطية الأولى والإيمان بتفاهة الأعمال الصالحة ليست أكثر سوءاً من كافة خرافات الكاثوليكية. التعليم عن علاقات الكنيسة والدولة مربع في حماقته، ولا يمكن أن يصدر إلا عن حماقة. وقد كانت بالفعل نتاج اللوثرية. طلبت بعض قوالب الأحذية. الجميع يعملون حتى الصبي. سمعت سيد المكان يقول: ”الحياة مستحيلة دون عمل“. لم أكن

على ما يرام أثناء الغداء لكنني لم أسيء لأحد. في الواقع أسأت قليلاً لإيليا. استغرقت في القراءة. جاءت كل من كاتينكا وليليا وقرأت لهما من لاو تسو. ثم جاء أخي سيريوجا. ذهبنا معاً لليونيد (أبولينسكي). كانت بنات إخوته هناك، وبدون هادئات وطيبات. لست على ما يرام تماماً. أود أن أنتحب بشدة على حياتي الشريرة وأن أتلقي اللوم. كتبت خطاباً لتشيرتكوف. يبدو جيداً؛ أي غير مزيف. من الحسن لو كتبت هذا الكتاب الذي اقترحه. لا بد وأن أكتبه حتى يصبح محفزاً نقيّاً تماماً. قرأت في التوراة اليهودية. بدأت أنسى اللغة العبرية. جاءني خطاب من أوروسوف عن تفسير الإصحاحات الثلاثة الأولى من سفر التكوين (أول أسفار التوراة). جيد جداً.

٢٣/١١ مارس.

استيقظت مبكراً، ورُتبت غرفتي. هرع الأطفال ليساعدوني من تلقاء أنفسهم. أنهيت قراءة إيرازموس. تنزهت على متن الجواد. غفوت، ثم وصل الضيوف: كوشنارييف (صحفي وصاحب دار نشر) وخوميالكوف وسوخوتين ورفقة أخرى كبيرة. تحملتهم بهدوء. غضبت من سيريوجا وتانيا اليوم، وهو أمر سيئ. مشاعر اللوم والتوبيخ تتراكم داخل نفس زوجتي. أمر سيئ.

تعاليم كونفوشيوس عن التوسط مدهشة. إنها تماثل تعاليم لاو تسو عن تحقيق قانون الطبيعة. هذه حكمة، هذه قوة، هذه هي الحياة. وتنفيذ هذا القانون لا يصدر صوتاً أو يطلق رائحة. إنه يتم في حينه ببساطة ودون أن يلاحظه أحد، ودون جهد ولذلك فهو جبار. لا أعرف

ما الذي سيحدثه ذلك في معرفتي، لكن لا بد أنه أسداني خيرًا كثيرًا. الإخلاص والوحدة سمتاه، لا الازدواجية. إنه يقول: السماء دائمًا ما تسلك بإخلاص. جاءني خطاب من تشيرتكوف. إنه غير راضٍ، ويطلب النصح بشأن أمور ضيعته. كتبت له.

٢٤/١٢ مارس.

استيقظت في وقت متأخر. لم أرَّب غرفتي بمفردي. شاركني الأطفال. لم أعد أتحمّل الخزي. أشعر بالغضب من تانيا بسبب خطاب رولستون. أمر دنيء. لا بد وأن أكتب بنفسي. قرأت لليج "عقيدة التوسط".^(١٦٧) مدهش. جاء فيسيلوفسكي يطلب ترجمة أنا كارينينا. كتبت خطابًا ويوميائي. مضيت لأوروسوفا. أردت العروج على ميلنيتسكي^(١٦٨). أشعر بالتردد حيال رغباتي، وبالتالي أسلك بعدم إخلاص، وبالتالي بوهن. كم كان تعبير لاو تسو واضحًا وقويًا بدرجة مدهشة حينما قال أن السماء جبارة تصنع كل شيء، ولذلك فهي دائمًا تسلك بإخلاص! التقيت بإيفانوف عند أوروسوفا. بعد غداء معتدل ذهبت للإسكافيين ولشراء بعض السلع. بدأت الحياكة بمفردي ثم جاء أوروسوف ومكث حتى الثالثة والنصف. أنهكت بشدة. معارف كثيرة، وعقول عظيمة، لكن كم من الاتجاهات الزائفة! كما لو أن روحًا شريرة قد أفسدت فيه مجال الفكر المثمر تمامًا وحرمته منه. إنه في حاجة لكثير من القوى في هذا المجال، وهذا أمر حسن. إنه يتمسك بالحقيقة

(١٦٧) Doctrine of the Mean - جيمس ليك. عالم إنجليزي متخصص في الحضارة الصينية.

(١٦٨) ابن لإحدى مريبات المنزل القوازقية، وحُكِم عليه بالنفي لسيبيريلا لاختلاس أموال رسمية.

دون وعي ويؤمن بامتلاكه إمكانية العمل في هذا المجال. مر اليوم على نحو جيد إلى حد ما. لم أفعل شيئاً يستحق اللوم، بل نسيت... فعلت: تجادلت بحدة عند الإسكافي بشأن الرواتب في المدينة. كذلك عدم الوضوح وعدم الإخلاص عند شراء البضائع من المتجر.

٢٥/١٣ مارس.

استيقظت في الثانية عشرة. الغرفة غير مرتبة. ربّتها بمفردي. أتانى تاجر ومعه النقود. جاءني تانيا ومعها كتاب لتطرح عليّ أسئلة. انتهزت الفرصة لأكتب الحقيقة. سأذهب إلى البنك، وربما بعدها إلى سامارين. عرجت على مكتبة تباع الكتب المقدسة.

خطايا: تكبرت بما لديّ من معرفة أثناء الحوار. تغديت بالمنزل. كان الأطفال يشيرون ضحيجاً بسرور شديد... حماقة. غفوت. جاء الإسكافي وعملتُ جيداً. لم أتعامل بطريقة جيدة مع ما هو مكتوب لدى تانيا في دفترها.

٢٦/١٤ مارس.

استيقظت في الحادية عشرة. ربّت غرفتي. لا أشعر بالرضى عن حياتي، وقد تراكمت التوبيخات. قرأت في «مذكرات وطنية». «لا بد وأن تدخل الظواهر النفسية في دائرة الحياة»^(١٦٩). هذا صحيح، ولكننا لن نعرف على هذه الظواهر إلا عندما يمكننا أن نفهم علاقتها بدورة الحياة. إنها معروفة، معروفة للغاية حتى إنه يتوجب علينا أن نعرف

(١٦٩) الاقتباس من مقالة مذكرات وطنية لميخايلوفسكي.

بذلك كي نحسم بعض الأمور في دورة الحياة. كل دورة حقيقية. ولكن هناك بداية للحركة وبداية للسكون. بالنظر إلى العالم، لا بد وأن أعترف بالقوة والمادة. عندما أحاول تعريف كل منهما أجد نفسي قد توغلت داخل إطار ميتافيزيقي عن مصدر القوة والمادة غير المفهوم. ولقد وصلت إلى هذا الهراء لسبب واحد؛ ألا وهو أنني لم أعترف بنفسى والتي تعد قوة أولية وجوهر غير مفهومين. المادة والقوة يتفقان في أنهما غير مفهومين، ولكن ليس في أي مكان، بل في الاتساع والوقت اللا نهائيين، وفي داخلي. أنا قوة تعي نفسها، وجوهر يعي وجوده، لذلك لا أرى إلا دورة القوة والمواد. الأمر غير مفهوم! ذهبت لتبديل النّعال. بعد الغداء انشغلت بالعمل. صبيت شايًا. أنهيت قراءة سبعة إصحاحات من الأسفار اليهودية، ثم نمت.

من المريع قول ذلك، ولكن يمكن أن أجد في نفسي شروراً أستحق اللوم عليها. إنها تراكم داخل نفسي، لكنني لا أفهمها. حديثي بالأمس عن الثراء مع صوفيا مثال على ذلك.

٢٧/١٥ مارس.

استيقظت في الثامنة وأردت أن أكمل نوم حتى الحادية عشرة. قرأت في كتاب جولوخفاستوف ضد إنجلهارتد. بعض المواضيع به جيدة، ولكن كم هي مريعة مرارة الجدل! إن ذلك درس لي، وأنا أشعر بالتقرز من مرارة كتابي الأخير^(١٧٠). لا بد وأن أكتب بوضوح واختصار. إنني أعزو حالتي الأخلاقية الجيدة إلى قراءة كونفوشيوس، وبشكل خاص:

(١٧٠) حقيقة إيماني.

«لاو تسو». لا بد وأن أجمع «حلقة قراءة» لنفسي من: «إبيكتيتوس -
ماركوس أوريليوس - لاو تسو - بوذا - باسكال - الأناجيل»، فهذا أمر
لازم ينفع الجميع. إنها ليست صلاة قدر ما هي مقدمة^(١٧١).

ذهبت على متن الجواد إلى أكاديمية بتروف. لقد رحلت
إيفانيوكوفا. تحدثت قليلاً مع زوجة ينجول (مؤلف كتب تعليمية).
دار بيننا حديث شيق عن ضرورة العمل بالنسبة للأطفال. وصلت في
وقت متأخر. أقبلت على العمل بعد الغداء، لكنني لم أستطع في غياب
ديمتري (إسكافي يعلم تولستوي). وصل جوريفيتش. تحدثت معه
حديثاً تافهاً. بطالة... كان لا بد وأن أتخلص منه مبكراً. بعدها عرجت
على أوسوف، لكنني لم أجده وانتظرته لساعة. دار حوار تافه منحرف
آثم. كان لغواً فارغاً وتباهياً بمعرفتي وحدة ذكائي. شاركت فيه تماماً،
وخرجت منه يلازميني شعور بالخزي. الأمر ليس على ما يرام أيضاً في
المنزل. خزي! جاءني خطاب من تشيرتكوف وخطاب آخر لطيف من
شبينجلر (مدرس قروي). لم أنم حتى الخامسة.

٢٨/١٦ مارس.

استيقظت في وقت متأخر. كنت أقرأ في مقالة جوريفيتش. سيئة!
نغمة المهاجر فيها متغطرة ومبهمة. تَغَيَّرُ رؤية العالم عند اليهود مثيرة.
نعم، لن يربح شيئاً من استبدال المجمع اليهودي وتلموده بالمدرسة

(١٧١) في أعوام ١٩٠٠ صدرت بالفعل عدة أجزاء من حلقات القراءة المذكورة، بالإضافة إلى
كتاب «طريق الحياة» الذي يضم أقوال تلك الشخصيات بالإضافة لأقوال تولستوي، وتمت
ترجمته بالفعل من قبلي، وصدر عن آفاق للنشر.

الثانوية ودروس قواعد اللغة فيها. الأمر الجيد الوحيد هو أنهم لا يصدقون ذلك في المدارس الثانوية والجامعات. يبدو أن اليهودي قد تحرر من كل ذلك، لكن ذلك لن يستمر طويلاً. الأمر يشبه أن تخلع الثياب الشتوية. في الدقيقة الأولى تشعر بمزيد من الراحة، وبعد ذلك لا يفارقك الخجل. بعد الغداء مضيت إلى الإسكافي. كم يبدو منيراً وسامياً أخلاقياً في ركنه المظلم القذر هذا! يعمل معه صبي، بينما تُرضع زوجته طفلها. مضيت إلى أخي سيريوجا، ولم أدع كوستينكا (ابنة أخيه) تكمل حديثها وضايقتة (١) (١٧٢). سرت في صمت مع تانيا، وقد ضايقتني هذا الصمت. كم هي بعيدة عني! ما زلت لا أستطيع التحدث. على الغداء بدأ سيريوجا في التحدث بوقاحة وغضب فحدثته بسخرية (٢). في المساء بدأت في حياكة الأحذية. جاء الإسكافي ثم ماليكو وأورفانو. كان من الممكن أن أكون في حال أفضل. كان عليّ أن ألزم الصمت. كم هو الأمر بسيط وصعب في الآن ذاته! جاء أخي سيريوجا وتحدثنا حديثاً شيقاً. جاءني خطاب جيد من تشيرتكوف. نعم، لقد قلت في حديثي مع أورفانو: «أنت لا تعرف إلهي، لكني أعرف إلهك» مما أساء إليه (٣).

٢٩/١٧ مارس.

أصبح ترتيب غرفتي عادة جيدة. جاء إلكسندر بتروفيتش (ناسخ). كنت مسروراً جداً وشعرت أنني بخير. لقد قال إنه كان في أشد الحاجة في أصعب وقت من العام (الشتاء)، ولكن ما قيمة ذلك؟ إنه مبتهج

(١٧٢) الأرقام تشير هنا وفي مواضع أخرى إلى تعداد تولستوي لخطاباه.

معافى وقد تعرّف على أناس طيبين من التعامل معهم، والأهم من ذلك أنه أدرك وجود الخير في قلوب الناس. قرأت في أهاسفير^(١٧٣). سيئة! ولكن الفكرة جيدة، لكن ليست جديدة. تنزهت على متن الجواد. لم أكن على ما يرام تمامًا أثناء الغداء، لكنني تماكنت نفسي. بدأت الحياكة، وانفك كل شيء وجاء أورلوف. حكى لي عن موت إشتوتين وأوسبينسكي^(١٧٤). لقد حكموا على إشتوتين بالموت. لفوا الأنشطة حول عنقه ثم سقط بين ذراعي المسيح على حد قوله. فك المسيح الأنشطة من حول عنقه وتناوله بين يديه. قضى عشرين عامًا في الأشغال الشاقة مانحًا كل ما لديه للآخرين، وعاش المدة كلها مع المسيح حتى مات. بينما كان يموت قال: «سأغير ثيابي الآن».

تحدثنا أيضًا عن المجاذيب وقد أطلق على لاو تسو «مجنون الفلسفة». قضى الليلة عندي. كم كنت سعيدًا عندما أعددت له فراشه! أتى أخي سيريوجا. كان بالإمكان أن أكون أكثر لطفًا معه^(١). بينما كنت أهبط السلم صباحًا لا بد وأنني غضبت على زوجتي وتانيا بسبب حياتهما السيئة^(٢). لقد تكبرت بداخلي لأنني جهزت قدر الشاي بنفسي لأورلوف. كتبت خطابًا لتشير تكوف.

(١٧٣) الشخصية الرئيسة في رواية سو Le Juif errant.

(١٧٤) الأول ثوري اشتراكي قد حُكم عليه بالإعدام ثم تم تخفيف الحكم إلى أشغال شاقة مؤبدة وقضى ١١ عامًا في سيبيريا يعاني من المرض العقلي، والآخر حُكم عليه بالأشغال الشاقة وشنقه زملاؤه المساجين بعد ظن خاطئ بأنه يخونهم.

٢٣/١٨ مارس.

استيقظت والتقيت بأورلوف ورتبت الغرفة واستلمت خطابًا.
بالأمس غضبت على ابني سيريوجا بسبب بلادته (١).

جاءني يهودي بخطاب. قرأت الخطاب. غريب! إنه ثالث يهودي
يتوجه لي. إنهم جميعًا يشتركون في أمر واحد. إنهم يشعرون أن
إيمانهم - مهما كان مشوهًا - فهو إيمان على أي حال، وأفضل من إلحاد
التقدم. يبدو ذلك أهم شيء بالنسبة لهم، لكنهم جميعًا نوع من الحمى
المستعرة. إنهم يتوهجون لكن دون اشتعال. حالتي متذبذبة لكنني سعيد.
جاءني خطاب من تشير تكوف. أنا أحبه وأؤمن به.

٣١/١٩ مارس.

استيقظت في وقت متأخر. ذهبت للبنك. شبيكين مضطرب
والحودي ثمل وبذيء صحيح الجسم. كونفوشيوس على حق، فليس
عنف السلطة وحده فقط ما يسهل على الناس الخضوع له، بل أيضًا عنف
القناعات: الفن والكنيسة وطقوس الحياة واللهو والمعايير الأخلاقية.
قطعًا يخضع الناس لكل ذلك. إنهم لا يستطيعون إلا فعل ذلك، ومن
ضمنهم كافة النساء. تغدينا بالمنزل على نحو حسن. بدأت الحياكة.
أفسدت كل شيء. جاء جوريفيتش. إنه كاتب بلا أفكار. أسوأ ما يميز
إنسانًا ما أن يرحل وألا تتذكر عنه شيئًا! تمشيت. التقيت بثلاثة عمال في
شارع رازجولياي يشاركون في امتحان تعليمي. لسبب ما لم أكن لطيفًا
مع زوجتي (١). خجلت من الحودي في حضور آل أوزميدوف (٢).

قرأت لكونفوشيوس وسجّلت ملاحظاتي. التفسير الديني للقوة منطقي، والتعليم الصيني بشأنه كان بمثابة كشف لي. إن شاء الله سوف أنفع الناس بتطبيقه. إنه يزداد وضوحاً لي مع الوقت أكثر فأكثر. يمكن ألا تكون السلطة عنفاً عندما تكون سامية وأخلاقية ومنطقية. السلطة تصبح عنفاً عندما نتعامل مع ما هو غير سامٍ على أنه سامٍ وفقاً لمتطلبات عقولنا وقلوبنا. ما إن يخضع الإنسان لما لا يكن له احتراماً كاملاً سواء كان أباً أو قيصراً أو جمعية تشريعية، حتى يظهر العنف. ما كنت أعتبره سامياً ذات يوم لم يعد كذلك، لذا أتعامل معه بوسيلة من الاثنين: إما أن أصبح أنا نفسي أسمى منه وأخضعه لنفسي (مجادلات الأبناء مع الآباء والثورات)، أو أن أوصل اعتباره سامياً عن عمد بالرغم من أنه قد توقف على أن يكون كذلك بالنسبة لي. كلا الوسيلتين مريعٌ، والأخيرة أفظع، فهي تقود للأولى. ليس أمامنا سوى مخرج واحد: أنا لا أعتبر ذلك أسمى، وبالتالي سأتصرف وفقاً لذلك. وعندما أعتبر شيئاً ما سامياً سأتصرف وفقاً لذلك.

لا يمكن أن تتأسس السلطة الحقيقية لا على التقاليد ولا على العنف؛ بل على الاتفاق في الاعتراف بسموها.

٢٠ مارس / ١ إبريل.

مضيت على متن الجواد إلى مانسوروف. تغدينا وحدنا. غفوت. جاءت دموخوفسكايا (ثورية). إنها منفعلة جداً، وقد جلبت مقالة عن السجن المركزي. ثم جاءت كورنوفيتش (إحدى خالات تولستوي). إنها ثرثرة حقاً. لقد عانت من كل أنواع الخداع بالحياة، ولم تشعر

بالحاجة. ثم جاءت أنا ميخايلوفنا وابنتها، ودار بيننا حديث شيق. تحدثت عن معنى الأخلاق: احترام الجيد واحترام الرديء بالمعنى الواسع. وقد أوضحت لنفسى ضرورة الالتزام بذلك أكثر من ذي قبل. المهم أن يحدث ذلك دون تنازلات. نمت في وقت متأخر. لم أكن بخير. شعور بالدوار. نعم، نسيت أمر اليهودي. قليل الثقافة لكنه ذكي، ومليء بالكبرياء وغرور الكتاب. قلت له الحقيقة بفظاظة بعض الشيء. جاءني خطاب من سترخوف. خطاب فارغ تمامًا.

٢١ مارس / ٢ إبريل.

انهمكت في قراءة كونفوشيوس حتى وقت متأخر بترجمة (ليج). كل ما يقوله تقريبًا مهم وعميق. خرجت متأخرًا كي أشتري قماش القنب وعرجت على فيت. كتب قصيدة جيدة عن الموت. إن مقالة سولوفيوف (فيلسوف روسي) هي محض إنكار للمذهب الشعبي. أشعر بالضعف. كنت على خطأ في عدم استعارتي لمقالة سولوفيوف. غفوت بعد الغداء. أشعر بأني في حالة سيئة جدًا. قرأت مسرحية إنجليزية هزلية مملة تصل إلى ٣٥٠ صفحة. جاء أخي سيريوجا وغضب مني رغم أنني لم أخطئ في شيء. ذهبت إلى تانيا، ولم أعرج على آل كابنيست. توقف الحوذيون في الخامسة فجرًا ليسبوا بعضهم البعض، ومن فرط الملل يسخرون من المسرح والشعر. لم أغتظ منهم. أمر جيد. لم تصلني خطابات، ولم أنم طوال الليل.

٢٢ مارس / ٣ إبريل.

استيقظت مجددًا في وقت متأخر. قرأت في كتاب «الفهرس

التحليلي للكتاب المقدس «*Young, Edinburgh*». R. لا بد من الانتهاء منه ثم العمل على ترجمة أروسوف^(١٧٥). الترجمة سيئة والأصل أسوأ. ليس من الحسن أن يبدأ الكتاب بالوصايا دون وجود أي محفزات. لا بد وأن أعيد كتابته ثانية بحيث يصلح للجميع^(١٧٦). عملت حتى الغداء. بعد ذلك ذهبت لشراء بعض السلع، وانشغلت بالعمل على الأحذية حتى العاشرة. الساعة الآن الحادية عشرة. سأهذب لسيريوجا. أنا حزين لأن عملي لا يتطور. الأمر يماثل الحزن على أن البذور لم تنم. الحقيقة أنها لا تُروى، فالري كان سيتوفر لو كان العمل صلبًا واضحًا باسم التعليم. بينما ذلك غير متوفر.

مكثت مع سيريوجا حتى الثانية. لعبت الورق معه ومع ابنه وآل سوخوتين. قضيت وقتًا ممتعًا طيبًا ولكن كان من الأفضل لو لم لعب؛ أي لو لم أقضِ وقتًا بطّالًا.

٢٢ مارس / ٤ إبريل.

صباح تقليدي. عملت على ترجمة أروسوف. يفتقر إلى النظام. مواضع كثيرة سيئة. لا أعرف هل السبب في النص الأصلي أم في الترجمة. غالبًا المشكلة في النص الأصلي. لا بد وأن أكتب -أي أن أعبر عن أفكار- بحيث تكون جيدة في جميع اللغات. هكذا هو الأمر مع الأناجيل ولاو تسو وسقراط، بل إن الأناجيل ولاو تسو تبدو أفضل في اللغات الأخرى. تنزهت على متن الجواد. الأمر ممل وغبي وتافه.

(١٧٥) ترجمة كتاب تولستوي "حقيقة إيماني" للفرنسية.

(١٧٦) لم تتحقق هذه الرغبة.

حاولت التحدث مع زوجتي بعد الغداء، ولكن الأمر أصبح مستحيلًا. هذا هو الأمر الوحيد الذي يحزنني. شوكة واحدة لكن مؤلمة. ذهبت إلى الإسكافي. على المرء أن يدخل منزل عامل حتى تفتح روحه. انشغلت بحياكة الأحذية حتى العاشرة. حاولت التحدث ثانية معها، وقابلتني مجددًا بالشر وغياب الحب. ذهبت لسيريوجا. تحدثت معه وجهًا لوجه. كان الأمر ثقيلًا وصعبًا، لكن يبدو أنه قد تحسن قليلًا. جاءني خطاب من تشير تكوف اليوم وخطاب آخر من يوم السبت. كم يتوهج بصورة جيدة! جاءني إلكسندر بتروفيتش ليحدثني عن انطباعاته عن الإنجيل، وقد واجهته بجفاء (١). جاء ليلىا بينما أعمل بالحياسة. تعاملت معه بجفاف أيضًا. قال لي: هل أنت غاضب من شيء ما؟ (٢). كان من الممكن أن يمضي الأمر مع زوجتي بصورة الطف (٣).

٢٤ مارس/٥ إبريل.

صباح تقليدي. صحّحت في الترجمة. تحسنت حالتي بفعل القراءة. أحتاج لقراءة كتاب ليس من تألّفي. أحتاج أكثر من ذلك إلى أن أعيش لا من أجلي بل من أجل الآخرين كما يقول تشير تكوف. وصل جي (رسام صديق). إنه ذاهب لبترسبرج لنجدة ابنة أخيه (١٧٧). إنه يسير في طريق الخير. إنسان رائع. ابنه مثير للاهتمام. أخشى من كبرياء الشباب. دعوته على الإفطار، لكنني لم أجلبه بنفسه بل أيقظت كورني (١) (خادم). أمر سيئ جدًا. خرجت لأتمشى. عملت بحياكة الأحذية. مضيت لال أولسوفيف، وكان أوسوف هناك. كان ثرثارًا

(١٧٧) تم القبض عليها بتهمة الانضمام إلى جماعة ثورية.

ولكن أهدأ كثيراً عن ذي قبل (٢). حاولت التحدث مرتين مع زوجتي.
الأمر مستحيل. جاءني خطاب رائع من تشيرتكوف.

٢٥ مارس / ٦ إبريل.

صباح تقليدي. راجعت الترجمة. نفس الانطباع. لا بد وأن أقرأ.
جاء فلاديمير إلكسندروفيتش. ذهبت لأتنزه. الغداء عذاب كالمعتاد.
تحدثت عن الحياة مع فلاديمير إلكسندروفيتش في حضور زوجته.
تحدثت بانفعال (١)، ولكن أفضل من السابق. مضيت لآل أروسوف.
يبدو أن شيئاً لم يحدث مع أنني كنت ضعيف العقل. ذهبت بعدها إلى
دموخوفسكايا. التقيت بالابنة. حدثتني كما لو أنها تحدث ابنها. أما هنا،
فالمرء يلمس خوفاً من آراء الناس جعلني لا أصرح برأيي (٢). ليلة من
العذاب بسبب كثرة الزوار. كنت أظاهر ولم أتحدث بشكل مباشر (٣).
جاءني خطاب من أوروسوف وخطابين آخرين. ألقيت بالخطابات في
القمامة. لا يمكنني فعل شيء إلا ذلك.

٢٦ مارس / ٧ إبريل.

كالعادة. تحدثت مع أبنائي الكبار أثناء شرب القهوة. أكلنا جيداً.
أنهيت العمل على الترجمة. سأذهب لجلب بعض الكتب. أشعر
بالحاجة إلى مزيد من التماسك والتحرر من الكذب والحماقة. نعم. في
المكتبة شعرت أن نيكولا فيدوروفيتش يريد مني شيئاً. أشعر بالراحة
معه. عرجت على دموخوفسكايا. تغذيت كالمعتاد. تنزهت على متن
الجواد. التقيت دموخوفسكايا وستيان فاسيليف. لقد تغير كثيراً. إنه
يبحث عن الوحدة والتفاهم، لكنني لم أستطع مفارقة شكوكي في كونه

عميلًا مُحَرَّضًا (١). تحدثت معه حديثًا جيدًا. جاء زلاتوفراتسكي وماراكيف. شرح الأول مشروعه الشعبي، ولكن طبيعة فكره المتكبرة المشوشة التي تدعو للأسف كانت مذهلة. عبّرت عن رأيي بصراحة منقوصة (٢). كذبت بشأن أعماله وادّعت أنني قرأتها (٣). في المساء التقيت بفتاة في الخامسة عشر، ثملة خليعة ولم أعرف ماذا أفعل (٤). قرأت عمل كريفنكو (العمل البدني). ممتاز.

٢٧ مارس / ٨ إبريل.

يوم معتاد. حكى لي إلكسندر بتروفيتش عن امرأة ماتت في منزلهم من الجوع. جاء يوريف. لا بد وأن أبدأ مزيدًا من الجهود لتجنب الثروة (١). ذهبت للشرطة. قالوا لي إن العاهرات غالبًا ما تكون أعمارهن أقل من خمسة عشر عامًا. تدق الأجراس، والنيران تنطلق من البنادق، ويتعلم الناس القتل ولكن الشمس تشرق بالضوء والدفع ثانية، والمياه تتدفق ويذوب الجليد ويقول الله مجددًا: «عيشوا بسعادة». ذهبت من هناك إلى منزل رجانوف حيث ماتت المرأة، وارتبكت جدًّا ولم أعرف ماذا أقول (٢). التقيت بوجايف (والد الأديب الشهير إلكسندر بيلي) ودعوته عندي (كبرياء). أردته أن يفهمني، ولكن النتيجة ستكون ثروة تافهة مجنونة بعض الشيء. كنت مضطربًا وحاولت أن أوحى لهؤلاء البائسين بشعوري باليأس (٤). لا بد وأن أفعل شيئًا بنفسه بدلًا من النحيب. لست بخير. أنا محموم وأسنانني تؤلمني. غفوت بعد الغداء. وصل أهل الميتة. لا بد وأن أنصرف (٥). كتبت خطابًا لستراخوف وأوروسوف وتشيرتكوف، وجاءني من الأخير خطاب جيد.

٢٨ مارس / ٩ إبريل.

لم أستطع النوم طوال الليل، فنهضت في السادسة. رتبت غرفتي على أي حال. عملت بحياكة الأحذية ثم ذهبت للاباتين ثم إلى البريد. غفوت بينما كنت أقرأ كريفينكو. دوماس (الكاتب الشهير) ثرثار. جاءني خطاب من تشيرتكوف، وكتبت له واحدًا. جاء فيت بطليبة أحذية. استمعت له وأوقفت محاولة الحوار. مرّت عليّ دقيقة شعرت فيها بالأسف عليه من فرط ثرثرته. بغض النظر عن الأرق وآلام الأسنان نمتُ قليلًا. ما أكثر ما يدور في فكري وقلبي، لكنني لا أستمع لوصية محددة من الله.

٢٩ مارس / ١٠ إبريل.

استيقظت في السابعة. ذهبت إلى الطلبة. شربت القهوة. قرأت في «مغامرات ياروسلاف». تنزهت على متن الجواد. الأمور في المنزل غير جيدة. قرأت لكونفوشيوس. أجده الآن أفضل وأكثر عمقًا. تبدوا الأناجيل غير كاملة في غيابها هو ولا وتسو، أما هو فلا أهمية له في غياب الأناجيل. ذهبت للمدرسة واشترت كتبًا وتحدثت مع ماكوفسكي (رسام). لم أشعر بضيق في المنزل على وجه خاص. بعد الغداء جاءني خطاب من تشيرتكوف. إنه غاضب من الاتكاء على الفكر بدلًا من الله. فكّرت بحزن في نفسي قائلاً: «ليته يعرف كل العمل والتوتر واليأس والسرور الذي أنتج ما هو موجود الآن!». هنا نكون في حاجة إلى الاحترام، ولكن كي يتوفر الاحترام لا بد وأن نكون جديرين به، وكي نكون جديرين به لا بد ولا نأسف عليه. بالأمس اتضح لي أمران؛ أحدهما غير هام والآخر

هام. الأول هو أنني أخشى أن أفكر وأقول إن ٩٩٪ من الناس مجانين. لكن الأمر لا يقتصر على أن ليس هناك ما يدعو للخوف من ذلك، بل إنني لا يمكنني التوقف عن التفكير في ذلك أو قوله. إن كان الناس يسلكون بحماقة (بعيشتهم في المدن وخضوعهم لمثل هذا التعليم والحياة بترف وبطالة) فلا بد وأن يتحدثوا حديثاً مجنوناً، ولهذا فالمرء يسير وسط عصبة من المجانين محاولاً ألا يثيرهم، وأن يعالجهم إن أمكن. الأمر الثاني الهام هو أنني إن كنت أعيش فعلاً طبقاً لإرادة الله -ولو بشكل جزئي- فلا يمكن للعالم المجنون المريض أن يوافقني على ذلك، وإن وافقني على سلوكي، فهذا يعني أنني لا أعيش وفقاً لإرادة الله، بل إنني أعيش وفقاً لإرادة العالم، وأني لم أعد أتبين إرادة الله وأبحث عنها. لقد ضايقتني تشير تكوف ولكن ليس طويلاً (١).

٣٠ مارس / ١١ إبريل.

نمت في الحادية عشرة، واستيقظت مبكراً مجدداً. ذهبت إلى مصنع الجوارب. الصغير يعني أن صبيّاً يبدأ العمل على ماكينته ويظل هناك حتى الثامنة. في الثامنة يحظى ببعض الشاي ثم يعمل حتى الثانية عشرة، ثم يعمل مجدداً من الواحدة حتى الرابعة. في الرابعة والنصف يعمل مجدداً حتى الثامنة. وهكذا الأمر كل يوم. هذا ما تعنيه أصوات الصغير التي نسمعها كل يوم ونحن على الفراش.

قرأت لكونفوشيوس. لا بد وأن نجعله مقروءاً من العامة. بعد الإفطار ذهبت على متن الجواد إلى قرية بيربوليفو (١٨ كيلو متراً جنوب موسكو). الحركة على متن الجواد جعلتني أشعر بالضيق، ففيها شيء

من الكبرياء، كما أنها تعزلني عن عامة الناس. تغذيت مع كوستينكا. لقد تغيرت معه دون قصد. لم يعد بإمكانني ألا أعبر عما أؤمن به. الشعائر لم تظهر هباءً، فهناك تعليم كامل خاص بتعاملات الناس: أساسيات الأخلاق - تطبيق هذه الأساسيات (التعامل مع الناس).

في المساء أقبلت على حياكة الأحذية، وكان الأمر جيدًا. جاءت قريباتي وليونيد. لحقت بهم لشرب الشاي. كان أمرًا دنيئًا مؤسفًا مذلًا أن أستمع لتانيا (ابنته) البائسة مريضة العقل^(١٧٨)، حتى إنني ذهبت للفراش. لم أستطع النوم لمدة طويلة بسبب الحزن والشكوك، وصليت لله كما لم أصل من قبل. أرشدني وأنقذني من هذا الهلع. أنا أدرك أن هذه الصلاة لم تكن إلا تعبيرًا عن صحتي. الغريب أن صلاتي قد استُجبت. راودتني فكرة كتابة: «مذكرات شخص غير مجنون»^(١٧٩). كم كانت حيوية الفكرة بداخلي! كيف سينتهي الأمر؟ أرسلت لي صوفيا بير ترجمتها ووجدتها رائعة^(١٨٠). قرأت فيها. قلت لليونيد إن موت المرأة ما زال يؤثر عليّ بشدة. كم يبدو مدهشًا أنني لم أسقط فريسة لنوبة غضب منذ شهر تقريبًا!

٣١ مارس.

لم أستطع النوم حتى الثانية، ومع ذلك استيقظت في السابعة. ذهبت لمدرسة الحدادة. إنها أفضل مؤسسة في روسيا. كم كان الأمر

(١٧٨) في هذا الوقت كان تولستوي حزينًا بسبب نمط حياة تانيا الدنيوي.

(١٧٩) تحول العنوان في النهاية إلى: "مذكرات مجنون" لكنها لم تكتمل.

(١٨٠) ترجمت صوفيا: "حقيقة إيماني" إلى الألمانية.

ليبدو رائعاً لو لم يكن هناك فقط تدخل من الكنيسة أو الدولة! قرأت في «مذكرات وطنية»، ثم اضطررت لسماع ثرثرة شيدرلين. قرأت مقالة عن جنون الأبطال^(١٨١). يعتبر القصور الذاتي بمثابة قانون نفسي. أي ابتكار أو تجديد مؤلم بطبيعته. النتيجة واضحة. لدينا قانونان: القصور الذاتي والحركة. الجنون، أي الشذوذ عن الطبيعي هو قانون واحد منهما، ولكن محصلة الاثنين هو الاستواء (الانتظام). تحدثت حديثاً تافهاً عن تدريس الرياضيات مع مدير المدرسة (١). قرأت الترجمة الألمانية. جيدة جداً. ذهبت لليونيد. وجدت هناك دياكوف وابنته. أنا حزين جداً. تغديت غداءً حزيناً جداً مع كوستينكا. مضيت للفراش ونمت. حكّت حذاءً وشربت شاياً. بقيت بمفردي معها (يقصد زوجته)، وتحدثنا. كنت سيئ الحظ وقاسياً كفاية لأجرح كبرياءها، ومن ثم بدأ كل شيء. لم أستطع أن أصمت. تبين أنني ضايقتها أيضاً أول أمس عندما عطلتني. إنها مضطربة نفسياً جداً، والحمل هو أساس مرضها (٢). يا لعظم خطيبي وخزيي! أنهيت قراءة كونفوشيوس. سأذهب للفراش في وقت متأخر.

١٠ إبريل.

استيقظت مبكراً. كنت سأشرع في العمل على الإنجيل^(١٨٢) وإعادة فحص كل شيء وتجميعه، لولا وصول أوريوس. تحدثت معه سريعاً. خرجت لكنني عانيت من البرد وآلام الأسنان. عدتُ

. Y. P. Letkova's A Psychiatric-zoological Theory of Mass Movements (١٨١)

(١٨٢) يقصد البحث الذي قام به على الأناجيل الأربعة، وقد بدأ العمل عليه منذ ١٨٨٠.

واستلقت. تغدينا وجاء كيسلينسكي وستاخوفيتش. أردت أن أغفو، ولكن أروسوف أزعجني. ذهبت لسيريوجا من أجل أدوات المائدة. احتشد بالمنزل جمع غبي وأخذوا يغنون. عبثاً طلبت الغناء (١). مكثوا حتى وقت متأخر جداً. لقد أنهكت أعصابي تماماً. يكتنفي شعور بالخلل والجُرم. أروسوف صلب وواضح، أما هي (يقصد زوجته) فضعيفة وغير شريرة.

٢ إبريل.

استيقظت في وقت متأخر. وجدتهم قد رتبوا الغرفة بالفعل. تحدثت مع أروسوف حتى الرابعة. إنها أكثر ليئاً الآن (زوجته). تبدو ضعيفة ووديدة. ذهبت لولف (مكتبة). تغديت. جاء سيريوجا. في البداية بدا منزعجاً، ثم أصبح لطيفاً طيباً. انشغلت بالحياكة. تحدثنا بهدوء ثم ذهبت للفراش في الثانية عشرة والنصف. من السيئ أنني لم أفعل شيئاً. نست غضبها وسرت أنني سامحتها. الأمر هكذا أفضل. هذه الحياة المجنونة مريعة جداً.

٣ إبريل.

استيقظت في العاشرة. قرأت في أرشيف الطب العقلي (١٨٣). عادة ما تكون الصلاة نوعاً من الهستيريا. تراودني فكرة قصة طالب ثري والتبذير في الثالثة عشرة من العمر، وهو ذو طبيعة رقيقة، ثم رصد سقوطه وتهاويه. جاء أوزميدوف. عيناه تؤلماناه. يبدو الآن أضعف. لا

(١٨٣) مقالة عن الهستيريا ل: ف. د. ترونوف.

أعرف ما إن كان من الجيد أنني حدثته بصراحة تامة عن وضعي أو لا. ذهبت بصحبته لآل أولسفييف. تحدثت هناك كثيرًا وألقيت المواعظ. تأخرت في الغداء ثم ذهبت لشراء بعض البضائع للأحذية. جاء ريبيّن للمنزل. تحدثت معه حديثًا شيقًا جدًّا عن العمل، ثم جاء سيريوجا من المغسل. لم أستطع النوم لكنني تحدثت بلطف ولم أسئ لأحد.

٤ إبريل.

استيقظت في وقت متأخر. حُمى وآلام أسنان. لا يمكنني القيام بأي عمل ذهني. غير ضروري. قرأت قليلًا، وبدأت الحكاية. في الثالثة ذهبت لمتحف روميانتسيف. التقيت هناك بستروجينكو (أستاذ أدب بجامعة موسكو) ثم ذهبت لجسر كوزنيتسكي. من هناك ذهبت لدميتروفكا. لم تكن لوحة ريبيّن هناك. استلقيت بالمنزل. حمى وآلام أسنان. في المساء عملت بالحكاية حتى الثانية. أشعر بضيق شديد وسط أسرتي. مبعث هذا الضيق هو عدم تعاطفي معهم. كافة أفراسهم واختباراتهم ونجاحاتهم الاجتماعية والموسيقى والأثاث والمشتريات؛ كل ذلك أعتبره مصدر بلاء وشر لهم، ولا يمكنني أن أخبرهم ذلك. يمكنني أن أتحدث معهم، وبالفعل أقوم بذلك، لكن كلماتي لا تؤثر فيهم بتاتًا. يبدو أنهم لا يفهمون معنى حديثي، ويعتقدون أن الأمر يقتصر على أنني لدي عادة التحدث بهذه الطريقة. في لحظات الضعف - وأنا الآن أمر بإحداها - أشعر بالدهشة من قساوتهم. كيف أمكنهم ألا يدركوا أن الأمر لا يقتصر على أنني منذ ثلاثة أعوام وأنا أعاني، بل إنني مقطوع تمامًا عن الحياة! لقد أسندوا لي دور العجوز النكد المتبرم، وهم يعتقدون أنني

لا يمكنني مفارقة هذا الدور. إن شاركته في حياتهم فسأهجر الحقيقة، وسيكونون أول من يعايروني بهذا الإنكار. أما إن نظرت بحزن إلى جنونهم - كما أفعل الآن - أصبح في نظرهم عجوزًا متبرمًا مثل كافة الشيوخ.

هذا جزء من حديثي مع أولسوفوف: إن آمنا أن هدف الإنسان وواجبه هو خدمة الآخر، فعلينا إذن أن نفكر كيف يمكننا أن نخدم الآخرين، وعلينا أن نضع القواعد التي توضح لنا كيف يمكننا أن نخدم الآخرين من موضعنا. وحتى نفعل ذلك علينا في المقام الأول أن نتوقف عن طلب الخدمات من الآخرين. قد يبدو ذلك غريبًا، ولكن الحقيقة أن أول ما علينا أن نفعله هو أن نخدم أنفسنا. أشعل الموقد وأحضر المياه وأعدّ غداءك واغسلّ صحنوك.... إلخ. بهذه الطريقة سوف نبدأ في خدمة الآخرين.

٥ إبريل.

استيقظت في وقت متأخر شاعرًا بالوهن. ما زلت أشعر بالحزن، خاصة الآن وأنا أرى جميع من في المنزل. الخدم ينظفون الأرضية. نحن من جعلناها متسخة. لقد تركت نفسي أنساق مع التيار وخفّت حدة صرامتي مع نفسي. لم أعد ألاحظ خطاياي. جاءني خطاب بالأمس من تشيرتكوف. قال ريبين إن كرامسكوي نفسه قد قال على تشيرتكوف إنه مجنون. قرأت في «الطب العقلي» عن أحد أصحاب الأراضي ويُدعى (ي) كان يعيش مع خدمه. وصلني خطاب من ميرسكي وكذلك بعض القصائد. مدهشة! إنه مسيحي حقًا. القصائد ممتازة من حيث

المضمون، ولكن من ناحية الشكل تبدو كما لو أن كاتبها صبي في الثالثة عشرة من العمر. جاء سترخوف. إنه يزداد نحولاً، وما زال يتمتع بنفس قصر النظر والتصلب، ولكن بإمكانه أن يستيقظ. تمشيت. غداء. لا شيء على الغداء سوى الحديث عن المشتروات وإبداء عدم الرضى على من يخدموننا. أزداد ضيقاً أكثر فأكثر. مذهل العمى الذي أصابهم. بعد الغداء جاء رونجيف. يا للملل! تشيرتكوف. يأكل مع الناس لكنهم في النهاية خدمه. جاء سترخوف ثم جاءت تانيا. أمر مقرز! دار الحديث مع سترخوف عن استحالة اتباع القواعد، وكأن ما من قواعد. ثم مقاطعة غبية ومجنونة للحديث، يستحيل الإشارة إلى حجم جنونها. (الإشارة إلى حديث زوجته)، فإن كشفت عن جنون هذا الحديث ستندلع نوبات غضب واتهامات لي بالخبث، وإن لم أكشف عن هذا الجنون، فستزداد ثقة في أن الوضع لا بد وأن يكون كذلك، وسيزداد انحدارها عمقاً. في انتظار المخرج!

٦ إبريل.

استيقظت في وقت متأخر. حمى في كل صباح. قرأت في كتاب تافه. ذهبت لإيفانتسوف^(١٨٤). شعر بالخجل من الاحترام الذي أبديته له. راودتني الشكوك. الآن فقط أدركت أنني مخطئ. كان لا بد وأن تكون كتابتي بسيطة وخشنة (خشنة لا عدائية). مضيت مع تشيرتكوف إلى بروجافن. إنه متمرکز حولي بطريقة غريبة. تحدثت مع بروجافن

(١٨٤) أستاذ جامعي في التاريخ الكنسي طلب منه تولستوي أن يفحص مقالتيه "حقيقة إيماني" و"اعتراف" من وجهة الرقابة.

عن كوفاليفسكي بطريقة غير مباشرة.

٧ إبريل.

استيقظت في وقت متأخر. حمى. قرأت مسرحية سيفيرنايا^(١٨٥). إنها تتمتع بمعرفة ممتازة عن الناس ولغتهم، ونظرة عميقة للحياة، لكنها ضعيفة من الناحية النفسية. سأذهب إلى المعرض. لوحة كرامسكوي رائعة. لم يظهر ريبن. حظيت بحديث شيق مع تريتياكوف. عدتُ للمنزل. جاء سترخوف. ذهبت لدوموخوفسكايا^(١٨٦)، وقلت ما توجب عليّ قوله. الجموع تُهرع لأداء الصلاة، ولكن متى يُهرع ولو ١٪ منهم للاهتمام بحقيقة الحياة؟ لا يمكنني أن أتخيل كيف ستكون الحياة حينها. إن القيام بهذا التغيير هي المسألة الأساسية حقًا، وهو العمل المبهج في الحياة. لكنه صعب بشكل مرعب؛ بل إنه يكاد يكون مستحيلًا، ورغم ذلك فهو الأمر الوحيد الممكن! دار حديث بيني وبين سترخوف عن الداروينية. شعرت بالملل والخزي. إنه إنسان بائس، كان يحاول بجدية ومنطقية أن يدحض هذيان رجل مجنون! إنها مضيعة للوقت ومهمة لا نهائية. مضيعة للوقت لأن أولئك الذين لا يصدقون الحجج المنطقية مجانيين، وهي عمل لا نهائي لأن لا نهاية للجنون.

مكثت بالمنزل مع زوجتي أقرأ في الطب العقلي عن المحاكاة. عندما لا تسقط سنبله القمح في الماكينة تظل مجرد سنبله، وعندما تدخل الماكينة تتحول لحبيبات ثم دقيق فخبز، ثم تصبح دماءً وبعدها

(١٨٥) مسرحية «مسير امرأة» لماريا سيفيرنايا.

(١٨٦) والدة فتاة ثورية تم نفيها لسبيرييا في ١٨٨٠ وماتت في الطريق إلى هناك.

أعصاباً ففكرًا، وما إن أصبح فكرًا حتى أصبح كل شيء؛ فلا تعود سنبلة بل أصبح ذلك من ينتج كل شيء: الجاودار والخبز والخزير والشجرة والفضيلة وكل شيء؛ أي الله. ستجد نفسك في اللحاء، في العقل، وحينها تجد نفسك في الله مصدر كل شيء. في الإنسان وحياته، في المخ، في العقل مصدر كل شيء. لا المصدر نفسه، ولكن ذلك الجزء الذي يتحد بمصدره ويلتصق به. كل ظاهرة حياتية، وكل انطباع يحصل عليه الإنسان يأتيه كما يأتي للمرشد، ويمكن أن يصل لقلبه، وهناك يلحق بمصدره. إن سعادة الإنسان تتأسس على أن يتوصل إلى مركز الإرشاد الأصيل بداخله؛ ذلك المركز اللانهائي الحر، لا الثانوي المحدود التابع. الأمر غير واضح للآخرين، لكنه واضح لي.

حمى. غفوت في الثانية.

٨ إبريل.

استيقظت في وقت متأخر. قرأت في كتاب: «عقيدة التوسط». الأمر يزداد وضوحًا وفاعلية. مضيت لآل أولسوفيف وسيربوجا وفيت. مضت الأمور بخير عند آل أولسوفيف وأبدت لهم امتناني. تغديت مع كيسلينسكي. لم أستطع التحدث ولا الحفاظ على هدوئي. نمت في وقت متأخر. حمى!

٩ إبريل.

قرأت مقالة سترخوف^(١٨٧) في وقت متأخر من الليل. إنها سيئة

(١٨٧) ربما مقالته ضد الداروينية. لم يكن تولستوي مناصرًا للداروينية لكنه لم يُعجب بمقالة سترخوف.

جداً، حتى إن المرء ليس بإمكانه أن يوضح كل مواضع الغباء فيها، ولا حاجة لتحليل المناهج العلمية، فمن يحب العلم يعرفها جيداً، تماماً مثلما يمكن لمن يعرف السير أن يعرف قوانين التوازن. بدأت في قراءة مينج تسي^(١٨٨). جيد جداً وشديد الأهمية. لقد علم مينج تسي الناس كيف يمكنهم أن ينالوا الشفاء، وكيف يجدون قلوبهم المفقودة. رائع! بدأت أؤنب تانيا، وشعرت بالغضب. كان ميشا واقفاً في البهو الضخم ينظر إليّ بتساؤل. آه لو أجده واقفاً أمامي دائماً! هذه خطيبي الثانية العظيمة في هذا الشهر. أخذت أحوم حول تانيا وقد أردت أن أطلب عفوها، لكنني لم أحسم أمري. لا أعرف ما إن كان ذلك جيداً أم لا. ذهبت لآل فيت وحظيت هناك بنقاش رائع. أخبرت فيت بكل ما كنت أقوله عنه، وقضينا الأمسية بود. في المساء جاء آدم فاسيليفيتش. لعبنا الورق. غباء! مرة أخرى تكتنفي الحياة الغبية القذرة البطالة. جاءني خطاب رائع من تشيرتكوف.

١٠ إبريل.

استيقظت في وقت متأخر. لا أذكر حتى ماذا حدث في الصباح، فلم تكن له أي أهمية. نعم تذكرت، مضيت لأبحث عن عنوان. جاء كيسلنسكي على الغداء، وبعده ذهبت لأرم فيلدت^(١٨٩). شعرت بضعف

(١٨٨) فيلسوف صيني وتلميذ لكونفوشيوس.

(١٨٩) والدة نتاليا أرمفيلدت التي حُكم عليها بـ ١٤ عام من الأشغال الشاقة بسببها لا اشتراكها في أنشطة ثورية، وكان تولستوي يسعى لدى السلطات كي تسمح للأم بالإقامة بالقرب من ابنتها هناك، ويقرأ للأم خطابات ابنتها.

مريع. إنه موت وشر. لقد تذكرت للتو. كتبت خطابًا لتشيرتكوف وجاء ترينياكوف. سأل عن معنى الفن وعن الصدقات وحرية المرأة. من الصعب عليه أن يفهم. كل شيء يحيط به ضيق الأفق لكنه أمين. سألته عن كثير من الأمور، لكنني لم أجادله في الموضوع الرئيس؛ ألا وهو إيمانه، فهذا من شأنه أن يُحدّد كل شيء. ذهبت لدموخوفسكايا لأحصل على عنوان، ثم تغديت وذهبت لأرمفيلدت. جلست هناك كأني مشدوّ من فرط ضعفي. في المنزل جاءت آنا ميخايلوفنا وجاء ستراخوف وكيسلينسكي. كان حديث ستراخوف شيقًا، وقد فهمته. قرأت عن محاكمة الابنة أرمفيلدت حتى الرابعة. أدركت كذلك أن نشاط الثوريين كله خيالي يجري عبر صفحات المنشورات والإعلانات التي لا يمكنها أن تثير أحدًا ليثور، وهو أيضًا نشاط شرعي. لو لم يتدخل أحد في الأمر فلن يضر الأمر أحدًا، ولكن ما إن يحاولوا منع هذا النشاط، حتى تظهر القنابل.

١١ إبريل.

استيقظت في وقت متأخر. قرأت مراسلات نتاليا أرمفيلدت. إنها كتابات على مستوى سام تصدر عن إنسانة أمينة طيبة القلب مبهجة وموهوبة من النوع الصالح. من المستحيل منع الناس من التعبير لبعضهم البعض عن أفكارهم بخصوص أفضل وسيلة لتنظيم أمورهم. هذا وحده ما كان يفعله كافة ثوريونا قبل الانخراط في إلقاء القنابل. لقد وصلنا إلى درجة من الغباء، يبدو لنا فيها مجرد التعبير عن الأفكار جريمة. في الصباح ذهبت لستراخوف. أجريت معه حديثًا

جيدًا، وكذلك مع فيت. جاء سولوفيف. لست في حاجة إليه، وأشعر بالضيق والأسف في حضوره. جاء الأخوان بيرس على الغداء. الأول ذميم، لكن الثاني محتمل. ذهبت لسيريوجا. مرة أخرى ينتابني ضعف كالموت. عملت على حياكة الأحذية بالمنزل، لكنني خرجت لشرب الشاي وجلست إلى الطاولة حتى الثانية. يا للوضاعة والخزي! اكتئاب مريع وامتلاء مفزع بالضعف. لا بد وأن أعطني بنفسى وكأني نائم، حتى لا أفسد أثناء نومي ما أحتاج إليه في صحوتي. إنني أنجذب أكثر فأكثر إلى قاع الوحل وكافة حركتي لا تجدي نفعًا للخروج، وقد أوشكت على التوقف عن المقاومة. لم أكن خبيثًا، وليس لديّ كبرياء تقريبًا إلا القليل، لكنني في هذه الأيام مليء بالضعف؛ بضعف يشبه الموت. إنني أتوق لموت حقيقي. لم أياس، لكنني أريد العيش، لا أن أقف حارسًا على حياتي.

١٢ إبريل.

استيقظت في وقت متأخر. الضعف ذاته، والوحل يجذبني إلى أعماقه أكثر فأكثر. قرأت لمينج تسي ودوّنت مذكرات يومين. فكّرت مجددًا في كتابة «مذكرات شخص غير مجنون». تمشيت ثم ذهبت لعرض الفرسان والحزن بداخلي، ثم ذهبت لتفكيرسكي، وعدت شاعرًا بالألم في بطني. استلقيت وغفوت حتى المساء. جاء فاستسوف (فنان). يقول إنه يفهمني الآن أكثر من ذي قبل. عسى أن ينعم عليّ الله بمن يفهمني. شعرت بالضيق ليلاً. جاء ديمتري الإسكافي، وأصلح من عملي.

١٣ إبريل.

في الصباح رتّبوا لي الغرفة. أرسلت لي ألتشيفسكايا خبرًا بوصولها. اعتقدت أنني لن أكون على ما يرام، لكن حالتي تحسنت. أرسلت لي ألتشيفسكايا تُعلمني بوصولها. اعتقدت أن حالتي ستظل سيئة لكنها تحسنت. قرأت بعض التفاهات حتى إني لا أتذكرها. جاء أورلوف وذهبت معه لسيريوجا. كان الأول ضعيفًا جدًّا في الحوار، أما أخي سيريوجا فكما هو، لكنه ازداد فهمًا لي. يا لأهمية أن يفهم أحدنا الآخر! يمكن للشر أن ينشأ عن سوء الفهم بين إنسان وآخر. لماذا أعاني من سوء الفهم المربع هذا بيني وبين أسرتي؟ لا بد وأن أجد حلًّا. مكث معي أورلوف ليليت. لقد اندهش تمامًا من حقيقة أن الثوار أنفسهم هم من يصنعون الثوريين، وكأنهم يلهون بالثورة. تبدو لي هذه الفكرة ضرورية جدًّا في ارتباطها بالحكمة الصينية وبسؤال: «ما العمل؟». بالأمس جاءني خطاب آخر من ميرسكي. كتابته تبدو أسوأ.

١٤ إبريل.

لم أنم طوال الليل. كنس أورلوف غرفتي من التراب في غيابي، ونظفها الآخرون. لهونا مع الأطفال. قال أورلوف: هل يقينًا هناك حياة سعيدة؟ أيمن للمرء أن يُعوّل على ذلك؟ لا أعرف. لا بد وأن يسعد المرء وسط حياة بائسة. لا بد وأن يكون هدف المرء التعامل مع هذه التعاسة. يمكنني القيام بذلك عندما أكون قوي الروح. إما أن يكون المرء قويًا أو يغوص في سبات. جاء ألتشيفسكي ثم ذهبت لمكتبة «وُلف». استاء أحد الباعة بالمكتبة من أنني لم أخلع قبعتي، لكنني كنت أعاني من

آلام الأسنان. لم أعتذر (١). ذهبت لزوجة ألتشيفسكي. إنها عجوز ماهرة حساسة. ولكن لماذا هذه الثياب المخملية والمظهر الذي يشبه الطيور؟ عبثاً خضعت للتأثر العاطفي (٢). أشعر بالضيق في المنزل. غفوت بعد الغداء. ذهبت لأرمفيلد. وجدت عندها أورلوف وإحدى المدرسات. إنهم أناس طيبون يتمتعون بالحيوية. ذهبت لماشينكا وتريفونوفسكي. لا بد وأن تُعالج من آلامها الروحية. يلومونني بالمنزل، لكنني اكتفيت بالتمتمة. أرق.

آه لو يتوقف الناس عن استخدام العنف في صراعاتهم! من المؤثر والمثير للسخرية في الوقت ذاته أن نُؤارنا (بعيداً عنم يلقون بالقنابل) الذين كانوا يقاتلون بالسلاح الشرعي الخالد لنور الحقيقة يتوجب عليهم أن يثبتوا رغبتهم في القتال بالعصي! على أي حال هذا أمر لن تسمح لهم قناعاتهم بفعله.

١٥ إبريل.

استيقظت في وقت متأخر. ربّبت الغرفة. قضيت وقتاً مع الأطفال. حكى ميشا (ابن تولستوي) بعض القصص. إنه فنان. قرأت كتاب ألتشيفسكي. رائع. عرج ليونيد عليّ. اليوم سأذهب إلى جي ومامتوف وبريانتشينكوف. لم أجد جي. حظيت بحديث شيق مع بريانتشينكوف. قلت له الحقيقة المؤلمة. تغديت بالمنزل. هدوء. ذهبت للمهرجان. رقص ومشاعل موقدة وعمال بئسون ذوو أجساد هزيلة. علّمني يا إلهي كيف أخدمهم. لا أرى طريقاً آخر سوى أن أجلب النور إليهم دون أي اعتبارات أخرى. جاءني أوسوف وسوخوتين وخومياكوف. تحدث

أوسوف حديثاً شيقاً حتى الساعة الثالثة. تانيا مريضة، ولم تتحسن.

١٦ إبريل.

استيقظت في وقت متأخر. حالتي الصحية سيئة. لا يمكنني فعل شيء. كتبت خطاباً لأوروسوف. جاءني خطاب من تشيرتكوف يتضمن ملحوظة بشعة من امرأة انجليزية، وهو ينضح بالأنانية. المجرمون جميعاً مجانين، ولا بد للقاضي من علاجهم. لماذا يقضي بدلاً من أن يشهد؟ لماذا يُعاقب؟ قرأت لتانيا وسيريوجا. كم هي قساوة بلادته تجاه الأدب! شعرت بألم شديد. ذهبت لمامتوف. اشترت بضائع رخيصة. رأيت نساء مريعة همجية، وحوذيين شيوخاً مع تابعيهم، يحملون صرراً وينتظرون الحصول عليها. شعرت بضعف مميت أثناء المرور بينهم. تغلبت عليه بصعوبة بعد الغداء ذهبت أولسوفيف. تعرضت لاختبار^(١٩٠). لم يحتمل آدم فاسيليفيتش الأمر. الناتج ليس جيداً. أنا فاسيليفنا شخصية حقيقية. مع سيريوجا بالمنزل. إنه غاضب. يعتبرونني مجنوناً مثلما تدعوني صوفيا، وإلى حد ما لم أشعر بالغضب. ذهبت لأغتسل. جلست لأشرب الشاي. أشعر بالضيق. نمت مبكراً. حاولت ألا أأدخن... محاولات غبية. لا داعي للصراع. لا بد من تطهير عقلي. طوال الوقت تراودني فكرة عمل خطة لحياتي. لا أقصد اقتراحات من أجل المستقبل، فهي غير موجودة ولا يمكن أن توجد، ولكن من أجل أن أثبت أن الحياة الإنسانية ممكنة حقاً. نعم، لقد قال ليكا (ابنه المدعو ليف أيضاً) إن لوكيان الحودي يريد أن يهجر التفاخر والتباهي وشرب

(١٩٠) يقصد إعادة تشكيل علاقته مع الناس بطريقة جديدة (يطلق عليها اختباراً).

الجعة والتدخين مثل تشيرتكوف، وأن يساعد الفقراء. أخشى أن أصدق ذلك فعلاً.

١٧ إبريل.

استيقظت أبكر من أمس، وأرسلت خطاباً لتولستايا^(١٩١). لم يعد بإمكانني التعامل مع تلك الشخصيات الرفيعة وتقديم عرائض لشخصيات مهمة وأخرى ذات مراكز دينية مرموقة. وصلنا لمرحلة أن نسأل شخصية دينية كي تتوقف عن تعذيب امرأة!

بينما نشرب الشاي بدتُ (زوجته) وكأنها تريد أن تقول شيئاً ما، لكنني كنت أخشاه، وقلت فوراً أمراً خاطئاً. يبدو لي الآن حقاً الموت أمراً أشتهيه، يبعث على السرور. ذهبت إلى الكاتدرائية بصحبة أوسوف، وتعارك الأخير مع أحد الجنود. ضعف. الرسوم جميلة. الفلاسفة يملؤون الكنيسة^(١٩٢). عدتُ للمنزل وجاءت دموخوفسكايا وجلبت معها كومة من المواد^(١٩٣). خرجت لأتنزه على متن الجواد، ثم قرأت ما جلبته دموخوفسكايا. قصائد باردينا^(١٩٤) جعلتني أبكي. الأمر اتضح لي. لقد كانوا يمثلون أدواراً ثورية وصدقوا أنهم مجرمون وأعداء ووثقوا في كل شيء. أما مدبرو عمليات القتل فيبرزون بوضوح من بينهم. يبدو أن رجال الشرطة والجلادين في علاقاتهم بالمحافظين الأثمناء. جاء سيريوخا والشر

(١٩١) أرسل لإلكسندرا تولستايا يسألها المساعدة في قضية أرمفيلدت.

(١٩٢) سخرية من رجال الكنيسة.

(١٩٣) مواد تتعلق بحياة المسجونين السياسيين في المنفى.

(١٩٤) نُفيت إلى سيبيريا بسبب نشاطها الثوري، ثم هربت خارج روسيا، وانتحرت بعدها بثلاثة أعوام، ونُشرت مجموعة من قصائدها بالخارج.

ينضح من عينيه، وأخذوا يمزقون جميعاً قلبي بصحبة زوجتي وكوستينكا لساعتين كاملتين. تصرفت باحترام لكني انسقت لمحاورتهم (١).
«أَبْغَضُونِي بِلَا سَبَبٍ» (يوحنا ١٥ : ٢٥). جاءت المعلمة. إنها مؤثرة للغاية، وتساءلت: أهذه هي الحضارة؟ أهذا هو العلم والفن؟

١٨ إبريل.

استيقظت في وقت متأخر. تصفحت المخطوطات ثم ألقيت نظرة على مخطوطتي عن «إحصاء السكان»^(١٩٥). أود أن أنشرها ليذهب ما أحصله منها من ربح لصالح «المسجونين السياسيين». كانت الشكوك دائماً تراودني عمّ إن كان يجب مساعدة المسجونين السياسيين. لم أكن أود ذلك، لكني الآن أفهم أنني ليس لديّ الحق لأرفض ذلك. اليد ممدودة تجاهي «مَحْبُوسًا فَأَتَيْتُمُ إِلَيَّ» (متى ٢٥ : ٣٦). ضعفي اليوم أسوأ من كافة الأيام. فكّرت كثيراً في طريق عودتي. أثناء الضعف لا بد أن أجد القوة لا أن أخشاه. سأحاول. جاء أوزميدوف ولديه الكثير من الخطط الخيرة. أخشاه، لكني أوّمن به. تغديت بسلام، ثم غفوت. تمشيت. حكى لي لفوف عن بلافاتسكايا (كاتبة في مجال الثيوصوفيا) وعن هجرة الأنفس وقوى الروح والفيل الأبيض وعن قسم الولاء للإيمان الجديد. كيف يمكن للمرء أن يظل عاقلاً عندما يُعرّض نفسه للكثير من هذه الانطباعات^(١٩٦)؟ عملت بحياكة الأحذية وشربت الشاي، ثم

(١٩٥) الإشارة إلى كتاب «ماذا علينا أن نفعل؟».

(١٩٦) انتشرت في هذا الوقت الجماعات التي تمزج بين الصوفية والأرثوذكسية، ومن المثير رصد نفور تولستوي منها بعكس دوستوفسكي.

ذهبت لسيريوجا ومكثت هناك حتى الثانية. دار بيننا حديث غير هام، لكنه ودي وبديء في الوقت ذاته. جاءني خطاب من تشيرتكوف وأجبت على خطابه الذي يحوي اعترافاً أميناً^(١٩٧). عند التحدث بصراحة أشعر بالضعف، وهي علامة على أن حياتي الأخلاقية قد ضعفت.

ضعف عام وإحباط. تبطل جسدي وذهني. أعيش وسط ظروف حياة مجنونة أجد نفسي منغمساً فيها، وأتحرك صوب الأسوأ. أقوم بمحاولات للبدء في أعمال جديدة دون أن أنجح في أحدها.

١٩ إبريل.

استيقظت في وقت متأخر. جاء أورلوف بينما كنت أرتب غرفتي. إنه صالح وذكي ومحب للعمل، لكنه لم يحظَ بطريق خاص به بعد. إنه يفكر في الوصول إليه عبر التعامل مع الآخرين. أخذ يتمشى وسط القرى ويُجري إحصاءاته. تحدثت معه كثيراً، ثم جاء دولجوروكوف وتحدث في حضور زوجتي. كتبت في يومياتي، وكتبت خاتمة حزينة، ثم ذهبت إلى يوريف.

ذهبت لتسليم برقية والتقيت بتشيرتاكوف. ذهبنا معاً لمكتب التلغراف. إما أنني لم أفهم خطابه أو أنه لم يرد التحدث عنه، لكن هذا وضع حاجزاً بيننا. عُدنا للمنزل. غداء، وشعرت بعدها بأني في حالة حسنة. أنهكت. إنه صلب. في المساء جاء بيسارييف. جلسنا طويلاً جداً بلا أي عمل.

(١٩٧) تحدث تشيرتكوف في خطابه عن الجوانب الدنيئة داخل نفسه.

٢٠ إبريل.

استيقظت في وقت متأخر. جاء يوريف. مقالتي عن الإحصاء السكاني تبلور بوضوح. سأكتب. بدأت الكتابة لكنني لم أشعر أنني بخير. ذهبت للمدينة. بعد الغداء ذهبت بصحبة ستاخوفيتش لآل أولسوفيف. رأيت الجياد. التقيت هناك بالكسندر أولسوفيف. ليس حسنًا أنني لم أعرب له بشكل مباشر عن ازدرائي (١). حكيت لآنا ميخايلوفنا عن خطتي لمساعدة المسجونين السياسيين. لم يكن هذا ضروريًا. كبرياء (٢). بالمساء عملت بحياكة الأحذية. جاء يوريف. حدثته عن أمر المسجونين (٣). نمت في وقت متأخر. زوجتي ليست بخير. أنا هادئ إلى حد كبير. توصلت إلى خاتمة لمقالتي عن الإحصاء. لا أعرف هل هي جيدة أم لا.

٢١ إبريل.

استيقظت في وقت متأخر. وجدت مسودة المقالة (١٩٨). راجعتها قليلًا ثم أخذتها للمطبعة. أنا شخصيًا لا أثق في هذه المقالة. التقيت سامارين. كنت باردًا، ولكن ليس بدرجة كافية (١). لديّ عادة سيئة أن أتصور أن أصحاب القبعات وراكبي العربات يتحلون بالرقى. إن سامارين بالنسبة لي أدنى من بيتر الخادم. أنا لا أعرف بيتر الخادم، لكنني أعرف بيتر سامارين. الأمر ذاته مع زاخارين، فقد ركبت معه حتى جادة تفيرسكي. تغديت بالمنزل. المريع أن شعورهم بالسرور، خاصة سرور

(١٩٨) يقصد مقدمة "ماذا علينا أن نفعل؟".

تانيا، وهو سرور لا ينجم إثر عمل، فهم لا يعملون، بل ينجم عن الشر، هو شعور غير مشروع البتة؛ الأمر الذي يؤلمني للغاية. جاءني فيت وثرثرت معه بضعف حتى التاسعة والنصف. ذهبت لأرمفيلد. كتبت الابنة أن تقديم الالتماسات من أجلها يسيء إليها. لا بد وأن يكون الأمر كذلك. زوجة أوسبينسكي (كاتب) هناك أيضًا. تحسنت حالة زوجتي، ولكن التحدث والتفكير معها أمر مستحيل. جاءني خطاب من أورو سوف. إنه يريد أن يطبع. سأدعه يفعل ذلك. عرجت على آل أولسوفيف. تود آنا ميخايلوفنا أن تُصحّح المقالة. إنها ليست بخير صحيًا هي أيضًا.

٢٢ إبريل.

استيقظت في وقت متأخر. نمت نومًا جيدًا. أشعر كما لو أنني استيقظت أخيرًا. لقد نمت لأطول من شهر. عاد كل شيء ليصبح واضحًا وصلبًا مجددًا. حاولت أن أتذكر ما إن كنت قد صنعت شيئًا سيئًا أثناء فترة نومي. ليس كثيرًا. أقبلت على العمل على المقالة. صحّحت قليلًا، لكنني لم أتجاوز وصف المنزل. لا بد وأن أقفز مباشرة إلى الاستنتاج. ما زلت لا أثق بهذا العمل، ولكن قد يبدو جيدًا لآخرين. فرحة الأطفال شجية. أتمشى دون هدف. أشعر بالانجذاب صوب منزل ريجانوف^(١٩٩). جاءني خطاب من ياسنايا من شخص ألماني يعمل بدار *Dencker* للنشر ومن كوليسوفو. إنه غاضب لأنني لم أثق فيما كتبه في مقالته. ذهبت إليه لكنني لم أجده. من هناك ذهبت لأوبولينسكي وناجورنوف. لم أجد أحدًا بالمنزل. بعد الغداء قرأت

(١٩٩) المكان الذي يقوم فيه تولستوي بأعمال التصحيح.

مقالة إيفانتسوف. ليست جيدة. جاؤوني بخطاب من أرمفيلد وأجبتَه بخطاب آخر. مضيت بحزن وسط حقول سمولينسكي وديفيتش ثم عملت بالحيَاكة. كنت في حالة حسنة، ولكن جاءني ضيوف: جي وسوخوتين وفولخونسكي وسيريوجا. أخذوا يلعبون الورق كنت سأواصل الحياكة، لكنني خرجت وجلست بصحبتهم. شعرت بالضيق والخزي، ومكثوا حتى الثالثة. أخي سيريوجا شديد الضعف.

٢٣ إبريل.

استيقظت في وقت متأخر جدًا. رتبت غرفتي بحيوية. قرأت الصحيفة، ثم بدأت العمل. لا يمضي حسناً. ذهبت لآل أروسوف. ابنة أخيه محافظة ذكية. كيف لا يمكن للمرأة ألا يواجه الشر؟ الأمر سيان. المرء يريد أن يعرف الحقيقة ويدين الآخرين، لكنه لا يريد أن يلتزم بها في حياته. تغديت بالمنزل. أصبح التحدث مع أسرتي أمراً مستحيلاً تماماً. إنهم لا ينصتون. إنهم غير مهتمين بالأساس. إنهم يعرفون كل شيء. جاءني سوخوتين بكتاب لمؤلف عربي. قرأته بصعوبة شديدة. كتبت القليل ضد عقيدة التثليث. ذهبت لدموخوفسكايا وللإسكافي ولسوخوتين. في منزل الإسكافي ثلاثة يرقدون على فراش واحد. كم نحن بعيدون عنهم! جاءني برقية من تشيرتكوف. مات والده. أخذت أحبك الأحذية طوال الليل. آل دموخوفسكي يريدون قطعاً أن يُحوّلوني للمعسكر الثوري. لم أذهب للنوم للأسف إلا في الثالثة.

٢٤ إبريل.

استيقظت في وقت متأخر. جاءني خطاب جيد جدًا من إنجلمان. حاولت الكتابة لكنني لم أستطع. مضيت على متن الجواد إلى يوريف. إنه شديد الانتعاش. لقد ألهمتني تعاليم المسيح. إنها رائعة. يقول: لا بد من الكرازة بالمسيح. راودتني فكرة كتابة مقاربة للموعظة على الجبل وطبعها. مضيت من هناك لمحطة نيكولايفسكي. التقيت بتشير تكوف وبيساريف وجوليتسين. تشير تكوف صلب وهادئ، وقال إنه حزين بعض الشيء. تحدثنا على نحو حسن. وصلنا جميعًا المنزل في سرور. عملت بالحياكة ونمت في وقت متأخر.

لماذا لا أتحدث مع الأطفال؛ مع تانيا؟ سيربوجا بليد تمامًا. لديه نفس العقل المشوه الذي لوالدته. إن حدث وقرأ أي منكما هذا يومًا ما فاصفحاني، فالأمر يؤلمني بدرجة هائلة.

٢٥ إبريل.

استيقظت مبكرًا. ذهبت لأوزميدوف. وصلت في حالة جيدة لكنني شعرت بالضيق هناك. لم أتحدث ثانية. دفعت الضريبة. في المنزل كانت الأمور جيدة في البداية، ثم دار الحديث عن خوفهم من المصابين بالحصبة وكيف لا يمكنهم اكتشافهم. أعربت عن رأيي الديني وانصرفت. بما أن الناس مسلوين من الشعور الديني، فإنهم يكرهون أي تجلٍّ له. إنهم يكرهون ذكر أي شيء هام؛ أي شيء لا يرونه. ذهبت لأعمل بالحياكة، ثم قرأت في مقالة إيفانتسوف. ترهات كثير غبية عن الاشتراكية، وكثير

من الأفكار الرائعة عن معنى المسيحية، لكن هناك عينة لا بأس بها تكشف كيف يمكن للمساومات أن تقضي على كل شيء. كثير من التحفظات لم يبقَ منها شيء، وفقرات أخرى تعبر عن أفكارٍ تمامًا.

٢٦ إبريل.

الوقت غير متأخر. ذهبت لمكتب البريد. في المنزل قرأت الموعظة على الجبل وحاولت كتابة مقدمة لها. مستحيل! ذهبت للمكتبة، لكنني لم أصلُ إلى هناك. لا أحد بعربة الترام أمكنه أن يفك ورقة عشرة روبلات. الجميع يعتبرونني محتالاً. عدتُ للمنزل، وتغديت بمفردتي. جاء باريس وزوجته، وقد أصبحت الأخيرة شبيهة بزوجتي. إنه شخص يفتقر إلى الخبرة. مكثتُ بالمنزل. ذهبت للمتجر لشراء جبن وكعكة محلاة (١). كما في الحلم: (ضعف). في المنزل تحدثت مع أنا سيرون (مربية فرنسية) وإيليا (ابنه). إنه يريد التواصل معي فشكرًا له على ذلك. كنت سعيدًا للغاية بذلك، ثم وصلت بقية الأسرة.... موت!

٢٧ إبريل.

استيقظت مبكرًا. حاولت مواصلة العمل على المقالة بلا جدوى. لا بد وأن شيئًا مزيّفًا يكتنفها. أريد أن أبدأ شيئًا جديدًا وأنهيه. إما موت قاضي^(٢٠٠) أو مذكرات شخص غير مجنون. تمشيت ثم ذهبت للبنك ولعدة مكتبات. تابعت فكرة إصدار «الموعظة على الجبل». ثمة مواضع مختارة. تكتنفي الإغواءات. لقد ضعفت لكنني استعدت قواي

(٢٠٠) أول ذكر لرائعة تولستوي «وفاة إيفان إليتش».

ثانية. وصلت المنزل في وقت متأخر. تغديت بمفردي. غفوت. قرأت لرينان^(٢٠١). جيد. تلقيت خطابًا من تولستايا. تود أن تعرب عن أسفها بلا جدوى. جاء كل من يوريف وباخميتيف. تعاملت بعداء مع الأخير وأدركت أنني غير محق في ذلك. إنه ساذج وطيب. يوري العزيز مريض.

٢٨ إبريل.

حاولت مجددًا في الصباح. إني لا أستطيع الاستمرار فيها نهائيًا. حساسية زائدة، وبالتالي ستكون مزيفة. جاءني خطاب رائع من تشيرتكوف. تغديت ثم تنزهت على متن الجواد. التقيت أورلوف ثم فاسيليف. عدتُ للمنزل. تحدثت بحزن عن سره مع فاسيليف. هبطت ووجدت بالأسفل الكاهن تيرنوفسكي^(٢٠٢). سعدنا للأعلى معًا وهاجم فاسيليف تيرنوفسكي. إنه ثوري كنسي، يناضل ضد رجال الكنيسة. لديه ملاحظات صادقة، لكن رأيه عن المسيحية مزيف. شارك الأبناء وكانوا جميعًا في جانب تيرنوفسكي. عرجت بعدها على أنا ميخايلوفنا من أجل زوجتي. وجدتهم هناك يلعبون الورق. ملل وخزي، خاصة في حضور لوكيان. لقد أعرب أورلوف عن حبه للمعوزين بطريقة جيدة. الحقيقة أن هؤلاء الأطفال الذين لم تفسدهم بعد ردود أفعال من حولهم قادرون على فعل الخير أو الشر بقوة.

(٢٠١) مؤرخ وكاتب فرنسي اشتهر بترجمته ليسوع التي دعا فيها إلى نقد المصادر الدينية نقدًا تاريخيًا علميًا وإلى التمييز بين العناصر التاريخية والعناصر الأسطورية الموجودة في الكتاب المقدس. ما أدى إلى قيام الكنيسة الكاثوليكية بمعارضته.

(٢٠٢) كاهن معلم بالمدرسة التي يتعلم فيها أبناء تولستوي.

٢٩ إبريل.

استيقظت في وقت متأخر. لم أستطع الكتابة. تحدثت مع أورلوف. جاء إلكسندر بتروفيتش. وبّخته بقسوة. قضيت الوقت قبل الغداء بالتجول حول منزل رجانوف. لا أشعر بالحزن. عرجت على الشقة. الفلاحات يغسلن وهن يتبادلن السباب، والفقراء جالسون على خشب الأشجار. كان ذلك في يوم سبت. بعد الغداء جاءني أورلوف وذهبت بصحبته إلى سوموفا. ديتمان (عضو في بعثة تبشيرية من الخارج) يعظ. ثمة شيء جيد في حديثه. إنه لا يداهن. غادرت الصلاة، وذهبت لمنزل أنا ميخايلوفنا. مكثت حتى وقت متأخر وشعرت بالملل.

٣٠ إبريل.

في الصباح أحضرتُ لنا سيدة شابة من منزل آل جي خطابًا من نيكولاي الصغير لأخيه^(٢٠٣). إنه خطاب رائع أسعدني كثيرًا. حاولت أن أكتب بلا جدوى. جلبت وفاة إيفان إلتش. جيدة ويمكنني إنهاؤها سريعًا. ذهبت للبنك ثم إلى جي ثم إلى بوتكين وحديث عن أوزميدوف. يا لهدوء بوتكين المخيف! وصلت المنزل. زوجتي ليست بخير لكنها لم تستسلم لأحزانها. بعد الغداء ذهبت لشيبكين وساباتشنيكوف. شيبكين لطيف للغاية. حكى لي سيريوغا من النافذة كيف ينتقدي (ش) وأنا أعتقد أنني حاسم معه. أردت الحياكة بالمساء، ولكن دموخوفسكايا جاءت وبعدها بولونسكي. إنه طفل عجوز بائس ميؤوس منه، في حاجة للاعتقاد أن التقاط القوافي أمر جلل! إن أمثاله كثيرون جدًا.

(٢٠٣) يخبر فيه نيكولاي أخاه أنه سيرك الجامعة ويكرس نفسه للحياة البسيطة.

١ مايو.

استيقظت مبكرًا. بدأت في مراجعة «إيفان إلتش»، ومضى العمل على نحو جيد. ربما أنا في حاجة لراحة من العمل على المقالة، وجاء هذا العمل الفني ليُقدِّم لي هذه الراحة. جاءني أوزميدوف رافقته لبعض الوقت. تغديت. خطاب من أوروسوف. عبثًا يهاجم رينان. ذهبت لشراء نعل ثم لأورلوف. تحدثت بإخلاص ودون تكلف. انشغلت بالحياكة طوال المساء حتى أنهكت. سأحاول الإقلاع عن التدخين.

٢ مايو.

نهضت متأخرًا. بدأت قراءة كينجسلي^(٢٠٤). جاء أوزميدوف. تحدثت معه ثم تركته. بدأت العمل. ليس سيئًا. كتبت خطابات لجي وتشيرتكوف وأوروسوف وميرسكي وتولستايا... جميعها سيئة. وصل بولونسكي وأوزميدوف ثم تغديت. بولونسكي مثال شيق على الطفل الغبي، لكنه طفل بلحية، واثق في نفسه وغير بريء. جاء مينور^(٢٠٥). على الأقل فهو ذكي. بدأت الحياكة. عرجت على سمولنسك، ثم عملت ثانية بالحياكة. جاء بيسارييف ويوريف. بيسارييف جامد تمامًا. يبدو أنه سيظل هكذا. أشعر بالضيق ثانية ولا يمكنني الكتابة.

٣ مايو.

استيقظت شاعرًا بالضيق. قرأت بعض الهراء، أي أنني نمت بعد

(٢٠٤) تشارلز كينجسلي: قس وأستاذ جامعي وروائي إنجليزي، والكتاب المقصود هو روايته «هياتيا».

(٢٠٥) يهودي، ابن لحاخام، كان يعلم تولستوي اللغة العبرية.

أن استيقظت! وجدت خطاباً من زوجتي. يا لبؤسها! كم تكرهني! ساعدني يا رب. إن كان هذا صليبي، فسأقبله. فليثقل كاهلي حتى يسحقني تماماً! ولكن هذا الألم الذي يمزق روحي رهيب... إنه ليس مجرد ألم ومرض رهيب، لكنه شديد الصعوبة كذلك. ساعدني! محاولات للكتابة بلا جدوى، سواء في المقالة أو في العمل الآخر. مقالة الإحصاء مهمة لكنني لست مستعداً. ذهبت للمتحف. نيكولا فيدوروفيتش طيب ولطيف. مضيت معه ثم اشتريت تبغاً (١) وذهبت لآل أورو سوف. هدوء بالمنزل. حكّت بمفردي. شربت الشاي مع الأطفال وكيسلينسكي، ودار حديث عن الغثيان. شر! ذهبت لأوسوف ودار بيننا حديث جيد عن المدينة والقرية. يمكن للمرء أن يتحدث عن مميزات المدينة، ولكن ما إن يتطرق الأمر للأكثر أخلاقية، حتى يُحسم الأمر تماماً لصالح القرية.

أنا مكتئب. أنا مخلوق بائس ليس له قيمة، منحصر حول ذاته، لا حاجة له من أحد. الأمر الوحيد الجيد هو أنني أريد الموت. جاءني خطاب من يورجنس. يريد نصائحي، وماذا بإمكانني أن أفعل له؟ جاءت فتاة من فولوجدا. من الواضح أنها ثورية. تحدثت معها على نحو جيد، ولكن حديث مقتضب. أخشى دوماً حدوث مشاهد درامية.

٤ مايو.

أقبلت على العمل. مرة آخر أجد نفسي أقفز من مقالة لأخرى حتى استسلمت. ذهبت لرؤية دافيدوف وزاخارين. وظيفة دافيدوف كمُدعٍ عام تشير اشمئزازي. إنها غير محتملة. أعتقد أن هذه المساومات تمثل

جذور الشر. لم أخبره ذلك(١). لقد قال أمورًا غبية مقززة هائلة عن عملهم وعلاقاتهم بالمحافظ. عدتُ في وقت متأخر. أكلت كثيرًا(٢) ودخنت(٣). حكت بفترة المساء. أتي بيسارينكو ولوباتين. أبنائي الكبار كانوا وقحين، وقد آلمني ذلك. إيليا على ما يرام. لقد أفسدته المدرسة والحياة، لكن ما زالت شرارة الحياة تلمع بداخله. أما سيرجي فلا شيء به على الإطلاق. فتفاهته وبلادته مضمونة دائمًا بسبب حصانة شعوره بالرضى عن الذات. أليس هذا عذابًا؟ محادثات مع بيسارينكو ولوباتين أسوأ من العذاب... إنها فجور. يا إلهي، خلّصني من هذه الحياة غير المحتملة التي تكتم أنفاسي وتسحقني. الأمر الوحيد الجيد هو رغبتني في الموت. الموت أفضل من الحياة بهذه الطريقة. صبيت جام غضبي على حماقة الأطفال(٤).

٥ مايو.

حلمت أن زوجتي تحبني. كم أصبح حينها كل شيء بسيطًا وصافيًا. الأمر ليس كذلك أبدًا في الواقع، وهذا تحديدًا ما يُدَمِّر حياتي. إنني لا أحاول حتى الكتابة. من الأفضل أن أموت.

ذهبت للمكتبة نيكولا في دوروفيتش يعاملني بلطف. من هناك مضيت ليورجنس. في الجادة التقيت بقرية إيفانوف. لو كانت فقط أكثر جدية! إنها امرأة رائعة. دخلت إلى يورجنس دون أن أدق الباب. لماذا؟ الموت يهيمن على منزلي. الأطفال الصغار وحدهم هم الأحياء. لسبب ما دار حديث سيئ آخر. حياتي كلها قابعة تحت ثقل الخوف. تمشيت والتقيت بلوباتين وشوبروفا. إنها امرأة جيدة ومتنورة وذات شخصية واضحة.

٦ مايو.

استيقظت في وقت متأخر. فجأة انضحت لي مقالتي عن الإحصاء وعملت طوال الصباح. ذهبت بعدها لآل أولسوفيف. سمعت قصة عن بوليفينوف^(٢٠٦) وقد مكث في حفرة يستقبل الخبز من أعلى. مسيحيون حقًا! في سييريا يدفعون ٥٠ روبلاً من أجل القبض على الهارب حيًا، و٢٥ روبلاً من أجل هارب ميت. مسيحيون حقًا! ثم ذهبت أسفل نافذة سيريوجا. إنه يكرهني بسبب إيماني. جاءني خطاب مضحك من تولستايا. إنها تنضح بالكراهية مرة أخرى. هرج ومرج بالمنزل من آل كيسلينسكي. كآبة وموت وخطاب من أورو سوف عن بلافسكايا (كاتبة ثيوصوفية). جاء أورلوف. أُسْرُ دائمًا بحضوره. عملت بالحياكة حتى انتهيت. جاء سامارين وأدم فاسيليفتش.

حزن وغرباء. بالصباح جاءت أوبولينسكايا. إنها طيبة بئسة. سامارين جيد. أما سامارين فكل إمكاناته العقلية مكرسة لكل ما بإمكانه أن يبرر الكذب.

٧ مايو.

استيقظت متأخرًا. أقبلت على العمل. التقدم بطيء^(٢٠٧). جاء شوبروف. ترك في انطباعًا أفضل. ركضت قليلًا قبل الغداء، وبعده تنزهت على متن الجواد. التقيت بارانوفسكي. يا لصعوبة موقعي

(٢٠٦) طالب بكلية الطب وعضو في جماعة "إرادة الشعب"، تم القبض عليه لمحاولته تهريب بعضًا من زملائه ثم هرب من منفاه وانتحر بفرنسا.
(٢٠٧) الحديث عن "ماذا علينا أن نفعل؟".

ككاتب مشهور! إنني لا أكون طبيعياً تماماً إلا وسط الفلاحين، أي أكون إنساناً حقيقياً. جاء أورلوف وأوبلوف. بطريقة أو بأخرى تصرف بشكل محرج غير ضروري. ذهبت للاباتين وفي نيتي ألا أثرثر معه، ومع ذلك ثرثرت معه حتى الثانية بأكثر الطرق تبطلاً وثمالة. حرّرت نفسي من الكتابة في شهر مايو. كتبت لتولستايا. أخشى أن خطابي ليس لطيفاً. لكنني أشعر بالضيق أنهم أبغضوني بلا سبب.

٨ مايو.

استيقظت في وقت متأخر جداً. جاني خطاب من أوزميدوف مع ناحوم. ليس لديه ما يدفن به أمه. في البداية شعرت بالضيق. تذكرت توزيع المال في ياسنايا. شيء ما خاطئ بالأمر. ما زلت مستعداً لجمع المال ثم ظهر أولسوفيف وماروزوفا، وقدم كل منهما خمسة روبلات وقدم سيرون روبلاً. دفعت ناني عشرين كوبيكاً، وتم جمع ثمانية عشر روبلاً. قلت إن من الضروري أن يساعد الفقراء. حسناً، ربما الأمر ضروري، ولكن أسرتي ما زالت لا تولي انتباهاً للأمر. كما لو أنني أحياء عالة عليهم. كلما ازداد حياة، يزدادون موتاً. يبدو كما لو أن إيليا يسمع لي. واحد من بينهم جميعاً نهض من موته! أخذ إلكسندر بتروفيتش يحكي لي حكاية. كانوا يتناولون الغداء في المطبخ ثم جاء متسول. قال إنه مريض ومعذب بالقمل. لم تصدقه ليزا. أما لوكيان فنهض وأعطاه قميصاً. انخرط إلكسندر بتروفيتش في البكاء وهو يحكي حكايته. أليس هذا مذهلاً؟ أعيش وسط أسرتي، بينما أقرب الناس لي هم إلكسندر بتروفيتش ولوكيان الحوذي. ذهبت لأوسوف لأحضر كتاباً. مفتاح

شخصية أوسوف: الكبرياء وعقل كبير قوي. إنه يشبه تورجينيف، لكن أقل رونقاً وأكثر ذكاءً. من هناك مضيت للازاريف. إنه شيخ طيب لطيف ومحجب جداً. كان سعيداً برؤيتي. كل شيء كما هو في المنزل... ليست شديدة السوء. ذهبت لسيريوجا وكوستينكا وماشينكا وهيلين، ثم عدتُ من هناك تحت أمطار قوية. قرأت عن كرافكوف^(٢٠٨) في النشرة التاريخية. مهم.

٩ مايو.

أصابني ألم مريع ببطني ليلاً. اعتقدت أنني سوف أموت. لم يبدُ لي الموت باعثاً على السرور، لكنه لم يكن مرعباً أيضاً. انتهيت من النشرة التاريخية ومضيت لأوسوف وأخذت كتباً ليورجنس ولازاريف. الأخير إنسان طيب أيضاً. أدعو أن يوافق. يورجنس مريضة وضعيفة عكرة المزاج شوهتها النزعة الثورية. جاني خطاب من أوروسوف. إنه منجذب للهنود. أعتقد أنه على حق في ذلك. التقيت بدوبروفينا عند دموخوفسكايا. لقد شوهتها هي أيضاً النزعة الثورية، وهي ذات طبيعة شريفة نقية. كانت يورجنس تتصرف بمثالية في هلعها من الفسق. يجب أن يبدو الفسق كذلك بالنسبة للمرأة. عرجت على آل أولسوفيف وشربت الشاي وتحدثنا بود.

(٢٠٨) بطل رواية موردفتسيف: اشتراكي من القرن الماضي. وقد سُجن بسبب عدم امتثاله للطقوس الأرثوذكسية أثناء عصر كاترين الثانية.

١٠ مايو.

لم أنم الليل. نهضت في وقت متأخر. ذهبت للبنك، ثم للبريد، فآل أورو سوف. إنهن نساء يتحلين بالضعف واللفظ. مقالة «الاعتماد على النفس» لإيمرسون^(٢٠٩) رائعة. بعد الغداء جاءني لازاريف ودموخوفسكايا. الأول ذو طبيعة رائعة؛ طيب وعاقل وورع الإيمان، لكنني أخشى أن يضعف.

١١ مايو.

قرأت عن دانتون وروبسبير. رائع. ثمة مجرى عميق وصارم من الأفكار يسري بداخلي. ذهبت لستروجينكو وآل ألسوفيف وبوجايف. في المساء أرتاح. وصل ستروجينكو. يقول إن الحرية الدينية غير ضرورية. يا لهؤلاء الناس! جاء أخي سيريوجا، وذهبت بصحبته إلى أرمفيلد. مكثنا هناك حتى المساء وانصرفنا بود. أشعر بضعف مميت.

١٢ مايو (ياسنايا بوليانا).

استيقظت مبكرًا. حاولت ألا أدخن. إني أحدث تقدمًا، ولكن من الجيد أن يعرف المرء عفته. كان السفر هادئًا. لم أتحدث مع أحد. قرأت ما كتبه عني ميخايلوفسكي في «مذكرات وطنية، عام ٧٥». لقد أفسدتني المدينة تمامًا. عاد الكبرياء ليملاً قلبي. الأمور هادئة في ياسنايا، ولكن حمدًا لله ليست لدي رغبة في المتعة، بل لدي فقط متطلبات من نفسي.

(٢٠٩) رالف إيمرسون: كاتب ديني أمريكي.

كتاب إمرسون جيد. مرّت الرحلة بهدوء إلى حد كبير.

١٣ مايو.

في العاشرة تم ترتيب الغرفة. أخبرتهم ألا يرتبوها ثانية. بدأت في مراجعة المقالة بلا جدوى. قرأت في كتاب إمرسون. عميق وشجاع لكن كثيرًا ما يكون متقلبًا ومشوشًا.

لا أتحدث، ولا أدخن، ولا أغضب.

جاءت الأرملة أنا كريلتسوفكسايا. إنها تقف بصحبة صبي أمام الشرفة الخارجية. لا بد وأن أذهب إليها وأساعدتها.

ذهبت لأتمشى. شعرت بالبؤس من السير هكذا دون هدف. عرجت على القرية وتحدثت مع يفدوكيم وسيرجي ريزنوف. اقترحت عليهما أن نقوم بعمل جماعي نذهب أرباحه الفائضة إلى الفقراء. عندما تفوهت بـ«الفقراء» و«لأجل خاطر الرب» لم ألق سوى اللامبالاة والازدراء. لا، لن يوافقوا على ذلك، لكنني لن أياس. لا بد من التحلي بالبساطة كتشيرتكوف. بعد الغداء جاء بيتر أوسييوف. مع اقتراب الموت، طلب العفو من أبيه.

١٤ مايو.

رتبت غرفتي. شربت القهوة، ثم عملت على نحو حسن. حالتي الصحية أفضل وفجأة اتضح لي كل شيء. ذهبت للغداء وجاء طالبو الإحسان: فلاح مريض من شيكين. كان يبكي ودموعه تبدو حقيقية. جاءت أيضًا فلاحتان تبكيان بغزارة. ما الذي بإمكانني أن أفعله؟

أعطيتهم مبالغ تافهة وأشعر بالخزي والألم. تاراس (فلاح) يشكو من نيكولاي (البستاني) ثم يشكو ميخيف (فلاح) منه. إنهم يكرهون بعضهم البعض. تنزهت مع الأطفال الصغار. جمعنا الكثير من الفطر (المشروم). كان الأمر مبهجًا. توقفت في الغابة، وبدأت أقرأ بختي: تأثير هائل، كبير، متوسط، صغير، صغير جدًا، ليست له أدنى أهمية. مرتين تكون النتيجة: تأثير صغير جدًا. لقد قرأت البخت من قبل. إنها عادة. لكن تلك النتيجة: صغير جدًا، شغلني. على أي حال هذا أفضل ما يمكنني أن أتمناه، فأعظم مهمة دائمًا ما تكون صغيرة جدًا. أمام الله تبدو أي مهمة صغيرة جدًا. راودتني مجموعة كاملة من الأفكار الجيدة عن كيف يمكن للمرء أن يتمنى شيئًا جيدًا ويفعل القليل جدًا. كان الأمر ممتعًا للأطفال ولفلاس (البواب)، وكان من الممكن أن يكون كذلك لزوجتي، لكن نفس الضغينة حاضرة.

١٥ مايو.

استيقظت في وقت متأخر. جاء متسولون يطلبون صدقة. في حضورهم أشعر بالخزي والعذاب. كتبت على نحو جيد. كل شيء آخذ في الجلاء. تمشيت وفكرت بقوة لم أفكر بها منذ مدة طويلة. بعد الغداء أصلحت الساعات وقرأت. انهمر المطر. إمرسون إنسان قوي لكنه يتمتع بحماقة أولئك الذين في الأربعين من العمر.

جاءتني كورنوسينكوفا (فلاحة) تسألني عمَّ إن كان يمكن لأخيها ريبين (لص) أن يتزوج في المدينة أم لا. لقد وجد هناك عروسًا وسيتزوجها. لا بد وأن أستفسر عن الأمر.

جاءتني خطابات. أجبته عن خطاب تولستايا وأوروسوف، ولم أرسل لباراشا. كم من الغريب أن يتمكن إنسان غريب عديم الجدوى من أن يُسمّم الحياة بخطاب! ذهبت لتولا. شعرت بانقباض هناك. أرسلت بعض الخطابات، واشترت بعض الأغراض، ولم أعرج على أحد. شربت الشاي عند باراشا. يا للوقت الهائل الذي ربحته بغياب الكبرياء والرغبة في اللهو! جاءني خطاب لطيف من العجوز جي ومن أوروسوف. لقد أرسل الكتاب للطباعة^(٢١٠)، وجاءني خطاب من تشيرتكوف ومن ليليا. أردت أن أسأل دافيدوف عن إمكانية زواج الفلاح في المدينة، لكنني نفرت منه هذا المدعي العام!

اتفق تقريباً مع آل أوروسوف، فنحن نفكر في إمكانية التطبيق. أفكر وأريد وأؤمن، ومن ثم أعمل. لكني لا أنظر مثل الآخرين، بل أقوم بعمل.

إن فكرة بوجايف رائعة، ومفادها أن القانون الأخلاقي يشبه القانون المادي في أنه لا يُفهم إلا من خلال تحقيقه في المستقبل. إنه أكثر من ذلك، فهو قانون واع. سريعاً ما سوف يكون من المستحيل على الناس الإقامة في المدن^(٢١١)، أو القتال أو إتهام بطونهم بما ينتزعونه من الفقراء كما يستحيل على الناس الآن الاتجار بالبشر. كم ستكون سعادة الإنسان أن يكون موظفاً بشكل واضح في عمل إلهي محدد!

(٢١٠) الترجمة الفرنسية لمقالة: «ماذا علينا أن نفعل؟».

(٢١١) يقصد أنهم سوف يقيمون في القرى عندما يدركون شر الإقامة في المدينة.

١٧ مايو.

استيقظت في وقت متأخر. الفلاحات الصغيرات يسرن بخطوات عملاقة. ما هو وثنى بداخلنا وبداخل الآخرين يحارب ما هو مسيحي. إنها الشهوة الفاتنة المغوية. كتبت على نحو سيئ. ذهبت على متن الجواد إلى بيبكوف. جاءني اثنان يطلبان الصدقة جندي متقاعد، وآخر انتزع رئيس المقاطعة جواده منه.

نسى بيبكوف أن سيريوجا سوف يأتي. تحركت بعد الغداء. غفوت بالمنزل، ثم حاولت التحدث مع زوجتي. على الأقل بلا ضغينة. بالأمس نمت وأنا أصلي لله أن يُغيّر حالها. واعتقدت أن هذا محض حماقة. أضجع بجانبها صامتًا، ولا بد أن يُحدّثها الله من أجلي. إن لم يكن بإمكانني أن أحرّك شيئًا بداخلها فمن بإمكانه؟ كتبت خطابًا لكراسنوا.

١٨ مايو.

استيقظت في وقت متأخر. لا بد من النهوض وضرب القهوة مع الأطفال. العمل لا يتقدم^(٢١٢) لكني لا أستطيع أن أنحّيه بعيدًا. أنا هادئ الروح والجسد. تنزهت على متن الجواد بصحبة تانيا. جاءني خطاب من المترجمة الألمانية. ذهبت لبافل الإسكافي. أقرأ في رواية هيباتيا. إنها تفتقد إلى الموهبة. المثير فيها هي الطريقة التي يعالج بها مسألة دينية. غدًا سوف تأتيني تاتيانا.

(٢١٢) يقصد العمل على «ماذا علينا أن نفعل؟».

١٩ مايو.

مارست العادة السرية. حلمت أن نيكولاي دميتريفيتش أحضر العربدة لرصيف الشارع ولم يكن يقف أمامها، بل خلفها. أخذت أشد الحبلى وانضم لي أربعة فلاحين. جذبنا جميعاً وأفلت منا. حاولنا ثانية وثالثة وأفلت أيضاً. مرة أخيرة ثم نجحنا. لكنى لم أعد فى الشارع. وجدت نفسى وسط فيضان، وشعرت أنى بخير. حلم جميل. لم أكتب. ليست لى رغبة.

كتبى خطابين لتشيرتكوف وللمترجمة وبعدها حاولت الحياكة لكنى لم أحك شيئاً. تنزهت على متن الجواد ثم عدت. ذهبت للقاء تانيا. شعرت بالضيق. هذه الحبلة الفارغة سوف تخبو مجدداً.

لم أفعل شيئاً يستحق الذكر طوال الشهر. محاولات للبدء فى العمل، وأبدأ فيه فعلاً، لكن لا يمكن التعويل على تلك المحاولات إلا عندما أنتهى من شيء. هناك أمر واحد أعرفه؛ ألا وهو أنى لم أفعل شيئاً سيئاً. إن كنت قد أسأت لأسرتى، فقد تضاءلت إساءتى عما كنت أفعله من قبل، وبالإضافة لذلك ففكرة بوجايف ثابتة فى ذهنى وتمنحنى القوة. لقد أصبحت جديراً بالثقة، وعادونى الوعى بفكرة أنه يلزم المرء فقط أن يسدى الخير لنفسه دون هدف آخر حتى يسعد من حوله، وهذا أمر عظيم.

٢٠ مايو.

الاضطراب يعترى روى مجدداً، وأعانى بفضاعة. بلادة وموت فى روى. كل ذلك يمكننى احتمالاً، ولكن ما زاد على ذلك وقاحتى

وثقتي في ذاتي. لا بد وأن أتعلم كيف يمكنني احتمال ذلك أيضًا إن لم يكن بالحب، فعلى الأقل بالشفقة. منذ الصباح وأنا مضطرب وواجم. أنا مريض. استيقظت مبكرًا وشربت القهوة مع الأطفال وقرأت في هيباتيا. جاءني خطاب من تشيرتكوف. شعاع من النور وسط الظلمة التي ازدادت كثافتها منذ وصول الخالة تانيا. جاء طالبوا الصدقة. كويشكين يبكي. بيع جواده بروبل ونصف. إنه يبكي. ما من عدالة. وها هي أرملة ومعها أربعة أطفال وقد انتزعوا منها أرضها. جاء تاراس وكونستانتين يتشاجران مع أوسيب. الوكيل يريد أن يجلدتهما. ميخيف يشكو من أنهم قد حرموه من حصته. نيكولاي يرميشكين يُلَوِّح بقبضته أثناء الاجتماع. لقد كان ثملًا. مربيتي تقول إنني مهما ساعدت قومي فلن يذكر أحد منهم ما فعلته من أجلهم عندما أصبح مسنًا. تقول إنهم سوف يحرمونني من منزلي. أما زوجة الكاهن فتقول إن النساء في أيامنا هذه لن يتزوجن دون مال^(٢١٣). يتحدث آل كوزمينسكي عن الموضة والمال الذين يحتاجون إليه من أجلها. كيف يمكن للمرء أن يعيش هنا؟ كيف يمكن أن يحفر وسط كل هذا الركام من الرمال؟ سأواصل الحفر. دخنت (١) وتكلمت بلهجة غير لطيفة أثناء شرب الشاي (٢).

٢١ مايو.

استيقظت مبكرًا. شربت القهوة مع الأطفال. قرأت في هيباتيا، وجاءني حشد من طالبي الصدقة. آرامل محرومات من نصيبهن في الأرض، ومتسولون. كم يبعث ذلك الكآبة في داخلي! إن هذا الوضع

(٢١٣) ربما المقصود البائنة التي يدفعها أهل المرأة للعريس كمهر، بعكس ما اعتدنا عليه في الشرق.

خاطئ. لا يمكنني فعل شيء لهم. لا أعرفهم وعددهم هائل. هناك حاجز يفصل بيني وبينهم. تحدثت مع زوجتي أثناء شرب الشاي وعاد الغضب ثانية. حاولت الكتابة بلا جدوى. ذهبت لتولا، وفي الطريق التقيت بأم وابنتها. زوج ابنتها يعمل ببناء القرميد، وقد استدرج فلاحًا خارج سيرجيفسكوي. كان الفلاح يتباهى بأنه حصل على بائة من عروسه تقدر بألفي روبل، وأضلته الثروة، وحاول العامل ببناء القرميد أن يقتله بفأسه في الوادي الذي استدرجه إليه، ولكن الفلاح تمكن من انتزاع الفأس. أخذ العامل يسأل صفحه، لكن الفلاح سلمه للمسؤولين بالقرية. بشاعة! جلبت لي العجوز ريزونوفا في منديلها عقصة من شعرها الذي مزقه تاراس بشدها منه. كيف يمكن التعامل مع مثل هذه الأمور؟ كيف يمكن إضاءة مصباح عندما تكون مليئًا بالضعف ولا يمكنك التغلب عليه داخل نفسك.

أتممت كل شيء في تولا دون أن أهبط من على متن جوادي، عدتُ في السادسة وقرأت قليلاً وعملت بالحياكة. تحدثت مطولا مع تانيا. أصبح الحديث مستحيلاً. إنهم لا يفهمون، ومن المستحيل أن أبقى صامتاً. دَخَنْت (١) ولم أضبط نفسي (٢).

٢٢ مايو.

استيقظت في وقت متأخر. تحدثت مع الأطفال عن كيف يجب أن نعيش بحيث يخدم كل منا نفسه. قال فيروتشكا: «حسناً، هذا صحيح تماماً لأسبوع واحد، ولكنك قطعاً لا يمكن الحياة دائماً هكذا». حاولت الكتابة، لا جدوى. ضعف وتبطل. سأتمشى.

أثناء التنزه فكرت جيداً في حياتي وكل ما هو شرير بداخلي وكيف يمكنني انتزاعه. فكرت في أمور الضيعة والاهتمام بالحياد. وصلت المنزل. فلاح عارٍ يقف عند الأجمة من ياروسلافيتس. تحدثت معه حديثاً حاراً لكنني أعطيته القليل ولم أتركه يمكث عندي (١). ذكره تصيبي باليأس. بعد الغداء تنزهت على متن الجواد. تبطل (٢). كنت واجماً في المنزل ثم جلست مع أسرتي وعملت بالحياسة. لا أعلم ما إن كانت قطرتي ستمكن من نحت شيء، أما أن كل ما يتقطر مني بلا جدوى؟ اليوم قلتُ في نفسي: لو وُلِدْتُ بالروح واحدة من نساء المنزل: صوفيا أو تانيا فكم ستكون قوة ذلك! من شأن ذلك أن يشعل النيران التي كانت متوهجة. توصلت أثناء تنزهي إلى أن السبب الرئيس لحالتي السيئة هو عدم ضبطي لذاتي في الطعام والشهوة والتدخين.

٢٢ مايو.

استيقظت في وقت متأخر في حالة معنوية جيدة. جاء فلاح من شيكينسك يطلب الصدقة، ومعلم برجوازي أحرق يظن أنه موهوب في الكتابة ويخشى أن تضيع موهبته. أخبرته بلطف ولكن بوضوح أن يتخلى عن هذه الفكرة. حاولت الكتابة، ولكن دون جدوى. تمشيت كرجل تائه صوب غابة شيبيج، ثم إلى زيسكا. فكرت كثيراً في زوجتي. لا بد وأن أحبها، لا أن أغضب منها. لا بد وأن أجعلها تحبني. هذا ما سوف أفعله. لم أدخن تقريباً. تنزهت بالمساء على متن جواد بصحبة ماشا وعملت بحياسة الأحذية بسرور.

٢٤ مايو.

رأسي يؤلمني. لم أحاول الكتابة. عملت بالحصاد (حش بالمنجل) ذهبت للمنحل. يوم رائع. اليوم جاءني فلاحه من تيلياتينو. أدانت المحكمة زوجها بثمانية شهور. قرأت كتاب أوغسطينوس^(٢١٤). ثمة مقاطع جيدة: «ابحث عن الحياة داخل مجال الموت». تنزهت على متن الجواد. حسنًا، كل شيء ينضج بالحيوية. أثناء شرب الشاي تحدثت بخصوص بنات تانيا. يبدو أنها تُنصت. الحقيقة أنني الآن أقرب لحب زوجتي. دخت كثيرًا.

٢٥ مايو.

استيقظت مبكرًا. عملت بالحصاد. جاء طالبو الإحسان. مرة أخرى فلاحات زوجات لرجال حُكم عليهم. كن أربعة. اثنتان من تيلياتينو حُكم عليهما بسبب السرقة، واثنتان من شيكين بسبب مقاومة السلطات. تمشيت مع بناتي وجمعنا الزهور. بعد الغداء شعرت بالحزن. ذهبت لمحطة كوزلوفكا. لقد فارق موم (كلب) ماشا. شحب وجهها وانفجرت باكية. في المساء انتعشت قليلًا. لم أستطع أن أكون عطوفًا كما أردت. أنا سيئ جدًا. جاءني خطاب من أوزميدوف. إنه في حاجة للمال. إنه ليس حرًا. جاءني أيضًا خطاب من المترجمة. نعم، نسيت. خرجت صباحًا لكنني عدتُ وكتبت.

(٢١٤) كاتب وفيلسوف من أصل نوميدي-لاتيني ولد في طاغاست. يعد أحد أهم الشخصيات المؤثرة في المسيحية الغربية. الكتاب المقصود هو اعتراف أوغسطينوس.

٢٦ مايو.

أنا في حالة مريعة. ضائع بين طرفي النقيض: تدفقات الروح
وسلطان الجسد. ميشا كوزمينسكي طفل لم يفسد بعد، لكنهم
سيفسدونه باسم (...). تجولت حول زاكاز (جزء من ضيعة ياسنايا).
صرع مُضْنٍ. لست مسيطرًا على نفسي. بحثت عن الأسباب: التبغ
- الإفراط في الشرب - نقص عمل المخيلة. كل هذا هراء. السبب
الوحيد هو افتقادي لزوجَة أحبها وتحبني. بدأ الأمر منذ أربعة عشر عامًا
حينما تمزق الخيط وأصبحت واعيًا بوحدتي. ذلك ليس هو السبب
أيضًا. لا بد وأن أجد فيها زوجة لي. لا بد وبإمكانني هذا وسوف أفعله.
يارب، ساعدني.

ذهبت على متن الجواد إلى يسينكا (٦ كيلو متر من ياسنايا).
أجريت محادثة جيدة مع ابنة تانيا.

٢٧ مايو.

نهضت مبكرًا. أقرأ في كتاب أوغسطينوس. سرت وحدي على
الطريق الرئيس. شعرت فجأة بهدوء غريب. فكرت كثيرًا في حقيقة
بولس وأغسطينوس ولوتر، وفي تعاليم ريديستوك^(٢١٥) عن الفداء،
ووعي المرء بضعفه وغياب النضال... لكل ما سبق أهمية عظيمة.
النضال واعتماد المرء على قواه يُضعف من هذه القوى. لا تُعذَّب
نفسك ولا تشد الخيط على آخره ولا تضعفه. بل أطعم نفسك بطعام

(٢١٥) واعظ إنجيلي إنجليزي وصل روسيا في عام ١٨٧٣.

الحياة. الأمر يماثل الفداء. سيكون من الشيق جدًا أن يعرف المرء، هل سيستمر الإغواء في تعذيبي إن توقفت عن مقاومته أم لا؟

يومان جيدان. بعد الغداء ذهبت للقاء آل كوزمينسكي. إنهم يكرهون بعضهم البعض، ثم ذهبت بمفردي إلى كوزلوفكا لملاقة الصبية. ليلة رائعة. لقد اتضح لي تمامًا أن حياتنا هي بمثابة إتمام واجب نحمله على عاتقنا، وأن القيام بذلك يغمرنا بالفرحة. المعاناة والفقد والموت... كل هذا صالح. المعاناة تجلب السعادة والفرحة مثلما يجلب لنا العمل الشعور بالراحة، والألم يجلب لنا الوعي بالصحة، وموت أحد الأقرباء يوقظ فينا الشعور بالواجب، ففي هذا وحده نجد العزاء. ولكن ليس بإمكان المرء قول العكس: الراحة لا تجلب لنا التعب، والصحة لا تجلب لنا الألم، ولا الوعي بواجب المرء يجلب الموت. كل ذلك يجلب الفرحة فور أن يدرك المرء بداخله الشعور بالواجب. إن حياة الإنسان -بقدر ما نعرفها- بمثابة موجة مكسوة بالبهاء والسرور.

كوزمينسكي ممل للغاية، لا ينبض بالحياة. وصل كل من إيليا وليليا (ابناه)، ونفوسهم تنبض بالحياة والإغواءات ضد ما لا قوة لي به.

٢٨ مايو.

استيقظت مبكرًا. لستُ على ما يرام. الصفراء. مارست العادة السرية، لكني بخير بشكل عام. هل سيمضي الأمر فعلاً على هذا المنوال؟ آل كوزمينسكي يتعاركون. تحدثت معها. وتحدثت مع مربيتهم اللطيفة. عملت قليلاً بمنجلي في الحصاد. قرأت مقالتي. يمكن أن تكون جيدة. بالأمس جاءني خطاب جيد جدًا من أورو سوف.

إن شكه فيما يتعلق بالكلمات رائع حقًا. امتلأت ثانية بالكبرياء بعد طباعة كتابي ثم شعرت بامتناني لله. آه لو أتمكن فقط من تنفيذ واجبي، فكم سأكون حينها سعيدًا!

كتبت خطابات عديدة لتولستايا وأرمفيلد وأوزميدوف وأوروسوف وباخماتيف. أحاول أن أكون رائفًا وسعيدًا، ولكن الأمر شديد الصعوبة. كل ما أفعله سيئ، وأعاني بشدة من جرائه. كما لو أنني العاقل الوحيد في منزل يعجب بالمجانين ويديره مجانين.

٢٩ مايو.

استيقظت مبكرًا. لست بخير. أقرأ ولا أحاول حتى الكتابة. عملت بالحش. بعد الغداء ذهبت مع البنات للتنزه صوب بيبكوف. الأطفال هناك مرتبطون بنا. من الممتع أن يقضي المرء وقتًا مع الأطفال، ولكن المرعب في الأمر هو أن الشر بأكمله: الترف والحياة الفاسدة التي أحيائها هي من صنعي. أنا فاسد، ولا أستطيع إصلاح نفسي. يمكنني القول أنني أتحسن ولكن ببطء. لا يمكنني الإقلاع عن التدخين، ولا أستطيع إيجاد طريقة للتعامل مع زوجتي ثمكّني من ألا أسيء لها وألا أسايرها في الوقت ذاته. أبحث وأحاول. وصل سيريوخا. لست جيدًا معه هو الآخر مثلما هو أمري مع زوجتي. إنهما لا يدركان معاناتي.

٣٠ مايو.

استيقظت مبكرًا. ما زلت لا أشعر أنني بخير. أقرأ رواية ويندريخ. متطلبات الحياة الجديدة موصوفة بشكل رائع. لا أعيش من أجل

نفسى، بل من أجل الآخرين، من أجل الأفكار. رائع. عملت بالحش. وجاء طالبو الإحسان. بالأمس جاء فردان رائعان من أولئك المشردين، وأطعمتهما. كم كان الأمر رائعاً!

هوة الاغتراب بيني وبين زوجتي تزداد عمقاً. إنها لا ترى ولا تود أن ترى. ذهبت لتيلياتينكو لأفحص أمر بعض المسجونين. ذهبت إذن لتيلياتينكو ثم يسينكا على متن الجواد. أرسلت خطاباً لأوروسف. شيخان: أحذب وآخر يعمل بإصلاح المواقد. كلاهما تغطيه الطحالب. في المنزل أحاول بدء حوار دون جدوى.

٣١ مايو.

استيقظت مبكراً. لا أذكر ماذا حدث. أعرف أنني لم أعمل. يبدو أنني تفحصت ما كتبته بالفعل، ولم أستطع المضي لأبعد من ذلك، لكنني أشعر بالرضى. لا أذكر شيئاً، لكنني لم أفعل شيئاً سيئاً. ذهبت للمحكمة^(٢١٦). ابن خومياكوف مُحَامٍ. لماذا يلقون بهم في السجن؟ يقولون: «من أجل إصلاحهم الأخلاقي». أمر يثير الضحك. في المنزل يلعبون الورق. أشعر بالضيق. في المساء تقول: «ذهني متنعش» (يقصد زوجته). أشعر أنني مجبر على الحديث. قلت إن ذلك كله محض جنون وحديث فارغ. لم أتم طوال الليل.

١ يونيو.

نهضت مبكراً. لم يكن هناك عمل بالمنجل لذا ذهبت لتولا لشراء

(٢١٦) ذهب لخومياكوف قاضي المقاطعة الثالثة بشأن بعض المساجين.

بعض الأغراض. لحق بي عجوز في السبعين من العمر من كوتما. لقد قطع بالفعل ٣٠ فرستًا. سرنا معًا. كان الأمر جيدًا جدًا. اشترت ما أحجته من أغراض من تولا وعدتُ المنزل مرحةً قويًا. جولوفين لدينا. دار الحديث عن الرقصات المجرية وعن جوع الشيخ جاروف الذي لا يجد خبزًا ليأكله. اعترضت تانيا بطريقة مسرحية، وكذلك فعل سيريوجا: «من المستحيل أن نطعم خلدًا كهذا! لا يوجد ما نساعد به». صمتُ وقد خشيت ألا أستطيع إقناعهما. نمت نومًا ثقيلًا.

٢ يونيو.

قرأت وحششت ومضيت لبافل وكتبت خطابًا لأوزميدوف وسلمته للبريد. كنت متكاسلاً طوال اليوم. في اليوم التالي بدأت امتناعي عن تناول اللحوم. امتطى سيريوجا متن الجواد الصغير وذهبت للقاءه. فلاحو جالوفني يعودون من العمل متأخرًا. كم أحسدهم على أطفالهم! الحياة تفارقني بينما هم يقدمون مستودعًا جديدًا للحياة. لدي كينجسلي فلسفة رائعة عن «الابن». إنها فكرة الإنسان البار لأجل نفسه ولأجل الله. كي يكون المرء بارًا بهذه الطريقة يجب أن يكون ملعونًا معذبًا حد الموت من الجميع ومع ذلك يظل بارًا. بالنسبة للمسيح هذا غير صحيح؛ لأنه كان لديه تلاميذ، وكان هناك اعتراف به من قبل الناس. ليس صحيحًا أيضًا أن الابن يُعبّر تمامًا عن المسيح. التعبير عنه أبدي ومن قبل الناس جميعًا.

نهضت من جلستي البغيضة لشرب الشاي واستلقيت لأنام.

٣ يونيو.

استيقظت مبكرًا. لم أنم طوال الليل وشعرت بالنفور. حاولت الكتابة. ذهبت للمحكمة. إنها مؤسسة لإفساد الناس. إنها فاسدة جدًا في حد ذاتها. إنها تخدش القرح. هذا ما تفعله. صمتُ. الفلاحة زوجة القتل كانت فقيرة وطيبة. تناولت الغداء. صاحت على نحو بغض. ما يؤلمني هو أنني لا أعرف ماذا عليّ أن أفعل. صمتُ. ذهبت لآل ريزينوف وقرأت في الإنجيل. شربت الشاي بالمنزل وتحدثت مع سيريوجا وكوزمينسكي حديثًا حسنًا. يقول سيريوجا: «عبدًا يفعل المرء أي شيء»، ويقول كوزمينسكي: «إنها نزعة الشك».

٤ يونيو.

استيقظت في وقت متأخر. «ذهنية الدرج»^(٢١٧). فكّرت في محادثة الأمس وفي الصباح لحق بي كوزمينسكي وسيريوجا من أجل شرب القهوة. قلتُ لساشا إن نزعة الشك تؤدي بالمرء للتعاسة إن كان لا يعيش بتناغم مع أفكاره. كلما يسير مطولاً في هذا الطريق، يزداد الأمر صعوبة بالنسبة له. ينبغي أن نتمنى لإنسان كهذا أن تزداد حياته سوءًا، فكلما تسوء كلما يكون الأمر أفضل. وقد وافقني على ذلك. قلتُ لسيريوجا أن على الناس جميعًا أن يحملوا النير، وإن كافة مجادلاته - مثلها مثل مجادلات الآخرين - هي مجرد مراوغة. «سوف أحمل النير عندما يحمله الآخرون» - سوف أحمله ما إن يتحرك» - «سوف يتحرك من تلقاء نفسه»... كلها التفافات كي يتجنب المرء حمل نيره. بالنسبة

(٢١٧) مصطلح فرنسي يستعمل في حالة التفكير بالرد أو التعليق المناسب بعد فوات الأوان.

لي فأنا لا أحمله أيضًا. أنا لا أفعل شيئًا سوى التحدث، وهذا يؤلمني بمرارة. إنه كأمة تمامًا، شرير وعديم الإحساس. تألمت بشدة وأردت أن أنصرف. لكن هذا محض ضعف. عليّ أن أقوم بما يتوجب عليّ القيام به لأجل الله لا لأجل الناس. عليّ أن أقوم بما أعتقد أنه الأفضل لا لكي أثبت شيئًا. لكنني متألم بشناعة. بالطبع هو خطئي إن شعرت بالألم. أنا أناضل وأدكي النيران المشتعلة بداخلي، لكنني أشعر أن هذا قد ضغط على كفة الميزان بقوة، وفي واقع الأمر ما فائدتي لهم؟ ما الهدف من كل عذاباتي؟ مهما كانت صعوبة حياة عابر السبيل (وأنا لا أعتقد أنها صعبة على الإطلاق)، فلا يمكن أن تُقارن على الإطلاق بما أعانيه من آلام.

قرأت ما أعدت كتابته وقيمت ببعض التعديلات. سأقوم ببعض الحش والحياسة. غداً سأنهض في الخامسة صباحاً، لكنني لم ألزم بعد بالامتناع عن التدخين. عملت بالحش مدة طويلة. تغذيت ثم عملت بالحياسة حتى وقت متأخر من الليل. لم أدخن. ما زالت نفس الحياة الطفيلية تجري من حولي.

٥ يونيو.

استيقظت في الخامسة، وأيقظت الأطفال. ذهبت لبافل، وبدأت الحياكة. عملت بجد إلى حد كبير. لم أدخن. في الثانية عشرة ذهبت لأتناول إفطاري وواجهت نفس الشر والجور. بالأمس أثقل سيريوجا من كفة الميزان، واليوم قامت هي بذلك (يقصد زوجته). آه لو كنت واثقاً تماماً بداخلي أنني لن أستطيع مواصلة هذه الحياة الوحشية! سيكون ذلك مفيداً حتى لهم. إن تبقى لهم أي شيء يشبه القلب، فربما

يعودون إلى رشدهم إن هجرت هذه الحياة الوحشية.

عملت بالحش والحياسة. لا أذكر. البنات يحبونني. ماشا ملتصقة بي. جاءني خطاب من تشيرتكوف ومن الضابط.

٦ يونيو.

في السادسة أقبلت بسرور على الحياكة. كانت ماشا معي. ثم كتبت خطابين لتولستايا وللضابط ولم أرسلهما. أرسلت فقط خطاباً لتشيرتكوف. حكت. مكثت حتى وقت متأخر في تولا لدى النائب العام، وعرفت أمر الفلاح المدان بالقتل.

٧ يونيو.

عملت بالحياسة والحش. جاءني شتائجي (ثوري). خرجت معه ومع ابنتي، ومضى الأمر بخير، لكنني أنهكت.

٨ يونيو.

حكت بالصباح وأردت أن أذهب لفاسيا (الحوذي) في تولا، لكن صوفيا طلبت استدعاء ماريا إيفانوفنا^(٢١٨) من ضيعة كيتاييفك.

عُدْتُ وحكت. أفسدتُ كل شيء. بعد الغداء مضيت لأغتسل. يعتريني ضعف عام. تبطل أبنائي اللا أخلاقي يُكَدِّرني. يبدو أن ما من وسيلة أخرى سوى السعي صوب الكمال. وحدها ماشا من تسعى صوبه. استلقيت ونمت قبل أن تحل العاشرة.

(٢١٨) قابلة، وكانت صوفيا على وشك الولادة.

استيقظت في السابعة. لم أفعل شيئاً من واجبي اليوم الأولين^(٢١٩) حتى الغداء. قرأت الجزء الذي أرسله كوزمينسكي^(٢٢٠). تنزهت واغتسلت. أشعر بضعف شديد. لديّ وسيلة واحدة كي أفعل شيئاً ما، وهي إعداد أسلحة العمل وتنظيم العمل وتعهده بالرعاية. إن أطعمت جواداً وأعددتَه جيداً ولم تضربه وانطلقت به، فحينها ستصل بيسر. الأمر كذلك مع العمل. عليك أن تتعهده بالرعاية أي: تطعمه بالإيمان والدين وفكرة عن الحياة المشتركة والموت الشخصي - تربطه بنشاط ما - لا تندفع ولا تسرع ولا تتوقف. ولكي تفعل هذا ولا تفعل ذلك لديك وسيلة واحدة؛ ألا وهي أن تتحكم في الماء الذي يندفع صوب السد بطريقة أخرى. الأمر كذلك مع الشهوة. اعمل بسرور ولا تتوقف عن العمل. حكّت الأحذية، وتعلمت الرتق. تغديت شاعراً بالحزن وشعرت بنفس الكسل والتبطل العام الضاغط عليّ واللا أخلاقي الذي أصبح يبدو كما لو أنه أمر شرعي. بعد الغداء عملت بالحياكة ومضيت لأغتسل. نقود ولعب ورق وموسيقى وقحة. خطاب من تشيرتكوف. أمه سوف تربط الجبل حول عنقه. النساء مخلوقات مريضة تشكل نيراً رهيباً. لم أستطع النوم بسبب ضجيجهنّ في المنزل.

(٢١٩) اعتبر تولستوي أنه يتوجب عليه القيام بأربعة أمور في اليوم: عمل بدني ثقيل - حرفة -

نشاط عقلي - تعامل مع الناس. (ماذا علينا أن نفعل؟ فصل ٢٨).

(٢٢٠) نسخة طباعة من «ماذا علينا أن نفعل؟؟».

١٠ يونيو.

استيقظت في الثامنة شاعراً بالتعب. تمشيت قليلاً، وفكرت. قرأت في «مذكرات وطنية». يتقاضى العامل في روسيا أقل من العمال في الخارج خمس مرات، ولديه قدر أقل من الإجازات. فكرت في مقالتي. أعتقد أنني بدأت بداية خاطئة. لا بد وأن أنحيها.

١١ يونيو.

استيقظت بصعوبة في السادسة. كتبت بعض الخطابات وذهبت للبريد بتولا. أنهكت. لم أستطع فعل شيء. ذهبت لأغتسل. أنا الآن أهدأ وروحي أقوى. في المساء دار حديث بشع عن أموال سامارا^(٢٢١). أحاول أن أقوم بما يتوجب عليّ القيام به في ضوء الرب، لكنني لا أستطيع تجنب الضغينة الموجهة إليّ. لا بد لهذا وأن يتوقف.

فكرت في محاولاتي الفاشلة في كتابة رواية من الواقع الشعبي. ما هذه السخافة؟ أن تكون لديك فكرة عمل يلعب فيه الحب الدور الرئيس والشخصيات الرئيسة من الفلاحين، أي أن الأمر لا يقتصر على أنهم أناس لا يلعب الحب في حياتهم الدور الرئيس، ولكنهم أيضاً يفتقرون إلى ذلك الحب الشبقي اللازم لموضوع العمل، ولديّ الكثير من العمل لأقوم به، ولكن التغيير الذي يحدث الآن في طريقة حياتي يحول بيني وبين التفكير بصفاء.

(٢٢١) أراد تولستوي أن يخلص الفلاحين المدينين له في مقاطعته بسامارا من ديونهم ويوزع المال عليهم، وعارضته زوجته بقوة.

١٢ يونيو.

استيقظت مبكرًا. مضيت إلى يسينكا. جاءني خطاب من لازاريف. كتب لي فيه: نحن مولودون في الأسر ولا نرى الأرض الموعودة، ولكن ثمة أناس يسرون في طريقنا وعلينا أن نقدم لهم يد العون. جاءني خطاب من تشيرتكوف. لقد طبع خطاب إنجلجاردت وهو يكتب ببهجة ولطف. «اكتب وتحدث كما يفعل الحي، وستجري الأمور على ما يرام». هذا ضروري حقًا. أحاول الكتابة. قمت بالحش، وذهبت لأغتسل. شعرتُ أنني أضلّبت. يلعبون الورق وتحيط بي الوقاحة. راجعت نقدي اللاهوتي. تصحيحه صعب.

١٣ يونيو.

استيقظت مبكرًا. ذهبت لمنزل فيدوت (فلاح يعمل لدى تولستوي). فقر مربع. كيف استطعنا أن نطور تقنيات الوحشية بداخلنا إلى هذه الدرجة؟ في الواقع كان عليّ أن أقيم هنا وألا أفارق المكان حتى أجعل فيدوت مكافئًا لي. بعد القهوة ذهبت مع ميشا كوزمينسكي وأندريوشا وميشا إلى محطة كوزلوفكا. تحدثنا عن الله، وعن أننا نستطيع تبيينه في داخلنا عندما نتصرف بصلاح. قال أندريوشا إنه لم يستشعر الصباح في داخله، ولذا فهو يعيش حزينًا. ثم تحدثنا عن أبينا الذي في السماوات. عندما قلتُ إنه أبونا، وإننا عندما نموت لا يمكن أن يكون الأمر سيئًا لأن أبانا لن يمنحنا شيئًا سيئًا، انفجر أندريوشا في الضحك، وقد استشعر أن الأمر قد اتضح له. أما ميشا فقال وهو جالس على كتفي: «أنا لا أريد الموت».

بوشكين من أصحاب الإيمان القديم^(٢٢٢)، جلب لي كتابًا عن الطقوس وأخذ مقالتي. إنهم ثوريون أو على الأقل يتعاطفون مع الثورة. كتبت مقاربة الشعب (مقاربة للعظة على الجبل). أعتقد أنها معقولة. بعد الغداء مضيت إلى يسينكا. شاهدتهم يعملون بكسر الأحجار: صبي في السادسة عشرة من العمر وعجوز في الستين. يعملون كالعبيد من أجل لقمة عيش. كان الحجر صلبًا. يمتد سجن العمل من الصباح الباكر حتى وقت متأخر من المساء.

١٤ يونيو.

استيقظت مبكرًا، وعملت بمنجلي. أثناء شرب القهوة تحدثت مع ماريا إيفانوفنا وألسيد والمربية ليك عن العمل بتكسير الصخور. تحدثت على نحو جيد، لكنهم سمعوا حديثي بلا مبالاة. واصلت العمل على المقالة، وتقدمت الأمور قليلًا. انقضت ساعة والتقيت ليك وميشا ومضمينا إلى بافل. اقتنعت تمامًا أثناء عومي في البركة أنني ضعيف تمامًا. راودتني أفكار مريضة عن ضرورة ذلك الضعف. أسمى سعادة هي أن يمنح المرء نفسه للآخرين، وهذا يمكن أن يتحقق بالعمل المستمر وفي السلوك بانتباه. نعم، الأمر كذلك، ولكن كي يتحقق ذلك لابد من العمل الذي بإمكانه أن يشبع الاحتياجات، ولكن إن كانت الاحتياجات أكثر من العمل، فهذا يعني أن هناك غلوًا في الاحتياجات، وهذا ما

(٢٢٢) ليس بوشكين الشاعر، أما أصحاب الإيمان القديم فهي مجموعة من الحركات والمنظمات الدينية الأرثوذكسية التي ترفض إصلاح الكنيسة الذي تم في ١٦٥٠ - ١٦٦٠، وكان الغرض منه توحيد الطقوس الليتورجية للكنيسة الروسية مع الكنيسة اليونانية، وقبل كل شيء كنيسة القسطنطينية؛ تسبب الإصلاح الليتورجي بالانقسام في الكنيسة الروسية وظهور هذا المفهوم.

يحدث فعلاً. إن بليتنا الرئيسة أننا نستهلك أكثر مما نعمل، ولذلك نضل طريقنا. لا يمكن أن يضيرنا أن نعمل أكثر مما نستهلك. هذا قانون سام. ١٥ يونيو.

استمنيت. ذهبت مع ماشا إلى يسينكا. تحدثت مع تانيا كوزمينسكي وسيرون أثناء لعب الكروكيت. من المستحيل إقناع أي شخص، لكني أكدح دون أمل. حكت ثم غفوت، والأمر ذاته في المساء. محاولات للحديث مع صوفيا وعذاب رهيب. عملت بمنجلي بياض الاستحمام. أشعر بالخزي.

١٦ يونيو.

استيقظت مبكراً. وصل بيتر أندريفيتش من سامارا (مدير ضيعة تولستوي هناك) وتحدثت معه. يتملقني وأنا أفهم كل ذلك. حكت. كتبت خطاباً لفاسيلي إيفانوفيتش بخصوص الديون التي تبلغ ١٢ ألفاً وكيف يجب ردها للفقراء، وقلت هذا لزوجتي. الصبية في حالة سيئة ولا أستطيع التحدث معهم. إلكسندر جريجوريفيتش قد هلك بفعل الحضارة. تنزهت بمرح مع بناتي ولكن دون حيوية. لا يمكن أن تكون الخميرة جيدة وماسخة الطعم. هذا ما أشعر به باستمرار صوب ماشا العزيزة. ذهبت بعدها لأغمر جسدي في الماء وأنهكت جدّاً. البذاءة ذاتها تجري في منزلي.

١٨ يونيو.

استيقظت في وقت متأخر عن الأمس؛ في السابعة. ربّبت غرفتي،

وبعدما شربت القهوة أخذت أتسكع. قطعت شجرة تنوب، وتحدثت مع ميتروفانوم بشأن الحديقة (تأجير بستان شجر التفاح). قبلت بالعربون... كل هذا دنيء. مضيت لشتانجي والتقيت بالأطفال. الفتاة بسيطة ومباشرة. إنها ابنة الخادمة وتتصرف مثل الجميع. لديهم صبية أيضًا. وصل الفلاحون. يعاملون ضيوفهم بأدب وطيبة أيضًا. ودعني شتانجي. حكيت له عما أفكر فيه. جيد جدًا. إنه إنسان صالح. الجميع أنهوا غداءهم بالمنزل. جاء أخي سيريوجا، وجاءت فلاحتان زوجتان لسجينين، وأرملتان لجنديين. انتظروني. أنهكت وغضبت منهن ومن شتانجي ومن سيريوجا. حالة ضيق وقلق. سرعان ما تغدينا بلا مبالاة. في المساء كنت أحش بالمنجل قرب المنزل ثم جاء فلاح ليحدثني في أمر المزرعة. ذهبت لأغمر جسدي في ماء البركة وعدت مبتهجًا مسرورًا، ثم بدأت زوجتي فجأة في توبيخي بجنون بشأن الجياد التي تفيض عن حاجتي، وأود التخلص منها. لم أقل شيئًا لكنني شعرت بضيق رهيب. انصرفت وأردت أن أرحل تمامًا، ولكن حملها أجبرني على العودة من منتصف الطريق لتولا^(٢٢٣). في المنزل يلعب ابناي الورق مع فلاحين ملتحين. تقول تانيا: «إنها تلعب الكروكيت، ألا ترى؟». لا... لا أود أن أرى. انصرفت لحالي، وحاولت النوم على الأريكة، لكنني لم أستطع من فرط الحزن. آه، يا لضيقتي الرهيب! على أي حال أشعر بالأسف عليها، ولا يمكنني أن أصدق أنها متبلدة تمامًا. غفوت في الثالثة، ثم جاءت وأيقظتني قائلة: «سامحني. أنا على وشك الولادة وقد أموت!». صعدنا

(٢٢٣) محاولة تولستوي الأولى للهروب من المنزل.

للأعلى معًا. بدأ المخاض، أي أكثر ما يبعث على السرور والسعادة في الأسرة، لكن الأمر تم كما لو أنه شيء ثقيل على النفس لا حاجة لنا به. جاءوا بمرضعة للوليدة. إن كان هناك من يدبر شؤون حياتنا، فأود أن ألومه. الأمر شديد الصعوبة حد الوحشية معها. يمكنني أن أرى كيف تمضي للهلاك بسرعة متزايدة، وكذلك صوب معاناة روحية مفزعة. نمت في الثامنة واستيقظت في الثانية عشرة. على ما أذكر فقد جلست لأكتب. عندما وصل أخي من تولا شرحت له للمرة الأولى في حياتي موقفني الصعب بوضوح. لا أذكر كيف انقضى المساء. اغتسلت في المياه، ومجددًا لعبوا الورق، وجلست رغمًا عني معهم أنظر إلى أوراق اللعب.

طوال الشهر كنت أحاول إصلاح عاداتي والاستيقاظ مبكرًا وزيادة العمل البدني. كنت أتحدث وأتحدث بغير قصد مع كافة من حولي. لا يمكنني أن أقول إن علاقتي مع زوجتي قد ساءت، لكنها قد انقطعت كلية تقريبًا.

لم أعد أشرب الخمر مطلقًا، ولا أضع سكرًا في الشاي، ولا أتناول اللحوم. ما زلت أدخن، ولكن بكميات طفيفة.

١٩ يونيو.

نهضتُ في الثامنة. رُبَّت الغرفة في حضور سيريوجا. جاء تاجر ليشتري جوادًا. تراجعت عما قلته ٢٥٠ روبلاً.

إن زيف موقفني أمر سيئ. أنا الملموم. لا بد وأن أهرب. أردت أن أعطي المال لتانيا، فقد تبين أن الآخرين - أي سيريوجا (ابنه) - يشعرون

بالحسد. سوف تقرأ هذا يومًا ما يا سيريوجا، ولا بد أن تدرك أنك سيئ جدًا جدًا، وأنك لا بد وأن تعمل بجد كي تُحسِّن من ذاتك، وقبل كل شيء عليك التحلي بالتواضع. الفلاح جريجوري بولخين وكاستر ماستر (فلاح يُدعى تيموفي فاسيليفيتش وهذا لقبه) والإسكافي بافل يقومون بحش الحديقة. قرابة الحادية عشرة شاركتهم العمل وأخذت أحش معهم حتى المساء. شارك الأطفال: إيليا وليليا وألسيد في العمل. كنا مسرورين جدًا، وأمضينا المساء في العوم بالبركة.

يلعبون الورق ثانية!

٢٠ يونيو.

استيقظت في السابعة ورتبت الغرفة ثم عملت بالحش بمعدة فارغة حتى موعد الغداء. جاء ليليا بمفرده. أفطرت ثم غفوت لنصف ساعة. أكتب الآن ذلك. أود أن أمضي في المساء إلى يسينكا. ذهبت ليسينكا. وطأ الجواد قدمي.

٢١ يونيو.

الفلاحات يعملن، أما النساء في منزلي؛ فلا يعملن. عملت مع الفلاحين طوال اليوم عدا الحزمة الأخيرة. في المساء تحدثنا داخل غرفة ماشا عن كيف قضى كل منا يومه. إنها ليست لعبة. سوف أجعلها عادة. بالطبع لا حاجة لإجبار الآخرين. مَنْ يريد فقط يمكنه أن يتحدث.

٢٢ يونيو.

استيقظت مبكرًا. في البداية جاءت الفلاحات، أما في منزلي فلم

يخرج منهم أحد. خرجت ثم خرجت ماشا. لديها ألم في معدتها. عملت طوال اليوم. أثناء شرب الشاي تحدثت البنات وتانيا وكذلك إلكسندر ميخايلوفيتش عما فعلوه في يومهم وعن خطاياهم. تحدثت تانيا عن غضبها أثناء الإفطار، وكيف غضب كل من فردي آل كوزمينسكي من تريفونوفنا (مدبرة منزل). أردت أن أخبرهم بخطاياي، لكنني لم أستطع. نظرات غير طاهرة صوب النساء، وكراهية صوب زوجتي وسيريوجا. لم أستطع أن أخبرهم شيئاً عن ذلك.

٢٣ يونيو.

استيقظت في السابعة وعملت مع بلوخين دون أن أنتظر وصول الفلاحين. يقول: «سيكون الأمر مرهقاً جداً. لا بد وأن يصلح الفلاحون كل ذلك، لكن يمكن أن نقوم بهذا من باب التسلية فقط». تمشى في الحديقة وأعجبته الممرات الصغيرة وانفجر في الضحك قائلاً: «رائعة هذه الممرات لغرض المرح». أقولها دون أي مزاح: «إنه أكثر مزاحاً من عائلتنا بأكملها». استدعيت تانيا. كانت تعمل بالمدممة^(٢٢٤). إنها لطيفة لكنها مدللة للغاية، ولكن بالإمكان أن تصبح امرأة جيدة جداً. عملت بلا انقطاع وكنت مرهقاً جداً. لم أستطع النوم؛ فيداي كانتا تؤلمانني، لكنني كنت أشعر أنني بخير تماماً جسدياً وروحياً. أعطوني حمولة عربية كبيرة. لم أكن أتوقع أن بالإمكان في مثل هذا السن أن أتعلم وأتحسن. الشحن والتخزين مرهق. زوجتي هادئة وقانعة جداً، ولا يمكنها أن ترى حجم الشرخ الحادث بيننا. أحاول أن أفعل ما يتوجب عليّ فعله،

(٢٢٤) أداة ذات أسنان لجمع العشب وتقليب التربة.

لكني لا أعرف ما هو. لا بد أن أفعل ما يتوجب عليّ فعله في كل دقيقة،
وحينها سيصبح كل شيء على ما يرام.

٢٤ يونيو.

لم أستيقظ مبكرًا، فقد شعرت بالإرهاق. مشيت حتى محطة
كوزلوفكا. جاءني خطاب من أورو سوف. حلمت أنني سافرت لفرنسا.
المرء بإمكانه أن يعيش حياة حسنة في أي مكان، على الأقل من الناحية
النظرية. حاولت الكتابة بلا جدوى. بعد الغداء ذهبت على متن الجواد
بصحبة تانيا إلى يسينكا. خافت من الجواد سلطان. لا أذكر شيئًا آخر.
لقد طلبت الكثير من أقربائي، فضمائر أفضلهم ما زالت حية، ومنهم
إلكسندر كوزمينسكي، وهو أمر حسن.

أعدت قراءة يومياتي في هذه الفترة، باحثًا عن مصدر إغواءاتي. الأمر
كله هراء. السبب الوحيد هو نقص العمل البدني المكثف. إنني لا أقدر حق
التقدير السعادة التي يجلبها الشعور بالتححرر من الإغواء بعد العمل. يمكن
شراء هذه السعادة بثمن بخس عن طريق الإرهاق وإيلاام عضلات الجسد.

٢٥ يونيو.

استيقظت مبكرًا. كنت خلف الفلاحين بخمسة صفوف، لكنني
قمت بمهمتي. عملت طوال اليوم ولم أتغدّ. جاءت طالبة صدقة من
تولا. لم أستطع فعل شيء لها، ولكن آلمني أن أرفض. جاءت أكلينا
من كامينكا، ولقد عاملتها هي الأخرى بطريقة غير ودية تقريبًا. أرسلت
تانيا لتجمع بعض المعلومات وتوزع مالا. لحق بنا كل من السيد (ابن

سيرون المربية) وإيليا للعمل لكنهما سريعاً ما استسلما وساء الأمر. في المساء جاءني خطاب من تولا من تشيرتكوف. إنه يخشى التخلي عن ممتلكاته، ولا يعرف من أين تأتيه العشرون ألف روبل (٢٢٥). أما أنا فأعرف مصدرها؛ إنه الظلم وعمل الفلاحين المضني. لا بد وأن أكتب له. اجتمعاً في غرفة زوجتي لتحدث عما فعلناه في يومنا. تحدثت أولاً وأسأت لماشا؛ لأن حياتهم جميعاً تشعرني بالأسف، وقد قدمت هي المثال الأكبر على ذلك.

٢٦ يونيو.

استيقظت في السابعة منهكاً ومريضاً، لكنني ذهبت للعمل. عملت بمنجلي طوال اليوم دون راحة. جاءت تانيا جالبة معها القهوة. لطف منها. عمل سيريوجا (ابنه) أيضاً. ثقته في ذاته وغروره لا يُحتملان. جاء بعض الفلاحين للشراء من ضيعة مياسويدوفو. كان عليهم الشراء ليخلصوا أنفسهم من جارهم الشرير وكي يحظوا بقطعة أرض، لكنهم يعالجون المسألة بشكل خاطئ. تحدثنا مع الفلاحين عن تركيا وعن الأرض هناك. يعرفون الكثير وحديثهم يُثَقِّف المرء خاصة عند المقارنة بفقر اهتماماتنا. لم أتناول الغداء، ولم أرغب في الأكل. في المساء أعربت الخالة تانيا عن استيائها من إسائتي لماشا بالأمس.

(٢٢٥) كتب تشيرتكوف لتولستوي أن من الحماسة أن يتخلى عن ٢٠٠٠٠ روبل في العام تأتيه من أمه رغم أنه لا يعرف مصدرها، طالما بالإمكان استخدامها في مساعدة الفقراء. ولنلاحظ الضغط الذي يقوم به تشيرتكوف على تولستوي كي يتخلى عن ممتلكاته في حين أنه شخصياً يرفض فعل ذلك.

كنت أتألم بشدة. كم يبدو لي من السهل أن يغير المرء طريقه، وكم يبدو الأمر إليهم شديد الصعوبة! بقية أبنائي يتسكعون هنا وهناك. لم أنم حتى الثانية من ألم معدتي. أرسل لي أورو سوف بروفة الطباعة وعملت عليها^(٢٢٦). سعدت زوجتي بأن أُتيحت لها الفرصة لإدائتي وسبي. يبدو الأمر صعباً عليّ لكن يبدو أن هناك بعض التقدم. جلبنا الشاي^(٢٢٧) جميعاً بعدما لعبنا الكروكيت الأمر الذي أضحك الخدم. كما لو أن الأمر لا يبعث على السخرية كفاية حينما يشعر أناس أصحاب بملل قاتل ورغم ذلك يجلسون في أماكنهم ويشغلون أناساً آخرين بتفاهاتهم رغم مشغولية الآخرين الشديدة.

٢٧ يونيو.

استيقظت في الثامنة. لم أذهب للعمل. جاء فلاح يسأل صدقة، وآخر من المدينة يطلب روبلاً كي يدفن أمه، وأطفال نائمون وجوعى. تحدثت مع كاشيفسكايا^(٢٢٨) عن كل ذلك.

الحاجة للعمل تمنح الإنسان الحكمة؛ كي يمنح أكبر قدر ممكن من عمله للغرباء مع أقل قدر ممكن من هدر قواه. لا يتعلم الإنسان ذلك إلا بالعمل الحقيقي. بشكل عام، بالرغم من حالتي الجسدية السيئة جداً، لكنني سعيد في هذه الأيام.

(٢٢٦) بروفة الترجمة الفرنسية لـ «ماذا علينا أن نفعل؟».

(٢٢٧) كان الشاي يُحمل في غلايات ضخمة (سماور).

(٢٢٨) معلمة موسيقى، تعلم أطفال تولستوي.

٢٨ يونيو.

استيقظت مبكرًا. صحتي ليست بخير، لكنني مضيت للعمل بعد الإفطار. لقد عملوا بالمنجل كثيرًا، لكنني لحقت بهم. عطلنا المطر، فعدنا للعمل بالمساء. تبطل بالمنزل ونهم وضغينة.

٢٩ يونيو.

اليوم عيد القديس بطرس. استيقظت مبكرًا، وعملت بمنجلي وحيدًا.

٣٠ يونيو.

عملت معهم لكنني تأخرت قليلًا. استمر العمل من الساعة حتى المساء. سقط المطر. لم أتناول شيئًا بالصباح حتى موعد الغداء. وضعفت بشدة. جاء ألكسندر بيرس. ضبطت مشاعري السيئة تجاه يوري؛ ذلك الوجد الأصلع! ساشا كوزمينسكي طيب وعطوف. جاء في المساء ثم مضى ليغتسل وجلب لي ثيابًا تحتانية. يتعامل بتلقائية وطيبة. تحدثت معه عن الطموح. الطموح والخيلاء يملآن المساحة الخالية داخل الإنسان التي كانت لا بد وأن تُملأ بالتأمل، وكلما تتوسع مساحة الأفكار هذه كلما ينكمش الخيلاء. قرأت عن شخصية نابليون في كتاب إمرسون^(٢٢٩)؛ برجوازي أناني تقليدي... تصوير رائع.

لم ألحظ ماذا أكلت ومتى نمت، وأشعر بالقوة روحياً. ولكن في المساء تراودني الإغراءات الجنسية.

Essays on Representative Men (Leipzig, 1856). (٢٢٩)

١ يوليو.

تأخرت، لم أنهض إلا في الثامنة. رتبت الغرفة، ثم مضيت مع إلكسندر بيرس. تحدثت مع الأخوات كاشيفسكي عن عدم إمكانية فعل الخير بالمال. عملت بالحش. عملت بقوة ويسر. وصلت وأكلت ثم عملت حتى المساء. جاءوا بالشاي. تحدثت مع زوجتي عن مساعدة الفقراء، ومضى الأمر بصورة سيئة كالمعتاد. في غياب العمل هذه الأيام أشعر بالملل من مجرد تناول الطعام دون أن أدين نفسي. الأمر واضح تمامًا أن ذلك لن ينتج سوى الملل والتراخي من كل نوع ممكن. أورلوف محق، وتلك الفكرة التي تحدث عنها فلويير عميقة فعلاً^(٢٣٠).

٢ يوليو.

استيقظت في الثامنة. دوت عاصفة رعديّة. رتبت الغرفة، وذهبت لتناول الإفطار، ثم للاغتسال في المياه.

بالأمس استمعت إلى حوار ساخن بالأعلى. كانوا يتحدثون عني مع إلكسندر بيرس بحيث يجعلونه يدينني هو أيضًا. الأمر يزيد من سوء عدم فهمهم للأمر. بعد الإفطار عملت حتى الثامنة. في حضور الفلاحين دائمًا ما أشعر بالخزي والخجل، وأنا أحب هذا الشعور. الأمور بالمنزل كما هي بالمساء: لعب ورق ثم وصل أخي سيريوجا. مضيت للنوم. كان هذا يوم الأربعاء. عندما تناولت المرق تذكرت فقر فيدوت.

(٢٣٠) أبدى تولستوي إعجابه برواية فلويير «مدام بوفاري».

٣ يوليو.

استيقظت في السادسة. كانوا قد جزوا أربعة صفوف بالفعل. جززت معهم بجهد رهيب. جلبت لي ماشا بعض القهوة ثم مضت لحالها. ذهبت لتناول الغداء مبكرًا. غلبني النوم. صوفيا متقلبة المزاج وتحدث دائمًا عن نفسها. إنه عذاب حقيقي. عاودت العمل، وظللنا نعمل حتى أنهكت تمامًا.

٤ يوليو.

نمت نومًا عميقًا. استيقظت في السابعة. ذهبت لأخي سيريوجا. إنه ذاهب لتحصيل المال. لقد حسم أمره وأدان موقعي. تحدثت معه وقد كنت صائمًا، وكان الأمر عذابًا حقيقيًا.

ازداد تحملي للجهد البدني الصعب. جلب لي ديمتري فيدوروفيتش مخطوطة المقالة ثانية. قرأتها. جيدة. لم أعد أشعر بالخزي من عملي بالمنجل.

اغتسلت وعدتُ المنزل. يلعبون الكروكيت. إيليوشا طوال الوقت يستمع لتانيا ويقص عليها الحكايات. كونستانسيا هناك أيضًا. إنهم يبعثون فيّ الضيق، أما هم فيبدون مضطربين وكأن شيئًا ما ينقصهم. ذهبت للعمل بالمنجل، وجاء معلي إيليا، لكن سرعان ما فارقنا. عملت كثيرًا. في المساء. جلست منهكًا وأردت أن أنام، وأخذت أتحدث في غياب زوجتي. بدا الأمر جيدًا على الرغم من صعوبة سيطرتي على غضبي. قلت: لا بد من العيش في القرية. ولكن ما إن بدأت الحديث عن الحياة، حتى ساء الأمر. كان المساء قد حل بالفعل وأردت النوم، لكن

الحديث قد بدأ. بدا أن تانيا تساندني، وصمت أخي سيريوجا متعاطفًا معي. أخذنا نتحدث حتى الثانية. تعذبت جدًا وشعرت بالتكاسل.

٥ يوليو.

في الصباح ودّعت أخي، ثم رتّبت الغرفة. بعد الغداء -والذي كان إفطارًا في الواقع- أرسلت فاسيلي كي يجلب شحنة. نمت حتى الخامسة. في المساء سلّمت التبن، ثم مضيت إلى الغابة، واستغرقت في التفكير. في المساء دار حديث عن الحياة، لكن الأمر ازداد ضعفًا حتى أوشك أثره على التلاشي تمامًا.

٦ يوليو.

يوم سيئ. استيقظت في الثامنة. رتّبت الغرفة وأردت الذهاب لتولا لكنني شعرت بضعف لا يسمح لي بامتطاء صهوة جواد. قبل أن أذهب جاء أرتيموف ليفاوض بشأن الأرض. تحدثت معه بفضافة وضعينة. إنه حاسد، وغادرته وأنا مغموم. كان الجو خانقًا في تولا. أناس يتحلون بالأناقة يعدون النقود ويبللون أصابعهم بالأسفنجة وتتعالى خشخشة الأوراق التي يعدونها، وعلى جانب الطريق تكوم الفلاحات التبن ويُقلّب الرجال التربة. متسولون وحجاج يسرون في الطريق يشعرون بالجوع والضعف. عدت منهكًا محطّمًا، وأرسلت المال للبريد. في طريق العودة على متن جوادي حلمت أنني استطعت أن أحيا على نحو صحيح، أي أن أتخلى على الأقل عن جزء مما أملكه لصالح الآخرين. عليّ أولاً أن أدير أمور الضيعة. أمل أن أتمكن من فعل ذلك الآن دون أن يلهيني شيء، وألا أنسى أن العلاقات الإنسانية أهم من أي شيء آخر.

كان أوريوسوف في تولا، وتحدثنا كثيرًا. في المنزل حاولت أن أنعم بعلاقات ودية وأتظاهر أننا حللنا كل المشاكل، ولسنا بحاجة لتغيير أي شيء.

٧ يوليو.

استيقظت في السابعة. شربت القهوة وتحدثت مع مدام سيرون. حكّت لي كيف تعاملت تانيا مع أوستيوشا (خادمة) بقسوة. ذهبت لأرتيموف لطلب العفو، ولكن لحسن الحظ، أو لسوء الحظ، لم أجده. عدتُ إلى المنزل، وتحدثت معهم عن شرب الشاي الذي لا ينتهون منه أبدًا، واندلعت ثورة غضب. غادرتهم. إنها تحاول إغوائي جسديًا (يقصد زوجته). أود لو أمسك نفسي، لكنني أعتقد أنني لن أستطيع في مثل هذه الظروف. مساكنة امرأة تزيد من اغتراب الروح، أي أن هذا الأمر معها دنيء جدًا.

ما إن كتبت ذلك، حتى وجدتها تأتي لغرفتي وتفتعل مشهّدًا هستيريًا. قالت إنه من المستحيل تغيير شيء، وإنها تعيسة، وإنها لا بد وأن تهرب لمكان ما. شعرت بالأسف عليها، ولكن في الوقت ذاته كنت واعيًا أن الأمر ميؤوس منه. سوف تبقى كحجر رحي مربوط حول عنقي وعنق أبنائنا وبناتنا حتى أموت. لا بد وأن الأمر كذلك فعلاً. عليّ أن أتعلم كيف أنجو من الغرق وحجر الرحي مربوط حول عنقي. ولكن ماذا عن الأطفال؟ من الواضح أن الأمر كذلك، وذلك يجرحني بسبب ما لديّ من قصر نظر. أخذت أهدئها كما يفعل المرء مع امرأة مريضة. وصل أوريوسوف وأوباميليك (مالك أراضٍ غني). الأول شديد

الضعف، أما الآخر فمتوحش تعلّم كافة مظاهر الحضارة الخارجية. لا يمكنني المضي للعمل.

٨ يونيو.

استيقظت مبكرًا، ورُتبت غرفتي في حضور أروسوف. تنزهت مع أروسوف وأوباميليك، وقد أصبحت أشعر بالخزي من ذلك. أعدت الفتيات غداءً للفقراء، لكنهن ارتدين ثيابًا مزينة بالزهور، ولا حاجة للقول بالطبع أن الأمر لم يتم.

في المساء جاءت جولوفينا (معلمة موسيقى) ورايفسكي، ودار حديث على العشاء مع تانيا، ولكن كل هذا لم يبعث فيّ السرور. لم أستطع المضي ثانية للعمل.

٩ يوليو.

الجو شديد الحرارة ولم أشعر أنني بخير. حكة في الجلد وحزن وأرق. مكثت بالمنزل أقرأ كتابًا عن الصين^(٢٣١). إنه متخصص تمامًا في الحضارة الصينية كأى رجل ذكي مخلص يعرف قدر هذه الحضارة. لا يمكن للمرء أن يرى دلالة السخرية أكثر مما يراه في حالة الصين. عندما يعجز إنسان عن فهم شيء، غالبًا ما يسخر منه. يبلغ سكان الصين ٣٦٠ مليونًا، ويعيش سكانها الأغنياء الضاربة أصولهم إلى القدم والسعداء والمسالمون طبقًا لمبادئ معينة. نحن نسخر من هذه المبادئ، ونعتقد أننا نعرف الصين جيدًا.

The Chinese and Their Rebellions – Thomas Taylor (٢٣١)

ذهبت لأغتسل، وجاءت أبولينسكايا وأسرتها. هذه أمثلة على الحياة الغنية المتنورة. حالتي تسوء. ألم في البطن. لم أنم طوال الليل.

١٠ يوليو.

كنت مريضًا طوال اليوم، لكنني قمت بخدمة نفسي. الأمر ممكن وغير صعب. ما زلت أقرأ في ذلك الكتاب عن الصين. رائع! إن تعليم الصينيين - على حد قوله - أعلى من تعليمنا من حيث الكيف، رغم أنه أقل من تعليمنا من حيث الكم. موضوع التعليم الأساسي هناك هو الأخلاق، أما نحن فليس لدينا هذا الموضوع إطلاقًا. كذلك هو الأمر بالنسبة للحياة الأسرية. يبدو أن حالة تانيا تتحسن.

١١ يوليو.

استيقظت في السابعة. حالتي تحسنت قليلًا. ذهني صافٍ، وأقرأ في الكتاب وأود كتابة بعض الخطابات.

كتبت لتشيرتكوف ويوريف وجي، وتمشيت قليلًا. أردت أن أعمل بمنجلي بدلًا من تيت (فلاح من ياسنايا)، لكنني شعرت بالضعف والخزي. لا عمل. وصل ابني سيريوجا. أتعامل معه دون لطف، لكنني لست مذنبًا في ذلك. إنه يتصرف بخراقة مريعة وأنا أعرف ذلك. الجميع مضوا إلى آل جولوفين. تحدثت في المنزل مع سيرون وكاشيفسكايا. لقد جاءت الأخيرة وكشفت عما لديها من ضغينة. لم أنم حتى الخامسة من فرط الكآبة.

١٢ يوليو.

لا أناً آخر في النوم بعد الثامنة. أقرأ في الكتاب وفي الأناجيل بالعبرية. ما زلت أشعر بالضعف في كافة المناحي. مرَّ اليوم كله بهدوء. أحاديث واهتمامات اليوم كانت خافتة. أعلمتهم أنني سوف أذهب إلى كيف سيرًا على الأقدام. صعدت السلم ليلاً وتحدثت معها. لا أفهم كيف يمكنني إنقاذ نفسي من المعاناة وإنقاذ نفسها من الدمار الذي تتوجه صوبه بتصميم. صليت بالأمس، وهذا يعني أنني ضعيف. الناس يصلون للآلهة والقديسين - خاصة القديسين - لأنهم في حاجة إلى العون. إن عشنا حياة مسيحية فسوف تتوفر المساعدة من الناس والكنيسة. كل ما نصلي من أجله إذن يمكن أن يقدمه لنا الناس بالمساعدة عن طريق العمل وبالتفكير والحب. استلمت خطابين من تشيرتكوف. أمه تكرهني كما يتوجب عليها! حلمت بتشيرتكوف. انخرط فجأة في الرقص بجسده النحيل، وأدركت أنه قد جنَّ.

١٣ يوليو.

استيقظت مبكرًا. رتبت غرفتي. واصلت قراءة الكتاب. إنه يعرض تقسيمًا رائعًا للحضارة: المادية - الطبيعية - العقلية - الأخلاقية. الحضارة هي إبدال العوامل الطبيعية بالعقلية، والعقلية بالأخلاقية. هذا غير دقيق، لكن فيه ما هو صحيح. الحضارة كلمة لا ضرورة لتعريفها. الحقيقة هي أن الناس ينالون خيرهم الأكبر في الحياة باستخدام هذه العوامل التي تحقق الخير بأفضل الطرق. وكما أن من حماقة أن نرفع بأيدينا ما يمكن للآلات رفعه، كذلك من حماقة أن ندافع عن استقلالنا

بالحرب عندما يكون هدفنا هو الوصول إلى حياة أخلاقية. حالي اليوم أفضل، لكنني ضعيف من كافة النواحي.

١٤ يوليو.

فوّت عدة أيام وحاولت الكتابة من الذاكرة في يوم الأربعاء. في ذلك اليوم أعتقد أنني طلبت من زوجتي أن تأتي، ورفضت بحقد بارد؛ رغبة في جرح مشاعري. لم أستطع النوم طوال الليل، وأعددت نفسي للرحيل أثناء الليل، فحزمت أغراضي ومضيت لأوقظها. لا أعرف ماذا دهاني: أكانت المرارة الناتجة عن الصفراء أم أنها الشهوة أم ضعفي الأخلاقي، لكنني عانيت معاناة رهيبة. استيقظت وأخبرتها كل شيء، وقلتُ لها إنها لم تعد زوجتي. أما زالت مُعينة لشريكها؟ لقد توقفتُ عن مساعدتي منذ زمن طويل، ولم تعد تفعل شيئاً سوى إعاقتي. أما زالت أمّا لأبنائنا؟ إنها لا تريد ذلك. أهي مرضعة؟ إنها لا تريد ذلك. أهي رفيقة ليالي؟ لا، إنها تغريني ثم تخدعني. كنت مكتئباً بشدة، وشعرت أنني تحدثتُ بضعف ودون جدوى. عبثاً لم أرحل. يبدو أن لا مهرّب من الرحيل، رغم أنني آسف على الأطفال. إنني أحبهم جميعاً أكثر فأكثر وأشفق عليهم.

١٥ يوليو.

استيقظت في العاشرة، وتحدثت مع سيريوجا. كان وقحاً دون سبب. غضبت منه ووبخته بشدة. يا لتلك العادات البرجوازية والفظاظة والشر والرضى عن الذات. لقد قال فجأة إن أحداً لا يحبه وانخرط في البكاء. يا إلهي! كم يجرحني ذلك! تمشيت طوال اليوم، واستطعت أن

ألتقيه ثانية بعد الغداء وقال له: «أشعر بالخزي»، فانفجر في النحيب وقبّلني وهو يقول: «سامحني... سامحني». منذ فترة طويلة لم أختبر شيئاً كهذا! إنها السعادة.

١٦ يوليو.

لم أستيقظ في وقت متأخر. عملت طوال اليوم على الترجمة (٢٣٢). ذهبت ليسينكا. لسبب ما وصل سفيتشيني وأوروسوف. ملل رهيب. لم أستطع النوم حتى الثانية عشرة.

١٧ يوليو.

استيقظت في وقت متأخر. شربت القهوة مع الأطفال. في الصباح أواصل العمل على الترجمة وأقرأ بتعجب كيف لا تؤثر في الناس؟ أما في المساء؛ فأذهب لجمع الفطر مع الأطفال وأقف خلف الفلاحين من بوبيرينو لأعمل معهم بالمنجل. العلاقات في المنزل عادت للتوتر ثانية، ولكن مع زوجتي فقط. البقية يجبنوني جميعاً.

١٨ يوليو.

استيقظت في الثامنة، وعملت على الترجمة مع سيرون. بعد الإفطار مضيت بصحبة أندريوشا لجلب الفطر. إنه لطيف للغاية. كيف كان البشر سيبدون لو لم يفسدهم أحد؟! طوال اليوم أشعر برغبة في النوم. جاءني خطاب من جي، واستلمت كتباً من تشيرتكوف. سوف أذهب الآن لليونيد في نيكولسك.

(٢٣٢) ترجمة ألمانية لكتاب "حقيقة إيماني".

طوال الشهر صراع مع الأسرة وعمل وضعف جسدي وتقدم للأمام.

٢١ يوليو.

وصل كوزمينسكي.

٢٢ يوليو.

أشعر بضيق شديد، ولا أشعر أنني على ما يرام. جاء أروسوف.
أخش أنني مريض. تحدثت معه عن الفلسفة والدين، وسألني عدة أسئلة.

٢٣ يوليو.

أعدت قراءة مقالتي عن الإحصاء، وراجعت مقالة أخرى. في
المساء تمر زوجتي بحالة مزاجية سيئة. يا للقسوة!

٢٤ يوليو.

إنه اليوم الأول الذي أحظى فيه بنوم جيد. وصل جي. جاءني
خطابات رائعة من تشيرتكوف، وكتبت له خطابًا طويلًا. جي صالح،
وأشعر أننا نفهم بعضنا البعض منذ مدة طويلة.

٢٥ يوليو.

ذهبت مع جي لأروسوف في تولا. وجدت بيروسوف هناك. إنه
نموذج للشباب المستهتر الذي يدّعي أنه اشتراكي. عدت للمنزل مع
جي. إنه مخلوق رائع طاهر.

جي وتشيرتكوف وفاسيلي إيفانوفيتش وأروسوف وأورلوف
جميعًا كذلك. ندمت صوفيا على أنها لم تكن في حالة جيدة بالأمس.
لقد تحدثت طويلًا مع جي حديثًا طيبًا.

٢٦ يوليو.

طوال اليوم مع جي. أشعر أنني لست على ما يرام في غياب العمل البدني. صوفيا بخير وكذلك سيريوجا وتانيا وماشا، أما إيليا فأسوؤهم جميعًا. إنه يزداد فظاظة وضغينة وأنانية. جاءني خطاب رائع آخر من تشيرتكوف مع مقتطف من ماثيو أرنولد. سأقوم بجلسات قراءة لنا وللعمامة، لكن تشيرتكوف يصر على أن من الضروري قبل كل شيء أن نشرح للناس الإنجيل، وهو على حق. ودّعت جي وذهبت لفراشي بالأعلى

٢٧ يوليو.

اليوم استيقظت في توقيت متأخر، وشعرت أنني صافي الذهن. تحدثت بالأعلى عن جي. دار الحديث عن أن الإنسان الأخلاقي تكون علاقاته الأسرية معقدة، أما غير الأخلاقي؛ فكل شيء يسير معه بلطف. قرأت في كتاب «رماد الأرض»^(٢٣٣) إنه عمل مليء بالصور الإنجيلية، لكنه جيد. ذهبت للزروع ثم اغتسلت. سارت الأمور في المنزل بود. قلت في نفسي: إننا نلوم الله على العقوبات التي نواجهها بسبب تنفيذنا لتعاليم المسيح. حسنًا، ماذا لو أن لا أحد منا يحظى بعائلة متنافرة؟ سنكون جميعًا أصدقاء، وكنا سنعيش جميعًا حياة سعيدة لكن باهتة. وماذا عن الآخرين؟ لم يكونوا ليعلموا حتى شيئًا عنها. نود لو نجمع النيران كلها في شعلة واحدة بحيث يكون إشعالها سهلًا، لكن الله قد

(٢٣٣) قصة مدرسية بإنجلترا لـ H. W. Pulley، أرسلها تشيرتكوف لتولستوي.

نثر النيران، غير الحطب كله. إنه يلتقط النيران لكننا نشعر بالحزن؛ لأن الحطب لم ينتج نيراناً ضخمة.

أمعنت التفكير في كتاب للشعب في شكل اعتراف مجدداً. حسناً، عملت قليلاً بالمنجل، ثم ذهبت لبافل. في المساء وصلت لوبوف إلكسندروفنا بصحبة فياتشيسلاف.

٢٨ يوليو.

استيقظت ووجدت سوخوتين. يا له من مخلوق بائس عديم الأهمية! إنه مدهش على نحو خاص؛ لأن الله قد منحه مظهرًا خارجيًا مميزًا. اغتسلنا في المياه، ثم ذهبنا جميعًا لجمع الفطر. حظينا بغداء ضخم. لا أذكر ماذا حدث في المساء. مضى الوقت كله في تبطل. أن تأكل طعامًا دون أن تعمل، وأن تكتسب معرفة دون أن تنقلها لأحد، أمر يشبه جماعًا ناقصًا بالقذف خارجًا. سوف تزداد فراغًا أكثر فأكثر وستصبح كريهاً لنفسك أكثر ومن ثم للآخرين. أنا من هذا النوع، ولا بد أن أتوقف عن ذلك.

٢٩ يوليو.

جاء لازاريف بالصباح، وتنزهنا معًا والتقينا بأوروسوف. تغدينا جميعًا، وفي المساء لحق بنا سيرب. أشعر بالإعجاب به.

٣٠ يونيو.

أذكر أن لازاريف جاء وضغط عليّ، أي أنني كنت مترددًا بشأنه. جاءت لوبوف إلكسندروفنا. تحدثت معها في المساء. لقد بدأت للتو في الفهم. يا لها من أيام مليئة بالتبطل! وصل أوشاكوف (محافظ تولا).

أشعر بالضيق في حضوره.

٣١ يونيو.

استيقظت في وقت متأخر. لازاريف يعذبني. اقترحت عليه أن يقرأ مقالته^(٢٣٤)، وبدأ القراءة فعلاً. جيدة، لكنها مليئة بالحماقات، وتفتقد إلى النظام. حاولت أن أشير له إلى تلك المواضع، لكنه لا يراها. وصل فلاديمير إلكسندروفيتش بصحبة ابنه. في الصباح كنت عدوانياً. لا بد أنها مشكلة الصفراء. تحملت زوجتي. أخشى أن قواي قاربت على النفاد.

١ أغسطس.

كنت عدوانياً مع فلاديمير إلكسندروفيتش، وأخذت أحدث لازاريف عن ملاحظاتي حول طريقة تعبيره عن أفكاره. إنه لا يمكنه تحمل ذلك ويتتابه الغضب، وبهذا كشف لي عن زيفه. لم تمسه المسيحية إلا من الناحية الظاهرية. أتعذب بشناعة. مضيت للعمل بمنجلي. جاءني هناك، وأخذ يلومني على طريقة حياتي. غضبت وانصرفت كي يهدأ كلانا ولكن بلا جدوى. اتضح الأمر. إنه يشبه ريديستوك، يتحدث عن تعاليم المسيح، لكنه لا يفكر فيها حقاً. لقد عرفت الكثير من هذا الإنسان الغريب. أهم ما عرفته هو زيف تعليم الحب. أنا أكره الحب كتعليم، وهذه ليست مزحة. الحب هو حياة في حد ذاته وهدف وقانون، لكنهم جميعاً - وكذلك بافل - لا يفهمون تعاليم المسيح، بل يعرضونه

(٢٣٤) مبدأ الفلسفة المسيحية.

في صورة قواعد. إن أصبح الحب قاعدة فهذه أعظم كذبة.

٢ أغسطس.

استيقظت في وقت متأخر. مضيت لأغتسل في مياه البركة شديدة البرودة. كنت أفكر في مطالب الطبيعة الدائمة: الغذاء والعمل وجمع الحبوب وإعادتها، كما يبدو الأمر لي. لا يدخل الحب ضمن هذه القائمة؛ لأن الحب في حد ذاته حياة تتحقق بالإشباع الطبيعي لهذه المطالب. أشعر بالضيق من فلاديمير إلكسندروفيتش ولوبوف إلكسندروفنا. عملت بمنجلي قبل الغداء. بعد الغداء ذهبت ليسينكا مستغرقة في التفكير في كل ذلك. الأمور هادئة وودية مع زوجتي، لكنني أخشى أن يحدث شيء مع مرور كل دقيقة.

٣ أغسطس.

مر أسبوع وسأسجل ما حدث. كنت أعمل بمنجلي تقريباً كل يوم.

٤ أغسطس.

استيقظت في وقت متأخر. تنزهت على متن الجواد بالقرب من العشب. ذهب ساشا (كوزمينسكي) لتولا ليصلح المنجل المكسور. وصل بوريسوف بصحبة آل آوروسوف. كنت قد بدأت حياكة الأحذية، لكن بوريس والضيوف -بالإضافة لسوء حالتي الصحية- عطّلاني عن العمل. الفراغ يبعث فيّ الضيق.

٥ أغسطس.

استيقظت في وقت متأخر. لا أشعر أنني بخير. لديّ خراج

باللثة. ثرثرة فارغة بالصباح والمساء. صندوق البريد ليس فارغاً. بدأ أوريوس يتجنبني. لا يتمتع سوى بقليل من الحيوية.

٦ أغسطس.

مرّت ثلاثة أيام أخرى لا يمكنني تذكرها. اليوم استيقظت في وقت متأخر. كنت محمومًا، واكتنفتني القلق بشأن الترجمة والحياد وحتى الذهاب لجمع الفطر. أود أن أموت عندما يجتمع فيّ المرض الجسدي والفوضى الروحية. أعدت قراءة مقالتي عن الإحصاء السكاني. ما زلت لا أود تسليمها. قمت ببعض التصحيحات. في الصباح تحدثت مع تانيا وأدركت أن من بين كل ما يملأ حياتنا ثمة بعض الأمور الحقيقية وبعض التفاهات. التمييز بين الحقيقي والتافه يشكل أساس المعرفة الحقيقية بالحياة. في المساء ألعب تخمين غبية ثم بريد الأسرة^(٢٣٥). أثرت قصائد صوفيا في تانيا، وبكت ماشا وماشيا الأخرى وصوفيا. يزداد وعي الأطفال الآن بوضعهم الخاطئ. تعارك فياتشيسلاف مع سيريوجا، واستخدم الأخير كلماتي.

٧ أغسطس.

صباح هادئ. بدأت الحياكة دون رغبة، ثم عملت بمنجلي، ولا أذكر شيئاً آخر. خططت للقيام برحلة (لكيف). لست بخير. جاءني خطابان رائعان من تشير تكوف وجي.

(٢٣٥) قراءة الملاحظات والقصائد والرسائل من مختلف الأنواع جهراً، تلك التي أرسلتها الأسرة أثناء الأسبوع، وذلك بغرض التسلية في مساء الأحد.

٨ أغسطس.

استيقظت في وقت متأخر. عملت طوال اليوم بجمع التبن. استشطت غضباً على الغداء على السيدة ليك (مربية إنجليزية). وعيها بالخير والعالم محدود جداً، ومع ذلك أصبحت من ضمن أسرتنا. كل شيء ميت. تنزهت مع ميشا كوزمينسكي وتحدثت معه كما أتحدث مع الكبار، وربما أفضل، عن الله والخير. في المنزل دار حديث مؤلم. صوفيا تشعر أنها مذنبه وتحاول تبرير ما تفعله من شر. لكني شعرت بالأسف عليها.

٩ أغسطس.

في الصباح بدأنا حديثاً ساخناً لكنه جيد. قلت ما توجب عليّ قوله. وصل أرمفيلد^(٢٣٦). ثرثرت معه طوال اليوم. ليست هناك أدنى أهمية لإنتاج العلم عندما يتحول إلى مؤسسة تشبه الكنيسة. إنه ذكي وعارف لكنه خاوٍ. وصلت المنزل. تصالحت مع صوفيا. كم كنت سعيداً! في الحقيقة إن قررت أن تصبح بخير، ستصبح كذلك.

١١ أغسطس.

ذهبت لتولا. التقيت مالتسوف. يشعر بالخزي من رداءه الحقيقير. لديه الكثير من المشغوليات والآمال الكبيرة.

(٢٣٦) إلكسندر أرمفيلد أستاذ معهد الزراعة وهو شقيق ن. أرمفيلد المحكوم عليها باشغال في سيبيريا التي كان تولستوي يزور أمها باستمرار.

١٢ أغسطس.

يوم صاحب. قراءة في كتب كونين^(٢٣٧) ثم ألعاب تخمين.

١٧ أغسطس.

قررت فيروتشكا كوزمينسكايا أن من المستحيل الذهاب للمدرسة الثانوية في غياب آنسة مرافقة لها وإلا سخر الجميع منها. حينها فهمت للمرة الأولى التأثير المريع للوسط المحيط بالإنسان. كل شيء ممكن في المدرسة، لذا لا بد من التعامل بصرامة مع الأمر.

١٨ أغسطس.

ذهبت لتولا.

١٩ أغسطس.

أوروسوف وبيستوجيف وأباميليك. جمع الفطر وتمشية، ولا أذكر شيئاً آخر. طوال شهر أغسطس تبطلُّ وضعف، لكنني لم أفعل شيئاً شريراً جداً باستثناء شهوتي.

٢٠ أغسطس.

أحزنني ليليا. تحدثت معه، وأعتقد أن ذلك لم يكن بلا جدوى.

٢١ أغسطس.

جمعت الفطر وشعرت أنني لست بخير. أعدت قراءة المقالة، وفجأة اتضح لي كل شيء. لقد كذبت بوضع نفسي في صدر الصورة.

(٢٣٧) إفرام كونين: عالم لاهوتي.

لا أحتاج سوى للتوقف عن الكذب، وكل شيء سيكون بخير. أقرأ في كوين. مجرد ثرثرة مثقفين! كنت أقول في نفسي اليوم إن كل علم نافع، ولكن ما لا نكون متيقنين منه هي تلك اللحظة التي يكون فيها لهذا العلم أهميته القصوى والحقيقية. هكذا هو الأمر مع كافة علومنا الجامعية.

٢٢ أغسطس.

عيد شفيق زوجتي. صندوق بريد الأسرة. كتبت قائمة بالمرضى العقلين في ياسنايا^(٢٣٨). شيء ما يثيرهم بطريقة ما، ولا أعرف كيف.

٢٤ أغسطس.

وصل جي. إنه هادئ وليس صريحاً أمام نفسه كفاية؛ أقصد كيف يرتب حياته وفقاً لقناعاته. يبدو له أن الأمور هكذا أسهل. أذهب كل يوم لجمع الفطر.

٢٥ أغسطس.

وصل سيريوجا وشاخوفسكوي وجي وجمع كثير لا أذكره تحديداً. أستمع إليهم وهم يلعبون الورق: «لقد رأيت ورقة آس» - «لا، لا يمكنك رؤيتها» وما إلى ذلك. الأمر ثقيل عليهم وعلى الآخرين، فلماذا يفعلون ذلك؟ أعتقد أنهم سريعاً ما سوف يتعلمون ألا يفعلوا ذلك، لكنني لست متيقناً من ذلك.

لا أذكر أكان ذلك اليوم أم أمس، لكنني تحدثت مع شاخوفسكوي وكنت أرتعش كاملاً وأنا أشير له إلى الحقيقة: عندما تقوم بأفعال الشر:

(٢٣٨) وضع اسمه في صدارة القائمة، ووصف الأعراض والعلاج لكل مريض.

الحرب - المحاكم - القسم، لا يمكنك الحديث عن المسيح. أشعر
فعلاً أنني لست بخير.

٢٦ أغسطس.

حشد من الناس. قلت أمراً غير مناسب لشقيقي سيريوجا بخصوص
عدم اطلاعه على الأدب الإنجليزي. لم يكن عليّ قول ذلك. تحدثنا عن
المجتمع. شعرت زوجتي بالضيق بعد أن قالت إن أرجيفسكي أفضل من
جروميكي. الأفضل أن أصمت. مضيت لجمع الفطر. جاء أوروسوف.
لم تبلغني زوجتي، ومضت بشروء إلى حيث لا تعلم، المهم أنها لم تأت
إليّ، فهكذا حياتنا كلها. صندوق بريد الأسرة. لطيف جداً.

٢٧ أغسطس.

في الصباح رحل سيريوجا. لم أتجادل معه فقد كان غاضباً. مضيت
لجمع الفطر مع جي وجولوفين. قرأت مع جي ٢٤ إصحاحاً من إنجيل
متى. كم هو واضح وجميل! باستثناء نبوات دانيال. في المساء رحل
جي. لست بخير. مضيت للنوم.

٢٨ أغسطس.

عمري الآن ٥٦ عاماً. لقد ذهبوا جميعاً لتولاً؛ لرؤية فيرا
شيدلوفسكايا. سعيد أنني بمفردي. قرأت لجول ميتشل (مؤرخ فرنسي)
عن الفُرس القدماء. راودتني بعض الأفكار الجيدة. لست بخير.
العلاقات مع زوجتي ودية ولطيفة. أخبرتها بعض الحقائق المزعجة
ولم تغضب. في المساء قرأت لموباسان. لقد ذهلت من أستاذه في

الألوان، لكن ليس لديه ما يكتبه عن الفقراء.

٢٩ أغسطس.

مر أسبوعان. في الأسبوع الأخير لم أكن بخير تمامًا. حمى وآلام في الكبد. أشعر أنني أفضل اليوم. استيقظت في وقت متأخر. كنت محمومًا طوال الليل رُبَّت صوفيا غرفتي، ثم صاحت بطريقة قدرة في فلاس. أحاول أن أعود نفسي على ألا أغضب، وأن أعتبر الغضب تشوّهًا أخلاقيًا، وألا أجعله يتداخل مع أفعالي. تمشيت تحت ضوء الشمس. حشد من الأفكار يراودني ويطلبني بالكتابة.

٣٠ أغسطس.

ما زالت حالتي الصحية سيئة. قرأت، لكنني لم أستطع الكتابة. تمشيت ثم تغديت. وصل أورو سوف. في المساء لعبوا الورق طويلاً، بينما جلست منهكًا.

٣١ أغسطس.

قرأت قليلاً في كتاب ميتشل. رافقت زوجتي ثم ذهبت لجمع الفطر. يبدو لي من الأفضل أن أموت. حسناً... لقد تأكلت شخصيتي كما لو أنها غير ضرورية وغير معقولة. أشعر بالنفور من كل ما هو غير معقول، وهكذا صارت حياتي. إنني أحتاج وأسر بما هو منطقي، لذا صار الموت ضروريًا لي وباعثًا على السرور. تغديت بمفردي وعرجت على آل كوزمينسكي. كانوا على وشك التشاحن. في الصباح، وبينما كان يرتدي ثيابه سأل عن صوفيا. قالت زوجته له: «لا يمكنني التحدث

بصوت عالٍ»، فاستاء. كافة المشاكل القديمة تظهر على السطح الآن. بدأ يقول إنهما يكرهان بعضهما البعض، وإن الحياة على هذا المنوال مستحيلة. صمتتُ، ولكن في المساء تحدثت ثانية، ووبّخته على نزقه وعلى أنه قد أوشك على الجنون. حاول أن يبرر موقفه لكنه كان واجماً. بدأت في حضوري تخبره أنها تزوجته عن حب، لكنني أعرف أنها قد أخبرت صوفيا أن الأمر لم يكن كذلك، وفجأة اتضح لي تمامًا ما الذي يميز المرأة ويجعلها قوية؛ إنه البرود، وأمر آخر هن لسن مسؤولات عنه بسبب ضعف قدراتهن الفكرية؛ ألا وهو: الاحتيال والمكر. في المساء عملت بالحياكة، وثرثرنا بسرور أنا وتانيا وسيريوجا.

١ سبتمبر.

استيقظت في وقت متأخر، وقرأت لميتشل. يمثل هرقل تأليه العمل والمآثر البطولية. تحدثت مع تانيا حول حقيقة أن النساء لا يحبن أبداً أو نادراً ما يحدث كذلك، وأعني بذلك أنهن لا يتخلين عن منظورهن للعالم لصالح أحد أبداً. إنهن دوماً باردات. ارتبكت بشدة؛ لأنني اكتشفت خدعتهم البارعة الحقيقية.

انشغلت طوال اليوم في جمع الفطر. تفوح من الفطر رائحة حليب التنوب. وصل أورو سوف في وقت متأخر. عملت بالحياكة حتى وقت متأخر. طلبوا ثلاث شحنات من ماريا إيفانوفنا، لكنني رفضت. أحاول أن أوضح لهم أنني تصرفت حسناً، لكنني إن حكمت بما تركه هذا من أثر في نفسي، فإني فعلت شراً.

٢ سبتمبر.

استيقظت مبكرًا. رتبت كل شيء. تمشيت وشربت شايًا مع الجميع. قوة المرأة تكمن في مداها في حقيقة أنها تستطيع أن تحب. إننا متيقنون من أننا نستحق الحب، ولذلك نصدقهم. لا جدوى من إخبار صوفيا بذلك. إنها فكرة عامة ومع ذلك فهي جديدة وهامة. بالنسبة لي قضيت يومًا لطيفًا. تحدثت مع تانيا حديثًا جيدًا. وافقتني على أنه لا بد من أن نحيا حياة صالحة.

٣ سبتمبر.

مضيت لأجمع الفطر حتى أنهكت. عملت بالحياسة، وأقرأ الآن في كتاب ميتشل.

٤ سبتمبر.

انشغلت طوال اليوم في الحياكة، وقطعت بعض شجر اللّيم. اغتسلت وانتظرت صوفيا. جاءت أخيرًا. أنهكت.

٥ سبتمبر.

حوار مع صوفيا في الصباح وضغينة لم أكن أنتظرها. بعدها جاءت لغرفتي وأخذت تتذمر مني حتى أخرجت كل ما بداخلها. لم أنسُ بنت شفة، ولم أفعل شيئًا، لكنني كنت مكلومًا. أخذت تركض بهيستيريا وركضت خلفها. أنا منهك بفضاعة.

٨ سبتمبر.

يبدو أنني عملت قليلًا.

٩ سبتمبر.

جاء أورو سوف. أردت أن أكتب لكني لم أستطع.

١٠ سبتمبر.

البوذية واليهودية. قرأت كثيرًا. لم أستطع الكتابة. ذهبت لכולبينك ولزيارة أحد الفقراء. مضينا جميعًا عبر الحقول. رائع جدًا.

١١ سبتمبر.

قرأت في البوذية. وقطعت بعض الشجر وتنزهت بمفردي.

١٢ سبتمبر.

قرأت في تعاليم البوذية. مدهشة ومتشابهة تقريبًا. يكمن خطأها الوحيد في رغبتها في تخليص المرء من الحياة بشكل كامل. بوذا لم يفعل ذلك مع نفسه بل أنقذ الآخرين. إن لم يكن هناك أحد لنتقذه، لن تكون هناك حياة. يعجبني بشدة ذلك التعليم الذي يقضي ألا يسأل المرء شيئًا عن الحياة الأبدية. يُشبّهون الأمر بإنسان مصاب بسهم ولا يريد أن يُعالج منه حتى يعرف مَنْ أصابه به أولاً.

قطعت بعض الأشجار وتنزهت مع صوفيا في الغابة. بعد الغداء تنزهنا جميعًا وعملت بالحياكة ولكن على نحو سيئ. قرأت مع الأطفال حكاية باسينكوف الرديئة وحكاية نزهة في الغابات (لتورجينيف)، وتم الأمر بنجاح.

١٣ سبتمبر.

مر أكثر من أسبوع مجدداً ولم أكتب شيئاً. اليوم غالبتني الشهوة أثناء النوم... أشعر بالخزي. في الصباح جاءتني البنات لحل مشكلة. كان الأمر ممتعاً، ثم قرأت في كتاب نيكراسوف كي أقرأه للأطفال. تنزهت مع الجميع وعرجت على فيدوت. إنه إنسان يموت من مرض مضني ولا يبالي على الإطلاق. من المستحيل أن يحيا المرء بهذه الطريقة.

غفوت بعد الغداء، وقرأت من كتاب نيكراسوف للأطفال، وكذلك قرأت لهم من تورجينييف وشيدرین. كلها أعمال رائعة. وصل ليلى سعيداً. جاءني خطاب من تشيرتكوف وماليكوف.

* * *

٥ إبريل.

شاغلي الرئيس في الحياة (في حياتي أنا للأسف، لأنه طريق زلق ومخادع) هو الوعي بالحقيقة والتعبير عنها. كثيرًا ما تراودني أفكار واضحة، مفيدة ومفرحة لي، لكنني لا أستطيع توظيفها جيدًا فأنساها. من الآن وصاعدًا سوف أدونها. لا بد وأنها ستفيد شخصًا ما.

اليوم فكّرت في حياتي التعيسة: زوجتي وأبنائي وبناتي الذين يعيشون بجانبي، ورغم ذلك يضعون عن عمد الحواجز بيني وبينهم كي لا يروا الحقيقة والخير اللذين سوف يكشفان زيف حياتهم، لكنهما أيضًا سينقذانهما من المعاناة.

آه لو كان بإمكانهم إدراك أنهم يعيشون حياتهم البطالة على كنف عمل الآخرين كي يحظوا بوقت فراغ، لكانوا استغلوا هذا الوقت في التفكير وأفاقوا من غفلتهم، لكنهم يملؤون هذا الوقت عن عمد بمختلف أنواع الأنشطة التافهة حتى لا يعود لديهم وقت للتفكير مثل أولئك من يسحقهم العمل.

فكّرت أيضًا في أوسوف وفي الأساتذة والعلماء، لماذا يعيش هؤلاء الأذكياء، وأحيانًا الصالحون، حياة سيئة وغبية إلى هذا الحد؟

هذا بسبب تأثير النساء عليهم. إنهم يتركون أنفسهم تنساق مع تيار الحياة؛ لأن هذا ما تريده زوجاتهم أو خليلاتهم. كل شيء يتقرر في الليل، وهم وحدهم الملمون على قمع إدراكهم لضعفهم.

واصلت التفكير... طعامي أن أنفذ إرادة من أرسلني. يا لعمق وبساطة هذا المعنى! لا يمكن للمرء أن ينعم بالسلام والرضى إلا عندما يدرك أن هدفه ليس شيئاً خارجياً؛ بل تنفيذ إرادة من أرسله إلى هذا العالم. لا أريد أن يطبعوا صوري في أعمال^(٢٣٩)، فالأمر مسيء ومنفر لي. إن نفذت إرادتي في ذلك الأمر سأرفض وسأجلب الأسى والحزن، ومع ذلك إن لم أنفذ إرادتي أنا؛ بل إرادة من أرسلني، فسأسألهم ألا يفعلوا ذلك أيضاً، وإن حققوها سأكون راضياً؛ لأن بهذا ستكون إرادة من أرسلني قد تحققت.

«طعامي أن أعمل مشيئة الذي أرسلني» يا لوضوح هذا التعبير! غالبية الناس لا يقومون إلا بإشباع أجسادهم بالطعام والجنس واللهو، وكل هذا انسياقاً خلف الناس. قال المسيح إننا يجب أن نعمل إرادة من أرسلنا لا إرادة الناس، وقال عن هذا النوع من النشاط إنه بمثابة الغذاء، وهو ضروري وعادل ومستقل عن كل ما يفكر فيه الناس. تنفيذ إرادة من أرسلنا تشبه تناول الطعام والشراب، فنحن نقوم بهما لا من أجل إرضاء الناس، بل من أجل إرضاء أنفسنا. هذا هو الطريق الضروري والممكن والوحيد في الحياة الذي يؤدي إلى الخير دائماً وفي كل مكان.

(٢٣٩) أرادت صوفيا ذلك في الطبعة التي كانت تعدها لأعماله، ووافق على مضض.

٢٥ مايو.

في العمل الإلهي لا يهم قدر ما تفعله، بقدر ما تهتم بالاستقامة. إنه عمل لا ينتهي وما من نهاية للعمال، فهو بنفسه العامل الحقيقي. إن كنت تقوم بعملك باستقامة فسينتهي لك عملك، ولكن إن نظرت للعمل بازدياد فحينها لا تكون هناك ضرورة منه ويكون ضاراً لك. لا يهم الكم بل الاستقامة.

نوم الموت... ماذا سوف يحدث بعد الموت؟ لماذا نخشى الموت؟ كيف لا نخشى الموت؟ ما حاجتنا للعيش بصلاح طالما الموت سيأتي؟

موت النوم... لماذا نخشى النوم؟ لماذا نخشى ألا ننهي ما بدأناه؟ كيف لا نخشى النوم؟ لماذا يخشونه طالما هو راحة من الحياة؟ لماذا أعيش بصلاح اليوم طالما سأنام؟ سوف أستيقظ غداً. أما أن الموت نوم فهو أمر لا شك فيه. نحن نرى كيف ينام الجميع ثم يستيقظون. نحن أنفسنا ننام ثم نستيقظ. نحن نفهم اليقظة وننتظر النوم.

الأحد ٢٦ مايو.

في البدء خلق الله الإنسان أبدياً. كان يعتني بكل شيء ثم ينام. بعد ذلك عرف الحياة الماضية والمستقبلية وأصبح كسولاً، ثم ميتاً، فوحيداً، لا يعرف شيئاً عن حياته الماضية. لقد أصبح شريراً. وضع الله بداخله حياة أبدية وأرشده إلى أين يذهب وماذا يفعل. من ثم أصبح الإنسان كادحاً وبدأ يشعر بالحب.

١٩ يونيو.

العالم يحيا، وفي العالم حياة، والحياة سر مستغل على أفهام الجميع. البعض يسمونها «الله» وآخرون: «القوة». الأمر سيان، فهي سر مستغل على الأفهام. الحياة موزعة على الجميع. الجميع يعيشون معاً، والجميع يحيون على نحو مستقل في الآن ذاته. الإنسان يعيش، وكذلك الدودة. يطلق العلم على كل حياة منفصلة: كائن حي. إنه تعبير غبي وغامض. ما يطلقون عليه: كائن حي هو قوة الحياة محصورة في مكان وزمان، وتعبر بشكل غير عقلائي عما تحتاجه في عزلتها من متطلبات حياتية عامة. هذا العزل للحياة يحمل في ذاته تناقضاً، فهو يستبعد الآخرين، والآخرين يستبعدونه. بالإضافة إلى ذلك فهو يستبعد نفسه. وفي سعيه في الحياة يحطم نفسه، فكل خطوة وكل فعل في الحياة ثمة موت. كان من شأن هذا التناقض ألا يكون قابلاً للحل إن لم يكن ثمة عقل في العالم، لكن العقل في الإنسان، وهو المسؤول عن حل مثل هذا التناقض. كان الإنسان ليقتل الآخر لو لم يكن لديه عقل يكشف له أن من الأفضل أن يحب الآخر ويتعاون كلاهما في قتل الحيوان. هذا العقل

هو ما أرشد الإنسان أن من الأفضل له ألا يقتل الحيوان من أجل أن يأكله، بل أن يحبه ويستفيد من منتجاته. إنه العقل هو ما يكشف للإنسان المزيد في نفس الاتجاه ويدمر التناقض الذي تصنعه الأنانية.

وحده الإنسان، في قلب ذلك العالم الهائل من المخلوقات التي تفترس بعضها البعض، مُنح العقل والحب، وهو ما من شأنه أن يتغلب على التناقض الذي تصنعه الأنانية. إنه يشبه شرارة صغيرة تود أن تضرم حريقاً في الغابة بأكملها. إن انطلقت شرارة النار بالقرب من مادة قابلة للاشتعال، فمهما كانت قليلة ستكون كافية. لا بد إذن من مادة قابلة للاشتعال وحينها يمكن للأمر أن يتم. وحتى لا تفترس المخلوقات بعضها البعض في عالم تناقضات الأنانية، وُضعت بداخلها واحدة من المساعي الأنانية للإزهار والإخصاب (وهي في الإنسان تتمحور في الفعل الجنسي). إن العالم يعيش بما لديه من مادة لا تفنى من أجل نشاط العقل؛ ألا وهي الحب الذي بإمكانه أن يقضي على تناقضات الأنانية. يمكن للعالم أن يستمر طالما لم تنتهِ تلك المادة، وسيستمر إلى الأبد طالما الشرارة الحقيقية موجودة. إن الله أو الطبيعة يعطينا ما هو ضروري لتحقيق أهدافه، بقدر ما يكفي. الطبيعة أو الله يسلك دائماً على نفس المنوال فهي (أو هو) لا يقومون بتحقيق شيء جاهز، بل يحققون ما يمكن من درجة الكمال. ما من زمان بالنسبة لله أو الطبيعة. عندما تكون هناك إمكانية لشيء ما، فلا بد وأن يتحقق ما لا بد له أن يتحقق. هكذا هو الأمر أيضاً مع نشاط العقل الذي يقضي على متناقضات الأنانية لدى المخلوقات. هناك إمكانية له وبالتالي هو موجود. هناك إمكانية لما

تم التنبؤ به قديماً على أن الذئب والحمل سيرعيان معاً^(٢٤٠)، ويمكننا أن نقول كذلك إن الحيوانات لن تسحق الحشرات والنباتات. بالنسبة للإنسان الذي لا يدرك طبيعته العقلية فهو يجد إشباعه الكامل في حياة الأنانية المليئة بالمتناقضات. إنه يتحرك وفقاً لله أو الطبيعة الأدنى، لكنه سريعاً ما سوف يدرك طبيعته العقلية والتناقض الداخلي المعتمل بداخله. حينها لن يمكنه الحياة بهذه الطريقة وسيكرس نفسه لقانون العقل / الحب الذي من شأنه أن يقضي على التناقضات. وعندما يُكرّس نفسه لهذا القانون الجديد ينال إشباعه الكامل. لا حياة أخرى للمخلوق العاقل سوى تلك التي تشتمل على نشاط يهدف لتدمير المتناقضات. هذا النشاط يخرج من شخصيته ويجبره على إنكار ذاته ليؤدي به إلى حياة مشتركة في خدمة الله أو الطبيعة حيث لا زمن.

يصبح الإنسان جزءاً من الله / الطبيعة. أما ذاك من لا يمنح نفسه لخدمة الله / الطبيعة، ويواصل العيش في تناقضات الأنانية، فهو بذلك يحرم نفسه من الحياة. الإنسان الذي يخدم قانون العقل، وينكر نفسه بنفسه من أجل خدمة قانون العقل ينال الحياة الأبدية عبر هذا النشاط الأبدي للعقل. أما ذاك الذي لا ينكر نفسه ويتبرأ من العقل، يفقد حياته ويصبح محض مادة لنشاط العقل.

إن مهمة الإنسان في هذه الحياة هي القضاء على كافة المتناقضات الموجودة بداخله؛ أقصد الشخصية الأنانية، من أجل إمكانية خدمة

(٢٤٠) «الذئب والحمل يرعيان معاً، والأسد يأكل التبن كالبقر. أما الحية فالتراب طعامها. لا يؤذون ولا يهلكون في كل جبل قديسي، قال الرب». أشعيا ٦٥: ٢٥

العقل بهدف إزالة تناقض الحياة الداخلي، وفي هذا وحده يجد الإنسان الرضى الكامل والأمان والخلود والهدوء أمام حضور الموت. إن لم يتم بحسم هذه المسألة سيبقى عالقاً داخل تناقضات الحياة الشخصية ويدمر نفسه، ويدمره كل تناقض.

يتحدثون عن الحياة الأخرى والخلود. لا يخلد إلا: العقل-
الحب- الله- الطبيعة.

٢٨ أغسطس.

يتلخص الوهم الأعظم في حياة الناس في أن يبدو لكل امرئ بمفرده أن هدف حياته يتلخص في السعي من أجل المتع والهروب من المعاناة. إن ترك الإنسان لحاله دون إرشاد فسيبحث عن المتع ويتهرب من المعاناة، وسيعتقد أن هذا هو هدف حياته ومغزاها. لكن الإنسان لا يمكنه أبداً العيش دائماً في كنف المتع، بعيداً عن المعاناة طوال الوقت. إذن هذا ليس هدف الحياة. إن كان هذا هو الهدف فيا للحماقة إذن، فليس بإمكانه أن يتحقق! وإن كان الموت نهاية للحياة، فالموت دائماً ما يرتبط بالمعاناة. إن قرّر بحار أن هدفه هو الهروب من الموجات العالية، فإلى أين يمكنه أن يبحر؟ إن هدف الحياة أمر خارج نطاق المتع والمعاناة، ويمكن الوصول إليه بالتوغل وسطها.

إن الحياة تنفث متعاً ومعاناة، شهيقاً وزفيراً. إن اعتبرت أن هدف الحياة يكمن في الوصول للمتعة والهروب من المعاناة فهذا يعني أن تضل الطريق. إن هدف الحياة هدف روحي شامل. إنه الوحدة وحسب! لا أعرف شيئاً آخر. لقد أنهكت.

يستخدم الإنسان عقله من أجل أن يتساءل: ما الهدف؟ لماذا؟ مُطَبَّقًا هذه الأسئلة على حياته وحياة العالم. ويكشف له عقله أن ما من إجابة لذلك. عندما يواجه ذلك يحدث له ما يشبه الدوار. يجيب الهنود عن سؤال: «لماذا؟» بالآتي: أغوت مايا براهما الكائن بداخلها كي يخلق العالم، أما سؤال: «ما الهدف؟» فلم يكن بإمكانهم اختلاق إجابة حتى لو غبية. لم تستطع أي ديانة أن تجد إجابة لذلك، وكذلك ليس بإمكان عقل الإنسان أن يجد إجابة لمثل هذه الأسئلة. ماذا يعني ذلك؟

هذا يعني أن العقل لم يُوهب للإنسان للإجابة على مثل هذه الأسئلة، وأن هذه التساؤلات في حد ذاتها تشير إلى عملية خداع العقل. بإمكان العقل أن يحسم سؤالاً أساسياً فقط؛ ألا وهو «كيف؟»، وكي يجيب عن هذا السؤال يحاول الإجابة عن السؤال: «لماذا؟» و «ما الهدف؟» داخل أطر محدودة.

ماذا عن «كيف؟ كيف يجب أن نعيش؟ كيف لا يجب أن نعيش؟ الإجابة باعثة على السعادة. وقد مُنح البشر جميعاً إمكانية تحقيق ذلك، بما فيهم أنا. هذه الإجابة تستبعد التساؤل: «لماذا؟» و «ما الهدف؟».

ولكن لماذا لا يمكن لهذه السعادة ألا تتحقق فوراً؟ وما الهدف من ذلك؟ ها نحن نسقط مجدداً في نفس الخطأ العقلي. السعادة من صنع صاحبها وحسب.

٢٣ نوفمبر (موسكو).

منذ عدة أيام جاءني فتاة لتسألني هذا السؤال المزيف المعروف: ماذا عليّ أن أفعل كي أكون ذات نفع؟ بعد أن تحدثت معها أدركت أن البلية الكبرى التي يعاني منها الملايين ليست أن الناس يعيشون حياة سيئة، لكنهم لا يعيشون بمقتضى ضمائرهم. الناس يستبدلون ضمائرهم بضمير شخص آخر أسمى من ضمائرهم بوضوح، والمثال الشائع هنا: المسيح، وبالطبع لا يمكنهم العيش وفقاً لضمير شخص آخر، وهذا يجعلهم لا يعيشون وفقاً لضمير ذلك الشخص ولا وفقاً لضمائرهم أنفسهم. حاولت أن أقنع تلك الشابة ألا تعيش وفقاً لقناعات ضميري كما أرادت، بل وفقاً لضميرها. لكن تلك الفتاة المسكينة لا تعرف شيئاً عن ضميرها. إن هذا لشر عظيم. أكثر ما يحتاجه الناس هو اكتشاف ضمائرهم، ثم العيش بمقتضاه، لا أن يفعلوا كما يفعل الجميع، حيث يعيش المرء وفقاً لضمير شخص آخر، ثم يعيش بلا ضمير ويكذب ويكذب ويكذب حتى يبدو وكأنه يعيش وفقاً لضمير شخص آخر غريب، لذا فإنني أفضل حقاً عربيداً صاخباً لا يعقل أموره وينحي عنه كافة الاعتبارات عن آخر ذكي يعيش وفقاً لضمير شخص آخر، أي دون ضمير. الأول قد يكتشف ضميره، لكن الثاني لن يمكنه فعل ذلك أبداً إلا عندما يعود إلى الحالة الأولى.

ما زلت لا أستطيع الكتابة، فلا أشعر بتلك الحاجة التي تجعلني أجلس على مكتبي وأكتب، ولا يمكنني أن أجبر نفسي. حالة الصفاء التي أعيشها الناجمة عن عدم تصرفي ضد مقتضيات ضميري تمنحني سرورًا هادئًا واستعدادًا للموت، أي أنها تمنحني الحياة كاملةً. مساء الأمس جاء يفجيني بوبوف^(٢٤١) البالغ من العمر ٢٤ عامًا، وكان في حالة مماثلة لحالي. علاقات معقدة مع زوجته **распутать** **которые может только смиренная жизнь, как узел только покорное следование всем клубком**

— .за ниткой

٢٤ نوفمبر.

بدأت في كتابة خطابات لحي وسيميونوف، لكنني لم أستطع الاستمرار. قرأت وتمشيت لجسر صوفيكّا. أردت في الصباح أن أكتب مقالة: «موضوع صحفي»^(٢٤٢). منذ وقت طويل تراودني فكرة كتابة مراجعة لعدد صحفي مع بيان أهمية كل مقالة. سيكون أمرًا مرعبًا. مشيت عبر طريق لوبيانكا، وبدا المنظر مرعبًا كزيارة مستشفى لمرضى السفلس. شعرت بالإنهاك فغفوت بعد الغداء وقرأت لسانت بيوف^(٢٤٣)، ثم عملت بالحيّاكة، ثم جاء دارجو. إنه واحد من أولئك الناس الذين لا يفعلون شيئًا سوى شغل مساحة ما والتحرك مع مرور

(٢٤١) كاتب في الشؤون الزراعية. في خريف ١٨٨٧ زار ياسنّايا.

(٢٤٢) لم يتحقق ذلك إلا بعد عشرين عامًا.

(٢٤٣) شارل أولجست سانت بيوف: شاعر وناقد فرنسي.

الوقت، لكنه في الحقيقة غير موجود، على الأقل بالنسبة لي، مع أنني حاولت أن أجد الإنسان المفترض وجوده هناك. جاءني خطاب طويل من امرأة مسيحية بشأن مقالتي «عن الحياة». نادرًا ما التقيت بمثل هذا التسامح؛ في الحقيقة مرتين: وجدته في إنجليزي من أستراليا، وفي هذه المرأة. في المساء جلس الأطفال معي. تحدثت مع ليوفا. أنا سعيد.

الحياة، ولا أقصد حياتي الشخصية، بل حياة العالم التي تزدهر ببقطة المسيحية من كافة الجوانب مثلما يحدث مع الأشجار والعشب والماء في الربيع، أصبحت بالنسبة لي مثيرة بدرجة لا تصدق. في الحقيقة لقد أصبح هذا وحده اهتمامي الرئيس، ولكن في الوقت ذاته أوشكت حياتي الأرضية على الانتهاء. الأمر يشبه أن أقرأ كتابًا يصبح مثيرًا أكثر فأكثر، وفجأة ينتهي بينما أقرأ أكثر أجزاء إمتاعًا، ويتضح لي أنه الجزء الأول من ضمن عدد لا نهائي من الأجزاء وليس بإمكانني الوصول إليها. لا يمكنني قراءته إلا في الخارج وبلغة أجنبية، لكنني قطعًا سوف أقرأه.

قال معلم أندريوشا^(٢٤٤) حاليًا، وهو فيلولوجي قد نال لتوه درجته العلمية، إن أندريوشا تلميذ سيء؛ لأنه ليس بإمكانه توضيح أفكاره بالكلمات أو حل مسألة حسابية. قلت له إن المطالبة بالتوضيح هي المطالبة بتعليم لا معنى له قائم على الحفظ عن ظهر قلب. إن الصبي يفهم، لكنه لا يستطيع بعد أن يجد الكلمات المناسبة. وافقني وقال: «نعم، نحن المدرسون نجد أنفسنا مرغمين على تعليمهم الصيغ حتى

(٢٤٤) أناتولي إلكساندروفيتش إلكساندروف: عاش في كنف تولستوي، وأسس مجلة «الكلمة الروسية».

ولو بالحفظ عن ظهر قلب. على سبيل المثال نحن نعلمهم أن مناقشة مشكلة ما لا بد وأن تبدأ بكلمة: «لو». إن قالوا لي إنهم كانوا يعلمون بتلك الطريقة في اليابان منذ ألف سنة، كنت سأجد صعوبة في تصديق ذلك، لكن الأمر يحدث في بلادنا مع ثمار الجامعات الجديدة.

٢٥ نوفمبر.

لست بخير. نمت نومًا سيئًا^(٢٤٥). جاءت هابجود^(٢٤٦). سألتني: لماذا لا تكتب؟ قلت: «إنه عمل تافه». «لماذا؟». «الكتب كثيرة جدًا الآن، وسوف يسير العالم على نفس المنوال مهما كتبت الكتب الآن. إن جاء المسيح اليوم وحصل على طبعة من الأناجيل، ستحاول السيدات أن تحصل على توقيعه عليها ولا أكثر من ذلك. لا بد وأن نتوقف عن الكتابة ونفعل شيئًا. قرأت في مجلة «القرن» عن رهبان الترايبست^(٢٤٧) في أمريكا. من المؤكد أن هؤلاء الرهبان الذين يبلغ عددهم مائتي راهب، وقد التزموا الصمت والعمل الشاق، هم أكثر فلسفة ألف مرة ليس فقط من جروت ولسوفيتش (فيلسوفان)، ولكن أيضًا من كانط وشوبنهاور أو حتى كوزين. تصريحات كينان^(٢٤٨) عن

(٢٤٥) يستخدم تولستوي هذا التعبير بمعنى ملتبس، فأحيانًا يقصد النوم السيئ، وأحيانًا يقصد ممارسة العادة.

(٢٤٦) إيزابيل هابجود: كاتب و مترجمة أمريكية، ترجمت الكثير من أعمال تولستوي، وتراسلت معه.

(٢٤٧) أحد الفروع الصارمة من الرهينة البيندكتية.

(٢٤٨) جورج كينان: صحفي أمريكي، كتب عن موضوعات روسية مثل سيبيريا ونظام النفي الروسي، وقد وجه انتقادات لاذعة للحكومة الروسية في عمله عن المنفيين السياسيين والمساجين العاديين في تومسك.

الحكومة الروسية ذات أهمية بالغة. كنت سأشعر بالخزي من أن أكون
قيصرًا على بلد ليس لديه طريقة أخرى لحمايتي إلا بإرسال الآلاف إلى
سيبيريا، ومنهم فتيات لم يتخطين ١٦ عامًا.

تمشيت وأردت أن أنفذ أحد واجباتي وحالوا بيني مجددًا وبين
تنفيذه. التقيت ستوروجينكو (أستاذ بجامعة موسكو)، وتمشى معي
وحكى لي عن المحاضرات التي يتتوي تقديمها عن النزعة التشاؤمية،
وما إن كان الدين يبعث فينا العزاء أم لا. قلت له إنه إن انتوى تعريف
الدين والتشاؤمية فلا داعي لذلك، فهذا مجرد هذر. تحدثتُ بانفعال
وأخذت أثبت له أنه منافق يعيش حياة طفيلية.

كنت حزينًا بالأمس، وشعرت برغبة في الموت من فرط رغبتني في
الخلاص من هذه الحماقات التي تُضيِّق الخناق حولي. يبدو أن ذنبي
كله يكمن في أنني لا أعمل. أستغرق في الشرح دون أن يطلب أحد
من ذلك. هذا أمر سيئ، ولكن عدم قول ما أعرف أمر سيئ كذلك.
ساعدني يا الله أبانا. أحب أن أتوجه لله. حتى لو لم يكن هناك إله، لظل
من الجيد أن يتوجه المرء إلى كيان مجرد غير مشخص. في مثل هذا
التوجه تغيب كل ضعفات كبرياء النسيج الإنساني المتعلقة بحسابات
لا يمكن للإنسان أن يفصل عنها تمامًا إن توجه للناس. ساعدني يا أبانا!
٢٦ نوفمبر.

لقد تجاوزت الثانية عشرة صباحًا وما زلت أفكر. قرأت في مجلة
«القرن»، وعلمت على بعض المواضع لأستنسخها. إن ودَّ الناس
في صنع بعض الاقتباسات، فلا بد أن يجمعوا نوعية الكتب التي

يحتاجونها. جاء بوكروفسكي^(٢٤٩) وجلب مقالته. مكتوبة بشكل سيئ جداً، وتحوي كافة عيوب الأعمال العلمية الموجهة للجماهير، فيما أنه يقول كلاماً لا معنى له (الماء يبلى)، أو يعجز عن قول أي شيء على الإطلاق لأننا نتحدث لغة مختلفة ونعيش بطريقة مختلفة. ذهبت لسيتين والتقيت بالفتاة وقمت بواجبي. كان الأمر ثقيلًا جدًا على نفسي. ارتعشت أثناء القراءة. جاءني رازومكوف. يبدو طيبًا ومباشرًا وصلبًا. ثم جاء راخمانوف ودوناييف. خرجت للطاولة ووجدت ناجورنوف وجيراسيموف وليف وقد شغلوني عن نفسي. من سوء حظي أنني قلت إن المرء إن لم يلتحق بالخدمة العسكرية إيمانًا ويعلن عن ذلك جهارًا، فمن الظلم أن يتهرب منها ويترك الآخرين يلتحقون بها. قال ثلاثتهم بصوت واحد أن الأمر سيان، وبا لها من حماسة! شعرت بالخزي. أمضيت بقية الليلة في قراءة «على أطرف العالم» لليسكوف.

٢٧ نوفمبر.

نمت قليلًا. تفاقمت مشكلة الصفراء، ولا بد من تهدئتها بوسيلة روحية. وصل إيليا وتحديث معه. قرأت فرضية جروت^(٢٥٠). وصل دجونكوفيسكي وذهبت بصحبته وماشيا إلى سيتين. إن أبوابه مغلقة، وليس بإمكانه تنظيم شؤون حياته. كل هذا لرغبته العيش ليس بمقتضى ضميره، بل السلوك إرضاء للناس لا لله. جاءني خطاب من تشير تكوف

(٢٤٩) طبيب أطفال شهير من موسكو، كتب بحثًا مهمًا عن مرض الأطفال، وأقنعه تولستوي بتبسيطه ومراجعته بهدف نشره.

(٢٥٠) عن قضايا ومسائل الفن لجروت.

عن مسألة المال وكيف يتوجب على الإنسان التعامل معه. واحد ليس لديه مال على الإطلاق، وآخر لديه فائض. يود دجونكوفسكي أن يعمل ويكسب المال كي يشتري أرضًا ومنزلًا ويعيش على نتاج الأرض. يا له من خداع واضح للذات! إنه لا يريد أن يتصرف في الأرض بطريقة خيلكوف^(٢٥١). إنه ليس في حاجة للأرض ولا للمال ولا للمنزل، بل هو في حاجة لأن يكون مزارعًا، ويعيش وفقًا للحب والتقاليد. إن عزم أمره على أن يصبح مزارعًا، فسوف يُقبل على الأرض، وإن لا فليس بإمكان شيء أن يجعله كذلك. إننا هنا أمام مسألة واحدة محددة وهي أنه في حياة الثراء لديه متطلبات كثيرة، وهناك غياب لأي عمل مفيد يقوم به من أجل الناس، لذا عليه أن يتعلم ألا يطلب الكثير، وأن يتعلم صنع شيء مفيد للناس. في هذا الأمر لا بد أن نصعد رويدًا رويدًا. في المساء تحدثت مع دجونكوفسكي وحسب.

٢٨ نوفمبر.

مارست العادة السرية، وراودتني أفكار سيئة. استيقظت في وقت متأخر، وأنهيت قراءة بوكروفسكي. سيئ جدًا. ساذج علميًا، وتعوزه اللباقة. أشعر بضعف وبلادة شديدين. يا إلهي! ساعدني أن أنفذ مشيئتك.

(٢٥١) ديمتري خيلكوف ضابط سابق ومالك أراضٍ تخلى عنها جميعًا للفلاحين. نفي في عام ١٨٩٠، وفي ١٨٩٣ بأمر من القيصر ١٨٩٣ استولوا على أطفالهم الذين رفض خيلكوف وزوجته تربيتهما، وبذل تولستوي جهوده لإرجاع الأطفال بلا جدوى. هاجر خيلكوف لكندا في ١٨٩٨ ثم لسويسرا حيث انضم هناك لجماعات ثورية، وعاد لروسيا في ١٩٠٥ لكنه فارق الجماعات الثورية. تطوع في الحرب عام ١٩١٤ وقُتل فيها.

٢٩ نوفمبر.

أشعر بنفس الضعف. جاءني خطاب من يليزافيتا بوتورلينا تدعوني فيه لزيارتها. أنا بخير بوجه عام. الاستعداد للموت أمر جيد، وأنا أريد أن أكون مستعدًا. عرفت من بوتورلينا منذ فترة قصة زوجها المعروفة عن جنونه الكامل (مرضه الروحي) وعن تلك الأوضاع التي يعتبرونها جيدة في عالمنا هذا. ليوفا مريض منذ يومين بنوع من التيفوس. جاءني خطاب مؤثر في صدقه من ليسيتسين. جاءني إلسنر بروايتها. إنها نوع من الجنون الهادئ. جلست لبعض الوقت مع ليوفا وتحدثنا معًا، ثم ذهبت للمدرسة المسائية^(٢٥٢)، ولم أحسم أمري بالدخول. تمشيت لساعتين تقريبًا، وفي الحادية عشرة عرجت على المدرسين وتعرفت عليهم. سوف أذهب في يوم الخميس. في الصباح وبعد ذلك بدأ أحد الأمور في الكتاب المقدس يتضح لي أكثر فأكثر. ربما سوف أبدأ اليوم، ولكن أبدأ ماذا تحديدًا، هذا ما لا أعرفه، ولكن الموضوع نفسه معروف لي. استلمت خطابًا آخر عظيمًا من بليك^(٢٥٣).

٣٠ نوفمبر.

استيقظت مبكرًا. ليوفا لست بخير. أشعلت الموقد وأنا جاهز الآن للكتابة. لم أكتب شيئًا عدا خطابٍ لليسيتسين وقائمة بما بدأت

(٢٥٢) آمل تولستوي أن يعود للتدريس ثانية، وزار مدرسة محلية مسائية للعمال الشباب، ولكن السلطات رفضت طلب تولستوي للتدريس.

(٢٥٣) ألبرت بليك: كاتب إنجليزي، وقد أرسل كتابين لتولستوي "الزواج" - "الفريسية الجديدة".

الكتابة فيه. أحاول قراءة البخت عبر الورق لأعرف ماذا سوف أكتب. إنها الخرافة الوحيدة من بين كافة الخرافات التي أشعر بالانجذاب صوبها؛ أقصد قراءة البخت بالورق أو سؤال الله: ماذا أفعل؟ هذا أم ذاك؟ لا يمكنني التحرر من ذلك إلا بعدم فعل شيء لنفسي، بل فعل كل شيء لله، ومن ثم لن يكون لديّ ما أسأله إياه. بالنسبة لي شيء أفضل من آخر، ولكن من منظور الله كل شيء متساوٍ، صالحًا كان أو سيئًا، لأنه ليس في حاجة إلى الحقائق بل الدوافع التي تقبع خلفها. نعم، قراءة البخت علامة على قوة الحياة الشخصية، التي تبدو لي مستحيلة دون قراءة بخت. لذلك كان من المستحيل على الوثنيين أن يبدأوا أي عمل دون قراءة الطالع بالطير وفحص جسد الذبيحة. هكذا قضيت الصباح كله في قراءة البخت بالورق متسائلًا عما يجب أن أكتبه أولاً، وقررت أن أنهيه ما بداؤه وتبين أنني قد بدأت عشرة أعمال. تمشيت. جاء جروت وكوستينكا على الغداء. عرفت عن كتاب ستوليين: فيلسوفان وجائزته^(٢٥٤). يدهشني افتقادها إلى الوضوح (يقصد زوجته)، وكذلك سخافتها وجنونها وغرورها. في المساء لم أفعل شيئًا سوى العروج على الإسكافي لسؤاله عن الكلوش (حذاء فوقي).

١ ديسمبر.

قراءة المجلات والكتب تشبه التبغ؛ إنها إحدى طرق النسيان، وكذلك الحديث الفارغ. على المرء ألا يفعل هذه الأمور كي يمكنه

(٢٥٤) أعلن الكاتب ستوليين في كتابه «فيلسوفان» عن جائزة يمولها لأفضل مقالة عن فلسفة أوجست كونت.

بدلاً من ذلك أن يجلس بهدوء ويفكر أو يلعب مع طفل ويواسيه، أو يتحدث حديثاً قلبياً مع إنسان آخر. ويساعده، أو أهم من كل ذلك أن يعمل بيديه. في الصباح وصل ستاخوفيتش الكبير وفليروف، وكلاهما مدمن للكحول والنيكوتين. أمر مؤسف! برودة قارصة في كل مكان. أحاول ألا أقرأ كتباً وألا أقرأ البخت. حتى أتمكن من عدم القراءة عليّ في الأساس ألا أخشى الجلوس دون فعل شيء إن لم يكن هناك فعلاً شيء لأفعله، وذلك طبقاً للقاعدة: من الأفضل ألا تفعل شيئاً من أن تفعل لا شيء. ولكن يبقى العمل أفضل، وأقصد العمل الحقيقي.

في المساء ذهبت للمدرسة. ذهلت من حماقة وبلادة ونظام التعليم الصناعي، والأعين المعتمدة الباهتة لدى الطلبة والتي لا بد أنها كذلك بسبب: المصنع - التبغ - السهر - الخمر. اليوم رأيت صبية عراة؛ اثنين على متن جواد واثنين يركضان خلفه بلا قبعات بالقرب من معهد تعليم صناعة المعادن مروراً ببوابة آربات. كانوا يركضون ثملين تماماً. جميعهم يدخنون. جاءني خطاب من برونيفسكي يُعرب فيه عن ندمه، لذا فالخطاب واضح. ساعده يا أله!

٢ ديسمبر.

مررت على الإسكافي لأسأل عن الكلوش. حكت، ووصلت ماريا إلكسندروفنا وذهبت لأخيها. إنه مريض ومنهك الأعصاب. الأسرة تبكي وقد قبّل يديّ طالباً عفوي لأنه فكّر وتحدث بالشر عني. جاءني مجدداً في المساء يطلب عفوي ثانية. وصل تولينوف ضاحكاً، وشعرت بالسرور بسبب سروره. انشغلت طوال المساء بالحياكة ولكن على نحو سيئ. لستُ على ما يرام.

٣ ديسمبر.

استيقظت مبكرًا. خرجت واشترت فأسًا ومثقبًا وأشعلت الموقد، وذهبت للإفطار. قرأت، ثم جاء شينيل. إنه شيخ ذكي، وقد جلب معه مقالته عن الخبز الرخيص. إنه محق. تحدث معي حديثًا رائعًا عن الصلاة قائلاً: إن الله هو قانون الحقيقة، والتضرع إليه مستحيل. قال كذلك إنه إن لم تكن هناك قوة للاشتعال كي يغمرنا النور كاملاً، فهذا لا يمنعنا من ملاسته والوقوف داخل نطاقه. تمشيت. أثناء الغداء وصل أركادي يجوريتش أليخين في ثياب قروية وبدأ حكايته. إنها حكاية مريعة في فظاظتها ووسائلها الوحشية، ونحن بالطبع لسنا أفضل حالاً منه، ولكن ما يهم هو أنه بينما يحكي القصة كشف عن كبرياء وأنانية وغرور حتى إنني فقدت اهتمامي بها ما إن أنهاها. بعدها انخرطت في قراءة خطاباتي وملاحظاتني لأورفانو عن عدم صحة الوصايا (ربما يقصد الوصايا العشر). لقد تركوا جميعاً في انطباعاً مريعاً لم أستطع التغلب عليه إلا بصعوبة.

٤ ديسمبر.

استيقظت في وقت متأخر، وذهبت مسرعاً لإلكسين، ووجدته عند أخيه، وهو عالم مؤثر فعلاً. تمشيت ذاهباً لأورفانو وقد غضبت منه بشدة. قال لي: لماذا تغضب مني وقد شعرتُ بالخزي؟ الحديث معه مستحيل، والسبب حبه لذاته المَرَضِي. بعد أن فارقت عزيزي أورفانو، كنت أفكر كيف يمكنني أن أعود نفسي عند لقائي بالناس أن أنتظر منهم الإذلال والجنون وأرغب في أن يسيئوا لي، وذلك كي أقضي على

شخصيتي البذيئة. تغديت بالمنزل وحكت كلوشًا. جاء أخي سيريوجا وكان لطيفًا، ثم جاء أولسوفيف.

٥ ديسمبر.

نمت شاعرًا بالذنب. استيقظت متأخرًا، ثم ذهبت لشراء نعال لأخي سيريوجا. التقيت الطبيب ولم أشعر بالسرور. وجب عليّ العكس. في الصباح عملت بحياكة كلوش. تنزهت دون هدف أقصده. بعد الغداء جاء شينبيل وقضى معي المساء بأكمله. علّم أولاده التعليم الأساسي فقط لظروفه الاقتصادية -على حد تعبيره- ولم يرسلهم للمدرسة الثانوية وعلمهم حرفًا. الآن لديه أربعة أبناء يعملون وأربع بنات. إنه شديد العناد لكنه ذكي؛ أقصد أن لديه أفكاره الخاصة. فكرته عن الخبز الرخيص التي مفادها أن الحكومة ليست في حاجة لفعل شيء من أجل إقرار علاقات مجتمعية سليمة بين الناس أكثر من عدم اعتراض المجري الطبيعي للأمور فكرة أهم بكثير من بقية المقالة كلها. إنه يقول إن الخبز الرخيص يقوم بما رفضه الناس من ملكية الأرض الزراعية، وإن استغلالها سيكون مستحيلًا، وسيقتصر الأمر على العيش على منتجها. سيرتبط الخبز الرخيص واحتياجات الأغنياء الكثيرة جميعًا برباط واحد. ألغ الضرائب، وستحقق الحرية الكاملة.

٦ ديسمبر.

استيقظت مجددًا في وقت متأخر. وصل شقيق ماريا إلكسندروفنا. لم يجد شيئًا في بطرسبرج. تحدثتُ مع أخي سيريوجا ومعه، ثم قطعت بعض الحطب وأشعلت الموقد وحكت ثم تنزهت دون هدف. التقيت

بماشينكا وسيريوجا. ساعدتني قليلاً قاعدة: عندما تلتقي بالناس انتظر منهم الإساءة والتصرف بخراقة لكن تعامل معهم بصلاح. تمكنت من ذلك مرة واحدة فقط. حكت كلوشًا، ثم تنزهت مع ماشا في انتظار لقاء سيريوجا وتاينا بعد خروجهما من المسرح. حضرا عرض باليه لمجموعة من العراة. كم لديّ من عمل! في المدن ما يقرب من مائة ألف جواد للسفر. لسنا في حاجة لكل هذا العدد. بعد خمسين عامًا سيختفي كل ذلك.

٧ ديسمبر.

استيقظت في وقت متأخر. ميشا مريض. استدعت صوفيا طبيبًا آخر. متى يمكنهم تفهم ذلك: إن كلفهم الطبيب عشرة روبلات للعلاج، فماذا بإمكان الفقير أن يفعل؟ وكيف يمكنك حينها أن تحاكم شخصًا قتل رجلًا عجوزًا كي يسرق منه عشرة روبلات ليجلب طبيبًا لينقذ ابنه؟ فكرت بالأمس: خدمة الناس؟ ولكن كيف وبأي وسيلة؟ لا بالمال ولا بتقديم خدمة بدنية مثل تنظيف المزلجة من الثلج وحياسة الأحذية وغسل الثياب أو رعاية مريض ليلاً. ربما كل هذا محمود وأفضل من أن تفعله لنفسك، ولكن ربما هو شرير أيضًا وعديم التأثير. الأمر الوحيد المفيد والضروري هو أن تعلّم شخصًا أن يعيش حياة صالحة. ولكن كيف يمكنك فعل ذلك؟ الوسيلة الوحيدة هي أن تعيش أنت حياة صالحة. يكمن الخداع في أن يرغب المرء في أن يُعلّم كي يرى الآخرون ثمار تعليمه، وحينها لا مفر من التعليم بالكلمات لا الأفعال. التعليم بسلوكك في الحياة هو أكثر الأمور صوابًا، لكنه عادة

ما لا يجعلك ترى ثماره. يبقى إذن أمر واحد: أن تعيش حياة صالحة. ساعدني يا أبي! عملت بالحياكة حتى الثالثة، وكتبت خطابًا لإيفان إيفانوفيتش وشهادة، ثم أخذت حذاءً وذهبت لأجلب المسامير وكتبت عن سُكَّر صانعي الأحذية. مرة أخرى يصعد جواد فوق الرصيف، ويقترب منه المارة ويسقط الجواد. في المنزل نعالج المرضى، ولكن الحمد لله بود. في المساء جاء التاجر زولوتاريف. إنه يحرق أرضه، بينما تريد زوجته وأقاربها أن يشكوه لدولجوروكوف بدعوى أنه فقد عقله^(٢٥٥). إنه يعيش الآن في القرية. بعدها جاء زاليوبوفسكي وراخمانوف. كلاهما سيعيشان مع نوفوسيلوف. لم يعد بإمكان الجميع التفاهم مع بعضهم البعض: دجونكوفسكي وخيلكوف - تشيرتكوف وأوزميدوف وزاليوبوفسكي - آل سبينجلر (الزوجة وزوجته) - ماريا إلكسندروفنا وتشيرتكوف - نوفوسيلوف وبيرفوف. أحد أسباب ذلك هو إزالة كافة آداب اللياقة في السلوك وإلغاء كافة القوانين التي كانت تسهل الحياة بين الناس، لكن الأمر لا يقتصر على ذلك. يمكن للمرء أن يواسي نفسه بذلك، لكن هذه ليست الحقيقة كاملة. لدينا دليل مريع على حقيقة أن أولئك الذين يعتبرون أنفسهم أفضل من الآخرين - وأنا أولهم - قد اتضح أنهم ليسوا أفضل بمثل ذرة عندما يتعرضون لاختبار: «لا يمكنني العيش معه». إن لم يكن بإمكانك أن تعيش معه فلا تعش على الإطلاق، فهو من يجب أن تعيش معه. «أريد أن أحرث حقلاً غير هذا» وهو أول حقل يجب أن يُحرث. «يبدو الأمر وكأنك

(٢٥٥) ترك التاجر عمله بالتجارة وعمل مزارعًا.

لا تفعل سوى التباهي، لكنك لا تريد الحرث فعلاً». هكذا كان أمري مع الكثيرين خاصة مع سيرجي سوتين. «لا يمكنني العيش معه. سوف نفترق وسيكون الأمر أفضل». ولكن كيف يمكن أن يتحسن الأمر بينما تقوم بأسوأ شيء ممكن؟ كل أفعال الفقر الاختياري والتقشف والعمل الشاق وحتى التضاع ليست ضرورية إلا لتكون قادرًا على العيش وسط الناس؛ أن تعيش، أي أن تحبهم. إن غاب الحب، فلا قيمة لأي من ذلك. الحرث ضروري قبل أن تنمو الثمار، ولكن إن انتويت أن تطأ الثمار، فلا معنى للحرث إذن من الأساس.

جاءني كولتشوجن حارس المدرسة. يريد مساعدة من مجلس المدرسة. سئري.

٩ ديسمبر.

نمتُ شاعرًا بالذنب. أنهيت صباحًا حياكة الحذاء، وتمشيت قليلًا، وأنا الآن جالس في انتظار الغداء. جاءني الأمس خطاب من جي. أمر غريب: حياتي تبدو خاوية ومع ذلك أشعر بهدوء كامل. يتلخص كل السوء بداخلي في نقص الحب. لكن الأمور تتحسن، لذلك لا أشعر بالكآبة بل إنني سعيد. غفوت. استيقظت. تمكنت شقيقتان أمريكيتان من عبور المحيط؛ واحدة عبرت الأطلنطي والأخرى الهادي، والتقيتا في الطريق، وهما تسافران الآن مجددًا. لقد رأنا كل شيء، وحظيتُ بزيارتهما. سألتني (يقصد صوفيا): ألا تجد سفرهما هكذا أمرًا غريبًا؟ حاولت أن أقول لها إن على المرء أن يعيش مفيدًا للآخرين. قالت إن هذا ما توقعت مني قوله، لكنها لا تعرف ما إن كان هذا صحيحًا أو لا.

مضى كل واحد لفراشه، وبقيتُ وحدي في هدوء. كان الأمر جيدًا.

١٠ ديسمبر.

استيقظت مبكرًا، وجهزت بعض الحطب، وأشعلت الموقد، ورتبت غرفتي، وذهبت لقراءة بعض الخطابات وللإفطار. كم من الجيد أن أصبحت لا أبالي بالخطابات التي تصلني! لستُ في حاجة لشيء. قرأت بالمنزل، ثم عرجت على بوكروفسكي. قرأت في المساء. جاء كل من كوستينكا وساشا بيرس.

١١ ديسمبر.

جهّزت الحطب، وجلبت الماء. درجة الحرارة عشرون تحت الصفر. قرأت، وتمشيت، ثم وصل ستاخوفيتش. حكى لي عن جمعية دعم الكلاب السلوقية مع نيكولاي نيكولايفيتش الصغير، وشربا نخب ذلك. في المساء جاء تيليتشيف مع زوجته. إنها مخلوقة دينية نادرة! قالت إن من الأفضل لي الآن ألا أطلع شيئًا في حياتي. كم أنا ممتن لها على دعمها!

١٢ ديسمبر.

قطعت بعض الحطب وأشعلت الموقد. طوال هذه الأيام كنت أحيأ حياة بلا لون لكن شفافة. أشعر بالحب صوب الجميع بطريقة طبيعية ودون جهد. قرأت ثم تمشيت. رأيت امرأة تسير على قدم واحدة لكن قوية. جاء للمنزل الأخوان بيرس وأقاربهما. شعرت أنني على ما يرام حتى في حضورهم. جاءت ماشا لتودعني. لقد شعرت بالملل. الأجواء

في المنزل سيئة وكئيبة، وهذا سببٌ أدعى لعدم الاستسلام. ولكن تانيا البائسة تود أن تتزوج بأي ثمن. ما زال اختيارها أفضل مما كان يمكن أن يحدث. قالت ماشا إن ماريا إلكسندروفنا قالت ما قالتها تيليتشيفا (نصيحة عدم النشر أثناء حياته)، لكنني ضعيف جدًا في أعماق قلبي حتى إنني لا يمكنني قبول ذلك. نعم، إنها مشكلة حقيقية. كم من السهل أن يقول المرء شيئًا ما، وكم من الصعب أن يفعل ما يقوله! بالأمس أو قبله بيوم ذهبت لفيت. أخبرني عن جداله مع ستراخوف. قال فيت إن من غير الأخلاقي أن يكبت المرء نفسه عن فعل شيء يجلب له المتعة، وكان سعيدًا بقوله ذلك. لماذا؟ وصل جروت وأعلن استيائه من مقالة جيلياروف. لماذا مجددًا؟ لماذا يجب على جيلياروف أن يدافع عن حب الذات؟ ولماذا يجب على جروت أن يدافع عن الحب؟

أمس تعاركت مع زوجتي بشأن: لماذا لا أدرس لأطفالي؟ لم أتذكر حينها أن من الأفضل أن أتعرض للإذلال. نعم.. هناك شيء يُدعى الضمير. إما أن يحيا الناس فوقه، أو أسفل نيره. الحالة الأولى مُعذِّبة للنفس، والثانية مُنفِّرة. من الأفضل أن يعيش المرء وفقًا لمتطلبات ضمير ينمو، فوقه دائمًا بدرجة طفيفة للغاية، لذا يكون بإمكانه أن ينمو ويصل إلى الارتفاع الذي شغلته بالفعل. أعيش فوق مستوى ضميري، لكنه لا ينمو ليلحق بي، خاصة فيما يتعلق بحقيقة أنني أتعرض للإساءة لكن حساسيتي للأمر كبيرة، كما أنني متكبر ولا أريد أن أمتنع عن طباعة كتبي حتى موعد موتي.

قطعت بعض الحطب ورتبت الغرفة وأشعلت الموقد وكتبت يومياتي ليوم ١٢، وأنا ذاهب للإفطار الآن. قرأت ولم أفعل شيئاً آخر. تمشيت. في الحياة نحن أشبه بزجاجات متجمدة مسدودة بالفلين تهدف إلى نزع سداداتها وتصب ما بداخلها كي تؤسس رابطة بين الماضي والمستقبل، وتصبح قناة وتشارك في الحياة الكونية. موت الجسد لا يحقق ذلك. إنه يصبنا فقط في زجاجة جديدة مسدودة أيضاً كالقديمة. ذهبت لسيتين. اشتريت مجلة «المشارك». مرت أربع وعشرون ساعة وما زلت متشككاً فيما عليّ أن أفعله. هل يمكنني أن أشارك؟ (في المجلة). في المساء جاء بولوشين وبوكروفسكي ودونيف ومامونوف. تحدثت عن المجلة. ثرثرتي لا تعد بخير. جيدة هي قصة بوروزدين عن القوزاق وكيف قتلوا تترياً كي يقطعوا يده وينالوا جائزة. جاءني خطاب طويل من رجل إنجليزي بشأن كتابي «حقيقة إيماني». يبدو أنه مشغول البال به، ويقول إنه لن يشعر بالراحة إلا عندما يحل الإشكالية، ثم يقول لنفسه: «ليس لديّ وقت» ولم يبحث ما إن كانت الكلمة اليونانية πορνεία أم أنها μοιχεία^(٢٥٦). جاءني خطاب جميل من عزيزي تشير تكوف وزوجته. لا بد وأن أجيبه. جاءني أيضاً

(٢٥٦) الزنى في العربية بمعنى: إتيان الرجل المرأة من غير عقد شرعي، لكن هنا الكلمة الأولى تشير إلى علاقة جنسية بين طرفين غير متزوجين، بينما الثانية تشير إلى علاقة جنسية تحوي خيانة (أحد الأطراف على الأقل متزوج) والتساؤل هنا عن أي من الاثنين قصد به الإنجيل "الزنى"؟ ويبدو أنه أمر تناوله تولستوي في كتابه.

بالأمس خطاب من نوثان دول^(٢٥٧) ومقطع من مقالة فارار^(٢٥٨). إنها ضحلة للغاية. اعتراض على المسيح باسم المسيح! أمر مريع. أمليت تانيا ردي على ذلك.

١٥ ديسمبر.

في الصباح فكرت في أمر اشتراكي في المجلة. جائز! لا بد وأن أختار شيئاً لكل قسم من كتاباتي القديمة. بالأمس قرأت مقالة بورتوجالوف بشأن وفيات الأطفال. قطعت الحطب، وأشعلت الموقد، وأنا ذاهب الآن لجلب الحطب ولزيارة بوجويفالينسكي (طبيب صديق له).

سرت حوالي ١٥ فرستاً، وعدتُ في الخامسة. جاء آل بيرس على الغداء. تركتهم ومضيت لغرفتي واستغرقت في القراءة. قرأت خطاب خيلكوف لتشيرتكوف ورد الأخير عليه بشأن الإيمان بسر الاعتراف وإنكار الكنيسة والدولة. قالت صوفيا على الغداء: «لا بد وأن يتحلى المرء بالغباء الكامل كي يصدق غيره ولا يصدق نفسه». قلت: «لا أحد يبتكر أفكاره من العدم، والمسألة كلها تكمن في أن يقرر هل يتبع أفكار المسيح أم يتبع مينانجويس^(٢٥٩)؟». شعورها بعبء نمط حياتها الحالي يزداد أكثر فأكثر، لكنني لا أتوقع أن تُقدم على تغييره أثناء حياتي. لم أعد أشعر بالأسف. فليكن ما يكون.

(٢٥٧) مترجم أمريكي، ترجم الحرب والسلام وأنا كارينينا.

(٢٥٨) لاهوتي إنجليزي، كتب مقالة عن تولستوي، اعترض عليها الأخير.

(٢٥٩) صاحب بيت أزياء شهير بموسكو. تولستوي هنا يسخر من صوفيا.

١٦ ديسمبر.

نمت نومًا سيئًا. قطعت الحطب، وأشعلت الموقد، ولم أفعل شيئًا حتى الثالثة. سأتنزه. جاءني خطاب جيد من ف أورلوف. لا بد وأن أكتب عن ضرر حلمة إرضاع الطفل. لم أكتب شيئًا. تنزهت. جاءني إرتيل^(٢٦٠) وجاءت تيوخومير وفا^(٢٦١) وماتيلدا. المقتطفات في المنشور على أسوأ ما يكون وغير واضحة، والأمر كله متعلق بعملية التقدم. العالم يمضي للأمام في طريقه صوب تحقيق ملكوت الله كما يُصقل الذهب. إنه لا يكتسي بمادة أخرى، بل يتم غسله فقط بالرمل. بعدها جلست مسرورًا مع ليوفا وماشا وتانيا.

١٧ ديسمبر.

نمت نومًا سيئًا مرة أخرى. دونت يومياتي، وأشعلت الموقد وها أنا ذاهب للإفطار. لا أذكر شيئًا يستحق التدوين. ذهبت لجروت ودياكوف، لكنني لم أجدتهما في المنزل. جاءني بالمنزل آل بيرس وكوستينكا. بعد الغداء جاء تولينوف وتيمكوفسكي. كتب تيمكوفسكي معالجة مجنونة. واحدة عن إدمان التبغ والآخرى عن إدمان للخمر، لكن بولوشين لم يوافق عليهما. هما يتجادلان. جاء أوسيت بتروفيتش، ودار حديث عن المجلة لم نخرج منه بشيء. نحن نخدع أنفسنا. إنني أشعر بالخزي.

(٢٦٠) إلكسندر إرتيل: كاتب روسي، كان تولستوي يقدره كثيرًا.

(٢٦١) جلبت لتولستوي منشورًا بعنوان "كيف نعيش طبقًا لكلمة الله؟"، وهو عبارة عن مجموعة من المقالات تحوي التعليم الأخلاقي من العهد القديم والجديد، وكان تولستوي قد نظمها في البداية، ثم أكملت هي العمل عليه.

خرجت بعدها لزيارة مدام هابجود^(٢٦٢). أشعر بمزيد من الخزي.
أعاني من سقوط أخلاقي.

١٨ ديسمبر.

رحلت الفتيات لتولا. نمت نومًا سيئًا. قطعت الحطب، ورُتبت
غرفتي، وسأتناول إفطاري. ساعدني يا أبي... أشعر أنني أهوي! قرأت
في مقالة فارار «المتدى». سيئة جدًا. ذهبت لهابجود ومضيئا معًا
لسيتين. بعد الغداء جاني بالمنزل العزيز بوجويافيلينسكي. ثم جاء
بولوشين بشأن الجريدة. أخشى أنني لن أصل لشيء. جاءني خطاب
من بوشا (بافل بيروكوف)، وأرسلت خطابًا لماشا. حذفت سطرين
تقريبًا. لا شيء يُسر في ذلك، ويبدو لي ذلك أمرًا غير حسن. لكن هذا
غير حقيقي. إن السرور لا يقترن إلا بالخير المزيف. هذا ليس سرورًا،
إنما خيرًا.

جاء أيضًا جروت، ومكث طويلًا، وحكى لي عن فلسفته. مدهشة!
إنه يتحدث ويفكر كمُعَادٍ للفلسفة، لكنه فيلسوف فيما يتعلق بنظرية
الأفكار والمشاعر. إنه يشيد بأبنية من الورق والأفكار. إنها ليست جميلة
ولا أصلية لكنها تشبه الفلسفة. رحلت الفتيات دون وداع، وأشعر أنني
سوف أبكي كجد طاعن في العمر.

١٩ ديسمبر.

استيقظت مبكرًا. قطعت الحطب. سوف أشعل الموقد، وأتناول

(٢٦٢) راجع حاشية ٢٤٦.

إفطاري. الحكومات تدافع عن مصالح الناس وتنتزع منهم المال مقابل ذلك وتراقب تنفيذ العقود المالية. لماذا لا يهتمون بدلاً من ذلك بتنفيذ الاتفاقيات، حتى العائلية منها، وخصوصاً اتفاقيات العمل؟ أقصد باتفاقية العمل الآتي: أوافق على أن تقوم يا (ب) بجلب الحطب والخبز، ومقابل ذلك سوف أعلمك. لا يمكن للحكومات أن تقوم بذلك، فحينها سيكون ذنبهم جلياً. لكن بإمكاننا، بل ويتوجب علينا، أن نستدعيهم لنراقب ما يفعلونه بخصوص المبدأ الذين وضعوه بأنفسهم ويدعمونه. ذهبت لها بجود وسوتين. تأخر الوقت وأصبت بالبرد. قرأت في المساء. مقالة تشيرنيشيفسكي عن داروين رائعة. القوة والوضوح. تحدثت مع ليوفا عن البلية المنتشرة للجماع الناقص بالقذف خارجاً والزيف الذي يُخفي عهراً بين طياته.

٢٠ ديسمبر.

نهضت، وقطعت الحطب، وأشعلت الموقد وها أنا ذاهب للإفطار. الأفكار تزداد وضوحاً في ذهني. آتتني تانيا بخطاب رائع من الأمريكية^(٢٦٣). لا بد أن أكتب عن أمرين: الهلع الآني - إمارات الوعي به، ولا بد أن أستقي المادة من كل مكان، وإلا ساء عملي. بدأت المجلة ولا رغبة لي بالاستمرار فيها ولا أشعر بالندم على ذلك. قرأت لإبيكتيتوس. ممتاز! ذهبت لجريجوري كولوكولتسوف كي أجلب بعض الكتب وكذلك لكوستينكا وللبريد. مصاب بالبرد وجسدي

(٢٦٣) خطاب من ابنة ابراهام يونج رئيس الكنيسة المورمونية بأمريكا، وقد أرسل لتولستوي كتاباً عن الطائفة.

يرتعثش. قرأت في المساء.

٢١ ديسمبر.

لم أشفَ بعد من البرد. كتبتُ خطابًا لبيريوكوف وتشيرتكوف. تحدثت مع يوليا كاشيفسكايا المدرسة البائسة عن سبب طلبي التدريس في المدرسة. ذاهب للإفطار. قرأت، ونمت نهارًا. لم أخرج. قضيت المساء بمفردي.

٢٢ ديسمبر.

لم أنم طوال الليل من آلام الكبد. فتوري الفكري ليس بلا سبب إذن. نهضت في الحادية عشرة. أقرأ الآن لليسكوف «زوج من كوليفان». جيدة. ألت طوال الليل منع عني النوم. وصلت الفتيات، وبدأت أعتاد الفكرة (٢٦٤).

٢٣ ديسمبر.

قرأت ودار حديث بيني وبين ن. أل، وقضيت ليلة سيئة.

٢٤ ديسمبر.

أرسلت في طلب بوجوفيلينسكي (طبيب). ما زلت مصابًا بالبرد. إنه لطيف جدًا. في المساء شعرت بالشوق. تحسنت حالتي ليلاً لكنني ما زلت في حالة سيئة.

(٢٦٤) يقصد فكرة الزواج المنتظر لابنته ماريا من ب بيروكوف.

٢٥ ديسمبر.

بعدها استيقظت، وصلتني الأخبار: وصل ابني سيريوجا، وقد وُلد حفيدي. أنا مسرور للغاية. لا أعرف السبب لكنني مسرور. تريسكين طيب القلب، لكنه في الحقيقة ليس مهذبًا. ماذا تعني كلمة «مهذب»؟ لا أعرف؛ لكنها تعني شيئًا ما. جاءني خطاب من أليخين يرتاب فيّ. تغديت مع فيلوسوفوف وشيدلوفسكايا. حكّت لي ماشا بتروفنا عن الجمعية. مدهشة! كتبت خطابات لأليخين وتشيرتكوف وبوبوف، وجاءني منه خطاب مؤثر. حالتي الصحية أفضل. سأنام.

٢٦ ديسمبر.

جاءني خطاب رائع كالعادة من خيلكوف. قضيت فترة النهار في القراءة. تغديت مع ليزانكا والأطفال. في المساء جاء آل مومونوف وآخرون. بدأ حزني وندمي على كيأتي الشريرة. في المساء تحدثت مع ليوفا وتانيا وماشنا عن الحياة والكبرياء غياب التواضع.

٢٧ ديسمبر.

استيقظت مبكرًا. قرأت مقالة عن التقويم. لا أستطيع الكتابة. أمن المعقول أنني قد كتبتُ كل ما لديّ؟ سرت في شارع أربات، ثم غفوت حتى الغداء، ثم جاء الضيوف: دياكوف وفيت وبعدها أليخين فاسيليتش. هذا أفضل، فقد حظينا بحديث جيد. سأنام.

٢٨ ديسمبر.

وصل بوشا. قال لي إنهما تبادلا القُبُل. أزداد ألفة مع الأمر

تدريجياً. أمر جيد بالنسبة لهما أن يقفا على الطريق المستقيم، وفي كل الاحتمالات أمامهما الكثير. إلى أي مدى يمكن أو يجب أن يمضيا؟ أردت أن أكتب عن حلمة إرضاع الطفل لكنني غفوت، وطوال اليوم كنت أشعر بالضعف. تمشيت قليلاً. بعد الغداء جاء دوناييف وبعض الأنسات. حذفت سطرًا. البعض يحاسبون أنفسهم بشدة ويصفحون عن الآخرين، وآخرون يسامحون أنفسهم ويدينون الآخرين.

٢٩ ديسمبر.

استيقظت في وقت متأخر للغاية، فقد ساءت حالتي ليلاً. جاءني خطاب من دجونكوفسكي وزوجته. إنهما في حالة جيدة. لا بد وأن أكتب لهما. كتبت لهما فعلاً. تمشيت. في المنزل قرأت ثم ذهبت لأغتسل. مضت الأمور بخير مع ليوفا. سيريوجا يبدو كالذئب، كالمنذب. أشعر بالأسف عليه. جاء بوجوفلينسكي، وتحدثت معه حديثاً جيداً. جاءني خطاب من تشيرتكوف يدعوني لكتابة بيان إيمان. سأجيبه.

٣٠ ديسمبر.

حظيت بنوم مريح. بدأت كتابة خطاب لخيالكوف. تراودني أفكار ورغبة في الكتابة. الحب البسيط بالنسبة للجميع بمثابة رصيف على منحدر. كافة الأفعال الصالحة هي... أقصد أن الأفعال الشريرة تختبئ خلف ستار من الكلمات البراقة. كي يبدأ المرء في القيام بأفعال صالحة حقاً، لا يمكنه أن يتناول تلك الصور المصطنعة المزيفة ويحولها لأفعال صالحة حقاً. لا يمكن للمرء أن يصنع أشجاراً حقيقية من قطع خشبية، لكن بإمكانه أن يجمع تلك الدعائم الخشبية ويزرع شيئاً حياً، يذر بذرة

لا شجرة، فعلى المرء أن يبدأ كل أموره من البداية. طوال اليوم بالمنزل في حالة معنوية منخفضة. وصل ستاخوفيتش على الغداء، وكان مضطرباً وقال تلك النكتة الفظة، لكنني شعرت بالأسف عليه وأحببته. جاء جروت أيضاً. تحدثت معه عن نشأة الدولة وكذلك عن أن ليس بالإمكان هجران القديم ولا بد من البدء من جديد. في المساء هاجمت صوفيا بيروكوف وماشا، وبطريقة ما وصلوا جميعاً إلى اتفاق، لكنني أشعر بالحزن. بعدها وصل نيمولوديشيف (طبيب). إنه غاضب ممتعض ضيق الأفق. تحدثنا عن أمور تافهة. حدثني عن حزنه وعجزه ووحدته وخوفه من الموت. فهمته وشعرت بالأسف عليه. قلت له: تضرع لله، أي جد تلك النقطة التي تنظر منها للأمر بمعزل عن الناس. فهم قصدي. إنه يعيش في هلع مستمر من الموت. يظهر عليه بوضوح مذهل ما يحدث مع سير يوجا أيضاً وعدد كبير من الناس. في الجامعة كانت أكثر الأخلاق لئيبالية هي عدم الانحناء لأحد واحترام العلم (ولهذا دستور كامل)... لقد كان نموذج أخلاقي غريب متوهج، ولم تكن الحياة معها في البداية سيئة، وبدا الأمر كما لو أننا نرتقي. لكن مع مرور الوقت لم يعد لها استخدام، بل على النقيض من ذلك؛ بقت الشكوك ولاح الدمار. يعاني نيمولوديشيف من عدم وعيه بذنبه، وجميعهم متساهلون مع أنفسهم وصارمون مع الآخرين.

٣١ ديسمبر.

استيقظت في وقت متأخر، وبدأت في الكتابة لخيكلوف، لكنني لم أستطع الاستمرار مجدداً. سأذهب إلى بوجوفلينسكي، وسأكتب لنيمولوديشيف.

١ يناير.

بالأمس ذهبت لبوجوفيلينسكي، لكنني لم أجده. أشعر بضعف وكآبة طوال الوقت. في المساء وصل طبيبان: روجستفينسكي ودولجوبولوف. كانا ثورين سابقين يتصفان بنفس التعصب الواثق في ذاته، لكنهما طيبان. في البداية انفعلت، ثم حظينا بحديث جيد. تيمكوفسكي (كاتب مسرحي) صغير جدًا. جاء أيضًا سترخوف وكلوبسكي وتعشنا بود وحب. استيقظت في وقت متأخر، وكتبت خطابًا لخيلاكوف، وسأتنزه. تمشيت مع بوشا إلى جولتسيف. إنه إنسان طيب وشريف. كان الغداء ثقيل الوطأة كالعادة. أردت أن أكتب عن حلمة الإرضاع، لكن بلا جدوى. بدأنا نقرأ مخطوطة ليسكوف «زينون الصائغ» في حضور الأنستين: مامونوفا وسامارينا. إنهما لا يعيران شيئًا اهتمامًا هنا سوى الأحكام الجمالية. حسنًا، إن تركنا قوة الفنون الرائعة الرهيبة لتعبر عن حقيقة أخلاقية حيوية، تلك التي نحن في حاجة إليها، لا تلك التي يمكنك أن تكتفي بمشاهدتها أو سماعها فقط، بل تلك التي تدين الحياة القديمة وتطالب بجديدة... إن وُجد مثل هذا العمل، فلن يؤثر بتاتا في آل مامونوف وآل سامارين ومن شابههم. أليسوا مبعثًا لملل لا يُحتمل؟ أنا لا أفهم كيف لم يشنقوا أنفسهم حتى الآن! ثم وصل

هؤلاء المتألقون برانيتشنيكوف وهو ذكي وآل فيلوسوفوف. شعرت بمزيد من الملل في حضورهم، وما زلت آمل أن تتحسن الأمور. مكثت معهم حتى الثالثة. رأسي يؤلمني، وأعصابي مضطربة.

٢ يناير.

بدأت العام الجديد بروح معنوية منخفضة. قرأت «روبرت إلزميز»^(٢٦٥). جيدة ودقيقة. ماشا وبوشا مضطربان^(٢٦٦). الأمر يزداد صعوبة وما من وميض ضوء. الموت يومئ لي مرارًا. ساعدني يا أبي! علّمني واقبلني! لم أخرج من المنزل وشعرت بكآبة شديدة. هاجمت صوفيا مجددًا بوشا وماشا. وصل إليكسين. وبدأ قراءة ملاحظاته حول الوصايا والكنيسة والدولة. في البداية كنت منزعجًا، ثم اتضح لي أنني أتفق مع محاولته لصنع تسوية بين الكنيسة والدولة وافترقنا عن بعض سرور. جلستُ في الصالة بمفردي أقرأ صحيفة *The World's Ad-* *vance Thought and the Universal Republic*. بها الكثير من المواد الجيدة. جيدة هي حجة الروحانيين على أن الخلود يستحيل إثباته بالطرق المادية. أفضل شيء بخصوص المجرمين هو أن الناس الذين ندعوهم أشرارًا يجب أن يكونوا جوهر عملنا لا محط غضبنا.

٣ يناير.

حظيت بنوم أفضل، وقرأت في *Advance Thought*، ونشّطت أفكارِي. ذهبت لبولوشين وفيت وبوكروفسكي، ثم مضيت لأجمع

(٢٦٥) رواية لهامفري ورد (رواية إنجليزية) توضح فيها وجهة نظرها في المسيحية.

(٢٦٦) السبب أن صوفيا أصرت على تأجيل زواج ابنتها ماشا من بوشا لعام كامل.

الحطب. الحب والفرح في كل مكان. في المنزل بدأنا قراءة ليسكوف بعد الغداء، ثم جاءت يهودية لتسأل عن أمر المسرح، فقد أخبروها أنه يتوجب عليها أن تعتنق المسيحية حتى تستطيع الصعود على خشبة المسرح. ثم جاء جولتسيف الطيب وبوجوفيلينسكي وميشا أولسوفيف. شعرت مع الجميع بالسرور والحب. أيد جولتسيف تصوري بخصوص الدولة. سأنام سريعاً.

٤ يناير.

استيقظت في وقت متأخر، وقرأت في *Advance Thought* وفكرت. يبدو أنني قد وضّحت لنفسي أنه يتوجب عليّ أن أكتب «اقتراب ملكوت الله» إن استطعت، أو أكمل شيئاً بدأته أو أكتب شيئاً جديداً. جلبت الماء وجهزت الحطب. تنزهت. تغديت مع ميشا أولسوفيف وقرأنا ليسكوف.

٥ يناير.

استيقظت في وقت متأخر للغاية. ميشا مريض ويتأوه. تجادلت مع بوشا. حبي له يزداد أكثر فأكثر. جاءني خطاب جيد من تشيرتكوف. قرأت عن جون ريسكين^(٢٦٧). بالأمس ذهبت لينجول. حدّثني عن كتب كثيرة جيدة وأعطاني أيضاً لكينين عن الأناركية والاشتراكية.

عرجت على جوتييه في وقت متأخر. في المنزل قرأت لكينين، وتملكتني نوبة غضب مريعة عندما قرأت عن حصن

(٢٦٧) جون ريسكين: أخلاقي إنجليزي ومؤرخ فني.

بيتروباflسكاي^(٢٦٨). سأعود للقرية، ولا بد أن هذا سيثمر في شعورًا آخر. هنا في المدينة (يقصد موسكو) جاء جروت وآل زفيريف وآل لوباتين: سجناء واحتفاليات الذكرى السنوية ومجموعات أدبية وتناول غداء مع الخمر وبصاحب كل ذلك هذر فلسفي. زفيريف مريع بجنونه. يقول: الإنسان بمثابة ذئب للآخر، والله غير موجود، وما من مبادئ، ولا شيء سوى الاندفاع. منافقون مريعون، وكُتّاب مُضرون بشدة.

٦ يناير.

نمت نومًا سيئًا جدًّا. لا يمكنني جمع شتات نفسي بسبب زفيريف. أعدت الآن قراءة عناوين ما بدأته سابقًا. لا أود كتابة شيء. أمر مدهش، كلية أو بشكل مؤقت! لكنني لن أثّر كما فعلت بالأمس. من الخداع أن نعتقد أن الكُتّاب أقرب إلى الحقيقة من الآخرين، بينما هم في الحقيقة أبعد بكثير. لديهم عقول ملتوية. أمر محزن. ساعدني يا الله. ذهب لبيتروشكا وسقطت في.... قضيت المساء مع عدد كبير من الأطفال. ليوفيا لطيف.

٧ يناير.

شيء ما يشعرني بالضيق، ويبدو أنني سأمرض. في المساء جاء ينجول وستروجينكو وجروت ولوباتين وماتشيت. ستروجينكو وينجول أفضل الجميع بلا شك، لكنني ما زلت أشعر بالضيق. تغديت مع دياكوف وقرأت لتشخوف.

(٢٦٨) وصف الكاتب في إحدى مقالاته نظام السجون، خاصة المسجونين السياسيين المحبوسين في حصن بيتروباflسكاي.

٨ يناير (الأحد).

رحل بوشا. أشعر بالحزن والضييق والتعب نوعًا ما. قلت له علام أوبخه. في المساء جاء جاتسوك (صحفي) وبوكر وفسكي. الوقت يمر عبثًا. بينما أتنزه التقيت ماليكوف واختبرت واحدة من أكثر انطباعاتي مدعاة للسرور. إنه ذاهب للأرض.

٩ يناير.

كتبت صباحًا في مقالة (عيد التنوير)، ثم ذهبت لجولتسيف. هناك التقيت مورومتسوف. في المساء جاء شارابوف وإلكسندروف وأزعجاني. جاء بولوشين. إلين وماشا يعملان على نحو جيد.

١٠ يناير.

استيقظت مبكرًا وواصلت العمل على مقالتي حتى موعد الإفطار. جاء جولتسيف، وقرأت له المقالة، ووافق عليها. أنهيتها ثم ذهبت لمكتب التحرير، وقد أوصلني آل فيلوسوف إلى هناك بعربتهم. عظمة غير عادية. الكتّاب منافقون. بعد الغداء كتبت خطابًا لبوشا ثم تمشيت ووجدت المحرر هنا في انتظاري عندما عدتُ. ثم التقيت دونايف. صحّحت المقالة، ثم ذهبت للمطبعة بصحبة ليوفا ودونايف.

١١ يناير.

استيقظت في وقت متأخر. مرض فانيا ليلاً، وارتعبت صوفيا. في الصباح صدّق فوميتش (أحد الخدم) على مقالتي. جاء المٌدللُ. أنهيت قراءة عمل كينين، ثم تحدثت مع فويكوف عن مشروع إنشاء مدرسة

للأطفال. تمشيت. دافع جروت عن السُّكر وما إلى ذلك. حزنت ثم التقيت آل شيدلوفسكي. تغديت لتوي وأردت أن أكتب يوميات الأيام التي فاتتني. قرأت إنجيل طائفة المورمون وحياة سميث^(٢٦٩)، وشعرت بالهلع. نعم، الدين الحقيقي هو نوع من الخداع. أكاذيب ذات أهداف صالحة. توضيح ذلك سهل. إنه خداع متطرف واضح في حياة سميث، ولكن الأمر كذلك في الأديان الأخرى بدرجات متفاوتة. منذ عدة أيام، أعتقد بالأمس، كتبت لبوشا. جاءني أيضًا بالأمس خطاب من ماشا جميل وطيب ونقي. تنزهت وعرجت على ينجول وفيت بصحبة أندريوشا.

١٢ يناير.

رسائل تعاطف وزيارات. جاءني يرشوف بكتاب. قرأت هذا المساء كتابًا عن الاشتراكية الأمريكية؛ عن حزبين: الدولي والاشتراكي. الأناركيون على حق تمامًا، إلا فيما يتعلق بمسألة العنف. إبهام غريب فيما يتعلق بتلك المسألة. مع ذلك أفكر في هذا الموضوع كما أفكر في مسائل الدين؛ أقصد أنها مسائل لا بد من حسمها، ومع ذلك لم تُحسم حتى الآن. ذهبت مشيًا لسيتين، لكنني لم أصلُ إليه، بل عرجت على فويكوف. مَنْ يدري أي نوع من الرجال هو؟ لديه طموح كبير، لكنه مُخدَّر تمامًا. أشعر بالملل. أنهيت بالمساء الكتاب عن الاشتراكية. جاءني خطاب من بوشا. في المساء جاءت الشرطة لحمايتي^(٢٧٠). جاء

(٢٦٩) كتب عن الطائفة المورمونية، ألفها بريجام، وأرسلتها ابنته لتولستوي.

(٢٧٠) أرسلت سلطات موسكو قوة من الشرطة بحجة حماية تولستوي مدعية أن هناك علاقة بين مظاهرات الطلاب ومقالة تولستوي "عطلة التنوير".

ستاخوفيتش. حمدًا لله تعاملت معه بلطف.

١٣ يناير.

استيقظت في وقت متأخر. جاءني فويكوف. مشروعه يزداد وضوحًا. ممكن! أريد أن أكتب. صحتي بخير تمامًا باستثناء آلام الكبد. قرأت في كتاب يرشوف ثم ذهبت لسيتين. تأجل إصدار المجلة. هذا أفضل. أنهيت في المنزل كتاب يرشوف وعرجت على دياكوف. هادئ تمامًا وأشعر بالسرور. لم أرفع قبعتي أثناء مروري ببوابات سباسكي^(٢٧١)، وأخذ أحدهم يوبخني بشدة. أصبح قلبي مضطربًا جدًّا، فالحياة تتبدد سريعًا. أيمن أن يكون لدي الحق في تبديدها بهذه الطريقة؟ قرأت عن المورمون وفهمت القصة كلها. نعم، لدينا هنا مثال واضح ساطع عن الخداع المتعمد الذي يعد جزءًا من كل ديانة، حتى إنني تساءلت ما إن كان عنصر التلفيق المقصود هذا لم يتم بدم بارد بل بحماسة شعرية تصدق نفسها بعض الشيء... أليست هذه سمة قصرية لما ندعوه دينًا؟ نجد هذا التلفيق لدى بولس ومحمد، لكننا لا نجده لدى المسيح، بل نُسب إليه زورًا. لم تكن تعاليمه لتتحول لديانة لو لم يلفقوا فكرة القيامة، والمُلقِّ الرئيس لها هو بولس.

١٤ يناير.

استيقظت مبكرًا. أشعلت الموقد وقرأت وكتبت في يومياتي

(٢٧١) بوابات في موسكو عند الكرملين، وكانت العادة أن يرفع المار منها قبعته.

وأردت أن أكتب مقدمة لكتاب يرشوف^(٢٧٢). كتبها برصانة شديدة لكنها ضعيفة. لا يمكن أن يكون الأمر هكذا. قطعت بعض الحطب وتمشيت والتقيت نيكولا فيدوروفيتش وتحدثت معه. الأمر بالنسبة له مثل الأمر لدى أورو سوف، فالحياة والكتب لا تتضمنان ما هو فيما بالفعل، بل ما نود أن نراه فيهما. نبرة ثقته في حديثه مذهلة. دائماً ما تكون مثل هذه النبرة في علاقة عكسية مع الحقيقة. أثناء الغداء جاء طبيب الزيمستفو وتحدثت معه بحرارة شديدة. لا بد وأن أعلم الصمت. لا بد أن أتذكر أنه لمصلحة شريكي. بعد ذلك جاء فيت البائس ليحتفل بيوبيله الأدبي. أمر مربع! جاءني خطاب طيب من بوشا. قرأت في كتاب ينحول عن المالتوسية الجديدة^(٢٧٣). الأمر كله يتعلق بتعليم ضبط النفس في المدرسة. ما إن نجد الخير في ضبط النفس، حتى تزول المعارك. كتبت خطاباً لإلكسيف بشأن الترجمة.

١٦ يناير.

استيقظت مبكراً، وقطعت بعض الحطب. أردت أن أكتب المقدمة، لكنني بعد أن فكرت في الأمر قررت أن أنحي عني هذه المقدمة وأكتب شيئاً آخر. تبدد اليوم. لا أقصد يوم ١٥، بل ١٦. ذهبت إلى بوكروفسكي لكنني لم أجده. في المساء التقيت بدونايف ونيكيفوروف وأرخانجيلسكي وراخمانوف. أرخانجيلسكي في الصف الخامس

(٢٧٢) كان يرشوف ضابطاً أثناء حرب القوزاق، وكتابه عن ذكرياته في الحرب.

(٢٧٣) توماس روبرت مالتوس باحث سكاني واقتصادي سياسي إنجليزي. مالتوس مشهور بنظرياته المؤثرة حول التكاثر السكاني.

من كلية الطب، يعيش في القرية. إنه شاب فتّي، لكن تبين أنه فظ، ولا يتعامل بلطف مع راخمانوف ودونايف. إنه ساذج وكذلك نيكوفوروف إلى درجة تبعث على الضحك، ويدافعان بسذاجة عن السُّكر، أو سريعاً ما يتهماني بتقديم ما هو غير مهم على ما هو مهم. لقد أنهكت منهما. سأترجم.

١٧ يناير.

استيقظت مبكراً، وجلبت بعض الماء، وجهزت الحطب، وأشعلت الموقد. وقبل أن أبدأ العمل عرجت على زلاتوفراتسكي، ورأيت هناك نيكيفوروف^(٢٧٤)، وأعطيته بعض العمل، وعرجت على آل مامونوف. أنهكت. لا أشعر أنني بخير. في المساء التقيت بأداموفيتش وبوكروفسكي ونيكيفوروف وإلكسندروف، وقرأ لي ما كتبه عن تاريخ مصر. جيدة مقالته. ودّعت نيكيفوروف وشعرت بالإنهاك. لست بخير. مكثت في المنزل مريضاً. مجدداً لا أستطيع الكتابة.

١٨ يناير.

استيقظت مبكراً وجهزت بعض الحطب. جاء أحد المولوكونيين من بوجرودوسكوي. قرأت بالأعلى، ثم وصل تيليتشيف وسيد آخر ليسألاني التوسط لأجل مربية حُكِمَ عليها بالنفي. تعاملت معهما بدناءة. لم أكن حُبّاً لهما، وكنت غير صبور وثرثراً معهما. قبل ذلك قرأت شيئاً كُتِبَ عني في مقالة لشيلاجينوف في جريدة «الفكر الروسي»^(٢٧٥)،

(٢٧٤) مترجم ومؤلف عدة مقالات حول تولستوي.

(٢٧٥) كانت المقالة تنتقد مبدأ اللا عنف الذي يُنادي به تولستوي.

وشعرت بالحزن والخزي. نعم، نعم، نعم، من الضروري أن أهجر كافة خطط الكتابة وفعل أي شيء لنفسى، وأن أحافظ على أمر واحد فقط؛ ألا وهو استعدادى لتحمل الإساءة والإذلال. من المهم أن أقبل الإذلال وأن أهتم باحتمالية فعل شيء صالح للآخرين. ساعدني يا إلهي! لم أفعل شيئاً، وتمشيت حتى وصلت لسيتين. التقيت بشييكين ودوناييف. تحدثت حديثاً تافهاً مع الأول، بينما كنت أفكر طوال الوقت في نفسى مع الآخر. جاءني خطاب جيد من بوشا. أنهيت قراءة كينين. وصل إلكسندر بيتروفيتش. إنه عقيد بسلاح المدفعية. منذ زمن لم ألق بضباط مثله. جاءني خطابات تسبني، وخطاب من جروت، وكتب جايديروف كلمات نابية بخصوص مقالتي عن الحب. هذا أمر جيد جداً كي أدرب نفسى، لكنى لم أستفد منه بشكل كامل. أفرطت في تناول الطعام. لم أستطع النوم طوال الليل تقريباً.

١٩ يناير.

استيقظت مبكراً، وفكرت كثيراً، وأنا لا أزال على فراشى. فكرت تحديداً في المعاناة من الخطيئة وفي معاناة الإدراك. الإدراك ينتج حباً، ويدمر الخطيئة، والحب يقضي على المعاناة. طوال هذا الوقت أفكر في خطيئتي وفي معاناتي وأفكاري وحبى. بالإضافة إلى ذلك ما زال عملي الخارجى كما هو. إن خطيئة شخص ما تتسبب في معاناة شخص آخر، بينما فهم أو إدراك شخص ما قد يشيع ويقضى على خطايا شخص آخر، أما حب إنسان ما فهو دائماً ما يعم ويقضى على معاناة شخص آخر. حاولت قراءة بختي بالورق دون جدوى. ذهبت لينجول وبوكر وفسكى

وزلاتوفراتسكي. التقيت هناك بزوجة بوكروفسكي الطيبة اللطيفة المتدينة، أما عند زلاتوفراتسكي، فتناهت إليّ من تحت الطاولة رائحة فودكا. قضيت المساء بمفردي في المنزل، ثم جاء الأولاد الطيبون: ليوفا وماشا وإلين، وشعرت بينهم أنني في حالة طيبة وهادئة وصالحة.

٢٠ يناير.

استيقظت مبكرًا. عملت وفكرت. كنت مستعدًا لأن أصبح أحمق أو مخادعًا لأعرف ماذا سوف يحدث في كل حالة. لطخت يدي، حتى لا أخشى الإمساك بالأوساخ. هكذا أعيش لا من أجل مديح الناس. القول سهل، ولكن عندما يتعود الإنسان على الحياة من أجل مديح الناس، فلم يعش؟ إنها دائرة. عِش لله، وستحتقر أحكام الناس. احتقر أحكام الناس وستعيش لله، ولن يكون لديك سبب آخر للعيش. تحدثت مع زوجتي. قالت إنني لديّ مبادئ، لكنني مُجرّد من القلب. أكان المسيح كذلك؟ قلتُ لها: لا تنفوهي بالحماقات. قلت ذلك من أجل الله لا من أجلي. لا بد وأن تتحسن الأمور. نعم، بالأمس جاءت سترخوفا. إنها أم طيبة بسيطة. أنا في جانبها تمامًا. كلوبسكي إنسان مريض. لم أفعل شيئًا مع أنني حاولت الكتابة. تنزهت وذهبت لماشينكا وقضيت وقتًا لطيفًا. في المساء قرأت في رواية إلزيمير^(٢٧٦). جيدة جدًا. وصل زلاتوفراتسكي وأرخانجيلسكي، وشعرت بالضيق. أخشى أن يكون هذا بسبب مرض زلاتوفراتسكي. بعدها وصلت تانيا.

(٢٧٦) رواية للكاتبة الإنجليزية: هامفري روبرت.

٢١ يناير.

استيقظت مبكرًا، وانخرطت في العمل. قرأت لماركوس الزاهد^(٢٧٧). ثمة مواضع جيدة كثيرة. ذهبت لبوكروفسكي. تحدثت مع زوجته عن مذهب الأرواحية وعن الإيمان وعن بليتها في فقدان ابنها. التقت سامارينا. إنها تلهث وتقول بحزن: «إنها بداية النهاية». الأمور بخير في المنزل. تغديت مع دافيدوف. إنه مُدَّعٍ عام طيب، لكن من الناحية الأخلاقية يتحرك بشكل غير متوقع. ثم أتى سمينوف. لطيف جدًا ويزداد تطورًا. إنه واضح وهادئ وصلب. ثم جاء خاباروف المُدَلِّك. بدا كما لو أنه مهتم بقضايا الحياة. ثم جاءت أنينكوفا اللطيفة بصحبة فتاتين وبعدها براشنين ثم أليخين. طوال الوقت كان ليوفا جالسًا معنا. إنه ينمو.

٢٢ يناير.

وصلتني طبعة من كتاب عن السلام العالمي: «مملكة المسيا». جيد. جاءتني امرأة مؤثرة بصحبة أربعة أطفال. الزوج حصل على تعليم جامعي، ومدمن للخمر، يضربهم ويطردهم. إنها تسألني: ما العمل معه؟ إما شيء من اثنين: إما قبوله في الأسرة وبالتالي تدمير الأطفال، وإما طرده، بينما المطلوب أمر واحد فقط، فالعلاج المقترن بالحب غائب. لا أعرف هل الأمر كذلك حقًا؟ يبدو أنه يجب قبوله إن راعينا الله. لم أفعل شيئًا قط. فانيتشكا مريض جدًا. ذهبت لأليخين

(٢٧٧) ماركوس إريميتا = ماركوس أسيتيك: عالم لاهوت مسيحي وقديس وكاتب زاهد في القرن الخامس الميلادي، والكتاب المقصود «عن التوبة».

وسامارين، وعاملت كليهما بسوء. تحدثت مع الأول حديثاً فارغاً وكذلك مع الثاني حديثاً فارغاً وغازباً بشأن الحكومة ومنجدين (من معارف تولستوي ومسؤول حكومي). ألا زال من الممكن أن نجد من يقولون إننا من أجل تحسين أمور الضيعة من الضروري أن نغرس الأخلاق داخل نفوس مديريها كي يقوموا طوعاً بواجباتهم؟ لا يقول ذلك إلا من يشاركون في الإدارة فعلاً، أما أي إنسان عاقل فمن الواضح تمامًا له أنه يلزم قبل أي شيء آخر أن يُزيل أصحاب النظام القديم، ثم يؤسس نظاماً جديداً من أولئك الذين يبدو أنه في حاجة إليهم.

بعد الغداء ذهبت لماشينكا، ومكثت هناك في هدوء حتى الحادية عشرة ثم عدتُ للمنزل. أنا بخير في المنزل لولا المرض.

٢٣ يناير.

استيقظت مبكراً. استلقيت وفكرت كثيراً في كافة القضايا الهامة بالنسبة لي. جاءني خطاب من دنيسينكو (محرر جريدة يوميات ممثل روسي) ومن أورينبورج، وبشكل عام مزيج من السخط والإساءات. كذلك جاءتني مقالات شيلجونوف. لا يتوجب عليّ أن أتخلص منها أو أنحيها، بل لا بد أن أبتهج بها وأتمعن فيها وأخرج منها بموعظة إن أمكن. وإن لم يتيسر ذلك، فمن المهم أيضاً أن أعوّد نفسي على قبولها بسرور وحب. لا بد وأن أعوّد نفسي على ذلك كما عوّدت نفسي على أفكار الموت. أقرأ الآن في رواية «الزمير» وكتاباً عن المورمون. عملت كثيراً ولم أكتب شيئاً. جاء سيميونوف وتحدثت معه جيداً. إنه في حاجة للمال. أمر محزن! يبدو لي أن ذلك دلالة على كم ما لم يفعله.

قرأت عن الحرب. رائع وقوي! سبب الفشل الوحيد هو الإقرار بجذر المشكلة كلها، ألا وهي الاعتراف بالدولة. كتبت خطابًا لشيرتكوف وآخر لبوشا. ذهبت لأنينكوف. تجادلت بحدة مع زوجها، لكنني لم أسيء له. فانيتشكا وماشا مريضان بالمنزل. بعد الغداء، قرأت كل ما يتعلق بالحرب. ساعدني يا سيدي في هذا العمل العظيم. إن سمحت به سوف يكتمل. ذهبت لليزانكا أوبولينسكايا.

٢٤ يناير.

استغرقت في النوم حتى وقت متأخر. أتت لي صوفيا البائسة المعذبة وقالت لي شيئًا جرحني، وتمكنت بشكل ما من قبوله بلطف. بالأمس تذكرت كل ما يتعلق بدينيسينكو وتألّمت. بدأت أعود على الأمر. نعم، لا بد ألا يتمكن أحد من خرق حالة حبي الباعثة على السرور. بالنقاء والحب يمكنني أن أحقق الخدمة التي دُعيت إليها.

مساء الأمس جاء موروكين (اقتصادي). تجادلت معه بحدة عن الحرب، لكننا أنهينا المناقشة بود. وصل سترخوف لتوه. تُرى ماذا سيحدث؟

تحدثت على نحو جيد مع سترخوف. لقد خاب أمله في كلوبسكي، لكن الأمر أفضل مع أمه. التقيت أورلوف وحكى لي عن موت أبيه الجنرال. لقد تهاوى في طفولته أي أنه ظل بالنسبة له مجرد كيان غريب. قبل ذلك جاء بوكروفسكي. تلوح على فانيتشكا^(٢٧٨)

(٢٧٨) ابن تولستوي الأصغر، ومات فعلاً في ١٨٩٥.

علامات الدرن والموت. أشعر بالأسف الشديد على صوفيا. لديّ شعور غريب بالشفقة على الطفل؛ شعور بالمهابة الورعة أمام تلك الروح، أو تلك البذرة لأكثر الأرواح طهرًا المحبوسة داخل جسد ضعيف. أعتقد أنه سوف يموت في الغالب.

مؤخرًا بدأ شيء غريب ومبهج يحدث لي؛ لقد بدأت أشعر بإمكانية فرح الحب المتواصل. في السابق كنت مصعوقًا ومذهولًا من الشر المحيط بي والذي كان يتلعني، ولم يكن بإمكانني وقتها إلا أن أتخيل الحب وأفكر فيه نظريًا، لكنني الآن بدأت أشعر بغبطته. الأمر كما لو أن دفقات من النور والدفء بدأت تلوح بين الحين والآخر من أسفل كومة من الحطب الجاف، وأنا أوّمن وأعرف وأشعر بالحب وغبطته. أشعر بما يقف في طريقي ويحجبه عني. الآن يمكنني أن أعني بطريقة جديدة بضغيتي صوب أي شخص؛ صوب تانيا مثلاً بالأمس، وأشعر بالخوف لأنني قد أضع بذلك ما يحول بيني وبين الدفء والضوء داخل نفسي. بالإضافة إلى ذلك عادة ما أشعر بهذا الدفء إلى حد أنني أشعر أن شيئًا ليس بإمكانه أن يفسد هذه الحالة الهادئة من السرور بالحياة الحقيقية.

وصل فيودور فيودوروفيتش بصحبة شاب. إنه يريد التوصل إلى الأسس الدينية. قلت له إن أمامه طريقين في الحياة؛ الأول بإيجاد السرور خارج نفسه، والآخر بالأيسر بشيء إلا بتطهير روحه. في المساء ذهبت مع فيروتشكا (ابنه أخيه) للبحث عن غرفة في فندق لماتيلدا بافلوفنا. ماشا حزينة. لا أعرف السبب. لا بد وأن شيئًا ليس على ما يرام في خطاباته لها. شيء ما يشعرني بالضيق. لا أعرف السبب، لكنها حزينة

ومن الضروري أن تفكر. إنها فرصة أخرى للحب كي يحل كل شيء.
لا بد وأن تحبه. سأكتب له.

٢٥ يناير.

استيقظت مبكرًا. فكرت وشعرت أن بإمكانني أن أحب أولئك من ضلوا بعيدًا، بل إنني أحبهم فعلاً، أولئك المدعويين أشرارًا. في البداية قلت في نفسي: هل يمكن لأحد أن يرشد الناس إلى موضع أخطائهم وخطاياهم وذنوبهم دون أن يجرحهم؟ هل يمكن لأحد أن يقتلع أسنانًا دون ألم؟ هناك كلوروفورم وكوكايين من أجل تهدئة حدة الألم الجسدي، ولكن ليس هناك ما يشبه ذلك لآلام الروح. هذا ما اعتقدته في البداية، ولكن بعد ذلك اتضح لي على الفور أن هذا غير حقيقي. هناك كلوروفورم روحي من أجل الروح. لقد فحص الناس الجسد من كافة جوانبه كما فعلوا مع كل شيء آخر، لكنهم لم يفعلوا ذلك مع الروح. يجري الناس عمليات على الساقين والذراعين باستخدام الكلوروفورم، لكن عندما يجرون عمليات بهدف التحسين الأخلاقي لشخص ما يخدمون فاعلية التأثير بالألم، ويتسببون بهذا الألم في أسوأ أمراض الضغينة. لكن هناك كلوروفورم من أجل الروح، وقد اكتُشف منذ زمن طويل، وهو ثابت دائمًا؛ إنه الحب. علاوة على ذلك، في حالة الجسد قد تكون هناك فائدة لإجراء عملية دون كلوروفورم، لكن الروح كيان شديد الحساسية، فإن أجريت عليها أي عملية دون كلوروفورم (حب) فلا بد وأن تهلك تمامًا. دائمًا ما يعرف المرضى ذلك، ودائمًا ما يطلبون الكلوروفورم ويدركون أنه ضروري، وكثيرًا ما يغضب الأطباء من هذا

الشرط. يقولون، وقلت مثلهم كثيرًا: لماذا يحتاجون إليه؟ عليه أن يكون ممتنًا أنني أعالجه وأعالج جرحه، لكنه يطالبني بأن أقوم بذلك من دون ألم! عليك أن تمنن لي لأنني أعالجك». لكن المريض لا يصني لهذا، ويشعر بالألم ويصرخ ويخفي بقعة الالتهاب قائلاً: «لا تعالجنني. إنني لا أريد العلاج. أود أن يسوء مرضي إن لم تكن قادرًا على علاجي دون ألم». ما طبيعة المرض الروحي؟ إنه خداع؛ إنه الانحراف عن القانون وعن الطريق الواحد والته في طرق كاذبة داخل شبكة من الإغواء. أما أولئك الذين ينشدون المساعدة أو يمضون ببساطة بأكثر الطرق مباشرة من خلال الاتصال بجميع الناس لانتزاع الضالين من شبكات ضلالهم، كيف يتوجب عليهم أن يسلكوا؟ من الواضح أن الإنسان الذي ضلّ لتوه يمكنه أن يهجر الطريق المزيف ويسلك الصحيح دون أن يشعر بالألم، أما ذاك الذي علق بشبكة ذلك الطريق المزيف منذ فترة طويلة، فمن المستحيل أن نُخلّصه منه سريعًا؛ لأن هذا سوف يؤلمه بشدة. لا بد من فعل ذلك برفق، وأن نحل الخيوط التي تكبله بلطف أولاً. ولا بد من الكلوروفورم (الحب) إبان عملية التوقف وحل الخيوط. ماذا ينتج عن ذلك؟ هذا إنسان مكبل يدها وقدماه وعنقه بخيوط الطريق المزيف، وكي أنقذه من ذلك أمسكت به وأشدّه؛ أشد روحه وأمزق أطرافه. كلما كانت قيوده أسوأ، كلما ازدادت حاجته للحب. هذا ما كنت أفهم بعضه منذ مدة، لكنني الآن أفهمه تمامًا وبدأت أشعر به أيضًا. العون يا أبي!

لا يمكنني كتابة المزيد الآن. سأذهب لصوفيا.

جاء الأطباء. لقد حاولوا أن يجعلوا ما هو غير واضح ومحدد واضحًا

ومحددًا. لقد حكموا عليه تقريبًا بالموت (يقصد ابنه فانيتشكا). ذهبتُ بصحبة ليوفا لأولسوفيف. بعد الغداء قرأت في رواية إلزيمير وكذلك الخطابات والصحف التي وصلتني. أتى دوناييف ثم سميونوف وأينيكوفا. يا لها من امرأة متدينة! نمتُ مع الأطفال. يبدو فانيا في حال أفضل.

جاءني خاطب من تشيرتكوف بخصوص استجواب الشرطة لماكار وتمجيد اسم الله.

٢٦ يناير.

استيقظت مبكرًا، وعملت، وأشعلت الموقد، ثم قرأت. جاء دياكوف، ودار بيننا حوار صادق. إن لم يكن لديه ما يعيش من أجله، فما من مفر من السقوط في الطفولة. تحدثت معه جيدًا. فانيتشكا أفضل. مضينا بعيدًا أنا وتانيا. أشعر بالألم.

مضيت لأجلب بعض الحطب. بعد الغداء قرأت بعض الخطابات، أحدها يعاديني بغباء قائلاً لي: لماذا تقول تخلوا عن ملكياتكم بينما أنت لا تفعل ذلك؟ على كل حال كنت منزعجًا، أو بمعنى أدق كنت مضطربًا. يبدو أن حالة فانيتشكا تتحسن، لكنني أشعر أن الأمر ليس كذلك. جاء تيمكوفسكي. قرأت مقالة عن لندن. ليست سيئة. جاء سوخوتين. تصرف بشكل لائق وتذكرت أنهم بشر. استلقيت مبكرًا.

٢٧ يناير.

استيقظت مبكرًا، وأشعلت الموقد، واستلقيت على الفراش أفكر. المشكلة كلها في النضج قبل الأوان، في أن تكون على ثقة من أنك قد

فعلت شيئاً لم تفعله فعلاً. هكذا الأمر مع المسيحية بشكل عام، خاصة فيما يتعلق بالعبودية. لقد ألغوا العبودية على الورق، ولكن طالما أننا نغير ثيابنا الداخلية كل يوم ونستحم ونركب العربات ونحظى بخمسة أطباق على الغداء، ونعيش في عشرة غرف... إلخ، كل ذلك لا يمكن صنعه دون عبيد. الأمر واضح بشكل مرعب، ومع ذلك لا يراه أحد.

لا أذكر أين تنزهت، ولكن آل سامارين وصلوا على الغداء. تحدثت حديثاً جيداً مع الزوجين سامارين، ثم مع سيميونوف وجيراسيموف. يوم هادئ جيد دون خطية.

٢٨ يناير.

استيقظت مبكراً، وانخرطت في العمل. عمل كل من لينوتشكا وماشا بسرور. في الصباح جاء ستاخوفيتش ثم دياكوف من عند فيت. غادرت مبكراً. ذهبت لسيتين، لكنني لم أجده. تحدثت مع فنان بارع وسيد آخر. ثم ذهبت لبوكروفسكي لأعطيه بطاقاته. شعرت بخزي رهيب. بعد الغداء جاءت أنينكوفا، وجاء كلوبسكي وخاباروف. أنا سعيد أنهم لم يتوقفوا عن حب كلوبسكي. بعد ذلك جاءت آنا ميخايلوفنا أولسوفيفا. بدأت التحدث معها بجدية، لكنني تذكرت، وصمتُ.

٢٩ يناير.

استيقظت مبكراً. لا أشعر أنني بخير. رتبت الغرفة وذهبت لفيت. أرى بوضوح جميع حماقات الناس طالما لم أنخرط فيها بعد، ولكن ما إن ينخرط المرء فيها حتى يبدو له أن ليس بالإمكان فعل شيء آخر.

هذا ما يوضح كلفة عدم انضمام المرء إليهم. قرأت في المنزل ثم وصل فينوجرادوف مؤلف رواية «دكتور سافانوف». تحدثتُ معه، وبينما كنت أدين كتاباته، أدركت أنه رجل قد تأثر بتعاليم الحقيقة، هو ورفيقه المعلم. لم أخرج حتى الغداء. بعد الغداء جاء إيفين^(٢٧٩). إنه يكتب عن حياة المسيح. إنسان رائع، ومثال على كيف يخرج الإنسان من كل مكان بسبب دعوته الإلهية. لو لم يكن لدينا فقط هذا التنوير الزائف، لاستطاع هو وأمثاله فعل المزيد. عليه الآن أن يكسر الجليد. أكتب وأفكر: أصبح ذلك؟ أفاكوم^(٢٨٠). الكذب دائماً موجود، ولا بد دائماً من كشفه. وصل الشاب كروتكوف وهو أحد معارف بوبوف. ليس لطيفاً لكننا تحدثنا عن بوبوف. زادتني قناعاته من ثنائي لبوبوف. فانيشكا أفضل. جاء السيد (ابن مربية بمنزل تولستوي). ليس لديه قلب. لا يجب الكتابة عن ذلك، بل الاكتفاء بالتفكير. كذلك هو الأمر مع كروتكوف. نمتُ مع الأطفال، لكني لم أستطع النوم مبكراً.

٣٠ يناير.

استيقظت مبكراً جداً. لم أجدهم قد جلبوا الماء، فسررت بمزيد من العمل. الآن تجاوزت الساعة العاشرة. سوف أذهب لأتناول إفطاري. فكرت في أمر حسن عندما استيقظت، لكنني نسيت. أحد الأمور التي فكرت فيها هو أن صوفيا تحب أطفالها بعاطفة مَرَضِيَّة بسبب أنهم

(٢٧٩) فلاح نشر العديد من القصص والروايات.

(٢٨٠) من أتباع كاتدرائية كازان الروسية في الساحة الحمراء، وقاد معارضة إصلاحات البطريك نيكون في الكنيسة الأرثوذكسية الروسية. تُعتبر سيرته الذاتية ورسائله إلى القيصر ، بوياريا موروزوفا ، وغيره من المؤمنين القدامى من روائع الأدب الروسي في القرن السابع عشر.

يشكلون الشيء الوحيد الحقيقي في حياتها. ثم تنتقل من محبتها وعنايتها لأطفالها وبذل التضحيات من أجلهم مباشرة إلى الاحتفال بيوبيل فيت وحفل باليه ليس فقط بلا معنى، لكنه كذلك شريـر.

غفوت وتمشيت. بعد الغداء جاء الشاعر الشاب ستيخوتفورتس. اندهش مني حينما أخبرته أن هذا عمل من أخط الأعمال. ذهبت لفيت وتغديت هناك. مريـة كل هذه الحماقات. أفرطوا في تناول الطعام والشراب والغناء. أمر مُخزٍ. لم يعد التفكير ممكناً. أو ربما يكون من السيئ أن يستسلم المرء. لا بد من احترام الإنسانية. جاءني خطاب جيد من تشيرتكوف. جاءني في المنزل بوتكيفيتش وراخمانوف والشاب إيفانتسوف. تحدثت على نحو سيئ. ذهبت وحدي لأغتسل في الحمام العام. جاءني خطاب طيب من بوشا.

٣١ يناير.

استيقظت مبكراً في حالة من البهجة. عملت. دَوَّنت يومياتي وها أنا ذاهب للإفطار. قرأت البخت بالورق، ثم غفوت، ثم تنزهت. لم أكن في حالي الطبيعية عند فيدوروفنا. انخفضت روعي المعنوية بشكل كبير. لكن حمداً لله خطيئتي تقل. لا أغضب ولا أدين. لم أكتب سوى خطاباً لشيرتكوف. بعد الغداء وصل سيميونوف. لم أحسم بعد ما يتعلق باحتياجه للمال. ولكن لا، إن احتياجه للمال إلى هذه الدرجة لا يتوافق مع القانون المسيحي. وصل راخمانوف وذهبنا إلى أئينكوف. وجدت هناك ضيوفاً وأجبروني على التحدث وأن أبدو لامعاً. خزي! بعدها ذهبت لبوتكيفيتش. وجدت هناك تيميرين وماريس وكوزلوف

ونوفوسيلوف وصاحب البيت. بدأ نوفوسيلوف بإدانة أولئك غير
الأتقياء في سلوكهم. إنه ضيق الأفق جدًا وليس طيبًا. تحدثنا كثيرًا،
وقرابة النهاية تبين أننا ليس لدينا صيغة واضحة للتقوى، وأن النموذج
الذي يدعو له يستحق توبيخًا أكبر من ذلك الذي يلومه. وصلت المنزل
في الواحدة، وتحدثت كثيرًا جدًا، ولكن بلا طائل على ما يبدو.

١ فبراير.

استيقظت في الثامنة. عملت كثيرًا ودونت يومياتي، وها أنا ذاهب
للإفطار. بعدما تناولت إفطاري أَلْمَتنِي معدتي كثيرًا، لكن اليوم لم يمر
على نحو أسوأ من الأيام الأخرى. أنا بخير. قرأت في زديج (رواية
لفولتير). تحوي الكثير من المواضيع الجيدة. نعم، التقدم يعني زيادة
الضوء، ولكن الضوء دائمًا واحد. لم أفارق المنزل. غفوت، وفي
المساء أتى كل من دونايف وسيميونوف. يا لكل هذه الثروة! أُناني
رجل إنجليزي، فارس بالجيش، يحب لحم الجياد. إنه شخص
غريب، إنجليزي لا غش فيه، وهو مستعد دائمًا للتملص من أي موقف
بكلمات ونكات بعينها. يقول: «منظمة السلام؟ إن أصدقاء السلام
يقاتلون بعضهم البعض». بخصوص موضوع الإيمان: «الناس جميعًا
منافقون، لكنني أحب الإنجيل، وإيماني أمر يخلصني وحدي، ولا حاجة
لي بالحديث عنه». «أحب تبديد المال، وسوف أعاني في أستراليا من
شظف العيش». «إن الروح هي جمال الجسد». أخبره وإيمان بذلك.
إن وإيمان هو شاعره الأثير. كتبت أربعة خطابات صباح الأمس
لفاسيلي إيفانوفيتش وسوفورين وبوبوف وجي. لقد كانوا يعذبون ماشا

بسبب نظامها النباتي. أمر مدهش! جاءني بالأمس كذلك شاب يُدعى شاتالوف. يبدو أنه تاجر صغير. يريد العيش كما يحق لله، وجلب معه إنجيله ويريد أن ينقل منه بعض الأجزاء.

٢ فبراير.

بددت اليوم، ودونت ما حدث في يوم ٢ بتاريخ يوم ١. أذكر في يوم ١ أنني ذهبت لفيدوروفا وقلت لها إن من المستحيل أن تهجر زوجها، وإن من المستحيل أن يرى ذلك بمزيد من الوضوح ناظرًا إليها بغيرة بحد كلمات الأم. ولكن هل هذا سبب للسُّكر؟ تغديت بمفردي، وبعد الغداء جاء ستاخوفيتش وأنينكوفا مع زوجها وميدفيدف. كل هذا حدث في يوم ١ فبراير. ثررنا كثيرًا وشعرت بالضيق. ستاخوفيتش يتجنبني ويدافع بغيرة عن الأورثوذكسية، وقد كان ذلك يشعرني بخيبة الأمل سابقًا، لكني الآن أشعر بالشفقة. إنه غير مستعد وخائف. لا يمكنه السباحة ولن يقفز إلى الماء، وأنا حزين عليه.

٣ فبراير.

استيقظت مبكرًا ومضيت للعمل من دون رغبة ولا جدوى من ذلك. معدتي تؤلمني بشدة. دونت يومين وسأشرب الشاي. طوال الصباح كنت أصحح عمل بوكروفسكي وحتى الخامسة. بعد الغداء وصل سيميونوف وتيليتشيفا. أرسل لي تشيرتكوف رواية سيميونوف، وروايته عن التربية. لا بأس بهما. شعرت بالضيق، لكني لم أسئ لأحد على ما يبدو. نمت في وقت متأخر. لست بخير.

٤ فبراير.

استيقظت مبكرًا جدًا، وعملت كثيرًا. أنهيت تحرير عمل بوكروفسكي. جيد. سأذهب الآن لسيتين. أشعر بتحسن كبير في قوتي البدنية والعقلية. بذل الجهد على عمل غيرك، يُكسبك السرور والتواضع. جاءني امرأة تطلب المساعدة لأطفالها المصابين بالحمى القرمزية. لا أذكر إلى أين ذهبت صباحًا. تغذيت مع فيت ويسارينكو. يشعر فيت بالنفور من القصائد المحملة بالمعاني. كان يوم سبت. وصل سيميونوف ثم كلوبسكي وبعدها بولوشين ثم سيرياكوف وتاجر ومعلم بالمدرسة التجارية، ثم ألكسيف وهو متطوع في الجيش. يبدو لطيفًا طيبًا. لا يشرب الخمر. ثم مكث ينجول بمفرده وحكى لي قصصًا كثيرة شيقة. جاءني مقالة من جيلتوف^(٢٨١). أنهكت.

٥ فبراير.

استيقظت مبكرًا ثانية، وعملت. جاءني المرأة وأطفالها المرضى. كتبت خطابات لتشيرتكوف وجيلتوف وبوشا. ذهبت لبولوشين. هذا الإنسان يعذبني. أرى فيه كراهية رابضة. إنه من نوع دينيسينكو. لا بد أن أحبه وهو وأمر صعب. ذهبت لبوكروفسكي وزلاتوفراتسكي وآل بوتكيفيتش، ومن هناك اصطحبني نوفوسيلوف. أناس طيبون يتحلون باللطف ومستعدون دائمًا لخدمة الناس. سلكت على وجه حسن مع آل نوفوسيلوف. كنت أشعر بالضيق من الذهاب لأي مكان، لكن الوقت

(٢٨١) فلاح يكتب القصص.

مر بود وعلى نحو حسن. تغديت مع آنا ميخايلفونا. وعزف تانييف. لا ضرورة لذلك، بل إنه يبعث على الملل. نمت في وقت متأخر.

٦ فبراير.

استيقظت مبكرًا مجددًا. منهك جدًا. عملت قليلًا. غفوت. فكّرت في حكاية ملائمة لحقيقة أن الناس الذين يعيشون باسم المسيح يودون أن يعيشوا معًا. أولئك الناس يريدون أن يُنبَتوا الثمار ويحملونها. الشعور بالأسف على المسيحي لأنه يعيش بين أناس دنيويين لا يشبهونه في شيء، يماثل الشعور بالأسف على البذرة لأنها محاطة بطين التربة وليست موجودة في موضع وحدها أو كامنة بجانب بقية البذور. ولكن على أي حال الأرض هي ما تحتاجه البذرة تحديدًا كي تنال الغذاء وتنمو. إنها ليست في حاجة لبقية البذور، بل هي في حاجة فقط للسماح. تجولت بلا هدف. بعد الغذاء عملت مع لينوتشكا، ثم وصل دوناييف وأينكوف وشقيقتهما. تحدثنا على نحو جيد لكني أنهكت. نمت في وقت متأخرة مجددًا.

٧ فبراير.

استيقظت مبكرًا مجددًا. عملت، ودونت يومياتي، وها أنا ذاهب للإفطار. أُصيب إلكسندر بتروفيتش بالإفلاس (ناسخ يعمل لديه). يا للأسف! لا بد من تقديم العون. جمعنا ١٦٠ روبلاً من أجله. لم أفعل شيئًا. أشعر بالكآبة والضعف. تمشيت حتى المتحف. التقيت بنيكولاي فيدوروفيتش وكورش. أشعر بالراحة معهما. عرجت على

آنا ميخيلوفنا. رحلت ماشا^(٢٨٢). في المساء أردت أن أجلب الماء، ثم أنشغل مع لينوتشكا. لم أستطع قضاء الوقت معها؛ فقد وصل بوبوف ثم الضابط المازوف. إنه ابن لأديب يود أن يتعرف بالأدباء وينخرط في الأحاديث عن مواضيع ذكية لا تؤدي لشيء. حدّثته عن الروح. أتحدث بسهولة ورغبة شديدين عندما لا يقبل محدثي حديثي. جربت كتابة المقدمة (يقصد لكتاب يرشوف عن الحرب) لكن بلا جدوى. أقرأ في بن هور^(٢٨٣). سيئة.

٨ فبراير.

استيقظت في وقت متأخر. كان نومي سيئاً. عملت كثيراً، ورتبت غرفتي، ودونت يومياتي، وها أنا ذاهب للإفطار. بعد الإفطار وصل بيديكير (واعظ ألماني) بصحبة آل شيرينين. جاء أيضاً الواعظ الكلفيني (نسبة لكلفن) باشكوفسكي. قال إنه يتبعني وتحدث بانفعال مفرط وبكاء، ولكن في الحقيقة ببرود وزيف. رغم ذلك فهو طيب. لقد أهلكه قيامه بالوعظ. قال مباشرة إن أي إنسان هو مُبشّر، وآتاني ببعض النصوص التي تؤكد على ضرورة الوعظ وأن تعليم الناس بأفعالنا الصالحة لا يكفي. كنت طوال الوقت أوشك على ذرف الدموع دون سبب مفهوم. ذهبت لسفيريفا. إنها امرأة ذكية وطيبة. تحدثت بحماسة بسبب أنايتي عن الرأي العام السيئ حيال شقيقها، وهو رأي لا أنفق معه. بعد الغداء ترجمت مع لينوتشكا في الوقت المتبقي باستثناء الفترة التي قضيتها

(٢٨٢) رحلت ابنته لتقيم بعض الوقت عند أخيها إيليا.

(٢٨٣) رواية للويس والاس.

مع المُدرّسة إبراموفا وآخرين ومع كاساتكين، وهو فنان لطيف بارع. رحل إلكسندر بتروفيتش. أنا المذنب في عدم عنايتي به. الجميع يريدون الموت. نعم، يبدو لي أنني عشت حتى تلك اللحظة التي بدا لي فيها وأنا أفكر في المستقبل وأحدد أهدافًا مستقبلية أسعى صوبها أنني أعرف وأرى هدفًا واحدًا ساميًا في هذه الحياة يملؤني السعي إليه بالسرور، أو على أقل تقدير من المؤكد أنني لا أشعر صوبه بالنفور. أنا ممتن لذلك.

٩ فبراير.

نمت نومًا سيئًا، وعملت بمشقة مجددًا. استغرقت الصباح كله في القراءة وغفوت كثيرًا. سأتنزه.

نعم، لقد اتضح لي أن على المرء أن يتعامل مع الكلمات بأمانة، فإن تحدثت، عليك أن تتحدث بوضوح بقدر ما تستطيع دون أي حيل بلاغية أو حذف أو تعريض بالطريقة التي يكتب بها الجميع بما فيهم أنا. سأحاول ألا أفعل ذلك. ساعدني يا إلهي! مضيت لآل تولستوي ووجدت دياكوف هناك، وسرعان ما تحدثت كثيرًا حديثًا فارغًا، لكنني سأصلح من نفسي.

بالأمس بدأت الترجمة مع لينوتشكا، ووصل تيمكوفسكي. استدعيت بولوشين، لكنه أجاب بأنه مشغول ولم يأت. حزنت وغضبت منه، لكنني استطعت بالأمس الشعور بالحب صوبه ثانية، وذلك بتفهم موقفه، وكان الأمر صعبًا، ولكن العمل عليه سيجلب الحب. بعد ذلك جاءت أنينكوفا مع إحدى قريباتها، وبعدها جاءت صوفيا ألكسيفنا. أنهكت بشدة. حالي الصحية سيئة؛ مرارة في الفم والقلب، لكنني في

حالة جيدة، بل جيدة جدًا.

١٠ فبراير.

استيقظت في وقت متأخر، لكنني عملت على أي حال بجد شديد. أثناء شرب القهوة وصل أرخانجيلسكي مساعد الطبيب البيطري برونيتسكي، وأخذ يستنسخ «حقيقة إيماني». إنه إنسان نقي وواضح وقوي، لكن يبدو أنه يشرب الخمر. لا بد وأن أساعده. تحدثت معه ثم باشرت العمل. كتبت المقدمة بخشونة. تمشيت. بعد الغداء، ترجمت بدأب. جاء كل من مامانوف ودوناييف. قرأت في كتاب *Le sens de la vie* (معنى الحياة)^(٢٨٤). يحوي الكتاب بعض الصفحات المذهلة عن الحرب والدولة. لا بد وأن أكتب مقالة ورواية^(٢٨٥)، أي أن أعبر عن أفكارى وأستسلم لتيار الحياة.

١١ فبراير.

استيقظت مبكرًا وعملت بكل جد ودونت يومياتي وها أنا ذاهب للإفطار. قرأت في كتاب رود الرائع (معنى الحياة). يحوي الكتاب بعض الصفحات المدهشة عن الحرب. حاولت الكتابة بلا جدوى. تمشيت في قلب العاصفة الثلجية. ذهبت لجوتييه. بعد الغداء بدأت الترجمة، وجاءتني ابنة أحد الملاك وهي ما زالت تدرس طب التوليد، وكانت منفعلة ومنهكة جدًا. «لماذا جئت؟ الجدات لا يدرسن التوليد، ورغم ذلك يولدن تسعين بالمائة من النساء». إنها بائسة. بعدها جاء

(٢٨٤) كتاب لإدوارد رود أرسله لتولستوي، واقتبس منه الأخير في كتابه «ملكوت الله بداخلكم».

(٢٨٥) الأولى لم تكتمل، أما الثانية فغالبًا هي أول ذكر لرواية «البعث».

بوبوف وثلاثة طُلاب ثم أرخانجيلسكي وتولينوف ثم كاساتكين اللطيف. الطلبة مريعون. مخلوقات شابة هائلة. عبارات وكلمات وسط غياب لأي شعور حي... كذب ثم كذب... أمر مريع! اضطربت بينما كان لا بد أن أشعر بالشفقة. ذهبت لتانيا.

١٢ فبراير.

استيقظت مبكرًا وعملت كثيرًا. كتبت خطابًا لأوليين، ودونت يومياتي، وها أنا ذاهب للإفطار. جلبت ماءً في الدلو. أجراس الكنائس تدق. قلتُ في نفسي: أنا غاضب من أصوات أجراس كنيسة والددة الإله. لا يجب عليّ أن أغضب. كاساتكين وأرخانجيلسكي، ناهيكم عن إيفين، استطاعوا بصعوبة شديدة أن يتركوا ذلك الإيمان بالمعجزات وتحقيق الطلبات بالصلوات، فَمَن من الناس لم تمسه هذه المعتقدات إذَنْ؟ سيدركون في الوقت المناسب، ولكن ماذا عليهم أن يفعلوا في الوقت الحالي؟ بعضهم فريسيون، أي أنهم يدركون الحقيقة ورغم ذلك يواصلون الكذب. ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون^(٢٨٦). بالأمس تحدثت حديثًا فارغًا. لم يكن هذا بسبب الأنانية، ولكن خوفًا من أن أبدو في وضع أحق. لا بد من الصمت طواعية. أرسل لي تشيرتكوف تصحيحًا لـ «عن الحياة». يبدو جيدًا.

قرأت وصحّحت بدأب في نسخة تشيرتكوف المعدلة من «عن الحياة». تنزهت في وقت متأخر، ومضيت لأشتري نعالًا. تغديت مع دياكوف. جلست معه وتحدثنا على نحو جيد، ثم ترجمت، وبعدها

(٢٨٦) متى ٢٣: ١٤

وصل بولوشين. تحدثت على نحو جيد ولكن ليس عنه، بل عن نفسي، فلم أكن له حبًا كما يتوجب عليّ. مع ذلك أنا شديد الصرامة مع نفسي، لذلك قلت إنني يجب أن أحبه أولاً كي أفهمه. وصل إيفين. ليست لديه شكوك كثيرة بخصوص الحياة بعد الموت بشكل عام، بقدر ما لديه شكوك عن تلك الحياة الأخرى التي كتب ونشر عنها. قرأت في شرحي للإنجيل مع إيفين، ووجدت الكثير مما لم يعجبني. وجدت الكثير من التفسيرات المتكلفة غير الضرورية. سيكون من الجيد أن أراجعها، لكنني أشك أن بإمكانني فعل ذلك الآن كما أنني أشك إن كان هذا ضروريًا من الأساس.

أذكر هذا الشعور الطيب الذي جعلني لا أخشى أن يدينوني على أخطائي. لقد أدركت أن كلما يزيد الخير عن الشر كلما تخرج من القلب الطيب كلمات طيبة، لذا لم أعد أخشى الشر ولا أخشى الإدانات، والآن لا أشعر بالخوف في هذه اللحظات الجيدة. لو كان الأمر هكذا لكانت نعمة عظيمة. جنون! سأنام. لقد تأخر الوقت.

١٣ فبراير.

استيقظت في وقت متأخر، وعملت كثيرًا. جاءت تسفيتكوفا (عضوة بلجنة التعليم الشعبي)، وجلبت معها كتاب «ماذا يقرأ الشعب؟». دوّنت يومياتي وها أنا ذاهب لتناول الإفطار.

ساعدني يا أبي ألا أتوقف أبدًا عن الشعور بالسرور، وأنا أنفذ إرادتك بطهارة واتضاع وحب. كتبت خطابين لتشيرتكوف وبوشا،

وصَحَّحت في «بوذا»^(٢٨٧). خرجت من أجل الحطب. بعد الغداء نَحَّيت العمل على النعل، وذهبت للحمام العام لأغتسل مع دوناييف. جاءتني أنينكوفا. استلقيت في وقت متأخر منهكاً بشدة، ومارست العادة. ربما يكون هذا أفضل. خطابات تافهة مغرورة من بوجالوستين.

١٤ فبراير.

استيقظت مبكراً. لم أعمل. قرأت في (our day)^(٢٨٨) مقالة نقدية نموذجية عن رواية «الزمير». هل يمكن الرد عليها؟ من الضروري أن ندرك على الفور متى يدرك الناس الحقيقة ويصمتون. هذا أمر مريع! علامات هذا:

عندما يتوقف الحوار عن المضي للأمام ويعود لنفس نقطة البداية.
عندما يغضب وينفعل بشدة طرف من الطرفين.

عندما ينحرف أحد المشاركين في الحديث عن الجدل بأكمله
ويتمسك بشدة بما لا يمكنه أن يحل المسألة.

تشبه هذه المجادلات ما يفعله الناس بحجة محاولة فتح القفل، فيهزون المفتاح داخل القفل دون جدوى. جاء الطبيب فورونوف ومع كتاباته. إنها نظرية ثابتة النظر تلك التي تقول أن تحديد قانون الحياة الإنسانية لا يتم بحساب الأعوام بل بالأجيال. كتبت خطاباً لبوجالوستين. أريد النوم. بالكاد أكتب هذا اليوم، لكنني أريد كتابة الكثير.

(٢٨٧) عمل أرسله تشير تكوف لتولستوي ليقوم بتحريره.

(٢٨٨) مجلة شهرية تصدر عن بوسطن.

١٥ فبراير.

تنزهت والتقيت بينجول. دار بيننا حديث عن النساء والعلم. كان يتوجب عليّ أن أكون أهدأ. لكنني لم أكن سيئاً كما الماضي. بعد الغداء جاءني ماراكويف ومعه كتب ولقاحات، وجاء أرخانجيلسكي وأولسوفيف ومامانوف. أنهكت بشدة.

الوقت متأخر. جهّزت بعض الحطب، وأنهكت بشدة. لا بد وأن أتوقف عن بذل هذه الأعمال المجهدة. وصل سوكولوف. إنه ثوري سابق، ثم قرأت في "هي" (٢٨٩) ولعبت الورق، ثم جاء شاب شديد السطحية. يريد أن يكون مفيداً لغيره، وأن يتعلم كل شيء، لكنه في عمر الثامنة عشرة ويعرف نساء! حسناً فعلت أن أخبرته أن الطريق الوحيد الذي يمكنه به أن يخدم الناس هو أن يُحسّن من نفسه. «فَلْيُضَيِّ نُورُكُمْ هَكَذَا قُدَّامَ النَّاسِ، لِكَيْ يَرَوْا أَعْمَالَكُمْ الْحَسَنَةَ، وَيُمَجِّدُوا آبَاءَكُمْ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ» (متى ٥: ١٦). إننا لا نستطيع أن نعظ الناس ونحن غارقون في وحل خطيئتنا. سأتنزه. بعد الغداء تمشيت مع لينوتشكا. وصل ميدفيديف وهو لطيف وطيب. بعدها جاء بوبوف وأرخانجيلسكي ثم بحار غبي. لقد عذّباني.

١٦ فبراير.

عملت قليلاً. كتبت خطاباً لطالب في خاركوف بعنوان: «ماذا نقرأ؟» وخطاباً لكاهن معتدل. سأتنزه. أزعجتني كل من دانييلفسكايا

(٢٨٩) رواية للروائي الإنجليزي هنري رايدر هاجارد.

وصوفيا. ذهبت لماريا إلكسندروفنا ولسيتين. جاءت يونجي (فنانة قريية لتولستوي) للمنزل وبعد الغداء جاء إلسنير، وهو إنسان بائس أفسدته الكتابة، ثم جاء جاتسوك وكان مريضاً. أخذوا يدخنون حتى تركت المكان. ذهبت لدياكوف.

١٧ فبراير.

استيقظت في وقت متأخر. عملت. كتبت خطابين؛ ليفري وفاينرمان^(٢٩٠). غفوت. سأذهب لدونايف. إنه كالمعتاد أخرج وغير لبق، أما زوجته فتبدو بأصابعها المروعة هذه كأنثى الطيبي. وصلت المنزل في وقت متأخر. وجدت ناستيا بافلوفنا ودار حديث عن النقد. بكت. وصلت ماشا مريضة. ذهبت لفيرا إلكسندروفنا. نمت في وقت متأخر.

١٨ فبراير.

استيقظت وبدأت العمل. بالرغم من أنني لم أنم سوى قليل، لكنني صحت المقدمة كلها. عملت كثيراً جداً. بالأمس جاءني خطاب من تشيرتكوف. أصبحت المقدمة جيدة الآن. تمشيت، وعدت وأخذت قيلولة قبل الغداء. وجدت على الغداء حشداً كبيراً: فيت وينجول وأنا ميخايلوفنا وجوبكين. الأمر صعب، ولست في حاجة للتحدث مع أي منهم. في المساء جاءني دوناييف ودولجوف. كلاهما ذكي من الناحية

(٢٩٠) فاينرمان: يهودي أوكراني تأثر بشدة بأفكار تولستوي وأى ليعيش بالقرب منه في ١٨٨٥ وتحول إلى الأرثوذكسية حتى يمكنه التدريس في مدرسة ياسنايا. كتب الكثير عن تولستوي.

العملية، لكنهما لا يتحليان بالبلاقة. ثم جاء جاتسوك... إنه غارق في طفولته تمامًا. ثم جاءت ابنة أخي بصحبة مامونوف. تحدثت قليلاً مع الفتيات عن أننا يجب ألا نسب أو ندين أحداً حتى لو في أفكارنا. جاءني خطاب من بوشا وجي. بوشا يتفلسف على نحو جيد، لكن التفلسف في حد ذاته أمر غير ضروري.

١٩ فبراير.

لا أشعر بالرغبة في المزيد من النوم. نهضت. عملت بسرور وعلى نحو جيد، وها أنا ذاهب لتناول الإفطار. أنوشكا الطاهية المسكينة أنجبت توءماً وأرسلتهما لدار رعاية. ما الحل؟ حل واحد: عدم ارتكاب الزنى. لم أكتب شيئاً. ذهبت لكنيسة «المخلص». أشعر طوال الوقت برغبة متزايدة في ضرورة فضح كل ذلك. كتبت خطاباً لجي ولشيرتكوف. دار حوار ثقيل الوطأة على طاولة الغداء. سبّت كل من صوفيا وتانيا تشيرتكوف. كلاهما مذنب في حقه، وكلاهما يعاني. كنت على وشك الغضب. لا بد أن أساعده. ثم وصل بوبوف بصحبة جوربونوف. بوبوف ليس شريفاً. لا بد وأن أساعده، ولكن كيف؟ جلبت لي أولجا ألكسيفنا خطاباً من أوزيرتسكايا^(٢٩١).

(٢٩١) كانت في تلك الوقت فتاة تعيش في إحدى الملكيات الزراعية المشتركة المؤسسة على أفكار تولستوي.

استمنيت. نهضت، وأقبلت على العمل، وقرأت لمائيو أرنولد (٢٩٢)
 (الأدب والدوجما). لقد أدرج العهد القديم فيما يحلّه. هذا الأمر
 سيضغط عليه ويهوي به إلى الأرض. في الصباح أتااني فاسيليف
 وصاحب متجر بيع الكتاب المقدس. لقد تم القبض على بائع كتب
 متجول لديهم في قازان بسبب مقالتي: «عن المال» (٢٩٣). سداجة سؤال
 صاحب متجر الكتب: «لماذا يمكن أن نعصي أوامر الحكومة؟» مذهلة.
 أعطيته إجابة صارمة وجيدة. بعد أن انصرف شعرت بضرورة الكتابة،
 ووجدت الكلمات الأولى جاهزة لكنني نسيتها. كان الأمر يشبه شعوري
 بأنني لا يمكن أن أظل صامتًا أكثر من ذلك. لا بد وأن أقول ما أعرفه وما
 يعتلج في قلبي. أنا عجوز ويمكن أن أموت اليوم أو غدًا دون أن أقول ما
 وضعه الله بداخلي لأقوله.

الجهل ثمرة الإبهام، ولا ينتج عن عدم معرفة الكثير، بل عن كثرة
 المعارف. خذ مثلاً ما يطلقون عليه زعمًا: «كتاب مقدس» وكل ما يتعلق
 بالأسفار المقدسة. يا لكل هذه الفوضى العقلية! انظر مثلاً الرسائل في
 العهد الجديد، وستجد تشويشًا عقليًا رهيبًا فيما يتعلق مثلاً بمناقشة
 وضع السلطة ذلك الذي استشهد به مدير متجر بيع الكتاب المقدس.
 وخذ الأنجيل فقط وانظر وضوحها. خذ عبارة من عبارات المسيح،

(٢٩٢) شاعر وناقد وكاتب ومصالح تربيوي إنجليزي. لم يقتصر على الأدب، إذ تنوعت كتاباته بين
 الأدب والتاريخ والسياسة واللاهوت والعلم والفن. وقد كان تركيزه في أعماله ينصب على
 وضع الإنسان الغربي المعاصر الذي يواجه الحياة من غير دين.
 (٢٩٣) فصل من كتاب «ماذا علينا أن نفعل؟».

وكم ستجد فيها من نور!

فكرت في نفسي قائلاً إنني يجب ألا أنشر كتابتي الآن أثناء حياتي، خاصة مثل هذه اليوميات. آه! سألت نفسي: هل أكتب؟ هل ما زالت بداخلي قوة لأكتب لأجل الله؟ كم نحن فاسدون! كم نغالي في تقدير أنفسنا! هكذا استغرقت في التفكير قبل النوم. لكنني الآن أرى أنني أستطيع وأني سأقوم بذلك وأني سأكون سعيداً بفعل ذلك. كل ما أرب فيه هو ألا أشعر بالسرور من أن يكتشف أحد ذلك.

بعد الغداء وصل جوربونوف. تحدثنا حديثاً جيداً جداً، لكنني شعرت بعدها بالإنهاك؛ أنهكت من شيربينين الذي لا يمكن التحدث معه على الإطلاق. مع ذلك فهو إنسان صالح. تحدثنا عن الحرب. أثناء شرب الشاي جاء آل مامونوف وراتشينسكي. لم يعد الحوار ممكناً. نمت في وقت متأخر للغاية.

٢١ فبراير.

استيقظت مبكراً جداً يعتريني ألم في بطني، لكنني حاولت أن أعمل على أي حال، ومع ذلك نمت طوال النهار، ولم أفعل شيئاً سوى قراءة «هي». أمر مُخزٍ. كتابة مفلسة. جاءني خطاب من رود، ومال من تشيرتكوف لسيميونوف. لا بد وأن أكتب له. حلّ المساء. ماشا أفضل. لم يأت أحد سوى جروت ومكث حتى وقت متأخر. قال: «زادت قدرتي على ضبط نفسي». يا للطيش! قال له ليسيفيتش: «لقد انتهى عمل الله الشخصي». آه لا! إنه في حاجة لذلك. أراني ليوفا مقالة له عن حب الوطن والإيثار.

٢٢ فبراير.

استيقظت في وقت متأخر. عملت كثيرًا، ثم استلقيت، وبعدها كتبت خطابًا لسيمونوف ورود، وصحّحت في المقدمة، ثم وصل جيلتوف، ومضيت معه إلى متجر الكتب. أخذت من جوتييه كتابًا لويليام روبرتسون (لاهوتي إنجليزي) وجلبت من ماراكوف كتاب «تعاليم الرسل الإثني عشر». جيلتوف، كم هو إنسان نقي! قرأت بالمنزل وتحديث مع ليوفا. لم يأت أحد.

يمكن تقسيم الحكمة والمعرفة لدينا إلى قسمين: المعرفة الدينية، التي لا يمكن تغيير شيء فيها وهي تحسم كافة الأسئلة المتعلقة بالحياة التي نحن في حاجة لمعرفة من قبيل: ما هذا العالم؟ من أنا؟ ما الهدف من وجودي؟ ماذا سيحدث؟ ما العمل؟ القسم الثاني وهو الفلسفة ويمكنها الحديث عن كل شيء إلا ذلك؛ أي عن كل شيء سوى ما هو هام فعلاً وما نحن في حاجة إليه. جاءني خطاب من تشيرتكوف.

٢٣ فبراير.

في صباح يوم ٢٣ استيقظت مبكرًا من فرط الألم. حاولت العمل، لكن حالتني ازدادت سوءًا، وقضيت يومًا كثيرًا مليئًا بالألم. لم أستطع الشعور بالسرور، ولم أستطع أن أصل إلى تلك الحالة التي أشعر فيها أن كل شيء على ما يرام. لكنني كنت مستعدًا للموت. نفذ صبري فقط من الألم وأردت أن ينتهي الموضوع على نحو أسرع. قرأت في كتاب ماثيو أرنولد. إنه شديد الحذق في تعيين حدوده دون أن يفقد الوضوح، ولكن هناك تكلف واضح في تعامله مع الكنيسة الإنجليزية والجمعية الوطنية

لدعم الخير. لماذا يحتاج دعم الخير لارتداء عباءات معينة والتغني بأغانٍ معينة في منازل بعينها؟ فكرت بعد ذلك في الأمر ذاته. في الحياة الواقعية لا يمكن ألا تكون هناك أخطاء وانحرافات عن المثال، ولكن الأمر يسوء إن كانت هناك انحرافات في فكر المرء ومثله، وإن لم يكن الخط المستقيم في ذهن المرء هو أقصر طريق ممكن بين نقطتين. في المساء جلبت صوفيا الطبيب موكر وسوف من طرف ماشا. كنت مخطئًا في ارتيابي كما لو أنني أدعم سُمعتي. آه لو أتمكن فقط من تجاهل أفكار الناس عني!

٢٤ فبراير.

لم أنم ليلاً. لم ترتفع درجة الحرارة. جاء الطبيب فليروف. لم يكن الألم قويًا جدًا، وارتفعت روعي المعنوية. جاء دوناييف ثانية. لم أكل شيئًا منذ يومين، واستمرت في القراءة.

٢٥ فبراير.

على نفس الحال. تحسنت حالتي في الصباح. استمرت في قراءة كتاب أرنولد وفي كتاب «مذكرات أميرة عربية». لدينا هنا مملكة الفسق والنساء. النساء هن القوة المحركة لكل شيء. هذا محض زيف، ولهذا فهن غاضبات بشدة في الدفاع عن مركزهن. حاول فقط أن تمس هذا الأمر وسترى. لا يوجد أمر آخر من شأنه أن يتسبب في مرارة أكثر من ذلك. ولكن دَعْمهن في ذلك وسيصفحن عنك في كل شيء. جلب لي أحدهم مقالة من الصعب فهم موضوعها تحديدًا. إنها تتعاطف مع إدانتي للعلم وتدين الطبيعة التعاقدية للقانون الروماني، لكنها تناصر الداروينية وسلطة القيصر. أعتقد أن الكاتب هو دوبروفولسكي. ماذا يمكن للمرء

أن يفعل مع هذه العقول المشوشة؟ جاءني خطاب من ليبيدينسكي. لا بد وأن أكون وجهة نظر في الأمر. ولا يجب أن تتأسس وجهة نظرك على التحسر على وجهة نظر الناس فيك، فكما قال إبيكتيتيوس: «طالما لم تصبح أحمق بعد في نظر الناس، فأنت ما زلت بعيداً عن الفلسفة (الحكمة). قرأت فولتير بصحبة فارينكا وانفجرنا في الضحك».

٢٦ فبراير.

لا زالت حالتي تتحسن، ولكن هناك التهاب واضح وحمى وآلام. في الصباح آتتني فيسفولوجسكايا وشخص آخر. قرأت في دوق نويلي في أمريكا^(٢٩٤)، ووجدت فيها أسخف الآراء، لكنها مرتبطة بمقالة دوبروفولسكي في وصفها لمظالم الديمقراطية، الأمر الذي جعلني أفكر. حسناً، بافتراض عدم وجود عقد اجتماعي، وبافتراض أن الحكومة لن تدافع عن القوانين، ماذا سوف يحدث حينها؟ إما أن الناس سيسعون بطبيعتهم إلى فرض هذه القوانين بالقوة وإما أنهم ببساطة سوف يفعلون ما يفعلونه الآن وما فعلوه في الماضي؛ ألا وهو الدفاع عن مصالحهم بالقوة واستمرار حيازتهم الاستثنائية للملكية، وسوف يخلقون التبريرات لذلك. سيكون الأمر أسوأ. هذا حقيقي، ولكن هذا الظلم من جانب الحكومة الذي يتأسس على الالتزام بإقرار ملكية الأرض لعشر عدد الناس فقط بنفس صرامة الالتزام بأداء عمل موعود، لن يجعل الأمر عادلاً. العقود والملكية هي محض كذبة، ولكن كيف يمكننا أن نفلت منها؟ بخطوات تدريجية: ضريبة على الدخل - إلغاء وراثة الملكيات

(٢٩٤) مقالة لديبلوماسي فرنسي في أمريكا.

وما إلى ذلك. لكن على المرء أن يكون واعياً أن ما أقوله هنا ليس ما يجب فعله تحديداً، لكن شيئاً قريباً من هذا. لكن أسوأ الأمور هو قبول تسوية الأمر كمبدأ. هذا ما يحدث دائماً في كل ما يتعلق بالحكومات.

لا يمكن إجراء تغيير سياسي للنظام الاجتماعي. التغيير الوحيد الممكن هو تغيير أخلاقي يحدث في نفوس الرجال والنساء. ولكن أي طريق سوف يأخذه مثل هذا التغيير؟ لا أحد بإمكانه أن يخمن ماذا سيحدث في نفس غيره، لكننا جميعاً بإمكاننا أن نعرف ما الذي يجري بداخلنا. رغم ذلك فنحن نصب كافة اهتمامنا في هذا العالم بتغيير الجميع عدا أنفسنا.

في المساء جاءت ماريا إلكسندروفنا وأولجا إلكسيفنا، ثم وصل فيت. لم أستطع أن أتحمله بسرور. ربما السرور لا يجب أن يتعلق بفيت بقدر ما يتعلق بتنفيذ إرادة الله فيما يتعلق بفيت.

٢٧ فبراير.

استيقظت مبكراً وكلّي ألم. بالأمس كتبت خطابين لليبيدينسكي وفاینرمان. اليوم كتبت أيضاً لشيخماتوف وأينكوف. ما زلت أشعر بألم، وذهنّي غير صافٍ. أنا ممتن للغاية لهذا المرض. الساعة الآن الثانية عشرة. أقرأ لأن مقالة «الدولة الحديثة ووظائفها» لليرولي بولي (كاتب فرنسي) وراودتني فكرتان:

إن كان بإمكاننا العثور على معيار ما، لا الحقيقة نفسها، من أجل تلك الحالة التي يمكن فيها لاتصال العقول أن يكون مثمرًا، أو بالأحرى تلك الحالة للعقول التي يكون فيها التعامل المثمر غير ممكن. كيف يمكننا أن

نصل إلى تلك الشروط التي يمكن فيها للمسمار أن يربط بشكل صحيح، وتلك الحالة التي لا يمكنه فيها أن يربط. أهم ما في الأمر هنا أن نتعرف على سمات الثثرة الكاذبة والحديث البذيع التي تثير في نفسي الهلع مثلما تفعل مع كافة مريدي الكلمة المخلصين. كيف نفعل ذلك؟ فكرت من أعماق روحي بألم وجهد رهيب. هل اختلطت عليَّ الفكرة فجأة؟ إنها تفقد مغزاها بين ملايين الأفكار. هذه الأفكار في الحقيقة ليست أفكارًا لكنها تشبه أفكارًا، ولا نصل إليها في أعماقنا بل نصل إليها بطريقة متلفة تمامًا شديدة السهولة. أما عن سماتها فسأتحدث عن ذلك لاحقًا.

فكرت أيضًا في وجود تسوية، وكتبت عن ذلك لتشير تكوف. كتبت له أيضًا عن نشر أعماله بعد موتي. جاءت ماريا إلكسندروفنا. إنها ذاهبة إلى القوقاز مع رئيستها. حكّت لي عن تشير تكوف. كان من الممكن أن يمضي كل شيء على ما يرام لو التزمت النساء فقط بموضعهن؛ أي كن متواضعات. جاء ستاخوفيتش الأب، وشعرت بالضيق. ثم جاءت سفيشنيكوف اللطيفة. جاء دوناييف وتحدثت معه حديثًا جيدًا. حذفت ٣ - ٤ كلمات. أحاول ضبط نفسي بكل ما لديّ من قوة. من الممكن هذا لولا تذكري للكلمات التي حذفتها.

٢٨ فبراير.

استيقظت مبكرًا، ورّبت غرفتي، ودونت يومياتي، وسأذهب الآن لشرب القهوة. أفرطت في شرب القهوة. واصلت القراءة لليرولي بولي. لم أستطع النوم. جاءتني خطابات كثيرة، وجميعها تافهة. في الثانية تنزهت وشعرت بالبرد فعدتُ. وجدت كوشيليفا. لم أستطع أن

أغفو قليلاً. تناولت إفطاري، ولم أتعُدَّ. في المساء جاء عزيزي دياكوف وجراسيموف وشاشلوف، ويبدو أنه لا يفهم شيئاً، بل يتصنع فقط. كتبت خطاباً لتشيرتكوف. قرأت كتاباً عن الكاتب الإنجليزي ويليام فري^(٢٩٥). رائع. لا بد وأن أكتب. فكرت بالأمس في نفسي قائلاً: الإكثار من الكتابة كارثة. كي يفر المرء منها عليه أن يعتاد على الشعور بالخزي من النشر إبان حياته، ولا يسمح بالنشر إلا بعد وفاته. كم من الثفل سوف يترسب، وكم من المياه النقية سوف تتدفق!

كي ينخرط المرء في جدال، ويثمر الجدل شيئاً لا بد وأن يكون هدف المتجادلين واحداً حتى يتمكنوا من النظر إلى نفس الاتجاه، والهدف هو الحقيقة. لا بد وأن يعتقد المرء أن بقية مجادليه يودون مثله الوصول إلى الحقيقة، وإن تبين أن واحداً منهم لا يريد الوصول للحقيقة، وهو أمر شائع بالطبع، أو أن الأهداف التي تُحرِّك المتجادلين مختلفة تماماً، فلا بد حينها من قطع الجدل. لا بد من أبين ذلك بمثال.

يكن الوهم الأكبر في الاعتقاد أن المشاعر لا تقود زمام الفكر، بل الفكر هو الذي بإمكانه أن يقود زمامها. من هنا نجد فكرة ماثيو أرنولد الرائعة التي مفادها أن طريقة المسيح تتسم بالعقلانية اللطيفة.

.ἐπιείβεία

لا أعرف لماذا انخفضت حالتني المعنوية قليلاً بالأمس، وشعرت بالتعب ليلاً.

(٢٩٥) من أصل روسي، وهاجر إلى أمريكا في ١٨٦٨ وأسس مجتمعاً زراعياً على أسس اشتراكية، ثم عاد لروسيا في ١٨٨٥ بعد قضاء مدة في إنجلترا.

١ مارس.

استيقظت مبكرًا شاعرًا بالضعف والوهن. جلست طويلًا هكذا، وبصعوبة تمكنت من تدوين يومياتي. اليوم بمنابة لعبي الورق بهدف قراءة البخت، أدركت كم سأشعر بفرح غير معقول للتخلص من هذه العادة. الساعة الآن العاشرة. سأتناول إفطاري باعتدال.

طوال اليوم في حالة سيئة، والضعف يكتنفني. لم أكتب شيئًا. قرأت مقالة ماثيو أرنولد عن بولس^(٢٩٦). جاءني خطاب من سيميونوف، ولا بد أن أجيبه. جاء جولتسوف. أملتته نظريتي عن الفن. جاء السيد. من الصعب عليّ جدًّا في هذه الأعوام أن أدرك مدى عدم نضج الشباب. استلقيت في الثانية عشرة لأنام.

٢ مارس.

استيقظت مبكرًا. رتبت غرفتي. أشعر بالضعف. رأيت في الحلم أن هدف حياة كل إنسان أن يُحسِّن من العالم ويحسن من شأنه ومن شأن الآخرين. هذا ما رأيته في الحلم لكنه غير صحيح. إن هدف حياتي، مثل غالبية الناس، هو تحسين الحياة، ولا توجد وسيلة لتحقيق ذلك سوى واحدة: أن يُحسِّن المرء من ذاته. (لا يمكنني أن أشرح ذلك الآن. سأوضح فيما بعد). الأمر هام جدًّا. فكرت في الأمر بينما أتنزه، وتوصلت إلى أن ما يرضيني هو أن أكون كاملاً كأبي (يقصد الله). لا بد وأن أصبح كأبي. الأمر لا يقتصر على أنني لا أخجل من هذا الفخر،

t. Paul and protestantisme with an essay on puritanism and the Church (٢٩٦) of England»

لكنني أخجل من فكرة أنني قد أنساه. أنا لست أداة إلهية، بل عضو إلهي. أنا كأبي مثلما قال يسوع. أنا عضو فيه خلية في جسده. المثال متشابه. لا تصبح معادلة الذات به أمراً وقحاً إلا عندما يعتقد المرء أنه من ذات أبيه، ولكن عندما يتضح له أن ما يربطه به هي علاقة، فحينها لا يمكنني أن أشعر أنني معادل له. أنا والآب واحد^(٢٩٧). عندما يدرك المرء أنه واحد مع الآب، فكم يكتسب من القوة الروحية! الأمر كما قال باسكال: ^(٢٩٨)разночинец. أنا على أقل تقدير كما أقول لنفسي مدعو للمشاركة في عمله، لذا لا يمكنني القيام بأي فعل دنيء دنس، ولا يمكنني أن أشعر بالكبرياء وأن أختال بنفسي، ولا يمكنني ألا أحب وألا أشفق. هذا أنا. هكذا كنت أفكر أثناء نزھتي. يمكنني التعبير عن أفكاري كالتالي: أنت مبعوث الله لتفعل أفعاله. وكى تكون جديراً بمواصلة أفعاله ونيل هذه البركة عليك:

حافظ على طهارتك كما طهرّك هو.

قم بكل شيء تحقيقاً لإرادته.

ستعرف إرادته عندما تحب.

الحب هو قوته التي تتخلل كيائك. التفت إلى جانبه كي يتخللك.

لا يزال الأمر غير واضح، لكنني غير واضح كذلك بالنسبة لي، لكن هذا الوعي قد منحني القوة.

(٢٩٧) يوحنا ١٠: ٣٠.

(٢٩٨) المعنى الحرفي قريب من: «أناس من طبقات مختلفة»، لكن المصطلح كان يشير في الدولة الروسية القديمة إلى من يعيش على دخل يأتيه من عمله الشخصي، ولا ينتمي إلى طبقة النبلاء.

يونجي مع الأطفال بالمنزل. أشعر بالضيق مع زوجتي، لا يمكنني التغلب عليه. لا بد وأن أذكر أن الله يريدنا. كتبت عن الفن، وفي المساء قمت بالتصحيح. ما كتبته ليس جيدًا ولا سيئًا. إنه ليس في حاجة لهذا (ربما يقصد الله). نمت في وقت متأخر. حالتي الصحية أفضل. ذهبت لآل تولستوي. جاءني خطاب من اليهودي دوشكين، ومن المدرسة الثانوية، وأجبتهم.

٣ مارس.

استيقظت في الثامنة. ربّبت غرفتي وفكرت. تعلّم كل شيء من الله. تعلم فعل الخير بحيث لا يرى من يناله يد صانعه. هكذا هو الله. إنه يفعل ذلك ويخفي نفسه، إلى حد أن يعتقد الكثيرون أنه غير موجود. صحّحت في مقالتي عن الفن، والنتائج الآن أفضل. كنت سأبدأ بالكتابة عن ويليام فري لكنني لم أفعل. عرجت على فيرا إلكسندروفنا. نعم، إن مملكة النساء هي بلاء حقيقي. لا أحد بإمكانه أن يرتكب أفعالاً حمقاء وقذرة ويبدو عليه اللطف، بل ويكون في تمام الرضى منها كالمرأة وبناتها. إنهن لا يبدن أي احترام لآراء الناس التي يمكن أن تستدعي الشكوك بداخلهن. المنزل مليء بالآنسات. في البداية شعرت بالجوع، ثم تناولت كمية وفيرة من الطعام ولم أتناول شيئاً آخر حتى الساعة الثامنة. لم أتذكر أبداً من أنا. لا بد وأن أتذكر حين أسلك بدناءة. وصل آل جيلتوفي وأورجانوفيتش (طبيب أمراض عصبية). أورجانوفيتش مضطرب العقل. تحدثت بعد ذلك مع الآنسات وجروت عن الفن. جروت مثير للشفقة. لقد فعل شيئاً ما سيئاً ويشعر بالرضى.

”مثير للشفقة“ كم هو تعبير ملتبس في تلك الحالة! أقول عن إنسان لا يرى خطيته أنه مثير للشفقة. البلية الحقيقية تكمن في أنني أغضب حينها، ولا أشعر بالشفقة كما يتوجب عليّ. وصل سيريوجا. نمت في وقت متأخر.

٤ مارس.

استيقظت في وقت متأخر، ودونت يومياتي. ما من عمل أمامي. سأتمشى قليلاً. قرأت في كتاب ماثيو أرنولد. ضعيف. مليء بسفسطات عن الكنيسة لسبب ما يحتاجها. غفوت. مضيت لمتجر بيع الكتب المقدسة، ووجدته مغلقاً. الكثير من ذوينا بالمنزل. سار كل شيء على ما يرام حتى وصل سيريوجا، وبدأت أحديثه عن الموضوع ذاته دائماً. إنه ينتقد كل شيء بياس ويبرر نفسه دائماً. تحدثت معه بحمية أكثر من اللازم. يحزنني ليوفا بضعفه أمام التدخين. أفرطت في تناول الطعام والتمني معدتي. بعدها أتى كاساتكين وأرخانجيلسكي وينجول وترير وجوفا. حظينا بحديث جيد. وصلني خطابان من أمريكا؛ واحد من بانين وهو مضمون محاضرة أُلقيت عني، والآخر يحوي أخباراً عن حركة الأرض بكونلورادو. أويت للفراش في وقت متأخر للغاية. أزلت أكثر من سطر.

٥ مارس.

استيقظت مبكراً مجدداً. تحدثت بضيق مع سيريوجا. أمر سيئ! لا بد وأن أسلك كما يحق لله. ساعدني! سأتناول إفطاري. قرأت ثم غفوت. ذهبت للمطبعة، وأعطيت مقالتي لترير وجوفا.

معدتي تؤلمني. تغديت وتحسنت حالتي قليلاً. وصل بوبوف وحظينا بحدث جيد. حاولت أن أشعر بالسرور كما كنت مع الطاهية فولجينا التي عرجت عليها لأسأل عن صحتها. آه لو أتسلح بدرع الحب، لكنت وقفت محاطاً من كافة الجوانب بالحب للناس وحينها لم أكن لأزجر أحداً. نمت في الثانية عشرة.

٦ مارس

استيقظت مبكراً في الثامنة. سيريوجا أيضاً لا يشعر بالرضى على حياته. بإمكانني أن أغضب! عليّ اليوم أن أذهب لأسرته وأقنعهم بالرحيل. بالأمس التقيت بوجومولتسيف. وتحدثنا عن مدى تقوى سيميون الحائك. إنه يحبك ويصطاد، وما إن ينهي عمله، حتى يختفي دون أن يتقاضى أجراً. أشعر بالضعف طوال الوقت. بعدما عدت من المقهى، غفوت. استيقظت وذهبت للمكتبة ثم إلى بوكروفسكي طلباً للحطب. حشد كبير بالمنزل بالإضافة إلى فيت. تزداد حالتي يسراً أكثر فأكثر مع الناس، وأقول ما يمكنني قوله عن الله وما يريدونني أن أتحدث عنه في أي موضوع آخر. شكافيت من الملل ومن عدم تمييزه بين الصالح والشرير، وما يتوجب عليه فعله وما لا يتوجب عليه فعله. قلت له: «عاش الناس دون أن يعرفوا هدفاً لحياتهم، وجاء المسيح وكشف لهم عن قانون الحياة: ألا وهو تأسيس ملكوت الله على الأرض، ومنح كل إنسان معنى لحياته بالمشاركة في تأسيس الملكوت على الأرض. هذه أكثر الفلسفات دقة ووضوحاً وعملية، وهم يطلقون عليها: «صوفية». هذا بؤس.. بؤس رهيب». وصل مولوكانيين وقدم لي قطعة من الجلد. ثم

وصل إيفين ودونايف وميدفيديف. تجادلنا بشأن الأرثوذكسية. ثم حكى إيفين عن غيرته على زوجته وسلوكه نحوها. إنه يسكر ويلهو مع البغايا. أمر مريع! إنهم مثل شقيقتي البائسة^(٢٩٩)، لا يعرفون إيمانًا، ويعتقدون أنهم مؤمنون. نمنا في وقت متأخر. وصل إليوشا. إنه رقيق.

٧ مارس.

استيقظت مبكرًا. حظيت بحديث جيد مع سيريوجا، وجلبت بعض المياه، ودونت يومياتي، وها أنا ذاهب لتناول الإفطار. جاءني خطاب جيد من جي بالأمس. حذفت حوالي أربعة سطور.

أتى نحات ليصنع تمثالًا لي^(٣٠٠). ثم أتى كاساتكين حاملًا معه مخطوطة «حقيقة إيماني» وهو في قمة الاضطراب والغضب والدموع تلوح في عينيه، وكما أدركت أيضًا كان مليئًا بالشفقة على نفسه والغضب مني، وصرخ في: «لماذا حطمت سلامي بقولك لي ماذا علي أن أفعل وماذا علي ألا أفعل؟ أنت نفسك لا تفعل ذلك. أنت محتال». إن تحرينا الدقة فقد قال لي: «هذا احتيال لا يمكنني وصفه». يمكنني تفهم غضبه. إنه من النوع الأناني المتسم بالكبرياء وحب الذات. سلكت معه على نحو حسن. لم أكن محرجًا بسبب حضور كلودت، وحاولت أن أهدئ منه. أنهيت القراءة عن ريسكين وذهبت لينجول. بعد الغداء وصل براشينين وتشاحن مع زوجة ابنه، ثم طلب منها العفو وتصالحا. جاء

(٢٩٩) التحقت بالدير.

(٣٠٠) ك. أكلودت، والتمثال موجود الآن بمتحف تولستوي بموسكو.

سيتين بصحبة ماكوشين^(٣٠١). إنه إنسان مثير للاهتمام وبسيط. بعدها جاء دارجو وراخمانوف. تحدثت حديثاً جيداً وهادئاً، ونمت مبكراً.

٨ مارس.

استيقظت في وقت متأخر للغاية. بوشا وإيليا شديدا اللطف مع بعضهما البعض. تحدثت معهما على نحو حسن. وصل جيراسيموف وأخذ يحكي عن قراءة شيشكين^(٣٠٢) وكيف تجتمع القوى في الإثير. قلت له إن الإثير ليس له وجود حقيقي، فغضب واستاء. يبدو أنني مذنب وشعرت بذنبي. نعم، لا بد لي من الصمت. ساعدني يا سيدي! قرأت ما جلبه بوشا من خطابات ومقالات وتحدثت معه ثم ذهبت لآل تولستوي. إيليا لطيف للغاية وصارم مع نفسه. قرأنا معاً مقالة الاتحاد الإنجيلي في الرد على بوبيدونوستسيف والملاحظات التحريرية. أمر مريع! في الفترة الأخيرة أصبحت أشعر بالهلع، لا من التشوه الجسدي والجروح، بل من التشوهات الروحية التي تكشف لنا عن أوضح تشوهات الكلمة التي تستخدم كافة الوسائل الممكنة من أجل إخفاء الحقيقة وإحلال الكذب بدلاً منها. يمكن تلخيص سفسطة اعتراض بوبيدونوستسيف في الآتي:

لدينا تسامح ديني كامل، فنحن نسمح ببناء كنائس لجميع الطوائف ونسمح لها بإقامة الشعائر المختلفة والعماد والصلاة على الموتى والقيام بالقسم المقدس... إلخ، وكل حسب طقوسه المختلفة،

(٣٠١) عضو لجنة التعليم الشعبي بسيبيريا، ومحرر ببعض المجلات.

(٣٠٢) إلكسندر شيشكين: عالم في الهندسة الزراعية واقتصادي وأستاذ جامعي وكاتب.

لكننا نُحرِّم على كافة الطوائف أن تبشر بمعتقداتها منعًا لإفساد المعتقد الأرثوذكسي القويم على حد تعبيرهم. هذا يعني أن الديانة تتأسس على تنفيذ بعض الأفعال الحياتية الظاهرية من عبادات ودفن وتعميد وزواج وقسم مقدس ولا أكثر من ذلك، وأن هذه الأفعال يمكن لكل طائفة أن تقوم به طبقًا لطقوسها المختلفة، أي أن المسلمين لا يجب أن يُجبروا على تعميد أطفالهم. ليس هذا بتسامح ديني، بل هو غياب للعنف الذي لا يُمكن أحدًا من إيمان مختلف من زيارة روسيا، لكنه ليس له علاقة بالدين. هذه صياغة ميتة، ديانة ليس فيها شيء حي. ولكن هناك شيء ما حي بالفعل؛ لأن مواليدَ جددًا يأتون إلى عالمنا باستمرار ويتساءلون: ما الإيمان؟ لكن السؤال يُقتل ثانية باعتناق الأبناء إيمان آبائهم. لم يعد الأمر دينيًا إذنً، بل مدنيًا، وما هو مدني لا يجب أن يعالج على أساس أننا يجب أن نرشد الناس في كافة أفعالهم المدنية. لدينا ثلاث حالات:

الأطفال الذين يكون أحد آبائهم أرثوذكسيًا ولا بد أن يصيروا كذلك.

التبشير بالأرثوذكسية شفاهية وكتابة ممكن، لكنه ممنوع على أي معتقد آخر.

التحول للأرثوذكسية ممكن ويُطلق عليه: عمل تبشيري، أما بالنسبة للمعتقدات الأخرى ممنوع.

هذه الحالات الثلاثة غائبة في البلاد الأخرى، لذا يمكننا أن نقول إن لديهم تسامحًا دينيًا، أما لدينا فلا.

وصل أرخانجيلسكي وبوتورلين وسيريوجا. حذفت سطرًا واحدًا.
نمت مبكرًا.

٩ مارس.

استيقظت مبكرًا، وعملت، وأعدت قراءة بعض الخطابات. خطاب
ماشينكا حسن. جاءني خطاب من موروزوف عن العمى. دَوَّنت
يومياتي، ثم وصل تسيرتيليف. حظيت بحديث جيد معه. إنه يوافقني
على عدم شرعية الحرب وأداء القسم في المحاكم والمحاكمات ذاتها.
حسن هذا. رأسي تدور بي. كم سيأتي الموت سريعًا! لا بد وأن أعنى بأن
تكون كل أفعالي مع صوفيا بتأثير من الحب. العون يا سيدي! سأتنزه.
لم أفعل شيئًا مما ألزمت نفسي بفعله: الصمت والتأثير على صوفيا
بالحب.

١٠ مارس.

بالأمس ظل رأسي يدور بي طوال اليوم. نمت وقرأت لريسكين.
وصل شيشالوف ثم أوزميدوف. تحدثت على نحو حسن، وكان
بالإمكان أن يقل حديثي. ذهبت للحمام العام ومن هناك ذهبت
لفسيفولوجسكايا وتحدثت معها بملل، لكنها شديدة اللطف. بدلًا من
التأثير على صوفيا بالحب بالأمس، سلكت على نحو سيئ. نهضت في
وقت متأخر وعملت ورتبت غرفتي، وأنا الآن أكتب. اليوم بينما كنت
أستيقظ من نومي فكرت في الآتي: تحدثت بالأمس مع أوزميدوف عن
أننا لا يجب أن نسلك حسب تعليمات خارجية، ولكن حسب احتياجاتنا
الداخلية. مثلًا أنا لا أحب إنسانًا. لا يجب عليَّ حينها أن أظهار بحبه،

ولا يجب أن أكذب. أحب التدخين... فلاأدخن إذن. قلت: صحيح هذا، ولكن يجب أن نحب الحب، وإن أحببنا الصفاء لن ندخن... إلخ. لا بد وأن يوقظ المرء في نفسه هذه المحبة للخير. اليوم قلتُ في نفسي: كيف نوقظ في أنفسنا هذه المحبة للحب ذاته؟ لدينا وسيلة واحدة معروفة في العالم كله، وفي الوقت ذاته لا يعرفونها من فرط تشوئها: إنها الصلاة؛ التوجه إلى أقدم ما في النفس، الذي يحرك المرء للأمام. ما هو مقدس بداخلي موجود داخل الجميع. ما هو مقدس بداخلي هو الله. نعم، الصلاة هي أقوى وسيلة، وهي أيضًا الوحيدة لبعث أفضل ما في النفس وتعويد النفس على العيش وفقًا له. نستنتج إذن أن الإنسان الذي لا يعرف في نفسه شيئًا أسمى من القوة القادرة على فعل هذا أو ذاك من الأمور، يتوجه إلى هذه القوة المشخصة لله ويطلب منه الصحة أو الحياة أو المطر. والإنسان الذي لا يعرف شيئًا في نفسه أسمى من الكبرياء والمجد يعبد إلهًا يحب المديح. لدينا أيضًا نوع ثالث؛ إنسان لا يعرف شيئًا داخل نفسه أسمى من التوبة فيخضع لإله يكفر عن خطايا الآخرين ويقبل توبتهم. الإنسان الذي لا يعرف شيئًا داخل نفسه أسمى من إنكار الذات يعبد إله التضحية. هكذا فعل بوذا والمسيح والشهداء. وهناك مَنْ يقبل بكل هذا. إنني أعرف إلهًا خالقًا للخير وأعبده.

١١ مارس.

كتبت المقدمة أمس (مقدمة كتاب يرشوف). جيدة إلى حد ما. وصل شتانجي. تمشيت معه. لقد كان سابقًا على ضفاف التحول لاشتراكي ثوري. ليس لديه ما يفعله، وليس لديه هدف من فعل أي

شيء. أعطيته كتبًا ضد السكر. بعد الغداء جاء جيلتوف. تحدث عن طقوسه، وحدثته عن خطورة ذلك وعن معنى "أبانا...". بعدها جاء فيت. كبرياء وترف وشعر... كل هذا يفتن اللب عندما يكون الشباب في أوجّه، ولكن في غياب الشباب والطاقة، وفي حضور ملل الشيخوخة يبدو الأمر دنيئًا. بعد ذلك جاء أوبولينسكايا. لم أساعدها ولم أتعامل معها كما يحقّ لله. بعدها جاء بوجوفيلينسكي وبيبيكوف وبيروكين. قلت ما أفكر فيه بشأن المزارع المشتركة، وأن تحرير الذات يستلزم تحريرها من حق الانتفاع بعمل الآخرين، وهو أمر غير عقلائي وخطير، وكذلك من جمع المال (أداة القمع) الذي يُمكن صاحبه بعد ذلك من شراء ملكية لا يستحقها تتمثل في الأرض. وافقني على ذلك، وحظينا بحديث جيد. أما أورفانو فيريد أن يعارض طوال الوقت. أنا سعيد من تحول مشاعري صوبه إلى الشفقة. يا لقلقه وخوفه! نمت في وقت متأخر وكنت غارقًا في التفكير. استيقظت وقلت لأحدهم: لا تتحدث عن عوز الفقراء المادي ومساعدتهم. لم ينتج العوز والمعاناة عن أسباب مادية. إن كان بإمكانك تقديم يد العون فسيكون هذا بعطايا روحية فقط، وهي التي يحتاجها كل من الفقير والغني على السواء. انظر إلى حياة الطبقة المتوسطة. يكسب الأزواج المال بوسائل منفرة لهم وبشعور بالتقزز والتوتر والكآبة، والزوجات يعشن وسط كل ذلك دون مفر بغير رضى ويحسدن الآخرين ويشعرن بالكآبة والعوز، ويواسين خيالهن بالآمال في ربح اليانصيب، إن لم تكن بمائتين، فعلى الأقل تساوي خمسين ألفًا. قرأت في كتاب "تعاليم الرسل الاثني عشر" لسولوفيوف. يا لكل

هذه الأفكار العقيمة الموجودة فيه!

فيما يتعلق بالعلم فوحدها الأهمية التي يعزونها إليه هي الخاطئة، فالعلماء (الأساتذة) يقومون بعمل محدد وضروري. إنهم يجمعون ويحسبون ويألفون بين كل شيء من نفس النوع. كل واحد منهم بمثابة مكتب معلومات وأعمالهم بمثابة مراجع. مثلاً: ^(٣٠٣) Διδαχή، كل ما يمكن جمعه بخصوص الموضوع جمعه بالفعل، والبحث مفيد، لكن النتائج ليست كذلك، بل غبية. الأمر ذاته مع ينجول والرياضي وستروجينكو، فالقيام بصنع دليل واضح وجمع مقتطفات من الكتب أمر مفيد بالطبع، ولكن فكرتهم عن أنهم يزدون من حجم المعرفة بهذه التصنيفات وصنع الفهارس هي محض خيال يدعو للسخرية. فوراً أن يتركوا حقل التصنيفات، يتحدثون دوماً بالهراء ويربكون الطيبين من الناس.

استغرقت في قراءة ريسكين طوال الصباح. تمضي مقالتي عن الفن بشكل جيد. العلم يعرف بينما الفن يخلق. العلم يؤكد الحقيقة، بينما الفن بمثابة تجلٍّ لها. من ناحية أخرى هناك علاقة بين الفن والحقائق، وبين العلم والقوانين الخارجية. يقول الفن: الشمس -الضوء- الدفء، بينما يقول العلم: الشمس أكبر ١١١ مرة من الأرض. سأتناول الغداء الآن.

تغديت مع سوخوتين وسولوفيوف. تحدثت مع الأخير حديثاً جيداً. إنه يطلق على الدوجما: المبدأ. تأله البشر لا يستند فقط على

(٣٠٣) تعاليم الرسل الاثني عشر وهي وثيقة مسيحية مبكرة اكتُشفت في المكتبة البطريركية بالقسطنطينية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر.

تأسن المسيح، لكن كافة البشر مدعوون إليه. أقول إنني كنت أنكر الصلاة، لكني الآن أعترف بها. لنقبلها على أنها لقاء إنسان بآخر. وصل دوناييف ومعه الترجمة. الترجمة ضعيفة. بعدها جاء سيريوجا وميدفيديف وأورانوفيتش، وتجادلت مع الأخير. لم أستطع أن أمسك نفسي بسبب حديثه الفارغ. إنه مادي، وبالنسبة له المعرفة ثمرة القوى العاملة في المادة، ولذلك لا بد وأن نتعامل على أساس مادي. لماذا؟ إنه جنون! كما لو أنني كنت أحاول أن أكون صلبًا. هل أنا كذلك؟ إن قول ذلك يعني أنني لست كذلك. نمت في وقت متأخر.

١٢ مارس.

استيقظت في وقت متأخر، وعملت قليلًا. كل شيء يجري من حولي بيسر وطيبة ومرح. كتبت خطابًا لجورافوف وسيميونوف وتشيرتكوف وروسانوف وإلكسيف، وها أنا أدون الآن في يومياتي. عملت لخمس ساعات بصفاء ذهن وسرور. لم أقترّب من التبغ.

بعد الغداء وصل مبشر أعمى مع تشيبيسوف. الظلمة رهبة. إنه ذكي لكنه بارد. تحدثت عن كل شيء ويبدو أن ذلك بلا جدوى. لم أستطع جذب انتباهه. بعد ذلك وصل دوناييف. توجهت لدياكوف، وأثناء عودتي للمنزل استأّت أنني لم أجد شايًا. خزي!

١٣ مارس.

استيقظت في العاشرة. عملت كثيرًا. لم أودّع سيريوجا، وهو أمر محزن وسيء. صحّحت في مقالتي عن الفن، وكتبت خطابًا

لكاساتكين. أشعر في روعي براحة وسرور. جاء على الغداء الكتبة فاسيليف وإيجناتيتش. حكا لي عن أحد السوريين^(٣٠٤) الذي وصل إلى روسيا. يقول أن كل شيء يتوفر بكثرة في روسيا: الخبز والمواشي والمال والسكك الحديدية، ولكن الروح القدس غائب عنها. إنه يسير دون أن يتناول معه شيئاً؛ لا فضة ولا خبز. يبيت في المحطات. لا بد وأن يقل الوعظ أكثر فأكثر. نسى أن يحضر إنجيله فعاد لسوريا ليحلبه. سمحت لإيفان إيجناتيتش أن يكتب عنه. فاسيليف يعظ. جميعهم يعظون حتى باشكوف وراستوك. لقد فهمتهم: هؤلاء الإنجيليون قد أفاقوا من خدر التعليم الكنسي المخزي ووجدوا في الإيمان بالمسيح الذي كفر عن خطايانا بدمائه فكراً أكثر منطقية وحرية ودفعاً. هكذا يؤمنون ويُسرون. ولكن الخطأ هنا كبير. إنهم يشعرون في أنفسهم بالكمال ويوجهون كافة طاقتهم للوعظ، مفترضين أن كمال الحياة يتم في الإنسان دون وعيه^(٣٠٥)، وهنا يكمن الخطأ الضار. يعظ فاسيليف بالهراء ويُضلل حياته وحياة الآخرين على السواء. أما أنا فلا أضل حياتي إلا بالقليل لأنني أعترف بعدم كمالي، وبالإضافة إلى ذلك لا أعظ أحداً. جاء حشد كبير من الناس: جولوفانوف وسوفورين ودياكوف

(٣٠٤) ياكوف السوري: جاء إلى روسيا في بداية الثمانينات مشياً على الأقدام عبر تركيا والقوقاز وعاد من نفس الطريق إلى سوريا.

(٣٠٥) يتحدث عن العقيدة الكنسية التي تؤمن بأن تحديد الطبيعة البشرية وتخليصها من الفساد يتم في كل إنسان فور إيمانه بالمسيح وقبوله التعميد باسمه وتناوله من الأسرار المقدسة. تختلف الصيغ والدرجات لكن النتيجة واحدة: خلاص غير قائم على أفعال الإنسان في الأساس بقدر ما هو قائم على إيمانه بالمسيح كمخلص كما يرى تولستوي.

وكذلك مارتينوف الذي يتحدث بالحماقات. غضبت وأنهكت. نمت في وقت متأخر.

١٤ مارس.

استيقظت مبكرًا وعملت وقرأت كتابًا رائعًا عن الصين. لا يمكن للصينيين أن يفكروا فينا إلا باعتبارنا همجًا مجانيين، أشرارًا أو غادًا، وحوشًا تسعى خلف مصالحها. كم هي نظرة مستنيرة! راجعت أفكارى في مقالتي عن الفن. قرأت مقدمتي لسوفورين بالأمس. ليست جيدة على الإطلاق. ذهبت لتريتياكوف. رأيت لوحة رائعة لياروشينكو: «الحمام» (٣٠٦).

إنها لوحة جيدة، ولكن ما جدوى هذه اللوحات الألف وقماش الرسم المعلق بكل هذا الجلال والوقار؟ ما جدواها جميعًا؟ ما على الرجل الأمين سوى أن يسير عبر هذه الردهات كي يقول بتيقن إن خطأً عظيمًا قد ارتكب هنا، وإن كل هذا باطل ولا حاجة لنا به. بعدما أنهيت غدائي بالمنزل، أردت أن أخرج بصحبة إلكسندر بتروفيتش، لكن أولجا ألكسيفنا وصلت بصحبة أوزيريتسكايا. يا لها من امرأة شفوقة! جاء بعدها شيخايف. مضيت معه إلى حانة ريجانوفكا. وجدت هنا ساعاتيًا يترنح قائلاً: «أنا جدع!»، وأطفالًا يدخنون ونساء سكارى. يتغنون هناك بالفواحش ويقولون إنك ليس بإمكانك إلا أن تشمل هنا. شيخايف ممتلئ بكبرياء الفضيلة، لكنني أعتقد أنه مخلص. طلبت منه أن يبعد

(٣٠٦) اللوحة موجودة في معرض تريتياكوف الآن، وكان اسمها الأصلي: بَم يعيش الناس؟ وهو عنوان قصة لتولستوي.

إلكسندر بتروفيتش عن هنا. جاءني آل فيلوسوفوروف وبرانيتشينيكوف وكوروفين. ثرثرة فارغة وشعور بالضيق. نمت في وقت متأخر.

١٥ مارس.

استيقظت مبكرًا وعملت كثيرًا. قرأت لكوييتال^(٣٠٧). جيد. يقول إنه تعلم أن بالرغم من كل الأدلة الحتمية التي لا تُدحض على اعتماد الحياة كاملاً على العوامل المادية، إلا أن الحرية موجودة، ولكن للمقدسين فقط. بالنسبة لهم يتوقف العالم عن كونه سجنًا، بل على النقيض من ذلك؛ يصبح الإنسان المقدس سيدًا على العالم لأنه مترجمه الأسمى. «لا يعرف العالم سبب وجوده إلا به، فهو وحده من يتمم هدف العالم». حسنًا، سأنام.

ألمتني معدتي. استلقيت قليلًا قبل الغداء. لم أتناول غدائي تقريبًا. جاءت مجموعة من السيدات الشابات لرؤية صوفيا. قرأت بعض القصص اللطيفة لتشيوخوف. إنه يحب الأطفال والنساء، ولكن هذا لا يكفي. لم أخرج.

١٦ مارس.

لم أخرج. جاء أوسيب بتروفيتش. اعترف بشكل مؤثر بنزقه الذي ينتج عنه متطلبات كثيرة. قبل الغداء جاء زولوتاريف التاجر ومعه العامل لديه. إنه يتشاجر مع زوجته. بالأمس جاءني خطاب مؤثر من ميدفيديف، وقد وصلني في المساء. أعددنا قائمة من مائة كتاب، ثم

(٣٠٧) أوثيرو دي كونتال: شاعر برتغالي أبدى اهتمامًا بالبودية.

وصل إيفان ميخايلوفيتش الذي اشترك في الجمعية المناهضة للسُّكر. ذهبت صباحًا لماراكوف، والتقيت نيكراسوف هناك، لكنني لم أسلكُ هناك بمحبة كافية.

١٧ مارس.

استيقظت مبكرًا، وجهَّزت بعض الحطب. تعاملت مع طالب إحسان بصورة جيدة جدًا. تبدو صوفيا أكثر طيبة. العون يا سيدي! قرأت لتشيوخوف ولم أجد ما قرأته حسنًا، بل تافهًا. قرأت في رواية إلسنير عن «بين»، ولبوشينو عن علم الفلك، ولتشيرتكوف عن بوذا. جميعها أعمال جيدة خاصة عن «بين» وبوذا. موعد الغداء الآن لكنني لم أخرج. جلست طوال المساء بمفردي، واستغرقت في قراءة تشيوخوف. لديه القدرة على الحب بقدر ما يمكن لبصيرته الفنية أن تصل، ولكن حتى الآن لا يظهر سبب يستدعي ذلك. جاء بعدها ستاخوفيتش. أنا سعيد أنني أتعامل بود. نمت في وقت متأخر وفي حالة سيئة.

١٨ مارس.

استيقظت مبكرًا. عملت كثيرًا وأنهيت قراءة تشيوخوف. أنا ذاهب لديكسون لأعرف عن الطريق^(٣٠٨). مستوى متدنٍ جدًا من الحياة الروحية. التقيت سولوفيوف. مكثت معه. إنه يعترف بأن الكنيسة هي البذرة، ولكن لماذا يجب علينا أن نعتبر الكنيسة الرومانية تحديدًا أو أي كنيسة أخرى هي البذرة الأصلية؟ ذهبت لجروت، والتقيت عنده

(٣٠٨) رحالة إنجليزي أراد تولستوي الرجوع لكتابته ليتأكد من معلومات تاريخية متعلقة بالطرق في رواية الزمير.

بسكليفاسوفسكي. الأطباء والمحامون واللاهوتيون؛ جميع أولئك من يؤدون أعمالاً علمية رائعة، غير قادرين على أن يصبحوا أداة للوعي. إنهم يطورون طرقاً يصلون بها إلى أشكال متماثلة آلية من اليقين؛ أي أنهم يصلون إلى نوع من الهدوء الشخصي عندما يفكر كل منهم قائلاً في نفسه أنه قد طبق كافة الطرق العلمية المتاحة للمعرفة، وبالتالي يمكنه أن يحظى بالهدوء. لكنهم لا يفكرون أبداً في أن تلك الطرق المستخدمة لا يمكن أن تمنحهم معرفة بجوهر الأمر؛ إنها تلك الإجراءات القانونية لدى المحامين، والكشف على المريض من قبل الأطباء ومقارنة النصوص عند اللاهوتيين. ما أردت قوله أن الأمر كذلك بالنسبة لعلماء العلوم الطبيعية ولكن ليس تماماً. بعد الغداء مكثت بمفردي. جاء بولوشين وكاساتكين وكلوبسكي. أنا سعيد أن كلوبسكي أصبح بالنسبة لي بمثابة رفيق وأخ مثل الجميع. الأمر ممكن ويسير. ودّعت بوشا. حذفت سطرًا واحدًا. قضيت فترة الليل على نحو جيد. آه لو أستمّر هكذا! تأخر الوقت.

١٩ مارس.

رتبت غرفتي في التاسعة. شربت الشاي، وذهبت لبوابة كريستوفسكايا، وعرفت أنه يمكن المرور منها. عدتُ في الثانية ووجدت سولوفيوف. لم يجزُ حديثي معه بيسر كامل. أتحدثه معه بحذر استثنائي ولا أعرف السبب. حسنًا جدًا... لا يجب التفكير كثيرًا في تنفيذ إرادة الله بقدر الشعور بها والمشاركة في عمله في الحياة وترك الفرصة له كي يتخلل كل تفاصيل حياتي.

حشد كبير من الناس. تغديت وحل المساء. موسيقى. كنت سأقول شعرت بالملل، لكنني الآن شعرت قليلاً بالأسف والإفراط. جاء ليमान (طبيب أسنان ومؤلف) وتحدثنا معاً. لقد ذبل. صدأت شخصيته من فرط غروره. يا له من وحش مريع! يود أن يصير أصيلاً. يقول: «عرفت أنني أحب المتعة، لكنني لم أكن في حاجة سوى لمتع معينة: ركوب عربات الترويكا- الولايم- النساء... إلخ». يا للبؤس. هذا ليس إلا فساداً يدعو للسخرية.

لماذا لم أستطع أن أصير أفضل من المسيح؟ المسيح قد طارده الجميع وقتلوه، ولا أقول: لم يعرفه أحد، لكننا نحن الذين لم نعرفه؛ العالم لم يعرفه. كان بالإمكان أن يوجد ملايين وبلايين، بل عدد لا نهائي من المسيح وبوذا ومن يقومون بأعمالهما، ولا بد أنهم موجودون بالفعل. نحن لا نعرفهم بالكلمات، بل بما يفعلونه لنا في الحياة من أفعال، ومن هذا نستنتج أن فهم المسيح على أنه شخصية مفردة ليس فقط فهمًا سطحيًا، بل هو مستحيل! المسيح هوية. لدينا المسيح؛ اللوغوس، العقل، لكنه في الجميع. لا يمكننا أن ندعوه: يسوع الجليلي. ينتج أيضًا عن ذلك أنه يلزم ويمكن ولا بد أن نعيش بحيث نكون مسيحيًا غير معروف. نعم، إنه موجود وسيظل موجودًا إلى الأبد، أي أنك قديس ولن يعرف الناس ذلك. يسوع المسيح غير معروف للمليارات من الناس في هذا العالم على مر الزمن. كل هذا يقود إلى أن تنفيذ إرادة الأب هو الأمر الوحيد الواضح الذي لا يرقى إليه الشك. قضيت ليلة حسنة، ونمتُ قليلًا.

٢٠ مارس.

استيقظت مبكرًا. رتبت غرفتي، وصححت مقالة جيدة لدول (غير معروفة هويته)، وواصلت تصحيح مقالتي عن الفن. بالأمس كتبت خطابًا لتشير تكوف ولجمعية أوديسا ضد السكر. سأتنزه.

ذهبت لأجلب الخبز. غفوت بهدوء في المنزل. في المساء جاء دونايف. وأوجرانوفيتش وشيفيليف وخبير في الشؤون الصينية. تدخين الأفيون هناك يسيطر على النساء والأطفال. أمر مريع! يقول إن الرأي العام بدأ الآن يساند عملية التسليح، وأنهم كما لو كانوا سكارى وأفاقوا من غفلتهم. لكنه يقول أيضًا إن إدماننا للكحوليات بلا شك أبشع. عار عليّ إن لم أكتب على ذلك.

قرأت في «*De la vie*»^(٣٠٩). بدت فقيرة جدًا من الناحية الفنية وإن لم تكن زائفة.

٢١ مارس.

يبدو أنني قد أهدرت يوم أمس. أما اليوم فقد استيقظت مبكرًا. حظيت بنوم جيد. علّمني يا سيدي! نهضت، ودون أن أرتدي ثيابي، باشرت العمل بتصحيح مقالتي عن الفن ومكثت على ذلك ٣ ساعات، ولا أعرف ما إن كانت تستحق العناء أو لا. يبدو أن الإجابة لا.

قلت الآن لصوفيا ما أردت قوله منذ زمن بعيد؛ ألا وهو أنني لا

(٣٠٩) مقالته: عن الحياة مترجمة للفرنسية بواسطة زوجته ومترجم آخر، ونشرت في باريس في عام ١٨٨٩.

أستطيع أن أشعر بالتعاطف معها حيال مشاركتها في إصدار كتيب. غضبت بشدة وقالت: «أنت تكرهني بكل طريقة ممكنة». إنها تعاني وتؤلمني كما تفعل بي أسناني. إني لا أعرف كيف يمكنني أن أساعدها، لكنني سأبحث عن وسيلة. العون يا إلهي!

بعد الغداء دار حديث بيني وبين بائع كتب من متجر الكتب. أنهكت. جاء أندريف. ذهبت لجروت. ماذا يفعل الثريد بالرأس؟ أشعر بالخزي مما أقوله. جاءني المنزل راخمانوف وخوخلوف وبوتورلين. خوخلوف سترك المدرسة الفنية وسيذهب للعيش بالقرية. من الغريب أنني أعرف أنه لن يجد ما يطمح إليه، لكن السعي خلف الطهر ونكران الذات أمر حسن، ولا بد أنه سيجلب ثمارًا صالحة. بوتورلين يتخبط في حياته الشخصية. استمنيت.

استيقظت مبكرًا في اليوم التالي. لم أنم جيدًا على الإطلاق. صَحَّحت في مقالتي عن الفن.

٢٢ مارس (سباسكوي^(٣١٠)).

كنت أنوي الذهاب سيرًا، لكنني تراجع. أوصلتني صوفيا إلكسيفنا حتى المحطة، ورحلت. التقيت بجزار مريع جميل طيب القلب سكير وحساس. كان يدخن. حاولت أن أحدثه عن الخمر. انحنى صوبي وقال دون أن ينظر لي: «هل الجحيم جيد؟ أنا أحب الشهوة». أمر مريع! وصلنا محطة خوتكوفو، ومن هناك ركبنا الجواد ووصلت قرابة

(٣١٠) ضيعة سيرجي سيميونوفيتش أورو سوف.

التاسعة. استقبلني هناك حسناً (يقصد أوريوسوف). إنه يدمر نفسه بالتبغ والإفراط في الطعام. عقله لا ينمو بل يترنح. لدى الحيوان أعضاء، فالبهيمة يمكنها أن تشتم الروائح، والحشرة لديها مجسات، ولا يمكن للحيوان أن يقوم بدوره إلا باستخدام أسمى أعضائه. هكذا هو الأمر مع الإنسان، فهو لا يمكنه أن يقوم بدوره إلا باستخدام أسمى أعضائه؛ ألا وهو العقل. فيم يُستخدم؟ يُستخدم في فهم الحياة على أنها بمثابة خدمة لله بهدف تحقيق ملكوت الله على الأرض، أو من ناحية أخرى من أجل حب الله والقريب.

٢٣ مارس.

حظيت بنوم رائع. نهضت في التاسعة وتحديث مع آل أوريوسوف. دَوَّنت يومياتي، وسأذهب للتنزه حتى موعد الغداء. لا يمكنني الكتابة. في كل مكان أجد نفس الحالة المحزنة من الخراب؛ تلك المظهرية الفريسية^(٣١١). إنها ليست حتى مظهرية، بل وصف لها لا يشبه الواقع في شيء على الإطلاق، وهكذا فإن الواقع مُخَرَّب تماماً. ١ - مدرسة كنيسة الإيراشية: الأطفال في القرية، وهم حشد كبير، ليس لديهم أي عمل ولا يمكنهم القراءة والكتابة. إنهم لا يذهبون لمنزل الكاهن؛ لأنه يجبرهم على قطع الخشب من أجله، بالإضافة إلى أنه معلم سيئ.

٢ - فتيات صغيرات بالمصنع: هل يتزوجن؟ غالباً لا. نير على

العنق!

(٣١١) نسبة إلى الفريسيين وهي طائفة دينية يهودية كانت موجودة أثناء المسيح، ووصفها المسيح بالنفاق مراراً، فأصبحت معادلاً لهذه الصفة.

٣- أحد عشر فلاحًا يسرون في صف واحد. إلى أين هم ذاهبون؟
ساقوهم إلى عمدة القرية بسبب الضرائب، وهم الآن ذاهبون للشرطة.

٤- نُزل فخم.

من المفترض أن تتوفر المدارس، فالناس يدفعون ضرائب.
أوروسوف يدمر نفسه تمامًا بالإفراط في تناول الطعام والتبغ والخمر.
سأرحل. نمتُ وبدأت أتألم.

٢٤ مارس.

أيقظني الألم في الليل؛ ألم شديد. كانت قطرات العرق تتساقط،
وابتل قميصي. استمر الأمر من الثانية إلى الخامسة. حاولت الصلاة.
نهضت في وقت متأخر. شكوت من كل شيء. أمس وأول أمس لم
أستطع أن أوقظ نداءً صلبًا ساميًا في روعي لله. كما لو أن الشكوك
تطاردني. لا يمكنني الصلاة. ليس هذا بسبب الشكوك، بمعنى الشك
في حقيقة الحياة المسيحية، لكنه غياب للإيمان بالحياة فيها. إنه تحديدًا
نوع من القسر. إنها حالة مادية. الساعة الآن الثانية عشرة. سأذهب
لشرب الشاي.

طوال اليوم شعرت بالوهن والضعف. لم أخرج. نمت وقرأت في
الأرشيف الروسي، واستمعت لما كتبه أوروسوف. هناك أفكار جيدة.
مثلا: المسلمون قريبون منا، وكان قريهم منا من شأنه أن يكون شديدًا
لولا دفع الكنيسة لهم بعيدًا عنا. هناك فكرة أيضًا أفضل: هذه قواعد
الموثوقية الثلاثة: كتاب الوحي وكتاب الطبيعة وكتاب الروح الإنسانية.

هذا صحيح. لا بد من القواعد الثلاث حتى نتيقن تمامًا من الحقيقة. قرأت في أرشيف التاريخ الروسي كيف قام يرمولوف بتعليق المولّا من قدميه. استلقيت على الفراش في وقت متأخر، وجافاني النوم لفترة طويلة.

٢٥ مارس.

استيقظت في التاسعة. ربّبت غرفتي، وتنزهت. رأيت متسولًا يتسول التبغ والفودكا. أنا منهك ولا أريد الكتابة. الأمر غير ضروري. لا بد وأن أصلي من الصباح طالبًا من الله الخبز الذي أحтаجه؛ أي القيام بعمل إلهي من أجل نفسي، أي العمل من أجل الله. أعطني يا الله.

ذهبت لقرية ليتشيفو. التقيت بأسرة لا يفترق أعضاؤها: ثلاثة أشقاء، وأرملة عجوز لا تشرب الفودكا. تحدثنا عن الحرب. بدأت تصحيح مسرحية «ثمار التنوير». في المساء تحدثت مع أورو سوف. نمت مبكرًا في الحادية عشرة، وحظيت بنوم جيد.

٢٦ مارس.

استيقظت مبكرًا. شربت الشاي وكتبت. سارت الأمور على نحو جيد. تمشيت قبل الغداء. غفوت بعد الغداء، ثم قرأت في رواية «بول فيرول»^(٣١٢). جاءني خطاب غاضب من صوفيا عن «القائمون»^(٣١٣) وماشا». وددت لو أغضب، لكنني تغلبت على رغبتني. قضيت وقتًا لطيفًا

(٣١٢) رواية من تأليف الكاتبة الإنجليزية كارولين كليف.

(٣١٣) هكذا كانت صوفيا تسمي «التولستويون» بميلهم للعمل اليدوي وطرقهم الفلاحية في الحياة.

جداً مع أوريوسوف. مهما اعتقدت فأنا أداة إلهية، وجزء مني يخضع لإرادة الله. أقصد هذا الجسد، بما في ذلك الغريزة الحيوانية والرغبة في التناسل وكل ما يبعث السعادة في النفس سواء في الحاضر أو في المستقبل، وهذا أمر لا شك فيه. ولكن هناك جزء آخر فيّ، وهو ما يمكنه أن يخضع لإرادة الله وأن يعافها في الآن ذاته. ما إن يتوقف عن الإذعان حتى يعاني سريعاً، وما إن يذعن حتى يصبح فعّالاً ومؤثراً وسعيداً. المعاناة والشك غير ممكنين في الحياة إلا عندما يكونا في وضع متنافر مع إرادة الله. ما إن يتوافق الوضع مع إرادة الله، حتى يزول الشك وتختفي المعاناة. ابتهلت لله، وقلتُ لنفسي: «عليك أن تفهمي أن حياتك هي محض تنفيذ لإرادة الله بنقاء وتواضع وحب. كل ما هو بعيد عن ذلك ليس بحياة».

٢٧ مارس.

لم أنم حتى الخامسة. أرق. كنت هادئاً، وصليت. استيقظت في التاسعة. تمشيت حتى زوبتسيفو، ومن هناك ذهبت لليتشفو ثم عدتُ للمنزل. التقيت بستيبان. إنه موافق على الانضمام للجمعية المناهضة للسُّكَّر، وهكذا فعل مشتري القش. حدثت ستيبان بخصوص المصنع. تكلفة صنع النسيج القطني رخيصة؛ لأنهم لا يحصون عدد الناس الذين يقضون نحبهم مبكراً. لو لم يقيم الناس في محطات البريد بإحصاء عدد الجياد التي تقضي نحبها، ستكون التكلفة رخيصة أيضاً. ولكن أضف الناس إلى التكلفة، حتى إن حسبتهم مثل الجياد، وسترى كم

أرشيئاً^(٣١٤) ستحصل عليه من النسيج القطني. الأمر يتلخص في أن الناس يبيعون حياتهم بثمن بخس أقل من قيمتها الحقيقية. إنهم يعملون لخمس عشرة ساعة، ويتركون الآلات بأعين غائمة من فرط التعب، في حالة خدر كامل، ويتكرر الأمر كل يوم.

كنت أفكر في الآتي ليلاً وصباحاً: هل أنفذ إرادة الله؟ وما السبيل لمعرفة؟ لدينا وسيلة واحدة: أن نعيش دون أن نخرق قانون الطهر والتواضع والحب. لا يمكن معرفة إرادة الله وتحقيقها بشكل مباشر إلا للمقدسين من الناس، وليست لدينا وسيلة للقداسة سوى ألا ندنس أنفسنا وألا نرفع أنفسنا وألا نعادي أحداً، وحين نحقق إرادة الله ستخللنا قوة الحياة.

أنا بخير ويكتنفني السرور. أشكرك يا سيدي! سأتعدي. غفوت. استيقظت شاعراً بالوهن ولم أكتب شيئاً. «اطلبوا أولاً ملكوت الله وبره وهذه كلها تزداد لكم»^(٣١٥). . . . هذه كلها مثل الصلاح والفرح والحياة، ناهيك عن الخبز والثياب التي لسنا في حاجة إليها. نحن في حاجة فقط للخبز الحقيقي؛ غذاء الحياة، هذا الخبز الذي قال عنه المسيح: «طعامي أن أعمل مشيئة الذي أرسلني»^(٣١٦). أثناء حديثي مع أروسوف حدثته عن خيلكوف ممتدحاً إياه، فغضب محاولاً إثبات أنه شرير. أنا مذهب، فعدم المديح مهم بقدر عدم توجيه الانتقادات القاسية، فلا شيء مثل

(٣١٤) الأرشين: مقياس روسي للطول يساوي ٧١ سم.

(٣١٥) متى ٢٣: ٦.

(٣١٦) يوحنا ٤: ٣٤.

المديح قادر على إثارة الغضب. كتبت خطاباً لصوفيا. واصلت قراءة بول فيرول، وغفوت في الواحدة.

٢٨ مارس.

استيقظت في الثامنة. سأشرب بعض القهوة. واصلت العمل على مسرحيتي الكوميديّة (يقصد ثمار التنوير). سيئة! بعد الغداء ذهبت لمصنع نوفينسكوي^(٣١٧) الذي تعمل فيه ثلاثة آلاف عاملة على بعد عشرة فرست. خرجت في الواحدة، كل ما كنت أخشاه أن تؤلمني معدتي وأنا وحدي في هذه الطرق المهجورة. حاولت أن أهدئ نفسي بالتفكير في الموت، لكنني لم أستطع. من الناحية العقلية لا أشعر بخوف من الموت، لكن قلبي لا يزال بعيداً عن ذلك. ربما الأمر هكذا وسيظل هكذا، ولا يمكن إلا أن يكون هكذا طالما ما زلت حيّاً معافى. عندما يقترب الموت سيضطجعي أبي صوبه بهدوء دون اضطراب أو نفور. أمل أن يكون الأمر هكذا. عندما أكون في المنزل أفكر في الموت وأشعر أنني مستعد له، ولكن بالأمس على الطريق بقرب الغابة لم أشعر بالخوف لكنني لم أكن هادئاً ولا مسروراً. هذا بسبب أن بداخلي ثمة طاقة حياة أمر الله أن تظل فاعلة بداخلي، وهي لا تتواءم مع التفكير في الموت. ولكن إن زالت طاقة الحياة هذه، سيكون الموت سهلاً. شربت شايًا. النُّزْل مليء بقوم سكارى أفضاظ، بينما ثلاثة آلاف امرأة ينهضن في الرابعة وينهين عملهن في الثامنة مساءً، وتفسدن حياتهن وتقصّر وتشوه ذريتهن ويعيشون جميعاً في فقر وسط مختلف الإغواءات داخل

(٣١٧) مصنع النسيج الذي تحدث عنه سابقاً.

هذا المصنع الذي ينتج نسيجًا رخيصًا لا يحتاجه أحد، وربما يزداد قلق صاحبه بزيادة ما يكسبه من مال؛ لأنه لا يعرف ماذا يمكنه أن يفعل بكل هذا المال. تم إعادة تنظيم الإدارة وتحسين أدائها. ما الهدف؟ الهدف أن يستمر دمار الناس وأشكال أخرى من الدمار بنجاح دون أن يعوقها شيء. أمر مذهل! عدت على مزلجة، فقد أقلني زوج وزوجته من سباسكوي. حكى لي الزوج عن حياتهما: جوادان وثلاث بقرات وشاي كل يوم ولديهم خبز كما يشاءان، ومع ذلك لا يشعران بالرضى. كما هو الأمر في وسطنا بالضبط. تعيش. شعرت بألم شديد في بطني لكنه لم يستمر طويلًا. جاءني خطاب من صوفيا ومن تشير تكوف. صوفيا تعاني روحياً طوال الوقت.

٢٩ مارس.

استيقظت مبكرًا. بدأت أكتب. كان الناتج سيئًا بالرغم من كثرته. تحدثت على الغداء مع أورو سوف، وخطر على ذهني كيف أن غالبية الناس يقضون على براءتهم، لا من الإغواءات سواء من امرأة أو من غيرها، لكنهم ببساطة يقررون بكل هدوء أن الموبقات تجلب لهم سرورًا، مثل التدخين وشرب الخمر، فيقومون بها فعلاً. في الثانية ذهبت إلى قرية كوييلينو على خليج فلاديميرسكايا. طريق رائع محاط بالغابات. عرجت على أحد الأكواخ وتحدثت مع عجوز، ثم عدتُ شاعراً بالجوع. أفرطت في تناول الطعام. معدتي لا تؤلمني لكنني أخشى ألمها. تحدثت مع أورو سوف. سأنام. كتبت لصوفيا خطاباً طيباً بقدر ما استطعت.

أيقظني أورو سوف في الليل ببرقية تنفيذ بوصول ثلاثة أمريكيين^(٣١٨). لم أستطع العودة للنوم لمدة طويلة. نهضت في الموعد المعتاد، وكتبت نهاية الفصل الثالث. المسرحية بأكملها سيئة جدًا. جلست على طاولة الغداء ووصل الأمريكيون؛ كاهنان وكاتب. لو كان بإمكانهم فقط إنفاق دولار واحد لشراء كتابي «ماذا علينا أن نفعل؟» و«الحياة» وتمكنوا من قضاء بعض الأيام في قراءة الكتابين لعرفوا ما بداخلي بصورة أفضل. لقد شربوا الفودكا ودخنوا، ولم أستطع إلا أن أشعر بالأسف عليهم. كان أورو سوف شديد اللطف معهم. مكثوا حتى الرابعة. قلت بعض ما لم يتوجب عليّ قوله، وأسأت إلى الإنجليزي بلا داع. بالنسبة لي لم أقل شيئًا جديدًا لهم ولم أسمع شيئًا جديدًا منهم. بيدي السيد نيوتن اهتمامًا بتوحيد الكنائس بالنشاط العملي. أمر رائع، لكن أخشى أن الحقيقة المسيحية لا يمكنها أن تتحد بأي حقيقة أخرى، فالحياة المسيحية تتلخص في التخلي الكامل عن الملكية والأمان وبالتالي عن أي فعل عنف. هذا ما يتضمنه أيضًا إعلان هاريسون^(٣١٩)، وهذا ما حدثهم عنه أيضًا. استلمت مجموعة من الخطابات؛ خطابين تويخ لي، وخطابين من فتيات يسألن ويستفهمن عن بعض الأمور. لا بد وأن أجيب على الخطابات. الأهم من ذلك أن جاءني خطاب رائع من صوفيا. آه لو

(٣١٨) كاهنان من الكنيسة الأسقفية وكاتب، وجاؤوا لزيارة تولستوي للحديث معه بشأن بعض القضايا التي تشغلهم.

(٣١٩) وليام لويد هاريسون: كاتب أمريكي ومناضل من أجل حقوق ذوي البشرة السوداء.

تستمر على هذه الحالة المزاجية! بالرغم من ذلك سيكون من غير العادل أن نعاذل بين الحديث الشرير غير العاقل بالطيب والعاقل. النوع الأول لا يصدر إلا في لحظات الغضب، أما الطيب والعاقل فيعبر عن طبيعة الإنسان. الخير والشر غير متعادلين. الخير نور، والشر غياب للنور. أجبرني وصول الأمريكيين وكبرياؤهم على التفكير في الآتي: أدنى احتياج يتحول إلى شهوة هو الاحتياج للطعام، وهو لازم لأجلي بقدر ما هو لازم للجميع. أما الاتصال الجنسي فهو احتياج أسمى من الأول، ويتحول كذلك إلى شهوة، وهو لازم للأسرة. نيل استحسان الناس هو احتياج أسمى منهما، وهو كذلك يتحول إلى شهوة حب الذات، وهو لازم لمجتمع من الناس. ماذا نفعل كي لا يتحول أي احتياج منهم إلى شهوة تتخطى القانون الإلهي؟ الإجابة: الصوم والטהر والاتضاع.

قضيت فترة المساء بأكملها في تصحيح مقالتي عن الفن. لم ترق لي إطلاقاً، بينما أقرأها لأوروسوف. لن أرسلها للنشر.

٣١ مارس.

استيقظت مبكراً، وعملت بالتصحيح وإعادة النسخ بكد. يبدو أن المقالة تتحسن. تغديت؛ تناولت ما لا يجب تناوله: سمكة. غفوت. سأتنزه.

كنت سأذهب لزوبتسوفو، لكنني لم أستطع، وعدت للغابة حيث قضيت ثلاث ساعات رائعة في العمل مع فلاح وابنه يتحليان بالبساطة. في المساء تحدثت مع الجميع على نحو حسن.

١ إبريل.

استيقظت مبكرًا مجددًا. كتبت الفصل الرابع من المسرحية على نحو سيئ. بعد الغداء وصل الكاتب، وهو ابن لشماس. أملت عليه، وكتبت خطابين لفيرا وصوفيا. أعتقد أنني كتبت من أجل الخير بقدر ما استطعت. عبثًا قرأت لأوروسوف. أَلمتني معدتي مرتين ألمًا بسيطًا. في المساء استغرقت في قراءة مسرحيتي الكوميدية لأوروسوف. قهقهه وبدت لي معقولة. نمت في وقت متأخر، وطال نومي.

٢ إبريل.

شربت القهوة وواصلت العمل بكد على مقالتي عن الفن. يبدو أنها تتحسن. الساعة الآن الثالثة. الصبي ينسخ الآن، وأريد أن أنتهي من التعديلات النهائية.

أملتته حتى انتهينا، وقرأت النص كاملاً لأوروسوف. هكذا أفضل. لم أخرج، ونمت مبكرًا.

٣ إبريل.

استيقظت مبكرًا. أردت أن أكتب شيئًا جديدًا، لكنني لم أفعل، شيئًا سوى قراءة ما بدأت فيه سابقًا، وتوقفت عند سوناتا كرويتزر. لا يمكنني الكتابة في الموضوع الآخر^(٣٢٠). تغديت وغفوت ثم ذهبت لزوبتسيفو ورأيت فيضاً غير عادي من المياه عند المطحنة. شيء ما يبعث في الملل مع أوروسوف كما لو أنها نوع من الضغينة. رحمتك

(٣٢٠) ربما يقصد موضوع رواية «البعث».

يا رب! جاءني خطاب حزين مجدداً من صوفيا. لكنني أكون في أفضل حال عندما أسلم نفسي لإرادة الله لا لإرادتي، ولا أشعر بالرغبة في شيء وأكون مستعداً لصنع كل ما يريدني فعله بسرور.

قرأت ما كتبه نيوتن عن توحيد الكنائس. طالما أنهم يتحدثون عن الكنائس وتوحيدها، لن تتم الوحدة. الأمر الرئيس هنا أن نكون جادين ومخلصين في الإيمان؛ أي في فهم فكرة الحياة واتجاهها. إن اتسم الناس بالجدية والإخلاص لن يتحدثوا عن الإفخارستيا والثالوث الأقدس والكنائس، وسيتحدون جميعاً. آه لو أمكنهم فقط هجران كافة الخرافات وكل هذا الحديث المناق عن الفداء والتجسد وإلهوية المسيح وما إلى ذلك! إن الحياة بالنسبة للجميع غدارة ومشؤومة وغامضة، وقد قدّم لنا المسيح معنى لهذه الحياة. فلنقبل بشكر ما قدمه لنا ونحاول أن نمضي إلى ما هو أبعد وأفضل فيما يتعلق بتفسير معنى حياة كل منا لنفسه. ولكن غالبية المسيحيين -إن لم يكونوا جميعاً- يضمنون إلى تعليم المسيح مختلف أنواع الخرافات التي تراكمت عبر قرون، ولا يصلون لتفسير للحياة بل يزيدها ضباباً، ويريدون أن يصلوا إلى اتفاق وسط هذا الضباب! فلنبحث عن النور وحسب، وحينها سيسود الاتفاق والوحدة. سأنام.

٤ إبريل.

استيقظت مبكراً. بدأت مراجعة سوناتا كرويتزر. بعد الغداء تمشيت في الطريق الرئيس ومضيت بعيداً. ما زلت أشعر بالخجل وحدي هنا في مكان جديد (يقصد سباسكوي). في طريق عودتي توقفت عند الجسر

وأخذ أصدق بعيداً طويلاً. حالتي سيئة. رفقة أوريوس لطيفة. قرأت في كتاب شيدر (٣٢١). جيد لكن لا جديد فيه. أشعر بالأسف حقاً عليه وعلى قوته المهددة.

٥ إبريل.

استيقظت في السابعة. كتبت كثيراً وعلى نحو سيئ في سوناتا كرويتزر. مضيت لخليج فلاديميرسكايا عبر الغابات والوديان وشعرت بغربة، لكنه ليس مثل شعوري السابق. هنا الأرض والرب في الغابة كما عند الفراش، لكن شعور بالغربة يكتنفني. التقيت بفتاة متعلمة لطيفة، وبعض الصبية منهمكين في القراءة، وفلاح ثمل ينصت السمع لهم، ثم التقيت بأسرة رائعة في أختين وصبي لطيف، ثم بدأ الثلج ينهمر فمضيت في الطريق إلى يريمينو، ومن هناك مضيت مجدداً بصحبة الصبية عبر الغابة الكبيرة إلى راتوفو، ووصلت المنزل منهكاً في الثامنة. أكلت ونمت. إنه يومي الثاني الذي لا أتناول فيه السكر والزبد والخبز الأبيض، وأنا في أفضل حال.

٦ إبريل.

وضّح لي أوريوس مفهومه عن الحب بشكل رائع. الحب ليس شعوراً، لكنه شخصية تحملني أنا والقريب على يديها وتربط بيننا. وحينها فقط؛ أي حينما ترتبط الأنا بالقريب، يصير الإنسان إنساناً حقاً. لديه الكثير من الأفكار الجديدة العميقة، لكنه كثيراً ما ينظمها على نحو

(٣٢١) الكتاب المقصود «أيام بوشيوخوني القديمة».

سيء، وهو يفسد كل شيء بنظريته عن تلك القروء من دون أذيال، وعن تقسيم الناس إلى مسيحيين وغير مسيحيين (قروء).

استيقظت مبكرًا. لم أستطع الكتابة لمدة طويلة، لكنني عاودت الكتابة في سوناتا كرويتزر. بعد الغداء قرأتها لأوروسوف. ساقى تؤلمني قليلًا. راقت الرواية لأوروسوف جدًا. نعم، صحيح أنها جديدة وقوية. لم أخرج. جبراسيم (خادم عجوز) مريض. أنا في أفضل حال. جاءني خطاب من صوفيا وتانيا وميكا وبوشا، وجميعها كانت جيدة. لن يمكنني المسير حتى موسكو. سيتوجب عليّ أن أستقل عربة.

٧ إبريل.

استيقظت مبكرًا مجددًا. عندما لا أفرط في تناول الطعام، لا أشعر بالحاجة للإكثار من النوم. إنه اليوم الرابع الذي لا أتناول فيه السكر والخبز الأبيض، والأمر رائع حتى الآن. ما اكتشفته حول الفجور الجنسي وشرعية الامتناع عن الجنس وما تبعته من بهجة في الإنسان هو كذلك بالنسبة لتناول الطعام والصوم. كل منهما مرتبط بالآخر. كتبت كثيرًا مجددًا. بعد الغداء قرأت ما كتبت لأوروسوف. كنت أشعر بالضيق قليلًا، لكنني في حالة حسنة بوجه عام. ذهبت لقرية توربييفو وكورويدوفو. عرجت على الإسكافي وعلى ستيان. سأنام مبكرًا.

٨ إبريل (موسكو).

أنا حي في موسكو، ولكن ليس تمامًا. استيقظت مبكرًا، ولملمت حاجاتي وودّعت أوروسوف وبدأت طريقي. في المحطة قمت ببعض الدعايا لجمعية مناهضة السكر. لم أسر على قدمي كما قد انتويت إلا

من المحطة ثم استخدمت المزلجة. وجدت صبيًا طالبًا من ريزان قرب المنزل، سألتني مالا وقد انحنى بكل قوة عجزه البائس. أسرعرت للمنزل، ولم أكن قادرًا على مساعدته على الإطلاق. تحدثت معه وأعطيته مالا مما كان بحوزتي. إنه واحد من أصعب المواقف: شاب كَوْن فكرة مزيفة ومغالي فيها عني، وقد تملكته تلك الفكرة طويلاً، وفكرة أخرى عما يعتبرها بليته غير المستحقة، وهو يكافح كي يشق طريقه إليّ متوقّعاً أن يجد خلاصه الكامل لديّ، وفجأة لا يجد شيئاً على الإطلاق. لا بد من أذكر أن هذا من أصعب الأمور لديّ، وأني يجب ألا أتوارى عنه وأن أقوم بأفضل ما يمكنني القيام به من أجله. في موقعي هذا، يقف هذا عائقاً أمام كثير من المسرات. المهم ألا أتسرع، وألا أجعله يصنعني وثناً له. بينما كنت أودع آل أورو سوف وأبدي اعتراض على نظريته عن القروود الذي حاول دعمها باقتباسات من سافيرا جوليتسينا^(٣٢٢) قد أساء فهمها قلت له: جاء الله لأرضنا لكي يعطينا قانون الخلاص والخير، وقد أعطانا المسيح إياه فعلاً. أنا إنسان سمعته وفهمته ووجدت الخلاص والخير، وفجأة ألتقي بأفكار غير واضحة فيها الكثير من المشاكل، وأجد أنه من الضروري القيام بتلفيقات مصطنعة لتوضيحها، لكنها تزيد من عدم الوضوح. لماذا أذهب هناك إذن؟ لماذا نقبل بكل هذا التشوش ولا نقبل بما أعطانا إياه المسيح؟ لماذا نقبل بكل هذا العهد القديم، والأهم من ذلك لا نقبل بفكرة السقوط والفداء؟ المشكلة ليست في أننا نعتقد أن المسيح إله مولودٌ من إله بقدر ما أننا نظن أنه ابن للشعب

(٣٢٢) مؤسّسة أحد الأديرة بموسكو.

اليهودي (رغم أن هذا الشعب رفضه بوضوح) ونظن أنه ابن لأم (ولا أعرف لماذا ليس حفيدًا أو قريبًا لها مثلاً) ونصبع من سبقوه بالصبغة الإلهية. في واقع الأمر لا يمكن أن يكون لله أسلاف. ولد الله في العالم (وأنا هنا أتحدث بافتراض أنني أو من بالوهيت المسيح) لا من الشعب اليهودي، وهو لأجل العالم كله، لذا فلا حاجة على الإطلاق بافتراض وجود أي علاقة بين تعاليمه وبين تعاليم الشعب اليهودي ولا لأي شيء يتعلق بأمه وأعمامه مثلاً. هذا خطأ شائع.

في الطريق من ترويتسا لخوتكوف.

ذهلت إلى الحمام العام مع سيريوجا. آه لو يتركونا نقوم بواجباتنا كما نتركهم يقومون بواجباتهم! آه لو ننسى ماضي الناس تمامًا ونفتح صفحة جديدة معهم!

٩ إبريل (موسكو).

استيقظت في السادسة. أعصابي ضعيفة نوعًا ما. ربّبت خطاباتي وقرأتها. قرأت الجزء المتعلق بدفاعي عن الجندي الذي أعدموه^(٣٢٣). الدفاع مكتوب بشكل سيئ، لكنه مخيف من فرط بساطة وصفه، مثل الجزء المتعلق بالاختلاف البادي بين العقيد والضباط الفاسدين الذين يعطون الأوامر بتغمية عيني الجندي، وبين الفلاحات والعامّة في الصلاة

(٣٢٣) في عام ١٨٦٦ تولى التولستوي الدفاع في محكمة عسكرية عن الجندي فاسيلي شابونين المتهم بضرب أحد الضباط. حُكِم على الجندي بالإعدام. في عام ١٨٨٩ أرسل أحد شهود الدفاع لتولستوي جزءًا مدونًا من الدفاع الذي قام به تولستوي لصالح الجندي، نشره تولستوي بعد ذلك بعد التنقيح.

على الجندي الميت ويغمون عينيه بعملتين.

ساعدني يا إلهي هنا في موسكو. أنا ضعيف وفاسد. جاءني خطاب من تشيرتكوف. من الواضح أن حالته المعنوية مرتفعة. دَوَّنت يومياتي، وأريد أن أكتب في سوناتا كرويتزر.

كتبت حتى موعد الإفطار، وبعده غفوت، ثم ذهبت إلى أوزميدوف ولم أجدّه. كان عزيزي يوزع أوراقًا على السكارى. وتحدث على نحو جيد. منظر الانحلال البادي من الخمر والتبغ رهيب. تغديت وقرأت بيان طائفة «المرتجفين»^(٣٢٤). رائع، ومليء بما يتعلق بضبط النفس تجاه الجنس. كم من الغريب أن أنال مثل هذا البيان الآن بينما أنا مشغول بهذه المسائل. جلبت المياه. وصلت فارينكا وزوجها. لدينا في موسكو وحدها أكثر من ٨٠٠٠ عاهرة مؤيدة رسميًا. استمنيت.

١٠ إبريل.

استيقظت في الثامنة. رَتَّبْتُ غرفتي، وشربت الشاي، وكتبت بضعة خطابات. جاءني صاحب متجر بيع الكتب المقدسة، وتجادلت معه عن الإيمان بالفداء، وكنت أتجادل بحدة شديدة، وأخشى أن أكون قد أسأت له. لقد سقطت بقوة فعلاً هنا. سأذهب إليه لأطلب عفوّه. كتبت خطابات لسيميونوف وبوبوف وكراسيلنيكوف وتشيرتكوف. وكتبت خطابين تافهين لأوروسوف وبوشا. تنزهت. اعترتني كآبة. هذا بسبب خطيئي. تغديت. أنهيت قراءة بيان «المرتجفين». دونت يومياتي،

(٣٢٤) طائفة إنجليزية كانت في مدينة كانتربري في هذا الوقت.

وكتبت بضعة خطابات، وسأتنزه ثم أعمل.

عملت، وجلبت المياه، ونمت مبكرًا.

١١ إبريل.

استيقظت في السابعة. رتبت غرفتي، وبدأت العمل على مقالتي عن الفن. رغم أن روعي المعنوية كانت منخفضة، لكنني قمت بكل شيء بوضوح، ووضحت ورتبت أفكارتي. جاءتني خطابات من إيلبيدين، ومن الكاهن ومعها بعض عظامه. ذهبت لأوزميدوف. تكتفني كآبة. إنه مريض ذهنيًا لكنه صالح. لم يلمس حب الذات قلبه بعد، مثلما هو الحال مع الثلج على النهر. في منزلي ٢٥ إنسانًا يلهون: طعام وشراب. دياكوف لطيف ورقيق، وفيت ضال بائس بلا أمل. تحدثت معه بحمية قليلًا عندما أكد لي أنه لا يعرف ماذا تعني كلمة «لا أخلاقي». يُقبّل يد الإمبراطور، وبولونسكي يرتدي وشاحه. دناءة! أنبياء معهم مفاتيح وأوشحة ويقبلون يد إنسان بلا داع^(٣٢٥). لم أفعل شيئًا بالمساء. ذهبت لفراشي مبكرًا. أموري هادئة وجيدة مع صوفيا.

١٢ إبريل.

استيقظت في السادسة، وجلبت المياه وشعرت بالإنهاك. دوّنت يومياتي، وسأشرب الشاي. الساعة الآن التاسعة.

تنزهت على متن الجواد بحمية، لكن عملي لم يشمر شيئًا على

(٣٢٥) احتفالًا بمرور خمسين عامًا على نشاط فيت الأدبي تمت دعوته للقاء الإمبراطور وارتدى رداءً خاصًا ووشاحًا معلق فيه مفتاح، وقبّل يد الإمبراطور وكوفئ بوسام آنا من الدرجة الأولى.

مقالة الفن. ذهبت للينوتشكا. إنها لطيفة جداً، ومضيت لنيكولاي فيدوروفيتش، وذهبت معه وحكيت له عن مقالي عن الفن ووافقتني الرأي. ذهبت إلى المعرض الفني الذي افتتحوه، لكنني خفت من كل هذا الجمع المتزاحم هناك فعدت. تغديت في وقت متأخر. وصلت بارشيفا وتجادلت مع قريبتها، ثم جاء إيفان ميخايلوفيتش وبولوشين ثم ينجول وستوروجينكو. تحدثت كثيراً بحدة مع ينجول عن حجم الضرر الناتج عن سوء تنظيم المصانع المتجلي في ظهور البغاء. نمت في وقت متأخر؛ في الثانية عشرة.

١٣ إبريل.

استيقظت في السابعة. واصلت كفاحي على مقالة الفن. مع أنني لم أتعثر فيها لكنني لم أنهيها. لم أنم جيداً، وأشعر بالضعف. يبدو أن السبب الرئيس هو إفراطي في تناول الطعام. قرأت في بيان «المرتجفين». أفكر طوال الوقت، والقضية لا تزال مطروحة. سأتناول إفطاري. أنهيت قراءة خلاصة لاباتين عن مسألة حرية الإرادة. إن لم تستطع الصمت فاختصر... هذا حسن. انتويت الخروج، لكن براشين جاء. ودعته. إنه يبحث بشكل مباشر عن تعليمات ترشده في طريقة عيشه. تحدثت معه ونصحته ببعض الكتب المناهضة للسُّكر. بعدها التقيت بالقرب من متحف لوحات سيميراديسكي ببوجدانوف. إنهم يمتدحون لوحاته كثيراً. بعدها مضيت لمتجر بيع الكتب المقدسة. على ما يبدو أنني تحدثت هناك على نحو جيد مع نيكولسون. طلبت عفوه، وحدثته عن السُّكر، ثم ذهبت لماراكوف، ولم أجده، فعدت للمنزل. وجدت

جولوخفاستوف بالمنزل وكذلك جروت ودونايف، ثم أوفسيانيكوف،
وحدثته عن دفاعي عن الجندي، ثم جاء كاسيروف وإلكسندروف.
جاءني خطاب من أريستوف وليونتيف. مريعة هذه الرغبة في الكتابة!
وبدلاً من الصمت والاختصار في الحديث، أفرطت في الحديث
الفارغ مع كاسيروف الذي كان يتحدث عن الإيمان. كم أفرطت أيضاً
في الحديث مع جروت عن حرية الإرادة! كنت أسأل نفسي: كيف
كان يجب أن أتصرف مع كاسيروف وجروت؟ قلت في نفسي أنه كان
يتوجب عليّ أن أطلب منهما ألا يشركاني في هذا الحديث الذي لا
يهمني في شيء. المهم هنا أن أذكر دائماً أنني منذ لحظة ولادتي في هذا
العالم وحتى لحظة موتي لا يسعني إلا أن أفعل أمراً واحداً؛ أن أحقق
إرادة من أرسلني، أي أن أعيش كما يريد مني، وألا أجعل شيئاً يؤخرني
عن فعل ذلك أو يسرقني من نفسي، والأهم ألا أكن كراهية لأحد. نمت
في وقت متأخر وكان نومي سيئاً. نعم، لا بد وأن أعرض حياة طائفة
«المرتجفين». ساعدني يا إلهي!

١٤ إبريل.

استيقظت في الثامنة. رتبت الغرفة، وواصلت العمل على مقالة
الفن. لقد تهت تماماً للأسف الشديد. لا بد أن أتوقف. الساعة الآن
الثانية. سأذهب إلى متحف روميانتسيفسكي ثم لماراكوف.

تمشيت حتى الساعة الخامسة، ولم ألتق بأحد. جاء ستاخوفيتش
واجماً، ويونجي بصحبة الأطفال. كتبت خطاباً لأوبولينسكي عن
جيراسيموف وأوروسوف. وصل ليमान وخرجت معه وتحدثنا.

سمعت منه الكثير عن أفكاره عن التأليف. أفكار جيدة. قبل الغداء التقيت بالشاعر ميور. كنت أحاول أن أذكر دائماً أن أتحدث بصورة أفضل فأنا مجرد عابر في هذا العالم، وأنظر إلى الأرض حيث أرى المكتوب: الموت -الاتضاع- الصمت، ولكن الأمر كان ينتهي بي إلى الغضب وإلى أن أقول له إنني لم يعد بإمكانني التحدث معه. كان هذا يحزنني كثيراً. ما العمل؟ فكرت بالأمر بينما أتنزه: هل أصبح ما كتبه بالأمر؟ ما يهم أننا عمال نُحجب عنا ثمرة عملنا، ولم يُعطَ لنا أن نستفيد بها. لقد أُعطينا شيئاً واحداً: إمكانية المشاركة في العمل وتوحد مصالحنا مع مصالح السيد. مدحش هو هذا الاستنتاج الأخير التي وصل إليه المسيح، وتم التعبير عنه بهذه الطريقة تحديداً. إن حياة الناس بأكملها هي عمل؛ إما عمل لدى أحد الملاك، سواء كان يمتلك مصنعاً أو غيره، وإما العمل بحرارة الأرض وإلقاء البذور، ثم الحصاد وإلقاء البذور ثانية وتحسين حالة الأرض أو العمل بالبناء أو العمل الفكري... كل هذه الأعمال السابقة ليست من أجل أنفسنا، ولا يستفيد منها الجميع بالضرورة، لكن العمل ذاته يحمل خيراً بين طياته. هكذا هي حياتنا بأكملها. لقد أُعطينا أن نستفيد فقط بالخير الكامن في العمل ذاته، وأُعطينا كذلك أن نبدل مصالحنا بمصالح الآخرين ومصالح السيد أو مصلحة العمل ذاته، وفي هذا التغيير نحرر أنفسنا من مصالح ذواتنا الفانية، ولا يمكن تحقيق ذلك إلا بالعمل. هكذا هو الأمر في كافة جوانب الحياة عندما ينظر الإنسان إلى حياته بأكملها على أنها عمل من أجل الله، أو باختصار على أنها لله، وفي الحقيقة لا يمكن

النظر إلى الحياة طريقة أخرى. عندما نعيش حياتنا بأكملها من أجل تحقيق إرادة الله بإقامة ملكوته وإقرار الحقيقة حينما نراه، ونحافظ على طهارتنا وتواضعنا وحبنا حينما لا نراه، وحينما نشترك في عمل الله، يمكننا فقط وقتها أن ننكر مصالحننا الشخصية حيث تتوحد مصالحننا مع عمل الله. القول بأن المرء سيستفيد من هذا العمل في المستقبل أمر محفوف بالمخاطر، ولكن لا يمكن إثباته. وما الهدف؟ المشاركة في العمل في حد ذاتها تمنحك الخير. ابدأ فقط بالمشاركة وستشعر بالخير. ماذا سيحدث إن كرّست نفسك لهذا العمل كاملاً؟ سيكون ما تناله من خير في الحاضر عظيمًا، حتى إنك لن تكون في حاجة لتصور خير آخر في المستقبل. هذه هي الصلاة التي سأدونها: تذكر أنك عامل لدى الله تشارك في عمله.

١٥ إبريل.

استيقظت في السابعة، ولم أستطع الكتابة. قرأت في رواية بوي^(٣٢٦)، ثم غفوت، وبعدها دوّنت يوميات الأمس، وها أنا ذاهب لتناول الإفطار. جاء شاخوفسكوي. لقد أصبح ليبراليًا رسميًا. الحرية التي يحتاجها هي نوع من الفعل. ذهبت معه لماراكوف وتحدثت بطيبة محاولاً أن أفيده في شيء. الأمر صعب. جاءت ليزا على الغداء (شقيقة صوفيا)، ومضت أموري معها بخير. أصبحت أشعر بالشفقة عليها. إنها تخضع للعلاج عند ريك ويتقاضى منها ٤٠ روبلاً للجلسة الواحدة، وحكى لي الخادم فيلوسوفوف العجائب عن سيده. أقرأ في رواية بوي؛ تفسخ

(٣٢٦) رواية «جنون الحب المعاصر»، وقد أرسلها الكاتب نفسه لتولستوي.

ضمير مريع. ليس مريعاً، لكنه يعبر عن وعي شديد النضج، وسيكون لازماً عليه قريباً أن ينفجر. لوحة ريّين سيئة؛ كلها مفتعلة، أما لوحة جي فجيدة جداً. اصطحبتني الفتيات. معدتي مضطربة. غفوت في الثانية ثم....

١٦ إبريل.

استيقظت في الثامنة شاعراً بالضعف، ولم أستطع فعل شيء فغفوت ثانية. قرأت عن الكوميونات الاشتراكية التي أسسها الأمريكي جون هنري نويس. نعم، لا بد ألا نغفل عن قضية حياة الكوميونات ومسألة الأسرة، بل لا بد من حسمها. سأتغدى.

بعد الغداء جاءني إيفين وراخمانوف. إيفين يعزو كل شيء إلى الأرثوذكسية. لا بد وأن شيئاً ما يزعجه. لم أكن هادئاً وكنت أشعر بخزي شديد. كانت هناك حشد من الآنسات عند تانيا. لم أتحدث معهن. للأسف يبدوون همجيات تماماً.

١٧ إبريل.

استيقظت شاعراً بالإنهاك. قرأت لنويس عن الكوميونات. الكَوْنِيُون^(٣٢٧) رائعون في اعترافاتهم. وصل المُنُوم المغناطيسي فيلدمان. دجل، والجزء الحقيقي منه غير نافع لشيء. ذهبت به لجروت، ثم ذهب إلى تلك السيدة المجنونة التي كانت موجودة بالأمس. مضت أموره معها بخير. على الأقل لم يضرها شيء. راخمانوف صالح جداً.

(٣٢٧) أتباع طائفة كانت موجودة في أمريكا الشمالية وخاصة في نيويورك تنفي الجانب العقائدي من المسيحية وتركز على الجانب الأخلاقي.

ساعده يا أله! غضبت بشدة في المنزل بسبب مخطوطات تول التي تركها لي، لكن حمدًا لله استجمعتُ شتات نفسي. في المساء انشغلت بقراءة الخطابات، ثم وصل جروت ودونايف. تحدثت بشكل جيد مع جروت. قلت له: «حاول أن تكون مفيدًا للناس، وحينما لا يمكنك ذلك حاول ألا تضرهم». جاءتني خطابات كثيرة، وجميعها تافهة. نمت في وقت متأخر، فلم يواتني النوم حتى الثانية. تغلبت على مشكلة الصفراء لدي. أشعر فقط بوخز ضميري فيما يتعلق بإيفين.

١٨ إبريل.

استيقظت في التاسعة، وبدأت تصحيح مقالتي عن الفن، ومضت على نحو جيد جدًا، ولكن عليَّ الذهاب للقاء تولستايا^(٣٢٨). سافرت مع تانيا وكنت مسرورًا جدًا معها. ثم ذهبت ليونجي، وقضيت هناك وقتًا رائعًا. ثم ودَّعت تانيا، وعدتُ للمنزل قبالة الخامسة. أكوام من الخطابات. سوف أقرأها بعد الغداء. عطَّلتني تانييف^(٣٢٩). قرأت له مقالتي عن الفن. إنه إنسان جاهل تمامًا تبنى نظرة جمالية كانت تعتبر جديدة منذ ثلاثين عامًا مضت، وهو يتخيل أن لديه الكلمة الأخيرة للحكمة البشرية. على سبيل المثال يقول إن الشهوانية (الشبق) أمر جيد، وإن المسيحية عبارة عن عقائد شاملة وطقوس ولذلك فهي محض حماقة. النظرة اليونانية للعالم أكثر سموًا... إلخ. جاء جوربونوف، ولم

(٣٢٨) ذهب تولستوي بصحبة ابنته تاتيانا للقاء إلكسندرا تولستايا.

(٣٢٩) عازف بيانو ومؤلف موسيقي شهير كانت صوفيا مفتونة به، وتسبب هذا في غيرة تولستوي الشديدة، ونلمح آثار هذا الاضطراب بوضوح في سوناتا كرويتزر.

أستطع التحدث معه. تانييف يثير أعصابي بشدة. نمت في وقت متأخر.
١٩ إبريل.

استيقظت في التاسعة، وتحدثت مع جوربونوف، ثم ودعته، وبعد محاولات فاشلة للكتابة في مقالي عن الفن. ذهبت أولاً مع راخمانوف إلى أم الطلبة^(٣٣٠) ثم إلى مستشفى الأطفال. جاءني في الصباح يهودي من تفير، وطلب مساعدتي بذريعة سلوكه النبيل مع المرأة التي يعيش معها. منذ ثلاثة أشهر وهو يلاحقني بالخطابات، والآن جاء بنفسه مشرقاً ومبتسماً. تحدثت معه بانفعال، لكنني أستحق الصفح عن ذلك إن كان الأمر ممكناً؛ لأن ألم كبدي كان يؤثر عليّ. قرأت تلك الأسطورة الفاتنة: أرموزد وأهريمان (أسطورة فارسية). بعد الغداء بدأت القراءة. عاودني الألم وكان قوياً جداً حتى الحادية عشرة لكن الأمر مر بسلام. كم هو غريب أن المرء عندما يشعر بالألم، يكون من الصعب عليه أن يصلي ويستعد للموت أكثر منه في الحالة الطبيعية! قرأت في مجلة *World Advance Thought* وكذلك في *Universal Republic*. هناك نظرة وحرارة جديدتان يتسارع نموهما في العالم الآن، ويبدو الأمر كما لو أنهما تدعوانني للمشاركة فيهما والإعلان عنهما. كما لو أنني مخلوق للقيام بهذا تحديداً بما لدي من سمعة أتمتع بها، وكأني مخلوق لأكون بوقاً لها. ساعدني يا إلهي! إن كانت هذه هي إرادتك فسأقوم بالأمر. جاءني خطاب جيد من جي.

(٣٣٠) صوفيا بتروفنا نزنوفنا، عاشت في موسكو بين ١٨٨٦ - ١٨٨٩، وكان الطلاب يجدون دائماً لديها العون والمأوى، رغم أنها عاشت في فقر شديد.

٢٠ إبريل.

استيقظت في الثامنة، وحاولت أن أكتب في مقالتي عن الفن، وأنا على قناعة أنني أضيع وقتي. لا بد وأن أستسلم، خاصة طالما أوبولنسكي (محرر جريدة) أخبرني أنه مستعد للانتظار. لا يمكنني الكتابة؛ لأن الأفكار لم تنجل بعد في ذهني. عندما تنجلي في ذهني، سأكتبها على الفور. كنت أخدع نفسي وأصوّر لها أن الأفكار جلية. كنت أكتب بدافع من الغضب، لا من أجل الموضوع نفسه. الساعة الآن الثالثة. وصل سولوفيفوف (فيلسوف روسي).

تحدثت معه حديثاً تافهاً، وذهبت لنيليدوفا. امرأة بغیضة، ترتدي مشدداً شديداً، سمينة وشبه عارية. إنها باختصار: كاتبة. تعاملت معها باعتدال ثم غادرت. بعد الغداء انصرفت فوراً، وأخذت معي المخطوطة لجوبكين. التقيت بأوزميدوف. كان في طريقه إليّ كي يقول لي أربعة أمور:

إن أردت فعل شيء ما خاطئ، لا بد أن تفعله، وإلا ستكون مرأئياً. ما هذا الهراء؟ المرء في حاجة لمثل هذه النظرية ليبرر التدخين واستخدامه مسدسه، أي أنه عندما يقوم بأمر ما خاطئ، سيعتقد أنه يقوم بما يتوجب عليه أن يقوم به.

من الجور أن أقول إنه إن كان أحدهم في حاجة للمال، فهذا لا يعني أنه في حاجة للمال ذاته، لكنه في حاجة لأن يصحح الموقف الخاطئ الذي وجد نفسه فيه.

سوء فهم هائل. إنه يدرك أنه في حاجة لإساءة فهم ما قلته لتبرير موقفه غير الصحيح.

يقول أيضًا إنني أخطأت في قولي إن حل المشكلة الاقتصادية للفرد يعتمد على أن يكون الفرد ضروريًا للناس.

هنا أيضًا اعتراض غير معقول طالما يعتبر المرء نفسه ضروريًا للناس، بالرغم من حقيقة أن الناس لا يفهمون احتياجهم^(٣٣١). الأمر الأخير يتعلق بما وضّحه بالفعل في كتابه.

كنت على قناعة أن سوء فهمه للأمر لم يكن إلا محاولات ذهنية لتبرير موقفه القائم على إرضاء نفسه بغض النظر عن إحداث أي تقدم، وجعلتني قناعاتي هذه أتوقف عن الاعتراض وأشعر بأسف شديد عليه. أعتقد أن هذا الصمت لا بد وأن يكون له تأثير أكبر فائدة من إبدائي للاعتراض.

كانت النقطة الرابعة مفادها أن الإنسان يمكنه أن يقتل نفسه. تساءل قائلاً:

هل يمكن للإنسان أن يقتل نفسه؟

لا، لا يجب عليه فعل ذلك.

ولكن ماذا إن عرّضت نفسي للموت دفاعًا عن شخص آخر؟

ممکن بالطبع.

(٣٣١) هذه ترجمة أمينة للنص الأصلي، لكن المعنى مضطرب وغير واضح في الأصل.

هكذا أجبتّه وأنا أتساءل عن سبب تساؤله عن مثل هذه التضحية السامية.

إذن فالمورفين حينها لا بأس به أيضًا؟

حينها أدركت أنه يحاول أن يوضح لي أنه يحقن نفسه بالمورفين بسبب ضعفه؛ كي يكون قادرًا على العمل من أجل إطعام أسرته، وبالتالي فهو يقتل نفسه تضحية بها من أجل الآخرين. الآن اتضح لي بصورة لم أعهد لها أبدًا من قبل كم يمكن للناس أن يفسدوا أحكامهم العقلية بهدف تبرير مواقفهم والتخلص من تأنيب الضمير ومن إحداث أي تقدم في حياتهم. هذا بمثابة مورفين أخلاقي. كافة المتعصبين والمنظرين من هذا النوع. نعم، هذا ما يحتاج المرء إلى تدوينه لنفسه: لا تتجادل مع هؤلاء الناس! الجدل مع هذه النوعية من الناس هو خداع رهيب يشبه أن يقاتل رجل عارٍ رجلًا آخر مسلحًا بالدروع. نمت في الثانية عشرة.

٢١ إبريل.

استيقظت في الثامنة. أقرأ كتاب نوبس عن الكوميونات. فكرة واحدة طوال الكتاب: حرّر نفسك من خرافات الدين والحكومة والأسرة. ذهبت لإصلاح الحذاء، ثم إلى مستشفى الأطفال. كان يمكن لعمل الأطباء أن يكون جيدًا إن كان يتم بطريقة روحية. عدتُ في الواحدة. غفوت، والساعة الآن الثالثة وأود أن أعمل.

لم أكتب شيئًا. جاءني خطابان من جي وستراخوف. ذهبت مع

ساشا إلى الجنود^(٣٣٢). من المريع والغريب كيف يؤدون بجدية وحزم هذه البذاءات والحماقات التي يقومون بها في عروضهم! الأمر يبدو لي مخزياً. بعد الغداء وصل راخمانوف وبعده أورلوف وبراتنين ودارجو وجوبكين. أنهكت وتحدثت بهدوء وكسل. ذهبت لفراشي مبكراً، لكنني لم أستطع النوم.

٢٢ إبريل.

استيقظت في السادسة، لكنني لم أنهض من على فراشي إلا في الثامنة. قرأت في كتاب نويس عن الكوميونات. القراءة عن طائفة المرتجفين يثير الهلع من فرط التطابق المमित ومن فرط الخرافات: رقصات ومنادون خفيون ومواهب غامضة وعروض وفاكهة... إلخ. قلت في نفسي: الانسحاب إلى طائفة ما أو تأسيس طائفة وتطهيرها... كل هذا محض خطية وخطأ. لا يمكن لفرد واحد أو مجموعة من الأفراد أن يحافظ على طهارته وحده. كي يحافظوا على طهارتهم عليهم أن يكونوا مع بقية الناس، ولكن أن يعزل المرء نفسه حتى لا يتدنس هو أشد الأعمال دنساً، مثل تلك النظافة التي تحظى بها سيدات المجتمع الراقي على حسب عمل الآخرين. الأمر يشبه أن تقوم بتنظيف ذلك الجزء النظيف بالفعل. لا، من يريد العمل عليه أن يعمل وسط كل هذه القاذورات، فإن لم يفعل ذلك، فعليه على الأقل ألا يتهرب من ذلك المكان إن وصل إليه. تراودني فكرة بشكل ضبابي: إن بيت القصيد هنا هو تنفيذ قانون الحقيقة، فطالما الضوء موجود على المرء ألا يتحرك

(٣٣٢) كان يتابع كيف يتعلم الجنود أثناء قيامهم بالعروض العسكرية.

إلا لتحقيق هذا القانون لا من أجل نفسه. هناك ثلاث وسائل نخدم بها الرب والإخوة:

أن يعتقد المرء أنه يعرف إرادة الله تجاه الآخرين، فيجبرهم على قناعة معينة بالقوة أو حتى بالمكر كي ينفذوا هذا القانون، وهذا ما تفعله الكنيسة والدولة وحتى العلم.

النضال ضد التعليم الكاذب للكنيسة والدولة والعلم وفضح أخطائهم، وهذا نشاط فكري وعملي ثوري. هناك مجتمعات تبدو كنماذج للحياة الحقيقية مثل مجتمعات الأديرة والمجتمعات الاشتراكية. إنها بمثابة توضيح لهذا النشاط. إنها كذلك ثمرة للصراع.

الشيء الوحيد المعقول الذي كان ينبغي أن يحدث منذ فترة -ومن دونه لم يكن يمكن لأي شيء مما حدث أن يحدث- هو عدم إجبار الآخرين على الاستسلام أمام أولئك الذين يحاولون إخضاعهم (الكنيسة- الدولة- العلم)، وعدم مواجهة ذلك بتكوين مجتمعات من قبيل الأديرة والكوميونات، بل ببساطة أن يفعل المرء ذلك أينما ذهب في هذا العالم.

من المستحيل أن ينتج أي خير عن إقناع الناس أن يخضعوا الآخرين وأن يخضعوا هم بأنفسهم لآخرين، فكافة المتسلطين والخاضعين دائماً ما يقومون بكل ما هو شرير. إنها فكرة عبثية في واقع الأمر أن يكون البعض وحدهم من يعرفون كيف يجب العيش، والآخرين لا يقتصر الأمر على أنهم لا يعرفون، لكنهم كذلك لا يمكنهم أن يعرفوا، وعليهم بالخضوع دائماً لأولئك الذين يعرفون! إن كل الشر في هذا العالم يأتينا

من ذلك؛ من سلطة وتأثير الكنيسة والدولة والعلم. إنها تنتج لنا خرافات ودنسًا وقتلاً وكذبًا وسفسطة. نحن في حاجة لأمر واحد؛ أن يقترب كل إنسان بنفسه من المثل بقدر ما يكشف له النور. لو كان ذلك قد بدأ فعلاً فترى ماذا كان حلّ بكافة الشرور في عالمنا؟

ذهبت لمتحف روميانتسيفسكي، وتحدثتُ مع نيكولاي فيدوروفيتش، وأخذت منه حياة سان سيمون^(٣٣٣). سيرته مشوقة. بعد الغداء قرأت في سيرة سان سيمون ووصلت بعض الأنسات المدرسات من كروبيفيتسكي وتحدثت معهن على نحو جيد. أردت أن أذهب لأغتسل.

عدت من الحمام العام، وتحدثت مع دوناييف عن ثلاث وسائل للتأثير في الناس. تحدثت مع إيفان ميخايلوفيتش.

٢٣ إبريل.

استيقظت مبكرًا. أنا منهك. لم أحاول حتى أن أكتب. قرأت عن سان سيمون وفورييه^(٣٣٤) والكوميونات، ولم أخرج من المنزل. من المريع أن يفكر المرء كم أصبح العالم بائسًا، وكيف أصبحت أنشطة أفضل رجاله مقيدة تمامًا بنشاط الكنيسة والدولة والعلم التربوي والفنون والصحافة والأديرة والكوميونات، فكافة القوى التي كان

(٣٣٣) كان فيلسوفًا فرنسيًا يميل إلى مبدأ تدخل الدولة في الحياة الاقتصادية. وكانت دعوته موجهة إلى الاهتمام بالصناعة.

(٣٣٤) مجموعة منهجية من المعتقدات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية التي تبناها لأول مرة المفكر الفرنسي تشارلز فورييه، استنادًا إلى الإيمان بحتمية الارتباطات المجتمعية للأشخاص الذين عملوا وعاشوا معًا كجزء من المستقبل الإنساني.

بإمكانها أن تخدم الإنسانية بمثال حي وعمل مباشر قد وُضعت في موقع استثنائي أصبحت فيه الحياة البسيطة وغياب الإثم والضعف والحماسة والترفع عملاً اختياريًا يمكن التسامح معه، بل وضروري (يستحيل مثلاً على الأسقف أو الوزير أو العالم ألا يكون لديه خدم وألا يتمتع بغداء شهوي وكأس من الخمر)، ولم يُترك أحد ليقوم بالعمل السهل والمباشر في الحياة. من الجيد أن الكنيسة والدولة والعلم والأدب والفن لا يقومون بضم الجميع إليهم، وأن عامة الناس قد تُركوا لحالهم. ولكن لانسحاب أفضل وأقوى الناس من الحياة العادية تأثير مدمر. يقول سان سيمون: «ماذا لو هلك أفضل ٣٠٠٠ عالم؟». إنه يعتقد أن كل شيء حينها سوف يهلك. لا أعتقد ذلك. أعتقد أن الأكثر ضرراً هو هلاك وانسحاب أفضل الناس أخلاقياً من الحياة. هذا ما يحدث، والعالم لم يهلك بعد، ولكن سيكون من الجيد لو وضعنا ذلك. بعد الغداء الذي كنت أتناوله بمزاج سيئ في صمت ذهبت مشياً إلى دموخوفسكايا، ثم عرجت على زلاتوفراتسكي. كان هناك عامل يقوم بالكتابة. حاولت أن أقنعه بأن يكف عن الكتابة والمشروبات الكحولية كذلك. الأولى أكثر ضرراً. شعرت بألم أسفل المعدة. وصلت تانيا المسكينة. أشعر بالأسف الشديد عليها.

٢٤ إبريل.

استيقظت مبكراً. أشكو من كل شيء، لذا لم أستطع الكتابة. أوصل القراءة عن الكوميونات. الساعة الآن الثانية. سأخرج ولا أعرف إلى أين. أشعر باقتراب الموت، ولا شيء يحفزني على العيش. أريد أن

أقوم بالكثير وهو أمر لا يتناسب مع هذه الحياة، فهذا النمط من الحياة يُثقل على كاهلي ولا يمكنني التملص منه. بالأمس جاء إلكسندروف جالبًا معه نسخة الطباعة فقامت بالتصحيح. اليوم جاء تاتارينوف جالبًا معه مقالته. إنه إنسان ساذج أقرب إلى المجانين. ذهبت لأراقب الجنود وكيف يتدربون. الأمر يشبه أفعى عاصرة تلتف حول فريستها. التقيت ببوبوف ثم أرخانجيلسكي. جاء بوبوف من عند سوتاييف. إنه يبحث عن قديسين حتى يرى الحقيقة التي يخدمها. يبدو له أن ثمة طريقًا عند سوتاييف. الأمر غير واضح تمامًا. التقيت بأوستروخوف، ثم تمشيننا وتسلقنا السياج ووجدنا توليا. عدتُ للمنزل في وقت متأخر جدًا، ونمت في الثانية. استمنيت.

٢٥ إبريل.

استيقظت في وقت متأخر. كتبت ما لا بأس به في مقالتي عن الفن. جاء بوشا. أخبرته أنه يتوجب عليه أن ينتظر (يقصد إن أراد الزواج بابنة تولستوي). حزن، لكن بالنسبة للمسيحي كل شيء واضح وحسن. أخذت بعض الكتب لينجول وللمتحف. في المنزل يتوقعون وصول بعض الأقارب. الأحاديث تدور عن زواج سيريوخا، وجميعها أحاديث غبية حقودة. بعد الغداء جاء بوبوف وأرخانجيلسكي وبروكوفيف وأورلوف وكاتب ساذج. بعدها جاء خاباروف وكروتكوف ودونايف وميدفيديف. بوبوف يبحث باضطراب عن الخير والحقيقة. أخشى أنه لا يزال في مرحلة الكبرياء والعيش وفقًا لآراء الناس.

المرحلة الحيوانية.

المرحلة الحيوانية والبحث عن مجد العالم.

المرحلة الحيوانية والبحث عن مجد العالم وكذلك المجد الإلهي.
وهناك المزيد من المراحل الانتقالية بين مرحلة والأخرى. وصلت
ماشاً. أشعر بلطف شديد تجاهها؛ تجاهها وحدها، كما لو أنها تكفّر عن
الآخرين. وصل كل من إيليا وصوفيا ثم جاء سيريوجا بصحبة إلكسندر
ميخايلوفيتش. أنهكت بشدة ونمت في وقت متأخر.

٢٦ إبريل.

استيقظت مبكراً، ودونت يومياتي. بوشا مع ماشا، وتقريع من
صوفيا وكل شيء يثقل على كاهلي، لكنني أكافح وحالتي بخير.
الساعة الآن الخامسة. لم أخرج لأي مكان سوى إلى الحديقة.
في المنزل تحدثت مع جولتوف. إنه شديد الجدية. سوف يذهب إلى
تامبوفسكايا وساراتوفسكايا وسامارسكايا من أجل رؤية المولوكونيين.
بعد الغداء ذهبت لأوزميدوف وتحدثت معه بلطف. بوشا وماشاً
في المنزل. لماذا فرحي غير مكتمل في علاقتي ببوشا؟ أنا أحبه وأقدره،
ولكن هل ثمة غيرة أبوية في موقفتي تجاهه؟ ماشا عزيزة عليّ جداً.
ذهبت للفراش مبكراً، لكنني نمت في وقت متأخر.

٢٧ إبريل.

استيقظت مبكراً. لست بخير. لم أكتب سوى خطابٍ لشاب.
الكلمات واضحة في ذهني بالنسبة لمقالة الفن، لكنني لم أكتبها. يبدو
أن يتوجب عليّ أن أؤجلها قليلاً. الساعة الآن الثانية. سأذهب لإيليا.

وجدت عنده بوبرينسكي وفيلوسوفوف. لم يكن هناك سبب للاجتماع. في طريق عودتي التقيت بجولوفانوف ودعوته للتمشي معي. إنه لطيف ورقيق. حكى لي عن الانطباع الذي تركته فيه. رائع! وجدت في المنزل فلاحًا ينظم شعرًا ساذجًا ضعيفًا. تحدثت معه حديثًا قليلاً. وصل كوناكوف وشكا من أورلوف. الانطباع سيئ كما كان من البداية. إنه رجل لم يخرج بعد من مرحلة الأنانية البدائية. ذهبت لدياكوف. لعبت الشطرنج في سمولنسك وربحت بثلاث عشرة حركة. من المضحك أنني لم أكن أشعر بالسرور. جلست عند دياكوف. في المنزل حشد من المتبطلين والساخرين والمتصنعين. كلهم طيبون ومعذبون. كيف خربوا بهذا الشكل؟ من خربهم؟ صليت كثيرًا حتى يعينني أبي السماوي في التخلص من الإغواءات. يقول بوشا إن الزواج ما هو إلا تعهد بعدم ممارسة الجنس مع شخص آخر. ذهبت لأنام مبكرًا.

٢٨ إبريل.

استيقظت في الثامنة، وجلست في غرفة تانيا في البداية كي أكتب في مقالتي عن الفن، ثم جاء جروت. قرأتها له. يبدو أن لا بأس بها. قرأت مقالة جروت عن الشعور. هراء مريع؛ لا محتوى ولا وضوح ولا أمانة. ما زال بإمكان المرء أن يضل فيما يتعلق بالضرر والهلاك اللذين تجلبهما الأنانية لحياته، ولكن الأمر يكون واضحًا فيما يتعلق بالأنانية الأسرية، فالأثر المخدر الناشئ عن الكبرياء قد لا يكون مرئيًا. مثلاً: الضرر الذي يجلبه المرء لنفسه بأنانيته، ولكن الضرر يكون واضحًا تمامًا في زوجته وأطفاله الذين يتكبر عليهم. الأمر مماثل مع الثروة وأي

نوع من أنواع الانغماس في ذات المرء أو في شؤون أسرته. الأم تحب الأطفال فتضرهم. لم يعد الأمر حباً إذن، بل مجرد وله.

الساعة الآن الثالثة. أشعر بألم تحت معدتي. ذهبت إلى تلك البائسة (غير معروفة هوية الشخصية). يبدو أن الأم مخادعة محترفة، والابنة عاهرة بائسة ومعها طفل. حرت فيما يتوجب عليّ فعله، خاصة بعد أن غادرتهم. كان عليّ أن أستمع للعجوز وأعرف من الشاب الحقيقة كلها وأمد يد العون إن أمكنني. التقيت بعزيزي (ج) ثم بجيراسيموف وتحديث معه حديثاً قلبياً، ولكن كل هذا لم يكن من أجل الله بل من أجل الناس. حشد كبير بالمنزل. أولسوفيف وآل مامونوف. لعبنا ومرحنا ولم أشعر بالخزي. بعدها وصل ينجول الطيب ضيق الأفق. نمت في وقت متأخر.

٢٩ إبريل.

استيقظت في وقت متأخر. قررت ألا أراجع ما أكتبه في المستقبل، بل أكتب مرة واحدة. الأمر ممكن، ولكن سيتحتم عليّ أن أطور أساليب لم أستخدمها قبلاً؛ أقصد تحديداً أن أفكر في الأطروحات التي أقدمها بمزيد من الوضوح ثم أنشرها على مدار العمل.

حاولت أن أكتب بهذه الطريقة في مقالاتي عن الفن، لكنني لم أستطع وتعثرت ثانية. بعد الإفطار جاء فيلدمان... هراء! بعدها ذهبت لبيريوكوف ولم أجده، وذهبت لزافاليشين^(٣٣٥). إنه يبلغ من العمر ٨٥

(٣٣٥) كاتب وأحد أعضاء حركة الديسمبريين الثورية القديمة ومؤلف كتاب "مذكرات ديسمبيري".

عامًا ومُقعد. لاحت عليه حالة الوداعة التي نجدها حتمًا في الشيوخ، ولكن بدرجة طفيفة. بعد الغداء جاء بوبوف وبروكوف ودونايف وإيفاكين وتولينوف وبيريوكوف. بيريوكوف يتحلى بطيبة رائعة حاضرة. بوبوف مريض القلب. إنه مستعد للموت ومن الواضح اقترابه من الله. أما البقية فلا أبالي بهم. أشعر بالملل.

مكتوب في كتاب تعاليم الرسل الاثني عشر: «وَبَخَّ البعض وصلَّ من أجل الآخرين، والبعض عليك أن تحبهم أكثر من نفسك». أما أنا فأظن أن الأمر يجب أن يكون هكذا: ساعد البعض بشفقة، وصلَّ من أجل الآخرين ووبخهم، والبعض عليك أن تحبهم أكثر من ذاتك. الناس جميعًا، وكل إنسان بمفرده، يعيش في البداية حياة حيوانية حيث يكون في حاجة للعون، ثم يحيا حياة العالم من أجل مجد الناس حيث لا بد وأن يُوبَّخ، ثم يحيا حياة إلهية حيث يستحيل ألا تحبه أكثر مما تحب نفسك. يتبين كذلك من هذا الجانب أن حياة الإنسان هي تنفيذ إرادة من أرسله وستتحقق عندما يعيش الإنسان في طهر يُمكنه من مد يد العون للآخرين وعندما يعيش باتضاع يحرره من العمل من أجل مجد الناس، ويصنع الخير للناس الذي يقوده للحب. نمت في الثانية عشرة.

٣٠ إبريل.

استيقظت في الثامنة. لم أكتب شيئًا، واكتفيت بتصفح ما كتبه بالأمس. ذهبت لمراقبة الجنود. إنهم يخدعون أولئك الملتحقين بالخدمة العسكرية في الخريف. أجبروهم على أداء القسم العسكري أمام العلم، بينما أنشد الكهنة والمرتلون تريلاتهم وهم يرتدون حلة

القداس حاملين الأيقونات، والطبول تُقرع والفرقة الموسيقية تعزف. في طريق عودتي سمعت صف ضابط يقول: «ممنوع!». يا لها من كلمة مريعة! فهي غير متعلقة بكلمة الله بل بوحشية غير معقولة وإجراءات عبثية عسكرية. لديّ هنا سبع نقاط متعلقة بالاتهام ضد الحكومة:

الكنيسة وخرافاتنا الخاضعة وما تبده عليها.

الجيش وما يرتبط به من فحش وقسوة وتبديد.

العقاب والفساد والقسوة والعدوى.

ملكية أراضي ضخمة والكراهية التي يكنها الفقراء بالضرورة.

المصانع وقتل الحياة.

السُّكْر.

الدعارة.

عندما اقتربت من القوات اقترب مني الكهنة بأيقوناتهم. ابتعدت عنهم حتى لا يتوجب عليّ أن أرفع قبعتي تحية لهم. شعرت بالخزي من ابتعادي، لكنني خجلت من العودة والاقتراب منهم. عدتُ للمنزل. قرأت ودونت هذا. قررت أن أكتب أطروحات مقالتي عن الفن؛ أي أن أكتب ملخصاً لها. قرأت مقالة الروفيسور كوفاليفسكي. اعتراف المادية فيها مترابط تماماً، فما يحدث بشكل معين في البيئة يستدعي رد فعل، ويفرز رد الفعل هذا أعضاء، وبدورهم يفرزون مشاعر، والمشاعر تترك آثاراً، وتحشد هذه الآثار معاً فتنج عقلاً وإرادة وروحاً. كل هذا رائع وسليم تماماً، ولكن بيت القصيد أن كل هذا غير ضروري. لست

في حاجة لأعرف كيف تشكلت روحي، لكنها موجودة وفاعلة. ولكن كيف تعمل؟ هذا ما أنا في حاجة لأعرفه، فالأمر لا يقتصر على أن نظرية منشئها لا تجيب على هذا السؤال، بل إنها أيضاً تتجنبه. ذهبت لبيريوكوفايا. إنها امرأة طيبة. تحدثتُ مع ماشا عن أن تجربتها جيدة (يقصد موضوع زواجها). إنها تعرف الآن مدى رسوخ إيمانها. بعد الغداء استغرقت في القراءة، ثم وصل دولنر من أكاديمية الفنون، وهو أحد معارف تشير تكوف. إنه يؤمن بالمسيح وحسب. ذهبت لأجلب الخبز، ومن هناك وبينما أمر على حقل ديفيتش وقعت على مشهد مرعب: عامل مصنع فارع القامة يرتدي ثياباً نظيفة يطالب امرأة بئسة أن تسلم نفسها له كما وعدته أو تعيد إليه نصف الأربعين كوبيكاً التي أخذتها منه وهي ثملة. أعطته ٢٠ كوبيكاً وأرادت أن ترحل، أما هو فقال أمام الجمع متباهياً أنها إن لم تعد إليه الأربعين روبلاً كاملة، فإنه سيأخذها في ليلة ويفرك جسدها حتى ينتهي أمرها، وتعالق القهقهات. كان يدفعها بحقد لتمارس معه البغاء، ثم أخذها إلى الضابط مطالباً إياها بتنفيذ وعدها. تبعتهما ولم أستطع التحمل، فتدخلت وأعطيته العشرين روبلاً وقلت له أنه قد نسي الله وقانونه. تغير موقف الحشد المجتمع وساندوني. إنه متزوج وقال ذلك دون أدنى شعور بالخجل. يا إلهي! متى ستفتح أعينهم؟ يستحيل ألا يكون هذا ضرورياً. وصل راخمانوف وتحدث معي على نحو جيد. شربت الشاي مع آل راتشينسكي ومامونوف الذين يبدوون بين الناس كما تبدو الزهور الصناعية وسط الزهور الطبيعية. استلقت في وقت متأخر واستمنيت.

١ مايو.

أشعر بالدناءة والنفور. لم أستطع فعل شيء. قرأت في كتاب بولندي أرسل إليّ، وهو يدين الحضارة والعلم على عجزهما على تحقيق السعادة للناس. حاولت أن أكتب بلا جدوى. الساعة الآن الثالثة. سأذهب إلى بوبوف. عرج عليّ سيريوجا ليودعني. أمر محزن أنني بعيد عنه. لا بد وأن أوبخه وأصلي من أجله. سامحني!

ذهبت لبوبوف ولم أجده فقلت إنني سوف سأذهب إليه غداً. أخذت أتزده. شعب مجنون! جاء إيليا إلى المنزل. ذهبت لأودع بيريوكوبا وإيليا. وجدت بيريوكوبا. وجدتني أمام سيدة شابة ترتدي زياً روسياً تقليدياً وقبعة على طراز رامبرانت. تحدثت معها ومع أخيها بأفضل ما أستطيع. تأخرت على إيليا. رحل هو وماشنا. جاءت جولوخفاستوفا المملة، ونمت في وقت متأخر.

٢ مايو.

استيقظت في السادسة، واستعددت للرحلة^(٣٣٦) بسرعة وسرور، لكنني لم أكن في حالة ذهنية جيدة. أتى بوبوف في العاشرة واستقلينا عربة حتى بوابات المدينة. سرنا حتى سيروف، ثم أربعة فرس حتى بودولسك، وقضينا الليلة هناك. شربنا شايًا في الطريق. كان الزوج يشرب والزوجة تعمل وفتاة في الثامنة من العمر تغسل الأرضيات وتلف السجائر مقابل روبل في الأسبوع. دفعوا أربعين كوبيكًا مقابل

(٣٣٦) يقصد السير على الأقدام من موسكو حتى ياسنايا بوليانا بصحبة بوبوف.

كأسًا واحدة عندما كنت هناك. كان السير مع بوبوف سهلاً وبيعث
السرور بداخلي.

٣ مايو.

في الطريق من بودولسك. نمت نومًا سيئًا. أشعر بالضعف، لكننا
نسير جيدًا. دونت يومياتي وأنا عند الخياط. سرنا حتى ليسى جوري
(الجمال العارية) وعرفنا أن ثلاثة فرست ما زالت تبقى حتى ضيعة
زولوتاريف. سرنا بمحاذاة الماء. استقبلونا استقبالا جيدًا ونمنا نومًا
رائعًا.

٤ مايو.

في الطريق. وصل زولوتاريف. إنه ذكي وهادئ وصالح يسير في
طريق الخير. رحلنا من عنده في الحادية عشرة، وسرنا حتى الثانية.
عرجنا بصعوبة على سيربوخوف.

توقفنا عند بعض الفلاحات، وكان هناك ثلاثة فلاحين يجلسون
بمعزل عن الجميع. قضينا ليلتنا عند الفلاح يفريم، وهو فلاح ساذج بدأ
يدمن الشُّرب.

٥ مايو.

في الطريق. مررنا بقرية بوجوتشاروفو. بلاء السُّكر في كل مكان
نمر به. قرأت «أول من صنع الخمر» (مسرحة لتولستوي). أرادت
امرأة من فورونيج أن تشتري الكتاب مني كوسيلة لعلاج زوجها
الثلمل. البرودة قارصة. نكاد نتجمد، حتى إني بدأت أشعر بالخوف.

استرحنا أمام مركز الشرطة دون أن ندخل، ثم استرحنا داخل أحد النُّزل. وجدت أبا مع بناته. أعطيتهم بعض الكتب. ذهبنا لنقضي ليلتنا في بوجوروديتسك على بعد ٣٤ فرسًا من تولا. وجدنا هناك حشدًا من الناس: جندي عجوز وآخر شاب، ونساء وحدادين شباب. تحدثت معهم عن الحرب وفهموا كلامي. نمت نومًا جيدًا. سواصل المسير.

٦ مايو.

في الطريق. سرْتُ بحيوية دون توقف لسته عشر فرسًا متواصلة. تغديت في النُّزل في سيريوكوفكا حيث أخذت أحنهم هناك على التوقف عن الشرب بجدية. صاحب النزل عجوز طيب وكانت معه امرأته وابنه. موظف الكنيسة، شاب ذكي، كان هناك يقرأ ويشرب، وأعطاني خمسة كويكات ثمنًا لكتابي «حان الوقت لاستجماع شتات أنفسنا». انضم إلينا في مسيرتنا أحد صف الضباط الذي مر بأيام مرير. وصلنا لتولا. عرجنا على سفيريف (قريب لتولستوي). إنه خجول بعض الشيء لكنه طيب القلب تمامًا. ذهبت لرايفسكي، والتقيت بشباب من أكاديمية الفنون. أعتقد أنهم صالحون. جاءني خطاب من أحد الدارسين بالمدرسة الدينية. دار حديث مُخزٍ مع أحد الطلبة عند آل رايفسكي. بدأت الحديث قائلًا أن الأمر كله بسبب عدم الصلاة وعدم التفكير في إرادة الله. نعم... لا بد للجميع من الصلاة. كما كان يقول شيوخنا، إن الأمر لا يقتصر فقط على الصلاة الشفهية بل بالتفكير في الله وإرادته. عرجت على باستوخوفا^(٣٣٧) ووجدتهم يشربون. ثم ذهبت لسفيريف

(٣٣٧) أستاذ أكاديمية الفنون انتوى أن يتركها ويعمل بالقرية.

دافيدوف وتحدثت كثيرًا. لا أمل منه من فرط ثرثرته مثل الديك البري! مع ذلك فهو طيب جدًا جدًا. نمت مبكرًا، لكن نومي كان سيئًا.

٧ مايو (تولا - ياسنايا بوليانا).

استيقظت في الساعة. دَوَّنت يوميّاتي، وسأشرب الشاي. ودَّعت أصحاب النُّزل ومضينا في الثامنة. بالإضافة إلى دولنير وباستوخوفا جاءت أيضًا خطيبة بوتكيفيتش: ليزافيتا فيليبوفا، وأحد اليهود، وهو إنسان واقعي طيب ولكن بلا فائدة. دولنير شديد الجدية والذكاء. سرنا وتحدثنا حتى شعرت بالإنهاك. سأجهز السماور بالمنزل ثم أتغدى. التقيت أيضًا بعزيزي بولجين. كان يرتدي قلنسوة وجوارب يد وحذاء طويل الرقبة ممتطيًا جواده. لم أعرفه من الوهلة الأولى. كثرة هؤلاء الملتحقين بالجندية تثير فيّ الهلع. جاءني خطاب محزن من كاهن خوتوش يطلب مألًا من أجل جورافوف يعتقد أنه في حاجة إليه. يا للأسف! الساعة الآن الثامنة. سأنام سريعًا.

ما إن حاولت النوم، حتى أثار دوناييف ضجيجًا. إنه طيب القلب ومعاफी الجسد. نمنا مبكرًا.

٨ مايو.

في الساعة رتبت الغرفة. حاولت الكتابة في مقالتي عن الفن بلا جدوى. نمت بالنهار. إنها نفس الحالة التي كانت تملكني عند أوريوسوف. تغديت ثم ذهبت بالمساء لمزرعة خاتونكا (١٦ كيلو مترًا من ياسنايا). لكنني لم أجد بولييجين. عدتُ ووجدته في ياسنايا. تحدثت معه وشربنا الشاي معًا وانتظرنا دوناييف وبوبوف حتى يعودا من تولا.

عادة في وق متأخر، وغفوت حوالي ساعتين.

شعرت بألم شديد في الكبد يوم أمس، بينما كنت أسخن الموقد.

٩ مايو.

استيقظت في وقت متأخر. جاءت صوفيا فومينشنا. إنها مجنونة تمامًا. حاولت الكتابة مجددًا بلا جدوى، فغفوت ثانية. كتبت خطابات سيئة لتشير تكوف وأوزميدوف وصوفيا، وأريد أن أذهب لمكتب بريد يسينكا. الساعة الآن السادسة.

ذهبت بصحبة دونايف في يسينكا. أنا ضعيف للغاية. وصلت بصعوبة. ودّعت دونايف ونمت.

١٠ مايو.

استيقظت في وقت متأخر. هذا ضعف مني. بدأت الكتابة عن الفن، ولكن بلا جدوى. ذهبت للغابة وفي يدي دفتر الكتابة. حاولت أن أكتب فرضيات المقالة الرئيسية، لكنني لم أستطع التعبير عنها بوضوح. في الصباح تحدث نيكولا ميخايلوفيتش عن تلك السيدة التي وصلت إلى هنا، وتبين أنها لافرينتيفا التي كتبت لها في سان بطرسبرج. بعد الغداء ذهبت معها. إنها امرأة مثقفة حساسة. إنها تعالج الداء بالداء^(٣٣٨) وتُعلم وتوزع الكتب. تريد العيش في ياسنايا. ثم ذهبت إلى القرية مع آل بوبوف، وتمت هناك لقاءات مريحة جدًا. جلست بصحبة بيتر وإيجنات وبافل وسيميون. قطع أشجار البلوط عمل سبى. لا أعرف ما العمل.

(٣٣٨) طريقة لعلاج المريض بأن يتلقى جرعات مخفضة من عقار ينتج أعراض المرض نفسه.

تحدثت في الغابة مع العجوز ميرونوفا. فكرت على نحو سيئ.

١١ مايو.

استيقظت في وقت متأخر، وجلست لأكتب في مقالتي عن الفن. لم أكن أعرف هل سأستطيع أم لا ثم وصلت ماريا إلكسندروفنا، ثم جواد كُسرت قدمه. على الغداء وصل الناسخ يسينيتسكي. قضيت اليوم كله برخاوة وكسل. خرجت على متن جوادي لأودع ماريا إلكسندروفنا والتقيت بفلاحين سكارى في الطريق. جلبت ماريا ألكسندروفنا خطابات اليهودي دروجينين معها. خطابات جيدة.

١٢ مايو.

استيقظت في وقت متأخر. جاء روديفون يشتكي من آل سيميون. ذهب بوبوف لبوليجينا. حكّت لي ماريا إلكسندروفنا بإمتاع عن كيف عانى أليخين مني لأنني لا أتصرف كما يتوجب على شخصية عامة أن تتصرف.

نمت وأفرطت في شرب اللبن الرائب. ذهبت لكوزلوفكا دون هدف معين. جاءني خطاب من ليسكوف (الكاتب الروسي الشهير) ومن بوبوف. لا بد أن أجيب عليهما. وصل بوبوف في وقت متأخر. سأنام في العاشرة.

١٣ مايو.

استيقظت في الرابعة، واستعديت، وودعت بوبوف، وذهبت حتى محطة كوزلوفكا حيث انتظرت هناك قرابة ساعة. كان من الممكن أن

تكون رحلتي جيدة لولا إلحاح هذه السيدة اليهودية التي تعرفت عليّ، وحاولت فعل كل شيء معي. في النهاية اضطررت للانخراط في حديث مع صهرها، وهو تاجر، وكان الحديث عن ضرر المال ولا جدواه. لا بأس. سرْتُ في حر النهار الشديد وشعرت بالإنهاك. وصلت (٣٣٩) ووجدت عزيزتي ماشا تهرع للقائي، وهي دائماً ما تكون مستعدة للقيام بأمر لطيف لي، وكذلك سونيا (زوجة إيليا)، وهي أم رائعة حقاً. إيليا أقرب إليها كثيراً كرجل. إنه يغرق نفسه في التفاهات، ثم يعيش حياة مرفهة في افتقاد كامل للحياة الروحية. إنه طيب، لكنه شديد الضعف. أكلت وغفوت وشربت الشاي. سرت في الغابة، وها أنا أدون يومياتي. الساعة الآن السادسة. في المساء جلست، ثم نمت مبكراً. لست بخير.

١٤ مايو (بروتاسوف وياسنايا بوليانا).

استيقظت مبكراً جداً. سرت في الغابة. دَوَّنت أفكاراً عن إيليوشا^(٣٤٠). كنت أريد أن أصلي من أجله وأكشف له عن أخطاء طريقه، وحاولت اقتناص فرصة طوال اليوم، لكنني لم أجد واحدة. حاولت التلميح، لكن الأمر كان صعباً. بيت القصيد هو أنه لا يريد أن يصغي ولن يصغي. ما زلت أقرأ كتاب أوسبينسكي. أن يقوم المرء بعمله هي الفكرة المعقولة في الكتاب، أما بقية الأفكار فسيئة بدرجة لا تصدق. ثم قرأت قصتي: «بِمَ يعيش الناس؟» لأطفال قرية سيدوروفكو وسط المروج. كان هذا أفضل ما في اليوم. تحركت في السادسة.

(٣٣٩) سار تولستوي ما يقرب من عشرين كيلو مترًا في جو شديد الحرارة.

(٣٤٠) في أحد دفاتره كتب تولستوي اتهامات ضد إيليا وصوفيا عن أنهما يحيان حياة مترفة: خدم وحياد وعربات وكلاب... إلخ.

حاولت التحدث مع عزيزي. بيت القصيد أنه ليس سعيدًا بتاتا. كما يشعر العنكبوت أنها ستمطر فور أن يشعر بالرطوبة، فكذلك أدرك مما أراه الآن كم سيكون تعيسا بعد عشرين عامًا من الآن. عرفتني ابنة كاهن داخل العربة في طريق العودة وحكت لي عن مصنع مالتسوف المقام على مبدأ المشاركة، وعن مصنع بيسوتشني الذي ينوي التحول لنفس النموذج. ماشا تُقدّر بالكثير؛ إنها جادة وذكية وطيبة. الناس يوبخونها على أنها لا تحظى بأي عواطف استثنائية، ولكن هذا تحديدًا ما يكشف عن حبها الحقيقي. إنها تحب الجميع وتجعل الجميع يحبونها، ليس بنفس القدر، ولكن أكثر حتى من الناس الذين يحبون أسرهم بطريقة استثنائية. وصلنا في الثانية عشرة بعد سفر طويل.

١٥ مايو.

كان نومي سيئًا. استيقظت ورثبت غرقتي وأفطرت وأريد الآن أن أكتب. كتبت عن الفن. إنها حلقة مفرغة. تمشيت.

علمني يا إلهي. كيف يمكنني المساعدة وأنا نفسي في حالة سيئة؟ ساعدني أو سرّ معي في طريقي. بعد الغداء، رتبت أغراضي وعرجت على كوزلوفكا. قرأت الإنجيل على نحو رائع وسط حلقة من الفلاحين. أشعر بالكآبة في المنزل. ماشا اللطيفة وحدها من تشع بالحياة.

١٦ مايو.

استمنيت. استيقظت في الثامنة. أخذت أدور في حلقات مفرغة أيضًا فيما يتعلق بالكتابة في مقالي عن الفن. لا بد وأن الموضوع شديد الأهمية والغموض في الآن ذاته.

قرأت مقالة بول جان (فيلسوف فرنسي) عن لاميني (فيلسوف فرنسي). فيها الكثير من المواضع الجيدة. «كيف نتيقن من معارفنا؟ يقول دائماً: بالعقل. ولكن لكل عقله. لا بد من قوة مؤثرة مثل: الوحي أو التحقق بواسطة معجزة». يا له من هراء! يا لها من سفسطة! إنه يفترض من الأساس أنه يتوجب أن تكون لدينا حقيقة يوافق عليها الجميع، ولكن أي حقيقة تلك التي حظت بقبول الناس جميعاً؟ ليس الأمر بسبب أن ما من حقيقة، ولكن لأن الجميع ليسوا متفقين عليها. حتى الحقيقة التي يدعمها الوحي أو قوة المعجزات لا تتمتع بقبول من الجميع؛ بل بالعكس: إنها تستدعي اختلافاً أكبر. لدينا معجزة أمام معجزة، ووحي أمام آخر، وكل ينكر الآخر. ليست لدينا حقيقة اتفق عليها الجميع، ولكن هناك حركة مستمرة من قبلي ومن قبل الجميع صوب تلك الحقيقة، وهي الأمر الذي نتفق فيه جميعاً، ولا يمكننا إلا أن نتفق. الجميع يؤمنون بتلك الحقيقة ويسيرون صوبها. هناك دائماً اتفاق في الحركة صوب الحقيقة. الخلاف يكمن فقط في توهم وجود تلك الحقيقة الثابتة. بعد الغداء. كنت سعيداً جداً على الغداء أمام ما وجدته من طاعة وامثال، وذهبت للتمشي في الغابة وأخذت أفكر في مقالتي عن الفن. عرجت على القرية لكنني لم أستطع أن أقبل على العمل. جاءني خطاب من بوشا. كنت أفكر في مقالتي عن الفن وأقول إنه يتوجب عليّ أن أحدد مجمل نشاط البشر الروحي، وكذلك مجمل نشاط العلم. نمت في وقت متأخر.

١٧ مايو.

استيقظت مبكرًا. أعدت قراءة وتصحيح سوناتا كرويتزر. لم أخرج، والساعة الآن الخامسة. أردت أن أخرج على متن الجواد بعد الغداء بصحبة تانيا، لكن العاصفة الرعدية حالت دون تحقيق ذلك. وصل أناتولي بوتكيفيتش مع عروسه، وتحدثت معه على نحو حسن. نمت في وقت متأخر.

جاءني خطاب من مجلة هاربر من أمريكا ومن إيفانوف.

١٨ مايو.

استيقظت في وقت متأخر. جوربونوف هنا. كنت سعيدًا برؤياه. واصلت الكتابة في سوناتا كرويتزر عن الطهارة. لا بأس بها. أتاني فلاحون من كوزلوفكا ببعض الكتيبات. كانوا سكارى رغم أن الساعة لم تتجاوز الثانية ظهرًا. ذهبت مشيًا إلى كوزلوفكا مع جوربونوف. إنه مستعد تمامًا للاتفاق مع غيره. إن قلبه ما زال شابًا. الأجواء كثيفة في المنزل، وجميعهم يُظهرون انحطاطًا أخلاقيًا عظيمًا. أشعر بالإنهاك مع وعيي بوجودي في الجانب الخطأ. ذهبت لفراشي في وقت متأخر.

١٩ مايو.

استيقظت متأخرًا في التاسعة تقريبًا. لم أنم طوال الليل من ألم معدتي، لذا أشعر بالخمول ولم أستطع الكتابة. تحدثت مع جوربونوف مصادفة عن الموقف الحقيقي من الملكية للدولة والكنيسة. كان من الطبيعي أن يُعلموا أن المسيح -حتى طبقًا لإنجيل لوقا- علّمنا أن نتخلى

عن الملكية. فالكنيسة والدولة والملكية كلها أمور نحتاج إلى القضاء عليها من أجلها في حد ذاتها، وليس بهدف القضاء على شيء آخر. الإنسان الذي يتخلص من الملكية في داخله لن يكون في حاجة لأن يعطي شيئاً، بل سيكون في حاجة فقط للعيش دون أن يعترف بالملكية. بالتأكيد أحتاج أن أقول ذلك لنفسى قبل الآخرين، لكن يجب قوله أيضاً للآخرين. حينها سيكون من المستحيل إعطاء شيء، وسيكون كذلك من المستحيل منع الناس عن أخذ ما يريدون، وسيتوجب على المرء حينها أن يسأل الناس ما يحتاجه، لا أن يشتريه.

غفوت، ثم ذهبت إلى كوزلوفكا. جاءني خطابات تافهة. واحد منها من بوبوف السيريري، وهو خطاب سيئ ضعيف. في المساء خرجت مع جوربونوف والبنات في يسينكا. أنهكت بشدة. بدأ الضعف يصيبني فيما يتعلق بخدمة الله. ساعدني يا أبي! تمشيت مع ماشا، وتحدثت بصلافة وسرور. ما زال لديّ صديق يمكنني أن أشكو إليه. نمت قليلاً، وفي وقت متأخر.

٢٠ مايو.

استيقظت مبكراً. جاءني خطاب طيب من ليوفا ومن تشيرتكوف. نويت العمل، لكنني لم أستطع. بالأمس تحدثت عن الفن وشعرت بالتوهج ثانية. خرجت مع جوربونوف وحدثته عن الفن، ودوّنت يومياتي، ويبدو أن شيئاً قد اتضح لي. أشعر بالضعف الشديد بداخلي. قرأت لوليام إدوارد ليسكي (مؤرخ إيرلندي) عن التطور الجمالي للفن. نعم، من أجل أن يحظى الفن بالاحترام لا بد وأن ينتج خيراً. وكى

يعرف الإنسان الخير، لا بد وأن يحظى بنظرة للعالم؛ بإيمان. الخير هو دلالة الفن الحقيقي. سمات الفن بشكل عام هو أن يقول شيئاً ما جديداً واضحاً ومخلصاً. إن سمة الفن أن يقدم لنا خيراً جديداً صافياً ومخلصاً. ودّعت جوربونوف، ونمت مبكراً.

٢١ مايو.

استيقظت في السادسة وخرجت لأتنزه. بعد شرب القهوة كتبت قليلاً في سوناتا كرويتزر. سأتناول إفطاري. قرأت موعظة في جريدة أمريكية عن زيادة معاناة الأبرياء. غير صحيح... إننا نمر بصنوف معيبة من المعاناة، والعلاقة واضحة، لكننا لا نراها.

وصل الشاب موتوفيلوف من قاعة المحاضرات. إنه شاب مثقف وذكي، لكنه شديد الطيش. تمشيت عند حاجز الأشجار، ودونت أفكاراً عن الفن وسوناتا كرويتزر. حالة معدتي سيئة. أشعر بتهديد الألم ولست في حالة معنوية جيدة. في المساء تمشيت بمفردي. وصل إيليا. أشعر بالضيق منه. نمت في وقت متأخر، ونهضت في قلب الليل بسبب ألم معدتي.

٢٢ مايو.

استيقظت في السابعة منهكاً جداً. حاولت الكتابة ولكن بلا جدوى. استلقيت وشعرت برغبة في النوم مجدداً. أقرأ عن طائفة المرتجفين. جاءني خطاب من ستراخوف، وآخر من أمريكا. أجبت عن السؤال المطروح في الخطاب بفظاظة بعض الشيء وكان السؤال: هل الله كيان مُشخّص أم لا؟ بالأمس كتبت خطاباً لإيفانوف. اليوم قمت بالتدريس للأطفال.

سافرت أسرتي لتولا. تحدث إيليا على الغداء بهزل شديد. إنها سمة سيئة. ذهبت لكوزلوفكا. ما زالت حالتي الصحية سيئة. في المساء تمشيت مع ماشا كوزمينسكايا في القرية. تحدثت عن بوشا وعن نفسي. زرت أسرة ريزونوف (فلاح من ياسنايا). وصل فلاح من يسينكا يطلب شراء غابة. نمت في وقت متأخر.

٢٣ مايو.

يوم أمس كان كئيبيًا جدًّا؛ فقد أخذت صوفيا تشكو من شؤون ضيعاتنا. لقد انهمكت تلك البائسة في شراء المزيد والمزيد من الضيعات دون سبب واضح، وهي لا تعرف ماذا تفعل بها. استيقظت في وقت متأخر جدًّا، وخرجت لأقطع بعض الأشجار لفلاح من يسينيتسكي. بعث في الأمر السرور. عدتُ وغفوت ولم أكتب أو أفعل شيئًا. الساعة الآن الخامسة. بعد الغداء ذهبت لتولا على متن جوادي. دافيدوف مضطرب. إنه طائش جدًّا ومتكبر. وجدت لديه رايفسكي وبارانوف وآخرين. ما الهدف من حياة هؤلاء الناس؟ حياتهم وموتهم سواء، وكذلك هو الأمر لي في كثير من الأحيان. نمت في وقت متأخر للغاية.

٢٤ مايو.

لم أنم تقريبًا طوال الليل من سوء حالتي. نهضت مبكرًا، لكنني لم أخرج ولم أكتب. ليست لديّ رغبة لفعل شيء. وصلت ليزا (شقيقة صوفيا) وإلكسندر وإلكسندروفيتش. لا بد وأن أذكر دائمًا: حسنًا أن يُهان المرء والأفضل أن يكون مفيدًا للآخرين، والأمران يتآلفان مع بعضهما

البعض. إني أوبخهم لأجل خيرهم، وبهذا أتعرض للإهانة وأكون مفيداً في ذات الوقت.

استغرقت في قراءة في مجلة *World Advance Thought*. لدينا خُطب كثيرة، لكننا في حاجة للفعل فقط. لا بد وأن ننفذ تعاليم المسيح، وأن ننكر الكنيسة والدولة والملكية. شعرت برغبة في الكتابة، وما زلت. لسنا في حاجة لمجالس للسلام، بل نحن في حاجة لعصيان كل جندي. استلقيت وقرأت، وبعد الغداء تنزهت مع بيرس وإلكسندر إلكسندروفيتش. يمكنني التحدث معه. لا يمكنه أن يسمو فوق حياته الشخصية البدائية. نمت مبكراً. صحتي ليست بخير تماماً.

٢٥ مايو.

استيقظت مبكراً. عدم تحديد كمية الطعام التي يجب أن يتناولها المرء تضر به. أعتقد أنني في حاجة لكوبين شاي وحسب. حلمت أنهم قد جندوني بالجيش، وأني أطعت أوامر ارتداء الزي العسكري والنوبات العسكرية... إلخ، لكنني أشعر الآن أنهم سيطالبونني بأداء القسم العسكري وأني سأرفض، وهنا أعتقد أنني سأرفض التدريب العسكري برمته. لقد تبع ذلك صراع داخلي؛ صراع يكون للضمير فيه الصوت الأعلى.

أشعر أنني لن أعيش طويلاً، لكنني أقول إني ما زلت في حاجة لفترة طويلة من العمر. صحتي ليست بخير، وليست لدي طاقة عقلية كافية. ساعدني يا إلهي! هراء! عليّ فقط أن أخدم الله بكل ما تبقى لي من قوة وحسب. في هذا تكمن القوة كلها.

كتبت بضعة صفحات في دفتر صغير. على الأقل لم أفسد ما كتبت
ويمكنني المواصلة. لم أكن جيدًا مع ليزا. وصل المعلم مينشوف وأخذ
يغازلها. اخدم الله بكل ما لديك من قوة. الساعة الآن الخامسة. استغرقت
فترة الصباح كلها في قراءة مجلة: *Revue des deux mondes*.

وصل إيفانتسوف ومعه ابنه. لعبت معهم. لست بخير على الإطلاق.
مينشوف ليس جنتلمانًا، ومن فرط خجلي تعاملت معه بطريقة سيئة.
جاءت تانيا. لم يكن عليّ أن أكون ضد الجميع حتى ميشا إيسلافين.
نمت في وقت متأخر.

٢٦ مايو.

أيقظني الألم ليلاً. لم يكن قويًا للغاية لكن ثقيلًا. ظللت مريضًا
طوال النهار. وصل دانيتشكو. قرأت تفسيرًا للإصحاح السادس من
سفر رؤيا يوحنا. لا بأس به. الأختام الستة هي ست مراحل من تكوين
رؤية للعالم، والختم السابع هو العالم نفسه. قرأت في *Revue des deux mondes*.
جاءني خطاب من إيفانوف. أشعر بالضيق. كي أكتسب قوة
لا بد من تطور ذهني وروحي. الساعة الآن الخامسة. تحسنت حالتي.

وصلت تولستايا من عد آل كوزمينسكي. تغدت. صوفيا مضطربة.
تحسنت قدرتي على التحمل. في المساء تحدثت كثيرًا عن الطهارة.
قرأت مخطوطة أرسلها لي تشيرتكوف وأبولوف بعنوان «كيف يتوجب
علينا أن نعيش؟». رائعة. نمت في وقت متأخر.

٢٧ مايو.

استيقظت مبكرًا. ما زلت أشعر بالألم أسفل معدتي. قرأت في مجلة «الفكر الروسي» والمجلة الإنجليزية *Pall Mall Budget*. مختلف أنواع الهراء! أخبرني سيميون ريزينوف حكمة رائعة عن عدم القسم والشرب: «كلما ضعف المرء، صار أكثر رخاوة من المياه. أما من يزداد قوة، فتفوق صلابته الحجر». كلا الحالتين تبعثان الهلع والتشجيع في الآن ذاته في النفس. تغديت. الساعة الآن الثامنة. لست بخير. أتألم. كنت سأكتب شيئًا جيدًا، لكنني نسيت. في المساء كانت تولستايا مملة جدًا، لكنني تحدثت بصورة جيدة عن الطُهر. نمت في وقت متأخر.

٢٨ مايو.

ساعات حالي الصحية. تمشيت في الصباح. قرأت عن جون بتول ريختر. إن نقاء أخلاقياته وأفلاطونيته مذهشة. مقولاته كذلك رائعة. إنه يمثل أفضل أنواع الكُتَّاب. إنه يعادل جوته المغرور. حكاية جيدة عن أب قام بتربية أبنائه تحت الأرض. كان عليهم أن يموتوا حتى يخرجوا من تحت الأرض، ورغبوا في الموت بضراوة. لا بد وأن أكمل القصة عندما أنتهي من قراءة جان بول. اليوم عيد العنصرة. معدتي تؤلمني، وليس لدي سوى القليل من الأفكار. أقرأ وأتحدث. نمت في الثانية عشرة.

٢٩ مايو.

استيقظت مبكرًا. تمشيت. جاءني خطاب من بوشا، وخطاب من صوفيا. كل شيء بخير، وكذلك أموري مع ماشا. الساعة الآن الثانية

عشرة. حالي الصحة سيئة. تمشيت في الغابة والتقيت بتانيا وماشا كوزمينسكي. في الصباح تحدثت مع تولستايا عن الإيمان. قد يبدو ما أقوله غريباً، لكن في الحقيقة يستحيل أن أقول شيئاً آخر سوى أن الإيمان الأرثوذكسي الروسي اليوناني هو واحد من أكثر الخرافات والهرطقات ضرراً. بينما كنت أتمشى في الغابة طاردت أرنبا برياً جريحاً بلا رحمة، وفهمت كيف يتحول السُّدَج إلى قتلة. إنهم يفكرون في أمر آخر ويقتلون دون صراع، لكن علينا أن نفيق لأنفسنا. كم هي قصة جميلة يمكن أن يكتبها المرء عن قاتل يمتنع عن قتل امرأة لا تدافع عن نفسها^(٣٤١)! أنا بحاجة للكتابة عن الكثير، لكن القوة غائبة. ما زلت أفكر. لقد وُهبنا الحياة كما وُهبَت المرضعة طفلاً كي تعتني به. إنه مثل عظيم عن المواهب. وكما يمكن للمرضعة أن تستفيد من الطفل وتبأه به، يمكنها كذلك أن تخجل وتكشف له عما هو غير نظيف وغير أنيق وعما يبعث التعب في المرء، مع أن من الصحي له ومن أجل نموه لا بد وأن يتسخ قليلاً ويُنْهَكَ. إنها تريد أن تظهر بسببه في أفضل صورة وأن تتبأه به وتستفيد منه، متناسية أنه ليس في حاجة إلا إلى ما يساعد على نموه. عندما لا تريد، أو لا تُعجب بهذا الوضع أو ذاك، اسأل نفسك: أيعوق هذا الوضع نمو الحياة أم يدعمه؟

٣٠ مايو.

مساء الأمس مرضت، واكتفتني كآبة لا تُقاوم. نمت في وقت متأخر. وصل (أ) بيرس وإيليوشا. نهضت في الثامنة، ولم أدوّن شيئاً.

(٣٤١) راجع مشهد قتل ماريا سيميونوفنا في نوفيلا «السند المزيف لتولستوي» من ترجمتي.

لست بخير صحياً. ذهبت لكوزلوفكا وفكرت كثيراً فيما يتعلق بإيليا الذي شغل نفسه ثانية بالبناء^(٣٤٢). أولئك مَنْ لا تتأجج فيهم الحياة مشغولون دائماً وطوال الوقت بمفردات الحياة، لكن الحياة نفسها غائبة عنهم. إنهم مشغولون بالغذاء والنوم والدراسة والراحة والإنجاب والتربية. إنهم يفتقدون لشيء واحد؛ ألا وهو الحياة نفسها والعمل على نموها. نعم، إن عملنا يشبه عمل الممرضات؛ ألا وهو رعاية ما عُهد به إلينا: إنها حياتنا. إنهم يتحدثون بالهراء عندما يقولون إن الأنانية تُنمّي حياة المرء. إن أردت أن تعهد حياتك بالنمو فاخدم الله. «تُحِبُّ الرَّبَّ إِلَهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ، وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ، وَمِنْ كُلِّ قُدْرَتِكَ، وَمِنْ كُلِّ فِكْرِكَ، وَقَرِيبِكَ مِثْلَ نَفْسِكَ». عندما تعرف خير قريبك ولا ترى نفعاً لأحد لأن خيرك الشخصي يملأ الصورة تماماً ويتوجب عليك الاختيار، فلا بد وأنت ستختار خيرك أنت لأن نفع القريب أمر مشكوك فيه دائماً، أما خير حياتك الشخصية فلا يخضع للشك أبداً. ونظراً لأن صنوف المعاناة تبدو لك غير مفهومة ولا هدف منها وشائنة، كما أنها لا تكتسب أي معنى إلا خارج ظروف حياتنا المرئية، فإنك ستصبح على قناعة كاملة بلا جدواها، لكن عدم الشك في خير الحياة الشخصية يكشف لنا عن أن حياتنا لا تقتصر على ما هو مرئي لنا. يبدو لي أن ذلك هو ما يجعلنا نقبل بهذه الأنانية المريعة التي لا تُقهر والتي تتألف منها حياتنا. لا يمكنني إلا أن أحب نفسي، ولكن حتى لا أعاني من حبي لنفسي، لا بد وأن أجد في نفسي ما يكون جديراً بهذا الحب فعلاً؛ إنه الله. أليس من أجل ذلك

(٣٤٢) كان تولستوي يبني بيتاً آخر في مزرعة بروتاسوفو.

قيل لنا: «تُحِبُّ الرَّبَّ إِلَهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ، وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ، وَمِنْ كُلِّ قُدْرَتِكَ، وَمِنْ كُلِّ فِكْرِكَ، وَقَرِيبِكَ مِثْلَ نَفْسِكَ». إنهم يقولون عن ذلك: أنانية، ويقولون عن خير الناس: «مذهب المنفعة»، وكلاهما مخطئ. في الآن ذاته كلاهما حقيقي، وأحدهما يثبت الآخر. الإنسان لا يجد داخل نفسه سوى فكرة تنمية الحياة. أما بخارجه فلا يجد سوى فكرة إقامة ملكوت الله على الأرض. كل منهما تقترن حتمًا بالأخرى. والناس يوهبون بحسب قوتهم أن يسترشدوا إما بهذا أو ذاك، فمن لم يصل إلى الوعي بنمو الحياة بداخله يسترشد بفكرة البحث عن خير الناس. الأمر سيان إن رسمت شكلًا بالخط الأسود أو الأبيض، فالخطوط العريضة للشكل تظل كما هي في الحالتين.

القول بأن الإنسان الذي لا يُنَمِّي حياته ليست لديه حياة ليست استعارة أو قولًا مجازيًا، فهو ليست لديه حياة حقًا كما هو الأمر مع الشجرة التي تُخَفِّضُ جذرها القديم ولا ينمو واحدٌ جديدٌ لها، وكما هو الأمر مع حيوان يتفسخ جسده لكن بقاياه لا تتحول غذاءً لأحد. إن نظام الحياة الجسدية كله وما يتعلق به من غذاء ونمو وإنجاب في علاقته بالحياة الحقيقية التي تنمو هو في الحقيقة عملية هدم مستمرة.

كان الإفطار عند موقع لعب الكروكيت. إنه الانحلال نفسه والترف والخمول على مرأى من الفقراء والمعوزين الكادحين. أشعر بالألم الشديد مع أنني في أعماق روحي بحالة جيدة وأشعر بأني أنمو وأكن محبة للجميع. تحدثت كثيرًا عن التنويم المغناطيسي. أخذت أتجول حتى موعد الغداء دون أن تراودني أفكار بعينها. تغديت وشعرت بكل

جسدي يؤلمني. الساعة الآن التاسعة. وصل سترخوف. إنه بخير، لكنني أشعر بالضيق بسبب سوء التي الصحية. لم أنم طويلاً من مرضي.

٣١ مايو.

استيقظت مبكراً، وذهبت لكوزلوفكا. لم أستطع التفكير في شيء. إن فكرت فثمة فكرة واحدة: لا بد وأن أعلم أن أنمي حياتي وأتعهد لها بالبرية، وهذا يتم عن طريق التفكير في خير الآخرين ورغباتهم. كي أعلم ذلك لا بد من أن أبدأه مع إنسان أو اثنين لا ما عدد ضخم من الناس. فالحشود والاضطراب تحرم المرء من إمكانية تعلم العيش. كنت أحاول أن أعيش بهذا الشكل، لكنني لم أنجح. أنا شديد العبوس من ألم الكبد. نفسي معذبة وأشعر بالشفقة عليها. إنني آمل في إحداث تغييرات خارجية عندما أعرف أنني في أنسب الظروف الملائمة لنمو الحياة بداخلي.

جلب لي سترخوف «شبكة الإيمان»^(٣٤٣)، وحدثني ثانية عن جوتيفريد أرنولد (لاهوتي ألماني). إنه يرى جانباً من الحقيقة في تاريخ الهرطقات الكنسية. لم أستطع التحدث مع إيليا. كان لا بد وأن أكتب. قبالة المساء تحسنت حالتي قليلاً. استمنيت.

١ يونيو.

استيقظت مبكراً، وذهبت لأتحدث مع فاسيلي ياكوفليفيتش عن الضيعة وعلمت طالبة ماشا صلاة «أبانا...». قرأت في كتاب «شعب

(٣٤٣) كتاب للفيلسوف الديني التشيكي بتر تشيليكو، وهو من مفكري القرن الخامس عشر، وركزت أعماله على نقد الفجور والعنف من الكنيسة والدولة.

إسرائيل^(٣٤٤). الساعة الآن الثانية عشرة. سأتناول إفطاري وأحاول أن أفكر في الآخرين. حكيت لستراخوف عن مقالتي عن الفن. لا بد وأن أكتب.

كتبت خطابين لبوشا وتشيرتكوف، وتمشيت مع ستراخوف. بعد الغداء ذهبت إلى المحطة على متن الجياد. واصلتني بعض الخطابات التافهة. نفسي مليئة بالحزن وعدم الرضى والرغبة في الهروب، بينما يتوجب عليّ أن أرغب في الاستمرار حتى أصل إلى الانتصار والبهجة. سأناضل ثانية بالحب وحسب. شعور مريع بالعجلة وأحاديث طائشة. تحدثت في المساء عن فكرة الحياة الوحيدة ألا وهي النمو. لا... ليست النمو، لكنها تعهد الطفل بالرعاية اللازمة. الاستعداد للحياة دون الحياة نفسها يعني أن تهتم المرضعة بنفسها لا بالطفل. نمت في وقت متأخر.

٢ يونيو.

استيقظت في وقت متأخر. تمشيت في الغابة وأخذت أفكر... اعتاد الناس وهم يقومون بشيء من أجل الآخرين أن يفكروا في أنفسهم فقط. تقول مثلاً لطفل: ائمني بالقبعة. حاجتك إلى القبعة لا تهتم في شيء، لكنه يجلبها لك، وهذا يعني أنه يخدمك، وهو أمر حسن، فيسألك: أين هي؟ أهى في الصالة؟ أجلبها لك هنا؟ ويمكنك أن تلاحظ أنه في قيامه بعملك يصنع عملاً لنفسه بطريقة ما. أما البالغون فيمكنهم إخفاء ذلك بصورة أفضل، ومع ذلك يمكن ملاحظة ذلك أيضاً فيهم. أنت تقرأ هذه الآية: «تُحِبُّ الرَّبَّ إِلَهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ، وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ، وَمِنْ كُلِّ فِكْرِكَ»،

(٣٤٤) كتاب للمؤرخ الفرنسي إرنست رينان.

وتندهش منها ومن فكرة ارتباطها بالله، ولا تجد معنى لها، وتقول لنفسك: من المستحيل أن يحب المرء الله أو الجلال، ولكن بيت القصيد هنا أن معنى هذه العبارة لا يمكن إدراكه إلا لذلك الذي اكتشف الله في نفسه وفهمه بفهم نفسه، وما زال يشعر بالحبل السري الذي يربطه به. إن الكلمات لا تحمل معنى مفهومًا لأولئك الذين فصلوا أنفسهم عن الله وشوهوا صورته في نفوسهم. لا يجب تبديد الوقت في الجدل مع الماديين وأولئك الذين يضللون أنفسهم كاملاً. لا بد من أن نشير لهم لخطئهم ونمضي قدماً ودعهم يبقون في الخلف كما يشاؤون. هكذا هو الأمر أيضاً مع مَنْ يسألون عن الطريق. لا بد وأن نشير لهم إلى الطريق، ونسير نحن فيه، ونترك لهم الاختيار بين تصحيح طريقهم أو البقاء في الخلف. غفوت بالمنزل، ثم تناولت الإفطار. مرة أخرى شعرت بمدى عبء حديث صوفيا المريع المجنون، وها قد دونت ذلك.

لم أفعل شيئاً. نمت. يعتريني ضعف شديد بالإضافة لمشكلة الصفراء. أشكر لله أنني لم أخطئ بالكرهية. بعد الغداء تحدثت مع ستر اخوف عن صيغ الإيمان المختلفة وعن الأرثوذكسية. قال: المسيحية موجودة بين الشعب بفضل الكنيسة الأرثوذكسية. أما أنا فقلت: على النقيض من ذلك. إن المسيحية موجودة بين الشعب بمعزل تماماً عن الكنيسة. انظر إلى تأثيرات الكنيسة وستجد ظلمة رهيبية في موسكو أو روما على السواء، أما المنشقون عن الأرثوذكسية والكاثوليكية والبروتستانتية فلم يتلوثوا بعد بتلك الهرطقات: إنهم شعبنا وجماعة

الكويكرز^(٣٤٥) والفرنسيسكانية^(٣٤٦) وغيرهم. هؤلاء هم المسيحيون الحقيقيون والذين ستجدهم في كل مكان وجميعهم متفقون. الهراطقة الحقيقيون هم من يسمون أنفسهم كاثوليكيًا وأرثوذكسًا ويعادون بعضهم البعض ويعادون الجميع.

نمت في وقت متأخر، شاعرًا بالآلام في المعدة.

٣ يونيو.

نهضت في وقت متأخر. رأيت ذلك في حلم:

- أتعترف بأن الحب شعورٌ يبعث السرور في النفس؟

= نعم.

- أتعترف بأن هناك ظروفًا قد تزيد من قدره أو تقلل منه؟

= ما تأثير العناية بالذات على إمكانية الحب؟

- يقلل منه.

- وما تأثير العكس؛ إنكار الذات؟

(٣٤٥) مجموعة من المسيحيين البروتستانت، نشأت في القرن السابع عشر في إنجلترا على يد جورج فوكس، تتركز على اتباع تعاليم يسوع، دون مساعدة خارجية من وسطاء أو شعائر. تعتبر طائفة الكويكرز جزءًا من كنائس السلام التي تتخذ الموعظة على الجبل ليسوع المسيح منبعًا لتعاليمها. وتتميز حياتهم بأنها حياة مشتركة.

(٣٤٦) رهبنة في الكنيسة الكاثوليكية، تأسست على يد القديس فرنسيس الأسيزي. تركز روحانية القديس فرنسيس الأسيزي على الاهتمام بالفقراء والعمل على تنمية وضعهم بتنمية مستدامة، فالأسيزي الذي كان من عائلة إقطاعية ثرية وهب أملاكه للفقراء، متخليًا عن الثراء الشخصي، ليعيش فقيرًا كاليسوع المسيح. كذلك فإن الاهتمام بالبيئة وحركة إصلاح دائمة في الكنيسة، هي من أبرز مقومات الرهبنة الفرنسيسكانية الروحية.

= يزيد من قدره.

دعونا نفعل ذلك إذن. ولكن هل يمكن للعناية بالذات أن تمنحنا سرورًا أكبر من الحب؟ لا بد من التفكير في الأمر. تذكرت عناية صوفيا الخارجية بليوفا وبكافة الأطفال؛ ذلك الشكل الوحيد من العناية الذي يمكنها تفهمه، وشعرت بالحب تجاهها. آه لو كان بإمكان المرء أن يستدعي كافة الصفات الجيدة لإنسان آخر عندما يتعامل معه! الساعة الآن الثانية عشرة. سأقرأ.

بعد الغداء تنزهت مع ستراخوف والبنات. الآن بدأ إنهاكي من ستراخوف يقل وطأة. أشعر بالسرور معه. نمت في وقت متأخر.

٤ يونيو.

استيقظت مبكرًا. كتبت قليلًا في سوناتا كرويتزر، وكتبت خطابًا لليوفا. صحتي بخير تمامًا. تَبَطَّل. لقد تزوج إيسلافين. أنا سعيد من أجل تانيا. ماشا تبعث على الملل. أشعر بالأسف عليها. حذفت ثلاث أو أربع كلمات تستحث فيَّ شعورًا سيئًا. مضيت لأتنزه بالمساء، ونمت في وقت متأخر، وكان نومي سيئًا.

٥ يونيو.

استيقظت مبكرًا وذهبت إلى القرية. لا تراودني رغبة في العمل ونقل السماد. كل ما فعلته أن بدأت العمل فقط في المنزل على سوناتا كرويتزر، لكنني لم أفعل شيئًا تقريبًا وغفوت. الساعة الآن الرابعة. لا يمكننا أن نصل إلى الخير إلا بالدعاة والتواضع. أي إنجاز أخلاقي

سواء كان انتصارًا على شهوة أو غضب أو حب الذات لا يمكننا تحقيقه إلا بنوع من الهدوء الداخلي. نعم، في كافة الغرف الجيدة نجد أن الأبواب تُفتح للدخل. أنا سيئ جدًا. ساعدني يا إلهي!

لم أفعل شيئًا. بعد الغداء خرجت مع سترخوف. في المساء جاءني خطاب من تشيرتكوف وقرأته جهارًا. إنه يشكرني على نيتي لنشر سوناتا كرويتزر مع "الوسيط" للنشر.

٦ يونيو.

جاءني راهب شاب وممثل يستجديان. أعطيتهما بعض المال والكتب. يا لهما من بئسين! ثم جاءني طالب صغير من كييف. قال إنه كان مضطربًا جدًا، وقد أراد العيش وفقًا لقانون المسيح. إنه من نوعية برونفسكي^(٣٤٧). تحدثت معه بصراحة.

بالأمس بينما كنت أفكر في كتابة تصريح، توصلت إلى صياغة للتعامل مع القريب سواء كان أخًا أو أختًا. أيًا كانت هويتك، سواء كنت أخي أو لا، فهذا هو الوضع بيننا، وهذا ما نعرفه وما يمكن أن نعرفه.... إلخ. ليس هناك إنسان أفضل من آخر، مثلما أي بقعة في النهر ليست أعمق أو أنظف من بقعة أخرى فيه. يتدفق الإنسان كالنهر، فهذا الإنسان الذي يتراوح عمره بين ٥٠ و ٦٠ عامًا، وذاك الذي بين ٢٥ و ٣٠ عامًا والثالث الذي بين ٤٠ و ٥٠ عامًا، والذي قد تبقت له أربع أو خمس ساعات من عمره؛ هم جميعًا بمثابة قيم غير قابلة للقياس.

(٣٤٧) طالب آخر من كييف زار تولستوي في ياسنابا في العام السابق.

لا يمكنك القول هذا أفضل أو أسوأ من ذاك. كتبت بالأمس: أنا تعيس لأنني غير طاهر. كيف أحقق الطهارة؟ ساعدني! حتى اليوم حالتي أسوأ. تحدثت مع سترخوف عن أولئك المدعويين: آباء الكنيسة: يوحنا ذهبي الفم^(٣٤٨) - باسيليوس الكبير^(٣٤٩) - أوغسطينوس^(٣٥٠)... إلخ. من الضروري أن نتمكن من التفريق بين الآتي: كيف أن الناس إخوة لنا ويستحقون الحب، وكيف أن أولئك الذين دعوا أنفسهم بأنفسهم خلفاء للمسيح هم أعداؤه وكم هم مضررون ومشينون! لا يجب علينا ألا ننسى ذلك. الساعة الآن الرابعة. سأتمشى حتى موعد الغداء.

التقيت بشاب طيب القلب. تحدثت معه كثيراً، وكان عليّ أن أصبغ حديثي بصورة أفضل لأقدم له ما يحتاجه تحديداً. كان عليّ أن أفعل الآتي:

أفهم أن حياتي بمثابة خدمة، وبالتالي لا أهتم بقواي وبزيادتها أو تقليلها، وأخدم بما لديّ بالفعل من قوة وأياً كانت.

أصلي صلاة "أبانا..." كثيراً؛ حتى ينصرف اهتمامي بالناس وينحصر في الله وحده.

(٣٤٨) كان بطريرك القسطنطينية في القرن الخامس، واشتهر كقديس ولاهوتي. عرف باليونانية بـ «فم الذهب» لفصاحته.

(٣٤٩) الأسقف اليوناني للقيصرية، الموجودة في كبادوكيا، آسيا الصغرى بالقرن الرابع. يُعتبر باسيليوس من أهم علماء اللاهوت.

(٣٥٠) كاتب وفيلسوف من أصل نوميدي-لاتيني، وُلد في طاغاست. يعد أحد أهم الشخصيات المؤثرة في المسيحية الغربية. تعده الكنيستان الكاثوليكية والأنغليكانية قديساً وأحد آباء الكنيسة البارزين وشفيع المسلك الرهباني الأوغسطيني.

(التفاهات) أقل من قدر اهتماماتي بالحياة، فلا يكون لديّ خدم ولا أهتم بالمال، بل أصبح خادماً فعلاً.

بعد الغداء مكثت بالمنزل. وصل بيريلجين (كاتب روسي). لم يعرف النساء حتى الثانية والخمسين من عمره، ثم تزوج أخيراً. لسبب ما هو إنسان مُنْهَك. نمْتُ في وقت متأخر. وصلني مجدداً خطابات من أمريكا. استمنيت.

٧ يونيو.

قرأت في صحيفة "المسيحية الجديدة" (جريدة أمريكية). وجدت فيها أفكاراً رائعة تُحفِّز وتُسر المرء بما هو قريب فعلاً على الأبواب. لا بد وأن أستنسخ وأجمع منها كل ما يذهلني طبقاً لاتجاهين: الاتهامات^(٣٥١) - تأسيس ملكوت الله على الأرض. تحدثت مع سترخوف عن كيف تتحقق وحدة العالم. إن هذا العالم بمثابة هيكل ضخمة يضئ النور مركزه. كل البشر الذين يحبون النور يحاولون الوصول إلى هذا المركز، آتين من مواضع مختلفة، وعندما يصلون جميعاً يتحدثون. لن تتحقق الوحدة إذن إلا عندما يكف الناس عن البحث عنها ويبحثون عن الحقيقة. من الطبيعي أن يحتشد الناس في البقاع المظلمة ويجذبون الآخرين إليهم بهدف الوحدة. ولكن في بقاع أخرى هناك مَنْ يقومون بالأمر ذاته. ابحث عن الحقيقة، وستجد الوحدة. ابحث عن الوحدة، وستبتعد عن الحقيقة.

(٣٥١) راجع الاتهامات المذكورة في يوم ٣٠ إبريل.

لا أستطيع كتابة شيء. خرجت مع سترخوف. هذه الحياة البطالة الفاسدة التي أعيشها تُثقل كاهلي جدًا. وصل ليوفا. إنه ليس رفيقًا سيئًا. يمكن أن يبدو جيدًا جدًا. إنه لا يزال بعيدًا الآن عن ذلك. نمت في وقت متأخر.

٨ يونيو.

استيقظت منهكًا جدًا وكلي رغبة في الوحدة والهدوء. قرأت شيئًا ما. حاولت إعادة تصحيح سوناتا كرويتزر، لكنني لم أفعل شيئًا تقريبًا. الساعة الآن الرابعة. سأخرج.

في المساء أخذت أقطع في الغابة حتى أنهكت. استمنيت.

٩ يونيو.

لا أذكر شيئًا. كتبت قليلًا، وقطعت بعض أشجار الغابة، وأنهكت بشدة.

١٠ يونيو.

جاءني خبر عما كتبه الناقد ^(٣٥٢)Über das Leben. ليس لدي هدف سوى تنفيذ إرادة من أرسلني إلى هذا العالم. ليست لدي أفكار عن الغد. كذلك ليست لدي أفكار بخصوص مصير ما أكتبه أو مستقبل ماشا. هذا حسن. كتبت في سوناتا كرويتزر وقطعت في الغابة وقضيت وقتًا جيدًا مع سترخوف. ذهبت ليفدوكيم فولودكين. أشعر بالأسف على سترخوف. الساعة الآن الخامسة. سأتغدى.

(٣٥٢) بشأن الترجمة الألمانية لكتاب "عن الحياة".

بعد الغداء مضيت لأقطع في الغابة ثم استلقيت. أنا شديد الضعف.
أنا مذنب يشتهي الموت. نمت في وقت متأخر.

١١ يونيو.

استيقظت مبكرًا، وتنزهت بين الغابات. فكرت في الآتي:
يبدو لي أننا نعيش جميعًا في أجواء خانقة. يبدو لنا جميعًا أننا لا
نعيش كما ينبغي لنا أن نعيش، ومع ذلك نواصل الحياة بالنمط ذاته.
المرأة وهي ترتدي ثيابها وتتأنق تؤجج شهوتها بنفسها، وعندما
يتأنق الآخرون فإنها تعايش الشهوة في خيالها، وهذا يعني أن للثياب
الفاخرة سلطانًا على النساء.

لا يتوجب علينا أن نعتقد أن الخير سيتغلب على الشر فورًا. كنت
تضحى بنفسك، بينما يقول هو: ”إنه لا يجرؤ على فعل شيء خلاف
ذلك، فهو يعرف من أنا“. لقد مزقت قلبك وقدمت تضحية باهظة،
بينما هو يختال بنفسه لحقيقة أنه أصبح ضروريًا للغاية، أو أنه كان ذكيًا
وضعيفًا حتى إنه استطاع أن ينال مراده بالحيلة.

جاءني خطاب جيد من بوشا وآخر رائع ومميز من تشيرتكوف
مفاده أنه يشعر بالخجل مني هو وأنينكوبا بسبب رغبتني في الموت.
جاءني خطاب أيضًا من أبولوف. الساعة الآن الرابعة. سأذهب لأقطع
من الغابة.

ذهبت بصحبة ستراخوف إلى كوزلوفكا. نُشرت مقالتي في مجلة
ألمانية معارضة للسُّكر ومناصرة للنظام النباتي. كنت سعيدًا بها.

حصلت على كتاب لويتمان^(٣٥٣)، ووجدت قصائده سخيفة، كما وصلني كتاب لدي كوينسي (كاتب إنجليزي). نمت في وقت متأخر. الحياة تثقل كاهلي بشدة.

١٢ يونيو.

الأمور على حالها. لم أعمل لا يدويًا ولا ذهنيًا. أواصل قراءة دي كوينسي، وتحدثت مع سترخوف.

١٣ يونيو.

صباح تقليدي. جاءني خطاب من خيلكوف بشأن لوبيتش^(٣٥٤)، وسافرت لتولا، لكنني لم أجده. جاءنا دافيدوف ومجموعة كبيرة من الفتيات. جميعهن بليدات، وأنا لا أساعدهن ولا أستطيع فعل ذلك. حكى سترخوف عن أوبرا يوم الأحد لفاجنر: فوتان- فالجالا- فالكيريا- سيجموند- سيجفريد. من المريع سماع هذه الأعمال. إنها تكشف عن حجم الجنون الكامل الذي وصل إليه البعض. لا بد وأن أواصل الكتابة في مقالتي عن الفن. فكرت في الآتي:

أضعف الناس أخلاقياً يعملون بضراوة من فرط حاجتهم؛ أي بسبب تلك الظروف التي يسترشدون بها في حياتهم عقليًا. تلك الظروف تجبرهم على العمل وضبط النفس. إنهم يعملون بكد ويصبحون في ذلك الوضع الذي لا يمكن تحمله إلا من قبل أكثر الناس حكمة. إنهم

(٣٥٣) المقصود كتاب «أوراق العشب» لوالث ويتمان.

(٣٥٤) حكى خيلكوف لتولستوي عن قريبه الطالب لوبيتش الذي رفض الخدمة العسكرية تأثرًا بأفكار تولستوي وتم اعتقاله بسبب ذلك.

يموتون معنوياً ويعانون بسبب حاجتهم بدرجة أسوأ مائة مرة. كنت أفكر في ذلك أثناء نومي مساء اليوم.

كنت أفكر في الإرث وبالتحديد في أولئك الذين يعتقدون أن الإنسان بأكمله محصلة للقوى المادية وأن كل شيء فيه قد انتقل له إرثاً. بالنسبة للحياد والنجاج كل شيء يُورَث؛ كل ما هو مطلوب منهما، وكل ما نقدره فيهما. ولكن بالنسبة لذلك الإنسان الذي يرى ويُقدّر جهوده لإخضاع الجسد، لا يمكن لشيء أن ينتقل بالإرث. قد تكون هذه الجهود قوية أو ضعيفة، وقد يكون الإنسان نفسه قوياً أو ضعيفاً من الناحية الجسدية.

ما العمل لأولئك الذين يشعرون أنهم لا يسيرون في الطريق الحقيقي؟ كان يبدو لي أنني لا أستطيع التحدث عما يجب البحث عنه بكل قوة، وأثناء ذلك كنت أترقب في نفسي أفضل فرصة يمكنني فيها أن أحظى بهذا الانتباه وتلك الطاقة التي أنا في حاجة إليهما، ولكن يحدث أمر آخر تماماً بصورة تلقائية. يخشى الإنسان من خطئه ويعتقد أنه سيهلك وأنه سيتعرض للعقوبة ويتوجه إلى قوى غير مرئية: ”إلوهيم“^(٣٥٥) محاولاً استرضائها، ويطلب منها العفو بتقديم الذبائح لها، ويعتقد أنه بذلك ينال عفوها. يظهر أنبياء ينكرون تلك الأضحيات وهذه النظرة، ويقولون إنه إن كانت ثمة قوة غريبة مرئية، فهي لا تطلب منا سوى أن نسير في الطريق الصحيح. جاء المسيح وتحدث للناس وأشار

(٣٥٥) أحد أسماء الله القديمة التي استخدمها العبرانيون، وهي متعلقة بكلمة إل (إله) السامية مع أنها تعدّ مشتقة من كلمة (الوَه) مع صيغة الجمع.

لهم للطريق ذاته: «أَنَا الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ» (يوحنا ١٤ : ٦). لكن الناس تعلقوا بالنظرة القديمة، حتى إنهم حَرَفُوا تعاليم المسيح والأنبياء لتصبح عن التقديمات، وأصبح المسيح نفسه بمثابة أضحية^(٣٥٦)، وبهذا ظل الناس معتنقين لنفس النظرة القديمة التي تبحث عن العفو. البعض يجدون هذا العفو والتكفير في الأسرار الكنسية، ويقومون بها كنوع من تقديم الأضحيات بالإضافة إلى أضحية المسيح نفسه، وآخرون لا يعترفون إلا بأضحية المسيح نفسه. كلا الفريقين ما زال يعتنق النظرة القديمة ذاتها التي ترى أن هجر الطريق القديم الباحث عن العفو هو خطية. ما هو مزيف في تلك النظرة هو أنك كي تعود إلى الطريق من غير المجدي على الإطلاق أن تعتقد أن شيئاً خارجياً مستقلاً عن معرفتك يمكنه أن يعيدك إليه. وهناك زيف آخر في تلك النظرة؛ ألا وهو أنك عندما تعتبر نفسك طاهرًا؛ آدمَ جديدًا^(٣٥٧)، ستتوقف عن النضال. في الوقت نفسه إن كانت هناك ولادة جديدة و آدم جديد - بحسب تسميتهم - أي إن كان الإنسان يدرك بالإضافة إلى هدف حياته الحيوانية غير المعقولة هدفًا آخر إنسانيًا معقولًا، ستظل الأهداف الحيوانية القديمة حية بداخله، ولذلك فالأمر الرئيس الذي يتوجب على الإنسان القيام به هو النضال وتحمل مشاق حرب ضروس مأكرة. وكي يفعل ذلك فأول ما يحتاجه هو أن يدرك أن هناك كيانيين يتقاتلان بداخله، لذا عليه

(٣٥٦) يقصد ما يراه أغلب المسيحيين الآن من أن المسيح قد تجسد ليُصلب ويُقدَّم نفسه كفارة للآب؛ كي يدفع ثمن عقوبة الخطية التي ارتكبها آدم وحواء.

(٣٥٧) آدم الثاني هو مصطلح استخدمه بولس الرسول في رسائله، وقد اعتمدت الكنيسة تقريبًا على فهم بولس الرسول لعملية الخلاص كاملاً في صياغة فكرتها.

توجيه كافة انتباهه من أجل دعم آدم الجديد في صراعه مع آدم القديم، لا أن يُخدَّر من قواه بفكرة أنه قد أصبح كياناً جديداً تماماً. ولكن مَنْ الذي يساعد في النضال؟ لا أعرف. لا بد وأنه الله الذي بداخلي والذي يجب أن أحبه من كل قلبي ونفسي وفكري. نعم، إنني أتألف من: جسد حيواني، وإنسان عاقل، والله.

عدتُ في السابعة، ولم أكن منهكاً. قضيت مساءً سيئاً مع دافيدوف حتى وقت متأخر.

١٤ يونيو.

استيقظت في وقت متأخر. تمشيت قليلاً. تحدثت على نحو جيد على الإفطار، ودوّنت الكثير في يومياتي. أريد أن أكتب. الساعة الآن الثانية.

لم أكتب شيئاً. تحدثت مع سترخوف. لعبنا اللابتا^(٣٥٨)، وشعرت بالخزي. تحدث سترخوف عن خطة مقالته عن حدود الوعي. إن مقاربات الوعي ما زالت شكلية، فما زلنا في حاجة للاقتراب من محتواه. هذا مجال الأخلاق والحب والفن، وهو لا يزال غير واضح. قرأت انتقادات تيميريازيف^(٣٥٩)، وأصابني الدُعر. في ذلك المجال الذي تم اختياره من قبل الآخرين لموثوقيته، والذي يستند فيه كل شيء على حقائق معينة، تبين أنها حقائق مشكوك فيها، وأن كلا الرأيين

(٣٥٨) لعبة روسية قديمة.

(٣٥٩) كان كليمنت أركاديفيتش تيميريازيف عالم نبات روسياً ومؤيداً رئيساً لنظرية تطور تشارلز داروين في روسيا.

المتعارضين يمكن تأكيدهما.

نمت في وقت متأخر، وكان نومي سيئًا.

١٥ يونيو.

محاولات مجددًا للكتابة بلا جدوى. يبدو أنني سأتوقف عن المحاولة. عرجت على كونستنتين. إنه مستلقٍ، يحاول النوم على الفراش وزوجته فوق الموقد. هنا هو المكان الذي تهلك فيه الحياة، وهنا يتوجب عليّ تقديم يد العون. قرأت مرة أخرى قديمًا في حق سترخوف سولوفوف. ذهبت لأقطع في الغابة. في المساء جاءني خطاب من تجيلتوف وشيجلوف. كان خطاب الأخير سفيهاً وغير طيب ومزعجاً. لم أتمكن من الرد عليه إلا بعد مدة. يرسل لي جيلتوف مخطوطة، ويريد أن يكتب عن رحلته.

أليست المشاعر السيئة التي تراود الطفل صوب أبيه وأمه تعود إلى الازدراء الذي يشعر به صوبهمها بسبب شهواتيهما؟ بشكل ما يشعر الأطفال بهذه الشهوانية. فيروتشكا (فيرا كوزمينسكايا) تُكن الكراهية لوالديها. تقدم لنا المجادلات الدائرة بشأن الداروينية مثلاً مفرعاً على خيلاء العلم والفن، وكذلك هو الأمر مع الفاجنرية (نسبة لفاجنر)، ولكن كبار كهنة العلم والفن لا يمكنهم انتظار الحل، فقد توصلوا إلى أن عامة الشعب لا بد وأن يخدموهم بالفعل. اشترى أحد رجال المسرح ضيعة، والفلاحون الآن يجلسون عند قدميه طالبين العمل. هناك أمران سيئان، وربما هما مرتبطان ببعضهما البعض:

بينما أشعر بثقل الحياة على كاهلي، أتناسى أن قوى الحياة الموجودة يمكن استخدامها لخدمة الله، وأن المرء ليس بإمكانه الذهاب لأي مكان، فما من فراغ... هناك نوع من احتكاك في كل مكان، والحياة تتواجد في مثل هذا الاحتكاك.

الاستسلام للغرائز الحيوانية يؤدي لخسارة المرء، خاصة فيما يتعلق بالطعام.

اليوم كنت أقرأ مقطعاً رائعاً من «الإنسان الضاحك»^(٣٦٠)، وكنت أفكر في الآتي: الرواية تصف كل شيء، وكيف يمنح الأبطال الحياة للآخرين، ولكن كل هذا هراء. لا بد من التحرر من المكان مثل البواب في رواية سيميونوف^(٣٦١)، أو من الطعام حين الشعور بالجوع، وهو الأمر الأصعب بالطبع.

يبدو من كتاباته في هذه الفترة وكأنه قد فهم شيئاً ما. لا بد لي من التفكير الآن، ثم الكتابة بعدها دون تصحيح. كنت أفكر الآن في مقالتي عن الفن وسوناتا كرويتزر وعن الخمر (يقصد مقالاته المناهضة للسُّكر). الساعة الآن الرابعة. سأشرب بعض المياه. راودتني فكرة جيدة لكنني نسيتها.

تذكرت: الأغنياء الذين يعيشون في ترف وتبطل لديهم عدد أكبر من الأطفال عن غيرهم، وبالتالي فإن عدد من يعيشون حياة طفيلية سيزداد. بطبيعة الحال لا يمكن للأمر أن يستمر على هذا المنوال. يبدو أنني أفرطت في تناول طعام الغداء. ذهبت ليسينكا، وتبعثني بناتي.

(٣٦٠) رواية ليفكتور هوجو.

(٣٦١) شخصية من كتاب «حكايات فلاحية»، للكاتب س. ت. سيميونوف.

١٦ يونيو.

مطر! نهضت في حالة صحية سيئة، يزداد سوءها أكثر فأكثر. إسهال شديد. لا أعرف كيف أعيش بقدر ما أستطيع. أقرأ في كتاب دي كوينسي وشيجلوف. كتاب الأخير ممتع. إنه حقيقي تمامًا. جاءني خطاب جيد من تشيرتكوف، وكذلك من جمعية مناهضة السكر من قبل روسانوف. تعاملت بشكل جيد إلى حد ما مع صوفيا. تصالحت معها ومع تانيا. المهم هنا هو أنها بدأت تفهم أنني في حاجة للسلام والحب. نمت في وقت متأخر. لم أنم ليلاً بسبب آلام البطن.

١٧ يونيو.

أنا مريض جدًا ومحموم. قرأت في كتاب شيجلوف. إن كان ثمة خير في الحياة، فيلزم ألا يفسده المرء في شيخوخته. أما إن وهب الله الإنسان أن يفعل خيرًا في هذه المرحلة، فهذا أفضل. تحدثت في الصباح مع ليوفا، وقلت له إنني كنت أفكر فيه وإنه يستحيل على الإنسان أن يخدم الله والمال. إنه جيد لكنه ضعيف. دونت يومياتي في الحادية عشرة. سأنام.

١٨ يونيو.

استيقظت في وقت متأخر بذهن صافٍ. بعد أن تنزهت، كتبت خطابات لتشيرتكوف وبوشا وبونداريف، وقد جاءني من الأخير خطاب عن قاين (قابيل). كتبت أيضًا لأنينكوبا وروسانوف وميدفيدف وجيلتوف الذي وصلني منه خطابات مناهضة للسكر.

كُتبت على نحو جيد حتى موعد الغداء. في الصباح دونت بعض الأفكار عن صلاة «أبانا» وأرسلتها لتشيرتكوف. جاءني خطاب من بوشا. إنه يكتب على نحو جيد. بعد الغداء كُتبت ثانية ونسيت أمر بروكوشكا الكسيح الذي لا بد وأن أقوده إلى هنا.

في الصباح أخذت أفكر أن الحياة قد تختفي إن لم نجد لها دائماً غذاءً. ها هو بروكوشكا بمثابة الغذاء لحياتي. هو وآخرون. صححت ثانية في نسخة «عن الحياة» التي أرسلها لي تشيرتكوف. أشعر بضعف وألم في المعدة شديدين. نمت في وقت متأخر.

١٩ يونيو.

نهضت مبكراً ولم أستطع أن أحظى بنوم جيد. قرأت بعض التفاهات، وأخذت أعمل بالتصحيح حتى موعد الغداء على مخطوطة جيلتوف المناهضة للسكر. إنها جيدة. صحّحت الجزء الأول فقط، أما الثالث فغير مناسب. جاءني أيضاً خطاب من أمريكا عن «عدم المقاومة»^(٣٦٢)، ووجدته رائعاً. الساعة الآن الخامسة. سأتغدى.

حياتنا بأكملها بئسة جائرة. الجميع غارقون في الشر، وبالتالي يعانون من العذاب.

٢٠ يونيو.

استيقظت في السادسة، وذهبت لأحرث الأرض. أنا مسرور جداً. أسرع في العمل كي أعود في موعد الإفطار والغداء، لكنني لم أنج

(٣٦٢) مقالة لأدين بالو (١٨٠٣ - ١٨٩٠): كاتب أمريكي مناهض للعنف.

من الضغينة. آآه يا سيدي... ساعدني على أن أمحو سطرًا واحدًا أحبه، وأن أكشف عن سطر آخر. قرأت في كتاب عدم المقاومة لأدين بالو. أعطيته لليوفا كي يترجمه. ممتاز. نمت مبكرًا.

٢١ يونيو.

استيقظت في السادسة. ذهبت للفلاحة في الثامنة، وعدتُ في العاشرة. حذفت سطرين ونصفًا. وصل الصبية^(٣٦٣) بالأمس في السادسة. إنهم بلا جدوى بشكل مذهل. كيف يمكن مقاومة هذه الخطية؟

في المساء عملت بالفلاحة بسرور. وصل بوتكيفيتش وباستوخوف. بوتكيفيتش ذاهب إلى فاينرمان^(٣٦٤). أما فاينرمان فسيذهب إلى هناك من أليخين. جاءني أيضًا خطاب رائع من خيلكوف. جاءني كذلك خطاب من فيلسون عن أدين بالو. أشعر بالسرور. نمت في الحادية عشرة.

٢٢ يونيو.

استيقظت في السابعة. حرثت البستان الصغير. كتبت خطابًا لويلسون عن بالو، وصححت في مخطوطة جيلتوف. سأذهب للعمل بالفلاحة. أهم شيء ألا أُفسد نفسي بالكراهية. في المساء حرثت المزرعة البعيدة. أنهكت بشدة لأنني كنت أسرع في العمل. نمت في وقت متأخر.

(٣٦٣) أحفاده من أندريه وميخائيل.

(٣٦٤) قرر الرحيل إلى مزرعة عمل جماعي لدى فاينرمان.

٢٣ يونيو.

استيقظت في السابعة. استغرقت اليوم كله في كتابة الخطابات
عدا فترة راحة بالنهار. كتبت خطابًا طويلًا لخيلىكوف، وآخر لماريا
إلكسندروفنا، وثالثًا لجي، ورابعًا لجيلتوف. صحّحت أيضًا في أوراق
جيلتوف. قدماي تؤلمانني. شعرت بالاستياء على الغداء من صوفيا
لإزعاجها لي بشأن الطعام. حمدًا لله أنني اعتذرت لها بعد الغداء
مباشرة. هذا مثال على التفكير النسائي:

أنا: يا لها من مقالات رائعة عن عدم المقاومة!

صوفيا: نعم، لكن كل هذا مجرد كلام. الجميع يعرفون ذلك، ولا
أحد يقوم به لأنه غير مُجَدِّ.

أنا: هذا لأن الناس غير ملهمين به في الحقيقة.

صوفيا: مهما ألهمت الناس به لن ينفذوه.

أنا: ولم لا ينفذونه إن ألهمناهم به مثلما تلهمون الناس بتناول الخبز
والخمر المقدسين؟ في كل الأحوال لن يقوم أحد أبدًا ببصق القربان
المقدس من فمه حتى وإن هددناه بالإعدام.

صوفيا: صحيح، ولكن هذا أمر سهل، والجميع يمكنهم القيام به،
أما الأمر الآخر فليس كذلك.

أنا (بارتبك): وأنا أقول لك إنه بالرغم من أنه أمر سهل، لكنهم لا
يفعلونه. أنت لا تفهميني.

صوفيا: ما الذي تقوله ويحتاج إلى الفهم؟ لقد فهمت بالفعل ما

ستقوله. ستواصل التحدث مرارًا وتكرارًا عن الأمر ذاته.

٢٤ يونيو.

استيقظت مبكرًا. تنزهت ثم أنهيت قراءة مقالة تيميرازيف عن سترخوف. إنه غير محق. كتبت في سوناتا كرويتزر. أحرزت تقدمًا طفيفًا. غفوت. الساعة الآن الثالثة. سأواصل الكتابة.

كتبت. تقدمت قليلًا. بعد الغداء شعرت بالضعف، استلقيت، ثم ذهبت لكوزلوفكا. نمت في وقت متأخر.

٢٥ يونيو.

استيقظت في وقت متأخر. رتبت غرفتي وشربت، ثم خرجت للتنزه في الغابة. هل ينقذ الحقن بفيروس الجدري الإنسان من الإصابة به؟ الأمر غير مؤكد بعد، لكن الأمر ذاته ينطبق على الغوايات؛ فمن الضروري أن يتطعم المرء بهذا الفيروس حتى ينجو من مخاطره. من السهل مواجهة الإغراء الذي يأتي في مرحلة الطفولة عن الإغراء الذي يأتي بعد ذلك. مثال: الترف والخدم والطعام اللذيذ. لا شك أن الأمرين متساويان. سوء التغذية لا يجلب ضررًا أسوأ من ضرر الإفراط في تناول الطعام. وهناك أمر آخر لا شك فيه، ألا وهو أن الإنسان كي يعرف الشر لا بد وأن يختبره؛ أي أن يتعلم لا بالأفكار فقط، ولكن لا بد له أيضًا أن يختبر الشر بالتجربة ويتلمس الجدران التي تحيط بالطريق الحقيقي حتى يسير فيه. تجربة واحدة لا تكفي، ولا بد له من المعرفة. اختبر واعرف. اعرف واختبر.

فكرت في كتابة رواية عن إنسان يبحث طوال حياته عن الحياة
الفاضلة في العلم والأسرة والدير والعمل الشاق وسلوك الدراويش^(٣٦٥)،
ويأتيه الموت في النهاية وهو يشعر بأن حياته فاشلة مدمرة خاوية، ومع
ذلك فهو قديس حقيقي^(٣٦٦).

لا يشعر المرء بالغضب إلا عندما لا يعرف سبب حدوث الشيء
الذي أغضبه. لذا إن عرف السبب لصب غضبه على السبب لا على
النتيجة. لا بد وأن الأمر كما يقول البوذيون أن كل خطية ناتجة عن
الجهل؛ وخاصة الغضب. يغضب الطفل من الأرض التي يصطدم بها،
بينما أشعر أنا بالغضب من إنسان ما لأنه لا يفعل ما يتوافق مع منظوري
الشخصي للعالم، بل يفعل ما يتواءم مع منظوره هو. أليست هي الحماقة
ذاتها؟

الطبيب: هل أنت مريض؟

المريض: نعم.

الطبيب: خذ هذا الدواء إذن!

المريض: ألن أمرض إذن أبداً بعد أن أتناول الدواء؟

الطبيب: لا، إن هذا الدواء يعالجك من هذا المرض فقط.

المريض: أهذا أمر يقيني تماماً؟

(٣٦٥) المصطلح الأصلي معناه: الجنون، لكنه يشير إلى ادعاء البعض الجنون أمام أعين الناس،
والتخلي عن ممتلكاتهم. نجد هذا السلوك في الشرق عند بعض المتصوفين وكذلك عند بعض
الرهبان خاصة في الأزمان الغابرة.
(٣٦٦) بذرة رواية تولستوي البديعة «الأب سيرجيه».

الطبيب: لا يمكننا التيقن كاملاً من شيء، ولكن هناك احتمالية كبيرة لذلك.

المريض: لا فائدة إذن من العلاج.

الطبيب: لن نخسر شيئاً من التجربة.

المريض: بل سأخسر، فهذا الدواء الذي تقترحه، هل كان معترفاً به دائماً من الجميع؟

الطبيب: لا. لم يعترفوا به إلا في الآونة الأخيرة من مدرستنا الطبية الحقيقية.

المريض: كما ترى، طالما في الماضي كانوا يعالجون الناس طبقاً لتعليمات مدرسة مختلفة منفرة (علاج الداء بالداء^(٣٦٧)) وكانوا يعتقدون أن العلاج الذي تقدمه أنت الآن ضار، فهذا يعني إذن أنني أخسر بالاستماع إليك لعدة أسباب: أولاً ربما يكون دواؤك مفيداً وربما لا يكون كذلك. ثانياً: هناك احتمال أيضاً أن يكون ضاراً. بيت القصيد هنا هو أنه ما من شك في أنني إن أطعتك فيقينا سيحدث الآتي: سأخسر وقتاً في الخضوع لعلاجك، وسأعود نفسي على أن دراسة جسدي أمر أسوأ من أي مرض.

كُتبت على نحو جيد إلى حد ما في سوناتا كرويتزر. الأمور تتقدم في الرواية. ذهبنا إلى بولجين. لقد بنى فناءً وسقيفة مع زوجته غير الشرعية. زوجة بولجين لديها طفلان، وهي تثير الشجن عندما تكشف

(٣٦٧) راجع حاشية رقم ٣٤٥.

عن ندمها على ترك زوجها الأول. وبحسب ما قالته، فإن أمورهما لم تكن تسير على ما يرام، فالفلاحون لا يدفعون ما عليهم ويخادعونهم، وما من مال متوفر الآن. يبدو لي أنهم جميعاً، وحتى بولجين نفسه غير ثابتين في الإيمان حتى يجعلوا خيرهم من الناحية النظرية لا يتحقق إلا بتنفيذ إرادة الله. تحدثت معهما على نحو جيد. لا بد من المضي قدماً لكي أقول كل ما أفكر فيه:

إن كانت رغبة في العودة لزوجها، فهذا أمر حسن.

يستحيل خدمة الله والمال، لذا لا ينبغي على الإنسان أن يخشى الفقر (وقد قلت لها ذلك فعلاً).

عدتُ إلى المنزل. كانت أمسية رائعة. سألت نفسي وأنا وحيد في الغابة: هل أرغب في الموت فعلاً، وهل أنا مستعد له الآن؟ أنا أكثر استعداداً عن ذي قبل، فلا أشعر بأدنى درجة من الخوف، ولكن الأمر كما لو أنني لا أستطيع تصور ذلك الانتقال، لذا لست واثقاً من أن الخوف غائب. استمنيت، وأشعر بالنفور.

٢٦ يونيو.

لم أفعل شيئاً في الصباح سوى القراءة. تحدثت مع صوفيا على نحو جيد بخصوص ألا نعيش حياة شريرة. بالنسبة إليها ما من مطالب أخلاقية. حذفت بين ١١ - ١٢ سطرًا. بالأمس قلت لبولجينا: أن تعرف أنك تحمل الصليب بحب، أمر يختلف جوهرياً عن أن تجد نفسك قد حملته رغماً عنك، بينما أنت لم تكن تنتظر ذلك ولا تود فعله من الأساس. الأمر يشبه ما يتعلق بالعمل، فإن اختبرت طواعية ألمًا وضغطاً

في العمل، فهو أمر يختلف عن أن تختبر ذلك الألم والضغط دون أن تعمل ودون أن توافق على ذلك. هكذا الأمر أيضًا مع الحياة ومشاركة كل إنسان في حمل الصليب بلغة الإنجيل. الساعة الآن الرابعة. سأنتزه أو أعمل بمنجلي.

عملت بمنجلي طوال المساء. وصل فاينرمان وتجادلت معه. كان يشعر بالأسف عليّ؛ لأنني لم أتخل عن ضيعاتي، ولم أؤسس طائفة. إنه كثيرًا ما يكون في نفس جانب أليخين، لكنه قليل التدين والورع. نمت مبكرًا.

٢٧ يونيو.

قضيت فترة الصباح كلها في العمل بمنجلي، ربما لست ساعات. تجادلت طوال اليوم مع فاينرمان، لكنني استسلمت بعدها. وصل آل هابجود^(٣٦٨). أنهكت بعض الشيء. الساعة الآن التاسعة.

٢٨ يونيو.

استيقظت في الخامسة. عملت على نحو رائع طوال اليوم. التقيت بفاينرمان. إنه شاب. ليس ثوريًا بالمعنى المباشر، ولكن الفكرة الاشتراكية تخنق كل شيء بداخله. في المساء شعرت بالألم أسفل معدتي، ولم أنم الليل.

٢٩ يونيو.

استيقظت شاعرًا بالمرض، وظللت مستلقيًا على فراشي طوال

(٣٦٨) الكاتبة والمترجمة الأمريكية إيزابيل هابجود التي ترجمت كتابه "عن الحياة"، وزوجها.

اليوم. قرأت مختلف أنواع الهراء. حالتي الروحية معتدلة. أنا مستعد للموت. حلمت بضفدع كبير بحجم إنسان وشعرت بالهلع منه. بدا وأن خوفي هذا كان من الموت، ولكن لا، لقد كان هلعًا صافيًا لا من شيء معين. جاءني خطاب من أنينيكوفا. نمت مبكرًا.

٣٠ يونيو.

استيقظت في الساعة. نمت على نحو أفضل. لقد جهّزت نفسي للعمل بالمنجل وها أنا أبدأ التجول. الساعة الآن الواحدة. هناك شيء ما لا بد وأن أكتبه. نسيت! طوال اليوم كنت أقرأ مختلف أنواع الهراء، وقرأت أيضًا في «التطلع للخلف»^(٣٦٩). عمل رائع لا بد من ترجمته.

١ يوليو.

لم أنم تقريبًا. أشعر بضعف شديد. «التطلع للخلف» ممتازة. هناك عيب وحيد فيها؛ إنها تلك الفكرة الاشتراكية الماركسية التي مفادها أنك إن فعلت أمرًا ما خاطئًا لمدة طويلة جدًا، سوف يُصحح من نفسه. طبقًا لهذه الفكرة يتركز رأس المال في يد عدد قليل من الناس، وفي النهاية سيتركز في يد واحدة فقط، وكذلك سوف تندمج نقابات العمال في نقابة واحدة، وسوف ينفصل رأس المال عن القوة العاملة، وبعدها سيتوحدان من قبل الدولة أو الثورة، وسيكون كل شيء على ما يرام. الفكرة الرئيسة هنا أن حضارتنا لن تنهزم أو تتراجع، فسوف نجد القصور ذاتها ووجبات الغداء الفاخرة والحلوى والخمور وعربات الجياد، والفارق الوحيد أن

(٣٦٩) Looking backward: رواية للأمريكي إدوارد بيلامي.

كل هذا سوف يكون متاحًا للجميع. الأمر الذي لا يُصدّق هنا هو أنهم لا يرون أن هذه فكرة مستحيلة. خذ مثلاً مظاهر الترف الموجود في ياسنايا بوليانا، واجعل الفلاحين يشاركون فيها. مستحيل! لن يكون لها أدنى فائدة. لا بد وأن يتخلى المرء عن الترف. طالما الظلم موجود، فإن قوة رأس المال وعبقرية الاختراع لا يتم توجيهها إلى الاتجاه المطلوب، فحتى يتحقق ذلك، لا بد أن يكون بإمكان الجماهير أن تجرب كل شيء بنفسها. ولكن بيت القصيد هنا هو أن نكون مستعدين للتخلي عن كافة المظاهر المنمقة التي منحتنا حضارتنا إياها، وذلك حتى يمكن ببساطة أن نتخلص من انعدام المساواة الوحشي هذا الذي هو لعنتنا الحقيقية. إن كنت أحب أخي حقًا، فلن أفكر كثيرًا في حرمان نفسي من غرفة استقبال كي أمنحه المأوى إن كان بلا مأوى. ولكننا نقول إننا مستعدون لإيواء أخينا بشرط أن نحفظ بغرفة استقبالنا. علينا أن نقرر من نخدم: الله أم المال؟ لا يمكننا خدمة كليهما. إن اخترنا الله، علينا حينها أن نهجر الترف والحضارة، ونكون مستعدين لإعادة بناء كل شيء غدًا بحيث يكون الجميع متساوين.

٢ يوليو.

تحسنت حالتي قليلًا. رحل آل هابجود. ذهبت للقرية للعمل بالحصاد. لا شيء يجري بصورة جيدة. الجميع يتعاركون. كتبت في سوناتا كرويتزر. لا بأس بها. أنهيتها. عليّ الآن أن أراجعها من البداية. لا بد وأن يصبح حرمانها من الإنجاب مركز العمل. فالحال ينحدر بها في غياب الأطفال حتى السقوط. لا بد وأن أكتب أيضًا عن أنانية الأم.

إن تضحية الأم بنفسها في حد ذاتها ليست جيدة ولا سيئة، إنما هي شيء يشبه العمل. كلاهما لا يكون جيدًا إلا بتوفر التفهم والحب. ولكن العمل من أجل النفس فقط والتضحية بالنفس من أجل الأطفال فقط أمر سيئ. نمت مبكرًا.

٣ يوليو.

استيقظت في الثامنة، وأخذت أعمل بمنجلي حتى الثانية عشرة. أنهكت. أريد أن أنام وآكل.

غفوت قليلًا وعدت للعمل بمنجلي. تغديت وعملت مرة أخرى. الفلاحون طوال الوقت يتجادلون ويتشاجرون. حدثتهم عن خطية الحياة الجنسية مع الزوجة دون حساب. استمعوا لي باهتمام ووافقوني. حكى كورزيك الآتي: سأل إنسان الله: هل من الممكن أن أرتكب الخطيئة مع زوجتي مرة واحدة؟ هل ممكن مرتين؟ أسمح بثلاث مرات؟ دائمًا ما يبدو العدد قليلًا، هكذا أصبح أسوأ من البهائم. دار الحديث أيضًا عن الأضرار التي تسبب فيها الكلاب المسعورة. حكى كورزيك أيضًا: هل لدينا ثلاثة أيام في العام لا تشتمل أعيادًا؟ يقولون: نعم لدينا. أنت مثقف؛ فقل لنا. مات كونستنتين. يمر بيفستيفيتش ويقول: ماذا تظن سيكون مصيرك في العالم الآخر؟ لقد حان الوقت. ستجدونني هناك. ما حاجتهم لي هناك؟

آه لو يعرف مسؤولو كنيستنا الأرثوذكسية أن هذا تعبير حقيقي ودقيق عن إيمان شعبنا الروسي! هذا ما يعتقدونه فعلاً؛ أقصد أن كل شيء سيتهي بالموت. وتقول لي: الكنيسة - الصوم - الإفخارستيا

وإحياء ذكرى سر الإفخارستيا؟ مستحيل!

في المساء بدأت أترجم وأملّي عمل أدين بالو. نمت في وقت متأخر.

٤ يوليو.

استيقظت في السادسة، وبدأت العمل بمنجلي. الساعة الآن الحادية عشرة والنصف وأنا منهك. مساء اليوم وأمس فكرت كثيرًا بوضوح في سوناتا كرويتزر. صوفيا تستنسخها. إنها منزعة، وتحدثت ليلة أمس عن خيبة أمل المرأة الشابة، وعن شهوانية الرجال وعن قلة اهتمام هذه المرأة بالأطفال، وقالت في البداية إنها مختلفة تمامًا عن هذه المرأة. إنها مخطئة لأنها تريد أن تبرر نفسها، ولكن كي تفهم الحقيقة وتعترف بها من الضروري أن تقدم التوبة. إن دراما القصة كلها أصبحت واضحة تمامًا في ذهني الآن، بعد أن ظلت طوال هذا الوقت غامضة. إنه يثير شهوانيتها. لقد منعها الأطباء من الإنجاب. إنها محاطة بوفرة الطعام والثياب وكافة إغراءات الفن، فكيف لا تسقط؟ لا بد وأن يشعر هو نفسه بأنه هو الذي وصل بها إلى هذه الدرجة، وأنه قد قتلها فعلًا من قبل عندما شعر بالكراهية صوبها، وأن كل ما في الأمر أنه كان يبحث عن ذريعة فقط ليقتلها، وكان سعيدًا عندما وجد ذريته.

بالأمس أكد لي الفلاحون أن النساء وحدهن لا الفتيات هن اللاتي يُصبن بالهستيريا. لا بد إذن وأن السبب هو الإفراط في الجنس. تحدثت مع أ.م كوزمينسكي عن المسيحية. قلت إن المسيحيين هم أولئك الذين يتحلون بالوداعة والتواضع وطول الأناة كالْمسيح؛ أي عدم المقاومة. أما

الذين لا يؤمنون بذلك ويؤمنون بالقتل والإعدام والمحاكم، فليس لديهم الحق في أن يسموا أنفسهم مسيحيين. وماذا في الاسم؟ لا، هناك الكثير في الاسم. إنه اسم مزيف يخدع الناس. أخذ إلكسندر ميخايلوفيتش يحاول إثبات أن أولئك المسيحيين الذين لا يعترفون بذلك لديهم الحق في إطلاق تسمية «مسيحيون» على أنفسهم، وأن بفضلهم يحدث نوع من تعديل الأخلاق ويتم طبع الحياة بالمسيحية. كان منزعًا من إمكانية أن تُتنزع منه تلك المؤسسة التي تقوم بتهدة نفسه (يقصد الكنيسة). قلت له إن أكثر الطوائف ضررًا هي تلك التي تنكر بوعي جوهر المسيحية؛ ألا وهي الطائفة الأرثوذكسية. بعدها فكرت في الآتي: إن تعديل الأخلاق وطبع الناس بالطابع المسيحي لا ينتج عن تلك التعاليم نصف المسيحية أو بسبب المسيحية الأرثوذكسية، لكن ذلك يحدث بمعزل عن كل ما سبق تمامًا. إنهم أسوأ الأعداء، أي أنهم هم العائق الرئيس الذي يحول دون تحقيق ملكوت الله على الأرض. إنهم طفيليات على جسد المسيحية الحقيقية. ما إن يظهر شيء ما حقيقي سواء كان علمًا أو فنًا أو إيمانًا وهو الأمر الأهم، حتى يحاربونه. إنهم من تحدث عنهم المسيح ووصفهم بالرياء. إنهم من قال عنهم المسيح إنهم يقيمون النُصُب التذكارية والمقابر للأنبياء وفي الوقت ذاته يضطهدونهم. حاول التحدث عن الكنيسة الأرثوذكسية وستجدهم يقولون لك: وماذا عن قديسينا؟ نعم، كان بالإمكان لمن تسمونهم قديسين أن يكونوا أكثر من ذلك لو لم تكونوا موجودين. إنهم قديسون وأنتم تثيرون اشمئزازهم. أنتم تحاربون الحقيقة لأنكم لا تخدمونها، بل تلوون عنقها كي تخدم أهدافكم.

عملت بمنجلي طوال اليوم. في المساء ذهبت إلى لافرينتيفا
وتحدثت كثيرًا معها. إنها طيبة.

٥ يوليو.

استيقظت في السادسة، وشحنت خمس نقلات من التبن، وعملت
بمنجلي. أُصيب أوسيب من المذرة. يبدو أن الأمر ليس خطيرًا. كنت
على ما يرام. ماشا ليست بخير تمامًا. جاءني خطابات بعثت في نفسي
السرور من جي وتشيرتكوف وبيريوكوف. الساعة الآن الثامنة. أخشى
ألم بطني. صوفيا معذبة للغاية من مرض فانيا، وهي نفسها ليست بخير
وبأسة.

٦ يوليو.

استيقظت مبكرًا جدًا. ذهبت إلى مرج بروديتشي، وعملت هناك
بمنجلي بصحبة فوميتش وأندريه. عدت للمنزل كي أتناول إفطاري.
عملت ثانية بمنجلي. فانيا ما زال مريضًا بالمنزل. ذهبت للنوم أيقظني
إيليا وتريسكين. دار الحديث أثناء الإفطار عن الإنسان الذي يقول شيئًا
ولا يفعله. يا لحجم الفوضى! تقول صوفيا:

البعض يتحدثون ولا يفعلون شيئًا، أما أنا فلا أتحدث ولا أفعل
شيئًا. أنا هكذا أكثر أمانة!

يا للهراء! أتعرفين ماذا يتوجب عليك أن تفعلي؟

نعم.

حسنًا، في هذه الحالة يجدر بك أن تقولي ذلك. على الأقل يجعلك

القول وتحاولين تنفيذ التزاماتك.

أتى سفيريف على الغداء. تجادلت معه حول جمعية مناهضة
السُّكَّر. أنا منهنك جدًّا. كوَّمت التبن.

٧ يوليو.

بالرغم من مدى إنهاكي، لكنني نهضت اليوم في السادسة، وعملت
بمنجلي. الساعة الآن السابعة وأنا أدون يومياتي. حان موعد الإفطار
جاءني خطاب من بوشا. ماشا مريضة. عملت بمنجلي طوال اليوم.
خرجت ماشا للعمل. فيما يتعلق بسوناتا كرويتزر فكرت في الآتي:
الحالات المزاجية المتباينة للزوجة. إنها بمثابة امرأتين.

الموسيقى الذي يغويها يعتبر أن من واجبه أن يفعل ذلك، وبالإضافة
إلى ذلك يقول في نفسه: لن أذهب لماخور حيث يمكن أن أُصاب
بالعدوى.

أنا مذهول ثانية من أنني لا أستطيع تذكر شيء من ذلك المتعلق
برقة بروكوفي^(٣٧٠) وقلت في نفسي: لم يُعط للجميع قدر واحد من
المواهب والذكاء، ولكن تفهم مشاعر الناس سواء لاحت في ابتسامات
أو اكفهرار وجه قد أُعطي للجميع، وبقدر أكبر للأطفال وأولئك من
يتمتعون بذكاء محدود.

(٣٧٠) فلاح من ياسنايا شارك في حديث دار بين تولستوي وأحد الكتاب الفرنسيين، وراق حديثه
لتولستوي كثيرًا.

٨ يوليو.

استيقظت في السادسة وعملت بمنجلي، ثم عدتُ، فوجدت روجين. إنه لطيف جدًا. حكى لي الكثير من الأمور الجيدة. عملنا معًا بالمنجل. ثم وصل أوبوميليك وآل هابجود بصحبة ليوفا. تساورني رغبة شديدة في الكتابة. فكرت في العودة لكتابة مسرحيتي الكوميديّة (يقصد ثمار الحضارة) ويكون أحد الفلاحين فيها فطنًا. الساعة الآن الثامنة. سأشرب الشاي ثم أنام. راودتني أفكار سيئة.

٩ يوليو.

استيقظت في وقت متأخر؛ في السابعة. أزعجني آل هابجود. تحدثت معها (هابجود)، وأعتقد أن هذا بلا فائدة تمامًا سواء لها أو لي. لست في حالة جيدة. بالأمس ترجمت الكثير مع كوزمينسكي. الساعة الآن العاشرة. سير حلون. ودّعت الطبيب. غدًا سيصل سيريوجا. العون يا إلهي! بعد الإفطار كوَّمت التبن مع ماشا وروجين، وأخذنا نشحنه حتى وقت متأخر. أنهكت.

١٠ يوليو.

استمنيت، ونهضت في وقت متأخر. عرجت على القرية. جاء سيريوجا. تعاملت معه جيدًا. نقلت شحنتين من التبن. أردت أن أحرث الأرض، لكن الجو كان شديد الحرارة، وشعرت بالضعف. أعدت قراءة سوناتا كرويتزر وصحّحت فيها على نحو لا بأس به. بالأمس اندلعت المشاجرات بين الفلاحين بسبب الفودكا. ذهبت لأغتسل في المياه، وأريد أن أتمشى. الساعة الآن السابعة.

اغتسلت في مياه البركة. أورو سوف على وصول.

١١ يوليو.

لم أستيقظ مبكرًا بسبب المطر. خرجت في السابعة، ووجدتهم يعملون بالفعل. سلمت روجين، وعملت طول اليوم بمنجلي بكد شديد. أنهيت الحصاد وكنت مسرورًا. جاء دياكوف ومن قبله أورو سوف. ما زال الأخير يقوم بحساباته. لا يمكنه القيام بذلك إلا بمساعدة التبغ. من الواضح أنه ليس في حاجة لشيء سوى لتدريب قواه، لكنه لا يقوم بذلك بشكل سليم. توقفنا كي نتناول الغداء، وعرضت على ستيان بطاطس ومربي، وكان قد أنهى طعامه بالفعل ورشم علامة الصليب. رفض قائلاً إنه أكل ما يكفيهِ فعلاً، وإن عدم تناول الطعام باعتدال هو خطية. آه لو يعرف الجميع ذلك! ذهبت لفراشي في الحادية عشرة.

١٢ يوليو.

استيقظت في الثامنة، ووجدت دياكوف قد رحل. جاءني خطاب من فاينرمان قرأته صوفيا وأثار أعصابها بشدة. إنه يكتب عن صليبي ويتنبأ بالعذاب الذي سوف أعاني منه من الحياة وسط ظروف تُسيء لي إلى هذا الحد، ويقول إنني راغب في القضاء عليها، لكنني متردد. تُسيء لي؟ نعم بالطبع، ولكن ما من تردد في القضاء عليها؛ لأنني أعرف أنها مثل المرض والتقدم في العمر والموت؛ الظروف المحيية لي في الحياة، وأن ما تسيء لي به ليس مؤلماً، لكنها تمثل صليباً تكمن أهميته في عدم فهمه. الصليب يعني شيئاً يتسبب في الضيق والألم، شيئاً ثقيلاً، يُحمل كشيء ضروري يُرسل بشكل حتمي من قبل الله، ولهذا السبب بالذات فهو لا يبعث الضيق وهو غير مؤلم وغير ثقیل، لكن في غيابه

يشعر المرء بالضيق والعناء. الأمر يشبه أن تحمل ثقلًا فوق ظهرك فجأة لا تدرك أهميته، ولنقل يصل وزنه لبود، وهذا عذاب حقيقي، أو أنك تحمل شوالاً يزن بودًا من الدقيق ستطعم به نفسك وأطفالك. الساعة الآن الثانية عشرة. أود أن أحرث الأرض، لكنني بالكاد يمكنني العمل. لم أعمل. لا أذكر كيف قضيت فترة المساء.

١٣ يوليو.

استيقظت في الرابعة. خرجت لأحرث الأرض مع روجين. كان الجو شديد الحرارة، ومع ذلك كان جيدًا جدًا. بعد الغداء عملت بالمنجل، وأنهيت ثلاث شحنات، وأنهيت الحصاد. تناولت طعامًا سيئًا جدًا، وأشعر أنني لست بخير. راودتني أفكار شديدة السوء أثناء النوم.

١٤ يوليو.

استيقظت في التاسعة. وصل رومانوف من أليخين. إنه إنسان مباشر ويبعث السرور في نفس محدثه. جاءني خطاب من جوربونوف يتسم بالغلو الشديد. غضبت من رومانوف بسبب الحديث عن جمعية مناهضة السُّكر ثم طلبت عفوّه. تغدينا معًا بالأعلى. بالأمس تجادل أوريوسوف في كل شيء حتى عن الرياضيات. إن افتقاده إلى الوضوح بسبب الخمر والتدخين مذهل حقًا. الساعة الآن السادسة.

خرجت لأتنزه ولحصد الجاودار. عدتُ للمنزل، فجوبهت بحقن صوفيا على رومانوف بسبب أنه أبدى دهشته وهو في المطبخ من أن ١٢ فردًا يحتاجون لخدمة ١٦ خادمًا، ولم يوافق على ذلك. تحدثت

معه كثيرًا، ولم يكن حديثي بما يرضي الله، ولكن بدافع إرضاء كبرياء بشري... يا للأسف! إنني أتهاوى روحياً بشكل عام في الآونة الأخيرة، ولا بد أن ذلك بسبب العمل.

١٥ يوليو.

نهضت في السابعة، وودّعت ضيوفي، ووصلتهم حتى كوزلوفكا. بالأمس ارتبك روجين اللطيف وهو يقول لي إن يروبكين اشتبه فيه أنه مصاب بالسفلس، وهو الأمر الذي ربما قد حدث بالفعل منذ زمن طويل. اليوم حدثت رومانوف صباحاً عن الملكية والطائفة، وأن بيت القصيد ليس في تأسيس طائفة بل في تنفيذ القانون الذي نعيه جيداً، والذي واحد من أحكامه هو ألا نمتلك شيئاً. إن كنا قد تمسكنا به لما كنا في حاجة لطائفة، بل لاختلف الأمر تماماً. استمع لي بلطف ووداعة. بعد أن عدت كتبت في سوناتا كرويتزر، لكنني كنت شديد الضعف. أود أن أكتب بشدة. من الضروري ألا أجبر نفسي على العمل البدني. قرأت في «المسيحية الجديدة». تحدثت مع أوريوس بشأن ما قاله عن أن قص الشعر في الأديرة^(٣٧١) يدعم صاحبه على الحياة الصالحة. قلت له: «لقد أرشدنا المسيح إلى الطريق، وكان المؤمنون يرون هذا الطريق دائماً أمامهم كخط مستقيم. ما علينا أن نقوم به هو أن نتحرك في هذا الاتجاه المستقيم، لكننا لا نتحرك فيه بل نجتاز هذا الاتجاه ونلتف من حوله كالحلزون. إننا نحيد عن الطريق المستقيم، وهو ما يجبرنا على أن نعاني، وبدلاً من أن نواصل بذل الجهود للاقتراب من الطريق

(٣٧١) فعل طقسي بقص جزء من الشعر بطريقة معينة دلالة على نذر صاحبه لخدمة الله.

المستقيم، نلّفَق الوسائل التي نخفي بها عن أنفسنا حقيقة انحرافنا عن الطريق؛ وسائل مثل: الأُضحيات - الصلوات - الأسرار المقدسة - الإفخارستيا - الإيمان بالفداء، ولكن كل هذا يعد خطية عظيمة؛ لأنه يقضي على فكرة بذل الجهد، وهو الأمر الوحيد الذي نحن في حاجة إليه. لا بد وأن نكافح من البداية، ومن البداية مجددًا، وحينها سنحوز القوة، خاصة من الوعي بأن الشكل الحلزوني الذي نتحرك فيه يُقَرِّبنا دائمًا من الطريق المستقيم وأنه سينصهر فيه لا محالة يومًا ما». الساعة الآن التاسعة. سأشرب الشاي.

اندلع مجددًا ذلك الحوار الأبدي بشأن الضيعة، وأخذ كل منهم يتسبب للآخر في اليأس والقنوط ويلوم بعضهم البعض. حاولت أن أخبرهم أن الحل ليس في آخر أطراف العالم لكنه هنا أمام أعينهم مباشرة، وأن عليهم أن يعملوا من أجل أن يتوصلوا إليه ويجربوه وحينها يطلقون أحكامهم. بدأ ليوفا الجدل. بدأ الأمر بالحديث عن البستان. أخذوا يتجادلون بعناد ووقاحة وقالوا لي: «التحدث معك أمر مستحيل، فأنت تغضب سريعًا»، وما إلى ذلك. تأذيت بشدة من حديثهم. بالطبع بادرت صوفيا بالهجوم عليّ على الفور، وأخذت تمزق قلبي المُعذَّب. كان الأمر مؤلمًا جدًّا. مكثت حتى الساعة الواحدة ثم ذهبت لأنام شاعرًا بالألم الشديد.

١٦ يوليو.

مساء أمس حضر ليوفا ثانية بعد أن عرف أنني لست بحالة جيدة وأراد أن يطلب عفوي، لكنني حدّثته اليوم بلهجة شديدة عن أنه مذب.

من يود التوبة هو ذاك الذي يحب الإذلال ولا يخشاه. أمني قلبي طوال الصباح. ذهبت لأغمر جسدي في الماء. حاولت العمل على سوناتا كرويتزر، ولكن بلا جدوى. لم أستطع النوم كذلك. كيف كان يجب أن أتصرف؟ ليس حسنًا أن أفكر هكذا. لا بد وأن أفكر فقط في الساعة الآتية كي أنفذ إرادة من أرسلني. صليت حتى كشفت لي الصلاة. نعم، فلأعش إلى الأبد دون هدف سوى السير في الاتجاه الذي يشير به إليّ. كم من المدهش هذه الدرجة من عدم الاحترام التي يكشف عنها سلوك الأبناء تجاه والديهم من كافة طبقات المجتمع! أوشك الأمر أن يصبح وباء! إنها سمة مميزة لعصرنا، فالاحترام والطاعة الناجمان عن الخوف قد انتهى أمرهما تمامًا، والآن حان وقت الحرية. وفي الحرية يجب أن تنمو علاقة الحب التي تشتمل على كل ما قدمه الخوف، ولكن دون خوف. بالنسبة لي فهذا يحدث مع ماشا وحدها. أخشى أن أتحدث عن ذلك وأكتب عنه لئلا أجب النحس لماشا؛ أي يخيب أمني فيها. الساعة الآن الثالثة. سأنتزه. تحدثت حديثًا جيدًا وصريحًا مع أورو سوف.

بعد الغداء مكثت بالمنزل، وجاءني خمسة طلبة. تحدثت معهم بدرجة لا تكفي من الجدية. أحدهم انضم لجمعية مناهضة السكر. تمشيت وفكرت في الصلاة وكيف يجب أن أصلي. نمت في وقت متأخر.

١٧ يوليو.

نهضت في الثامنة، وذهبت للعمل بالأرض، وعملت على نحو رائع حتى موعد الغداء (كان إفطارًا لي في الواقع)، ثم جاءني خطاب

من جروت يضم بعض الهراء عن حرية الإرادة بصيغ مختلفة تقول الشيء ذاته. جاءني كذلك خطاب من بوشا ومن اليهودي دوجكين ومن فلاح من سامارا قاطن بأحد دور المجانين. جاءتني برقية من آل تشيرتكوف. لقد ماتت إحدى بناتهم. أود ألا أشعر بالألم من أجلهم لكني لا أستطيع. فكرت في نفسي قائلاً إن المرء لا بد وأن يذكر في لحظة انخفاض حالته المعنوية والحزن والخوف والكآبة أو الغضب على الناس، أن حياته تلتخص في تنفيذ إرادة من أرسله إلى هذه الأرض، وهو أمر لا شك في قدرة المرء على تحقيقه، وذلك لا يمكن أن يحدث إلا بالعودة إلى جوهره الروحي، وهو ليس بإمكانه تحقيق ذلك إلا بالحفاظ على طهارته في حياته الحيوانية، وعلى اتضاعه في حياته الإنسانية وعلى حبه في حياته الإلهية. كي يحفظ طهارته لا بد من الحرمان، وكي يحفظ اتضاعه لا بد له من الإذلال، وكي يحفظ حبه لا بد له من عدااء الناس له: «وَإِنْ أَحْبَبْتُمْ الَّذِينَ يُحِبُّونَكُمْ، فَأَيُّ فَضْلٍ لَكُمْ؟ فَإِنَّ الْخَطَاةَ أَيْضًا يُحِبُّونَ الَّذِينَ يُحِبُّونَهُمْ»^(٣٧٢)، لذا ما تطلق عليه صنوف المعاناة المختلفة، وما تشكو منه أيها الإنسان، وما يبعث فيك القلق، وما يحزنك وما تخشاه... كل هذا ليس إلا نوعاً من الحرمانات أو الآلام أو الإساءات أو الإذلالات أو عدااء من الناس صوبك، وكل هذا ضروري لك كي تحفظ طهارتك واتضاعك وحبك، كي تعود إلى جوهرك الروحي كي تعمل على تحقيق ملكوت الله، من أجل هذه الحياة. لذا فإني لا أحزن، بل عليّ أن أفرح بالحرمانات وصنوف الإذلال

(٣٧٢) لوقا ٦: ٣٢.

والعداء المختلفة. هل يمكن في حقيقة الأمر أن يضع الله الإنسان في وضع مريع كهذا ليتحمل صنوف الحرمان والإذلال والعداء المختلفة دون أي جزاء؟ أمر غير ممكن. هل يستحيل علينا أن نصل إلى إجابة بشأن ما إن كان الجزاء في هذا العالم أم لا؟ إن السؤال قد صيغ بطريقة غير سليمة. لا بد وأن نُصَحَّح أولاً من نظرتنا الخاطئة والتي لم يكن بالإمكان أن نسأل مثل هذا السؤال الخاطيء إلا بسببها. كما لو أننا أمام أناس كسالى يتضورون جوعاً من فرط الخمول ويتساءلون ما إن كانوا سينالون مكافأة في هذا العالم أم لا. لن يُكافأ البشر على ما يجب عليهم أن يفعلوه كي يطعموا أنفسهم، ولكن يجب أن ندرك أن العمل الذي يمنحنا الخبز هو شرط ضروري للحياة الحيوانية. علينا كذلك أن ندرك أن تحمل صنوف المعاناة والإذلال والعداء المختلفة هو بالدرجة ذاتها شرط ضروري للحياة الروحية.

الساعة الآن الثامنة. سأغتسل في مياه البحيرة.

اغتسلت. كتبت خطاباً لتشير تكوف، ونمت مبكراً.

١٨ يوليو.

استيقظت في وقت متأخر. قرأت بعض النصوص عن الفن، وأنهيت ما بدأت قراءته. بدأت أصحح، ثم بدأت العمل على سوناتا كرويتزر، ولم أستطع الاستمرار لا في هذا ولا ذاك. جاءني بعض الخطابات والمقتطفات من إحدى الصحف: «العالم لديه من تولستوي بقدر ما يمكنه أن يستوعب». أشعر بالإطراء. من المخزي أن أستمع لمثل هذه الكلمات. أورو سوف شديد اللطف، ووجوده يجعل من الحياة جميلة.

أرسلت كاترينا^(٣٧٣) تطلب معاونتها في الحصاد. سأذهب للعمل حتى الغداء.

عملت بمنجلي طوال اليوم حتى حان الغداء. أنهكت بشدة. ماشا منهكة للغاية. جاءت إثري.

١٩ يوليو.

نهضت في الثامنة. بعد أن شربت القهوة، كتبت فصلاً عن الأطفال بسوناتا كرويتزر. ليس جيداً، لكنه قوي. شعرت بالضعف حتى أردت النوم. بعد الإفطار ذهبت للعمل بالحصاد عند أوسيب (فلاح من ياسنايا). حصدنا كثيراً. جاء راكضاً متسخاً. جهز الجواد وأطعم الأطفال وأقبل فوراً على العمل. ذهبت لأتغدى، ثم عملت ثانية. أنهكت بشدة. جاءني خطاب من بوشا. نمت في الحادية عشرة.

٢٠ يوليو.

عيد النبي إيليا. أنا سعيد بالراحة. ذهبت لأغتسل في مياه البحيرة. الساعة الآن الحادية عشرة، وقد تحدثت مع تانيا على نحو سيئ، أما هي فلزمت الصمت. ذهبت إلى القرية. رتبت ما يتعلق بإصلاح السد. قرأت في كتاب بونيتير (كاتب فرنسي) «عن التلميذ». خوف مضحك! كما لو أنهم لم يقولوا ما كنت مستعداً لقوله بصورة أفضل مني. لقد أطفؤوني لكنهم أيقظوا قلبي! يبدو أنهم فعلوا ذلك فعلاً! سرت بجانب عمليات الحصاد المعتادة في أرض المرحوم تيت (فلاح بياسنايا)

(٣٧٣) فلاحه من ياسنايا اعتاد تولستوي وابنته ماريا مساعدتها في العمل.

وفكرت بوضوح في فكرة أن جسده في الأرض ولم تعد فيه حياة، وهو الأمر ذاته الذي سيحدث معي بينما أنا هنا أغضب وأختال وأحزن بينما لم يكن عليّ العناية بشيء سوى روحي. في أمريكا يقومون بعمليات الإعدام، ليس على مرأى من العامة، ودون ألم (إعدام بالكهرباء). إن لم يكن الهدف من ذلك هو التسبب في الألم والمعاناة فما الهدف إذن؟ الاستبعاد من الحياة؟ ولكن من الذي يمكنه أن يتخذ قرارًا بشأن من يجب استبعاده من الحياة؟ سأتناول إفطاري.

بعد الإفطار استغرقت في القراءة. تغديت بضيق، ثم مضيت إلى كوزلوفكا. أردت أن أذهب لبولجين، لكنني شعرت بضعف وكآبة رهيبين. استمنيت ليلاً.

٢١ يوليو.

ألم وإسهال وضعف. قرأت في جريدة *Revue des deux mondes*. حاولت الكتابة، ولكن دون جدوى. بعد الغداء قالت لي صوفيا إنها كانت مخلصه لي ووحيدة. قلت لها: «عليك أن تكوني دائماً هادئة ووديدة وحذرة». ولم أستطع قول شيء آخر. أشعر بالندم على ذلك. الساعة الآن الثامنة. في انتظار ستاخوفيتش. وصل ليوفا وشعرت بالضيق في حضوره.

وصل آل ستاخوفيتش. يا للغرابة ويا للضيق!

٢٢ يوليو.

استيقظت في وقت متأخر.

في الصباح دار هذر فارغ عطّلني عن العمل. بعد الإفطار ذهبت للعمل بمنجلي. لقد أتممت الحصاد، ولم يتبقّ سوى حصاد أرض الأعمى (فلاح ضرير يُدعى ريزونوف). تغذيت عند آل كوزمينسكي. كانوا يتناولون طعامهم بنهم شنيع. يا لهم من بائسين! لم أستطع تقديم يد العون لهم. مع ذلك إن كنت سأموت، لكنت قد ساعدتهم حتى بدرجة أقل من الآن. حبست صوفيا بولكا؛ لأنه عض بقية الكلاب، وقد تسبب ذلك في فوضى معقدة للغاية. هل أُطلق سراحه؟ أدّعه محبوبًا؟ هل أقتله؟ أم لا أفعل شيئًا مثلما يقول لاو تسو؟ في المساء نلعب اللابتا وأشعر بالملل.

٢٣ يوليو.

استيقظت في وقت متأخر. حاولت الكتابة صباحًا، لكنهم عطلوني عنها. ذهبت لنقل التبن مع ماشا. بعد الغداء لم نخرج بسبب مجيء صوفيا ستاخوفيتش. إنها ليست في حاجة إليّ كما أنا في الحقيقة، لكنها تريد ذلك المبجل في عينيها الغيتين. شعرت بالضيق. أنا في حالة معنوية سيئة جدًّا. لست في حالة سيئة للغاية، لكنني سأنام. في المساء وصل رايفسكي. استمنيت.

٢٤ يوليو.

استيقظت في التاسعة. استلمت من ستراخوف كتب أرنولد طبعة ١٧٢٠، وهي تمثل التاريخ الحقيقي للكنائس. يا له من عمل أكاديمي عقلي مريع! آه لو يقوم واحد فقط من كل هؤلاء الدارسين بعمل تصنيف لما هو صحيح وحقيقي! ولكن للأسف لا أحد! جاء آل ستاخوفيتش

ثانية وعطلوني عن العمل. بدأت العمل على سوناتا كرويتزر.

قلت في نفسي: إنني أكتب الآن في سوناتا كرويتزر، وحتى في مقالتي عن الفن، وكلاهما عملان سلبيان شريران. أريد أن أكتب شيئاً صالحاً.

في العصور الغابرة لم يكن لدى اليونانيين سوى مثال الجمال، ولكن بإعلان المسيحية مثال الخير أزاحت مثال الجمال، وجعلته شرطاً للخير. أهذا حقيقي؟ أشعر أن في مواجهة هذين المثالين بعضهما ببعض وفي إحلال أحدهما محل الآخر يمكننا أن نجد تاريخ علم الجمال بأكمله، ولكن كيف ذلك؟ هذا ما لا أستطيع التفكير فيه بطريقة سليمة. إن طريقتنا في الحياة بالإضافة إلى مرضي يحولان بيني وبين التفكير. ما العمل؟ ليس عليّ سوى تنمية روحي بالطهر والانتضاع والحب. ليس لديّ لا هذا ولا ذاك ولا الثالث. ساعدني يا إلهي!

غفوت نهاراً. عملت على سوناتا كرويتزر قليلاً. أنهيتها بفضاظة. أدرك الآن كيف يتوجب عليّ أن أعيد ترتيبها كاملاً، وأجلب لها الحب والشفقة. ذهبت لأغتسل في المياه. جاء ستاخوفيتش وأوروسوف ودار حديث طويل تافه في مستوى متدنٍّ من الأفكار. تبطل وضعف وألم شديد في ظهري وقدمي. نمت في الثانية عشرة.

٢٥ يوليو.

نهضت في الثامنة، وذهبت لأغتسل، وأخذت أفكر... في أوقات السقوط الروحي عندما لا تعود تشعر بالحب صوب أعدائك أو حتى صوب من لا يبالون بك، وعندما ينصب اهتمامك كله بنفسك، عليك

ألا تدين الناس، بل دِن نفسك وتُب. هذا أنسب وقت لذلك، فهذه الحالة المزاجية سوف تُؤتي خيرًا. أُحفر حتى أعمق أعماق دناءتك! لقد اختبرت ذلك اليوم، ورأيت قوة أنايتي كاملةً. تشبه هذه الحالة تدفق المياه القذرة من بئر أو نهر أو مستنقع بشكل يبعث على اليأس، ولكن الفائدة الوحيدة في مثل هذه الأوقات هي تنظيف الأعماق مما فيها من وسخ. ما زالت لديَّ رغبة في الارتفاع، لذا قرأت المُدَوَّن في دفترتي، فهو أفضل مما كتبته الآن: «تذكر أن شيئًا ليس بإمكانه أن يعطل مجرى حياتك. حياتك تكمن في الامتثال لما تمليه عليك روحك، وهي بين يديك كاملة». قرأت كذلك: «أنت تعاني، والسبب في ذلك أنك غفوت ونسيت معنى حياتك. إن معناها يكمن في تحقيق ملكوت الله على الأرض (هذا غير حقيقي). إن معنى حياتك في تنفيذ إرادة الله، وإرادة الله هي أن أحفظ كل ما أعطاني إياه؛ أحفظه وأزيده. لا يمكن تحقيق ذلك إلا بالطهارة الناجمة عن صنوف المعاناة، وبالالتضاع والإذلال في أي صراع مع من يكونون لنا عداوة».

هذا هو المقطع كاملاً، ولكن الجديد فيه بالنسبة لي هو أنني فهمت بوضوح أن تحقيق ملكوت الله على الأرض لا يمكن أن يكون هدف حياتي على الأرض، فهذا يشبه إطلاق القذائف من مدفع على العصافير، وأدركت أن الهدف النهائي ضئيل جدًا أمام هذه الوسيلة الضخمة اللا نهائية، وأن الهدف ليس تحقيق ملكوت الله على الأرض، فهي تتحقق كنتيجة لشيء آخر، تمامًا كما يكتسب الإنسان الصحة الروحية، وحتى الجسدية من تنفيذ إرادة الله. لا يمكن تحقيق ملكوت الله على الأرض

إلا بتفقد وزيادة ما أعطانا الله إياه.

الساعة الآن الثانية عشرة. أشعر بضعف شديد.

أقرأ في يوحنا ٦: ٣٨ - ٣٩:

«لَيْسَتْ حَيَاتِي أَنْ أَعْمَلَ مَشِيَّتِي، بَلْ مَشِيَّةَ الَّذِي أُرْسَلَنِي. وَهَذِهِ مَشِيَّةُ الْآبِ الَّذِي أُرْسَلَنِي: أَنْ كُلَّ مَا أَعْطَانِي لَا أُتْلِفُ مِنْهُ شَيْئًا، بَلْ أَزِيدُهُ» (٣٧٤).

هناك موضع رائع في كتاب «المسيحية الجديدة» يتحدث عن أن صنع الرمز هو بمثابة حماية للذات من الطائفية، وأن الرموز التي كانت مضطلة بمهمة التوحيد عملت على التفريق. ما زلت أقرأ في كتاب ألفريد فوليه (فيسوف فرنسي) *Les Transformations futures de l'idée*. ما الذي تنتجه هذه العقول؟ يا لهذه الدناءة الفكرية! يا للبربرية! مقتطفات مشوهة غير مفهومة من الأنجيل، وأحكام وقحة وعرض أحرق بشأن ما أصبح فعلاً واضحاً. الأمر يشبه طفلاً يفكر في علم الهندسة بعد سماعه لبعض العبارات غير المترابطة عن هذا العلم. أمر مريع! آخرون يصيرون أولين (٣٧٥). ما زلنا لا نعرف هويتهم، أما الأولون الذين سيصيرون آخرين فنحن نعرفهم؛ إنهم علماء زماننا هذا. مضيت للقاء ماشا. إنها تتمشى. تمشيت معها حتى موعد الغداء،

(٣٧٤) غَيْرَ تَوَلَسْتُوِي عَنْ عَمْدٍ فِي الْآيَتَيْنِ وَأَشَارَ لِلتَّغْيِيرَاتِ بَيْنَ أَقْوَامٍ. النَّصُّ الْأَصْلِيُّ كَالْآتِي: لَأَنِّي قَدْ نَزَلْتُ مِنَ السَّمَاءِ، لَيْسَ لَأَعْمَلَ مَشِيَّتِي، بَلْ مَشِيَّةَ الَّذِي أُرْسَلَنِي. وَهَذِهِ مَشِيَّةُ الْآبِ الَّذِي أُرْسَلَنِي: أَنْ كُلَّ مَا أَعْطَانِي لَا أُتْلِفُ مِنْهُ شَيْئًا، بَلْ أَقِيمُهُ فِي الْيَوْمِ الْآخِرِ». (٣٧٥) «وَلَكِنْ كَثِيرُونَ أَوَّلُونَ يَكُونُونَ آخِرِينَ، وَآخِرُونَ أَوَّلِينَ» متى ١٩: ٣٠.

وبعد الغداء ذهبت لمساعدة أوسيب وتسفيتكوفي (فلاحان). أشعر
بضعف شديد على المستوى البدني والروحي. أيقظني ستاخوفيتش
لأتناول الغداء وكنت مسرورًا أن أسمع من ماشا أنها تشعر بالخزي.
استلمت خطابًا من تشيرتكوف. مما يبعث السرور أن زوجته تحتل
حزنها بإنسانية. جاءني كذلك خطاب من رومانوف يطلب مني مقتطفًا
عن الزواج، واستلمت خطابًا من بوشا. إني أشعر بالأمر بكل روحي
وأسف على ماشا^(٣٧٦). هل أنا محق؟

٢٦ يوليو.

نهضت في التاسعة. أشعر بالضعف. كنت سأبدأ تصحيح سوناتا
كرويتزر من البداية، لكنني لم أعمل سوى قليل، وبعد الإفطار ذهبت
بصحبة ماشا لتحميل التبن وبقية الحزم، وكنت في حالة رائعة. كنت
أعيش على نحو جيد عندما أضع هدف حياتي نصب عيني. ليست
لدي الآن طاقة فكرية والأمر ليس ضروريًا. أنا في حاجة فقط للطهر
والاتضاع والحب. نمت مبكرًا.

٢٧ يوليو.

نهضت في الثامنة، وذهبت لأغتسل. وفكرت على نحو حسن، في
الآتي على وجه التحديد: من حسن حظ ماشا أن أمها لم تكن تحبها.
الأمر لا يقتصر على أن ماشا ليس لديها الحافز للبحث عن الخير في
الطريق الذي أشرت إليه لها، لكنها أيضًا ضلت طريقها بفعل الحب

(٣٧٦) بسبب تعطل زواجها من بوشا.

والبدء. أحيانًا ما كنت أفكر في أقاربي وأقول يا لحجم غبائهم وابتعادهم عن المسيحية! هل من الممكن أن يعرف المرء ما الفعل الإلهي الذي قام به وكيف وبِمَ؟ مَنْ يُنفِّذُ إرادة الله لا يعرف دائمًا ولا يمكنه أن يدرك من الأساس تلك النتائج المباشرة لفعله. إنه يسلك دائمًا بعينين مغمضتين، وكلما كان أفضل في تنفيذه لإرادة الله، ازداد عماءً. الأمر يشبه تمامًا أفضلية أن يسير الجواد الضربير في دائرة. لا أعرف ماذا سيحدث، لكنني أعرف (أو من) أن كل ما أبدله من جهد من أجل تحقيق إرادة الله لن يضيع أبدًا. كنت أسأل نفسي: وما طبيعة هذا الإيمان؟ إنه إيمان حقًا، لكنه ليس ذلك الإيمان الذي تتحدث عنه الكنيسة الأرثوذكسية، لكنه إيمان يرشد الحياة. إنه نتاج لرؤية الإنسان للعالم. وهناك فارق واضح بين الإيمان وبين رؤية للعالم. رؤية الإنسان للعالم هي ما يعيشه الإنسان ويتصرف وفقًا لها وحسب، لذا فهي تمنح الإنسان تمييزًا بين الخير والشر وتحدد الفاصل بينهما. لذلك يمكن للإنسان أن يحيا وفقًا لرؤية معينة للعالم، لا وفقًا لإيمان ما. إن اعتقد الناس أنهم يعيشون وفقًا لإيمان ما، فأنا متيقن أنهم مخطئون، فهم يعيشون وفقًا لرؤية معينة للعالم. نستنتج من ذلك أنهم لا يستطيعوا أن يعرفوا شيئًا، لكن بإمكانهم أن يجدوا تعريفًا للخير والشر بالاستماع فقط لما يعتقده هذا أو ذاك من الناس.

استبدال الحالة البدوية القديمة التي وجدتها في سامارا بالنظام الزراعي كان الخطوة الأولى في طريق تحقيق الثروة والعنف والترف والانحلال والمعاناة. لا بد لنا من العودة عن وعي إلى بساطة الأذواق

التي كانت موجودة في ذلك الزمان. لا بد لنا من العودة لتلك البراءة الطفولية. فكرة جيدة أن أكتب عن عملية إعادة التوطين في سامارا^(٣٧٧). كتبت قليلاً في سوناتا كرويتزر. ذهبت لجمع الفطر، وعدت في وقت متأخر. بعد الغداء قرأت بعض الصحف. يطالب الاشتراكيون الدولة بالتدخل في حد ساعات العمل ورفع الأجور وما يتعلق بعمل النساء والأطفال؛ أي أنهم يطالبون بامتيازات للطبقة العاملة ووضع قيود على الملكية. إنهم لا يعتقدون أن الدولة ليس بإمكانها منع الناس من بيع أنفسهم. لا بد أن يفهم الناس أنه ليس بالإمكان شراء أو بيع الناس. لذا فالمرء في حاجة للتحرر من تدخل الدولة، وقبل كل شيء يحتاج المرء لتلك الحرية التي ينالها بضبط الذات. لا أحد يتحدث عن ذلك. أورو سوف يتناول كمية مفزعة من الطعام. إنه مثال مريع. نمت في وقت متأخر وعلى نحو سيئ.

٢٨ يوليو.

نهضت في الثامنة، وذهبت لأغتسل. كتبت في سوناتا كرويتزر حتى موعد الإفطار. أشعر الآن بالنعاس، وأود أن أعمل جيداً. مضيت لجمع الفطر. تتابني حالة من السرور الهادئ والسعادة. أشعر فقط أن شيئاً ما بسيطاً مفقوداً. في المساء لعبت الشطرنج مع تانيا. نمت نوماً سيئاً طوال الليل، وراودتني أحلام كثيرة، وفكرت في أحلامي في أن المرء لا بد وأن يتعامل مع الآخرين بمحبة. رأيته في مواقف أخرى في أحلامي لا أتعامل بمحبة، وأحاول أن أصلح نفسي. هذا أمر يبعث على

(٣٧٧) فُكرت تولستوي في هذه الفكرة لمدة طويلة، لكنه لم يتمها.

السرور جدًّا، فهذا يعني أنني واعٍ فعلاً بذلك، وأناي بدأت أُدخِل تلك الأفكار في حياتي فعلاً.

٢٩ يوليو.

ذهبت لأغتسل. كتبت في سوناتا كرويتزر بكد. بعد الغداء مضيت لأعمل بمنجلي بصحبة أوسيب، وذهبت عزيزتي ماشا للعمل هي الأخرى. في المساء لعبت الشطرنج. بشكل عام أنا في حالة معنوية جيدة، وكذلك الأميرة زوجة أوروسوف وصوفيا.

٣٠ يوليو.

استيقظت في وقت متأخر. ذهبت لأغتسل. أنا تقريبًا غير مستعد كفاية للكلمات الأولى من صلاة: «أبانا...»، وأقصد ذلك الجزء تحديدًا: «أبانا الذي في السموات. يتقدس اسمك، كما في السماء كذلك على الأرض» فهذا يكشف عن وعي بأن الحب هو ما له قدسية. ليس عبثًا أن بدأت الصلاة بهذه الطريقة، فهذا هو الشرط الأول للحياة على النمط الإلهي. لا بد للمرء أولاً أن يذكر ويدرك أن الحب وحده هو المقدس، وبعد أن ينغمر في الحب تمامًا يمكنه أن يرغب في تحقيق ملكوت الله على الأرض. بالحب وحده يمكن تحقيق ملكوت الله. الأمر يشبه تمامًا ضرورة شحذ المنجل قبل العمل بالحصاد. كم كانت تجربتي مريرة حتى فهمت ذلك! ملكوت الله لن تأتي أبدًا إن لم نصل إليها بالحب.

فكرت كذلك في أوروسوف... ماذا كان سيحدث معه لو حُرِم من وسائل الحياة؛ لو أُقيِم العدل؟ كان من الممكن أن يهلك بشكل رهيب

هو وكوستينكا وكل من يشبههما. لا بد لهم جميعاً أن يتعلموا العيش لا بتلك الطريقة الطفيلية التي يعيشون بها. بالرغم من أنهم يعيشون حياة طفيلية، لكن الطفيليات كذلك تجد غذاءها. لم يكن بإمكان المسيحيين حينها أن يطعموهم ويرووهم ويمدوهم بالتبغ والخمر. كل شيء كان سيجري وفقاً لأمرين اثنين: القضاء على الإمكانية، والقدرة معاً.

نظر لي ليوفا وقال: «جمع الفطر هو نوع من الصيد أيضاً. على المرء أن يشعر بالشفقة على الفطر مثلما يشعر بالشفقة على الشنابق. الفارق بينهما طفيف». ظلت صامتاً وفكرت في نفسي قائلاً: نعم.. الفارق طفيف، ولكن كما قال بيروولوف بشأن تحسينه لرسوماته بتغييرات طفيفة^(٣٧٨): تغيير طفيف ويتغير كل شيء. الفن يكمن تحديداً في تلك التغييرات الطفيفة. لذا بإمكان المرء أن يقول عن حق إن الحياة الصالحة تبدأ حينما تبدأ تلك التغييرات الطفيفة.

اليوم كان عملي على سوناتا كرويتزر أفضل من أي يوم آخر. ذهبت بعدها للعمل بالحصاد في أرض أوسيب. عملت حتى الخامسة، ثم تغديت، وغفوت. الساعة الآن التاسعة. استيقظت وها أنا أكتب. أيقظتني صوفيا. تحدثت معها رغماً عني. بدأت الشكوك تراودها بشأن سبب ذهاب ماشا لقرية جرومانت ليومين^(٣٧٩). لا بد وأن أخبرها.

٣١ يوليو.

استمنيت. نهضت مبكراً بالرغم من نومي السيئ. أشعر بالضعف.

(٣٧٨) كارل بيروولوف: رسام روسي شهير.

(٣٧٩) ذهبت ماشا إلى هناك لرعاية المرضى، وهو الأمر بالطبع الذي ترفضه صوفيا.

مضيت لأغتسل. في المنزل استغرقت في قراءة الشاعر الإنجليزي
كيتس.

وضعت تعريفاً كاذباً للفن بشكل متقن جداً بدافع من اللهو. على
مائدة الإفطار أخذ ليوفا يتحدث عن أن الأنسة العاملة في القرية تفعل
ذلك بدافع من الكبرياء^(٣٨٠)، وأنها بشكل عام معادية لي. السيئ في
الأمر هو أنه يزداد ضعفاً. يذهب للرقص ويدخن ولا يفعل شيئاً يفيد
أحداً. حزنت وتحدثت مع تانيا، مع الأخذ بعين الاعتبار أنني لا أشعر
بالدهشة أن هذه الأنسة تعيش هكذا، لكنني مندهش من نمط حياتنا
نحن، وكيف يعيش أفراد أسرتي، وأن الناس جميعاً منقسمون بحسب
درجة حساسية ضمير كل منهم، من أكثرهم حساسية إلى ذاك الذي ليس
لديه ضمير مطلقاً. حزنت وغضبت. ثم ذهبت لجمع الفطر. خرجت
طوال اليوم وأمعنت التفكير في الأمر. فكرت على نحو جيد في الآتي
تحديداً: أن تحب وتُثبت أنك تحب وتُجبر على إثبات ذلك للآخرين
وتُجبر الآخر على أن يحبك... كلها أفعال مستحيلة لأنها من أجل
الناس، ولكن كم هو أمر سهل وبسيط أن تقوم بأفعالك من أجل الله! أن
تحبه وتحب فلاناً وعلاناً لوجه الله؛ هذا يعني أنك تريد لهم الخير ولا
تدين بل سرعان ما تمتدحهم. لا تفكر ولا تتحدث عنهم ولا تفعل لهم
شرّاً وتترك العواقب لله وحده. هذا يؤكد على أنك ليس بإمكانك سوى
أن تحب أعداءك؛ أولئك الذين لا تنجذب إليهم أبداً. الحب غير ممكن

(٣٨٠) ربما يقصد رعاية ماشا شقيقته للمرضى بالقرية.

إلا بعرض خدك لأولئك الذي يضربونك^(٣٨١)، لذلك كي تنعم بسعادة الحب لا بد وأن يضربوك.

ولذلك لن تشعر بالعار عندما يضربونك ويدلونك، الأمر الذي كان بإمكانه أن يثير حنقك، لكنك ستجد فيه السرور؛ ستجد فيه تحقيقاً لما كنت تنتظره، وكما أشرت هنا عندما تلتقي بالناس ستجد نفسك تنتظر منهم الإساءات. كما قلت من قبل، ستجد نفسك عندما تتلقى ضربة على إحدى وجنتيك، تشعر بالسعادة وكأنك ربحت ٢٠٠ ألف. كنت أريد ذلك، وتلقيت الضربة فعلاً - وإن لم يكن بالمعنى المباشر - وعندما حدث ذلك لم أستغل الأمر لتنفيذ الوصية، لكنني حزنت واكتأبت وغضبت. إن عرض الخد للطم ليس أمراً نادراً، بل إنه أكثر الأمور التي نتعرض لها. ساعدني يا إلهي!

١ أغسطس.

استيقظت في وقت متأخر. وذهبت لأغتسل. دونت بعض الملاحظات المتعلقة بسوناتا كرويتزر. كنت سأقبل على العمل على مسرحيتي الكوميدية بالمنزل لكنني شعرت بالتقزز والخزي. لست بخير صحياً. أمطار. لم أخرج تقريباً. قبل أن أفيق لنفسي، وجدتني منغمساً في التبطل والكسل؛ في لعب الشطرنج. ما زلت أفكر في الفن وأقرأ عنه. استلمت خطاباً من ستراخوف مليئاً بمديح لطيف. كان بوذا على حق حينما قال إن هناك عشر خطايا: ثلاث خطايا جسدية، وأربع

(٣٨١) مَنْ ضَرَبَكَ عَلَى خَدِّكَ، فَأَعْرِضْ لَهُ الْآخَرَ أَيْضًا، وَمَنْ أَخَذَ رِدَاءَكَ فَلَا تَمْنَعُهُ تَوْبَكَ أَيْضًا. لوقا ٦: ٢٩.

خطايا شفهية، وثلاث خطايا ذهنية. المجموعة الأولى: القتل - السرقة (يمكنني أن أطلق على السرقة الاستيلاء على الملكية) والشهوة (الزنى). المجموعة الثانية: الإبهام والنميمة والكذب والمداينة. المجموعة الثالثة: الحسد والغضب والخداع. جاءني جريدة *World advance* *thought*، وكالعادة ارتفعت روحي المعنوية بشدة. أفكار رائعة من قبيل: الموت هو اليقظة من وهم واقعية الحياة المادية. لا بد وأن أكتب لهم على الفور. جاءني خطاب آخر من أليخين ينبئني فيه بأن المكان قد تعرض للتفتيش، وأنهم قد استولوا على كل كتاباتي وخطاباتي (٣٨٢).

٢ أغسطس.

بالأمس جاءني شاب ومعه بعض القصائد. اليوم وجدته في انتظاري، وعندما خرجت للقائه لم أجده. غضبت بل وحزنت على فقدان المتعة التي أنالها بالسباحة والاعتسال في الماء. ذهبت فعلاً للمياه وبعدها شربت القهوة وقرأت، وما إن بدأت أتمشى، حتى تذكرت أن الفرحة الوحيدة الحقيقية تأتيني من أن تسمو روحي، وكي يتحقق ذلك أنا في حاجة تحديداً لبعض صنوف الحرمان، سواء على نطاق واسع أو ضيق. ولكن عليّ أن أعود نفسي على حب الصغار حتى تزداد محبتي. سأتناول إفطاري بسرعة الآن. أريد كتابة بعض الخطابات. انشغلت بفكرة أخرى من *World Advance Thought*، ومفادها أن الناس الذين لا ينامون، والذين لم يعد بإمكانهم مواصلة النمو هنا، يموتون، أي ينتقلون إلى مرحلة أخرى يكونون فيها قادرين على النمو. لدينا أشخاص هنا ليس

(٣٨٢) ابن تاجر غني أسس هو وشقيقاه طائفة على أفكار تولستوي.

بإمكانهم قبول وعي جديد. لا بد لمثل هؤلاء أن يولدوا من جديد. ذهبت لأحصد الشوفان وكسرت المنجل عند جيراسيم. كنت أحصد بسرور، واستمررت أعمل حتى الغداء، وبعد الغداء عملت ثانية حتى المساء. صبيت جام غضبي على ليوفا أثناء الإفطار. انفجرت نوبة غضب في كلينا كحيوان مفترس أفلت من سلسلته. شعرت بالحزن والخزي. لماذا لم أتذكر أنني في حاجة لمثل هذا الإذلال؟ واسيت نفسي بحقيقة أنني في حاجة إلى هذا الإذلال تحديداً. لم تعرج عليّ ماشا في المساء وغضبوا جميعاً منها، لكنني كنت في حالة جيدة تماماً. جاءني خطاب من روجين وبوبوف وماريا إلكسندوفنا وأولجا إلكسيفنا وأوزيريتسكايا. جميعها بعثت في السرور. ماشا وحدها هي من تفهم مغزى ذلك. نمت في وقت متأخر. مررت بوقت عصيب على الغداء بسبب أوريوسوف وصوفيا؛ ثرثرة مجنونة لا معنى لها وشر من طرف واحد وزيف تجاهي. كان من الضروري حينها أن أذكر أيضاً فائدة الإذلال والمعاناة.

٣ أغسطس.

استيقظت مبكراً. ذهبت لأغتسل. حزنّت عندما علمت أن الشاعر الصغير قد رحل. استجمعت شتات نفسي وفكرت في الآتي:

الناس يعرفون دائماً في أعماق أرواحهم الفارق بين الخير والشر، وفي قلب الظلمة الدامسة يتبينون دائماً الطريق الصحيح. صباح اليوم جلبت صندوق سجائر لأوريوسوف وأهديته إياه بمناسبة عيد ميلاده، لكنني شعرت بالخزي من ذلك. شعرت بالخزي كذلك عند تقديم المال للطبيب وعند تقاضي المال مقابل ما أكتبه، وأشعر بالضيق عندما

أسمع أطفالى يتحدثون عن المال وما شابه ذلك. لا بد من تهذيب هذا الشعور بالخزي والحفاظ عليه حتى لا ينكسر أو يزداد غلظة. أليس هذا هو سبب أن معتنقى مذهب الأرواحية يؤمنون بأن مضاعفة أحرف كلمة «قلم» أو «صحن» مرتين أو ثلاثاً تُمكنهم من الوصول إلى تعبیر عن تلك الأفكار التى لا يمكن للناس أن يعبروا عنها عندما يكونون فى حالة من الشرود؟ إنه أمر يشبه الرؤيا التى تراودنا أثناء النوم أو حلم راودنا أثناء حالة تنويم مغناطيسى.

فكرت كذلك فى الضرر الذى يبعثه اختيارنا لأهداف سطحية فى الحياة. «اطْلُبُوا أَوَّلًا مَلَكُوتَ اللَّهِ وَبِرَّهُ، وَهَذِهِ كُلُّهَا تَزَادُ لَكُمْ» (متى ٦: ٣٣). الملاح يسترشد بالبوصلة الموجودة على سفينته، رغم أن سهمها أصغر ألف مرة من السفينة حتى يكاد يكون غير مرئى، لكنه يسترشد بها لا بالنجوم، فكل شيء آخر يمكن أن يخدعه. لا تهتموا بكتابة شيء جيد، ولا بأن يعرف الناس الحقيقة ولا بأن تبدوا فى أفضل صورة فى أعين الآخرين، بل اهتموا بشيء واحد فقط؛ ألا وهو تنفيذ إرادة من أرسلنا إلى هذا العالم. إن إرادته هى ألا يهلك شيء مما منحك إياه؛ بل أن يُبعث ويزدهر ويمتلئ بالحياة ويتطهر. إنهم يتناولون الآن الإفطار، لكنى لا أريد. سأذهب لجمع الفطر أو لبولجين. التقت بليوفا. أشعر بالضيق من رغبتى فى الابتعاد عنه. أهذا أمر خاطئ أم أنه صوت الضمير؟ تغديت، وفى المساء ثرثرت قليلاً.

٤ أغسطس.

استيقظت فى وقت متأخر، وبدأت كتابة بعض الخطابات. كتبت

لكارمالينا وجوربونوف. تدهشني ماشا لصراخها في المربية من أجل
ساشكا. نصحتها بمصالحتها. بعد الإفطار سأذهب للعمل بالحصاد
حتى وقت متأخر من المساء.

٥ أغسطس.

ذهبت لأغتسل في المياه. وصل باستوخوف وقرأت خطاب دولنير.
يا له من إنسان قوي الروح! ساعده يا الله! وصل أحد الفلاحين بهدف
شراء الغابة، لكنني رفضت. عملت بمنجلي في نواحي الطريق الكبير،
وكان عليّ أن أذكر كثيرًا أن عملاً واحدًا هو ما يهم: إشعال الشرارة
الإلهية بالروح.

كثيرًا ما يُقال: لم يعد لديّ ما أفعله، لذا حان وقت الموت. الحقيقة
أن موعد الموت قد حان، لذا لم يعد بإمكانك فعل شيء، وليس
العكس. ولكن هناك عمل واحد دائمًا ما يكون أكثر أهمية من الاقتراب
من الموت: إنه الاهتمام بالروح والسمو بها وتهذيبها.

خرجت مع باستوخوف. حصدت المتبقي، ثم انهمكت حتى
المساء في تكوين الشوفان عند أوسيب. تبللتُ من المطر. صوفيا
في حالة معنوية سيئة. أبدأ الآن في تذكر أن كافة الأحزان والضيقات
والإذلالات هي نوع من الإغواءات. نمت في وقت متأخر.

٦ أغسطس.

جاءني خطاب جيد من بوشا، وكذلك من كالوجينسكي يطلب
مني البحث عن الرسائل التي أرسلها إليّ وإعادتها له. في البداية حزنت

لكنني بعدها تذكرت أمرًا وجلست لأكتب له. ولكن لا... ليس هناك عنوان، وبالتالي نَحَيْت الخطاب بعيدًا. فكرت في الآتي: سيتبين أن الكتابة لشخصية رقيقة دمثة أفضل ١٠٠٠ مرة من الكتابة لهذا السفیه، ولكن إن لم أجب على خطابه سيقول: «لا بد إدْن وأن أتعامل بوقاحة». «ولكن لماذا؟». «لكي أنال الخطابات والمال والمجد... إلخ». «ولكن ما سبب كل ذلك؟ المرء في حاجة لشيء وحيد: أن يربي نفسه ويهذبها ويحافظ على ما وُهب إياه ويزيد من قدره. لهذا السبب ليس من الحسن أن ينال المرء كل شيء. إنه لا يتقدم للأمام، ولا يُحسِّن من شأن تلك الأعضاء اللازمة لخدمة الله والخير».

فكرت كذلك في الآتي:

كيف يكون الأمر لو وُلد طفل آخر؟ كم سأشعر بالخزي خاصة أمام الأطفال! سوف يعرفون متى حدث ذلك وسيقرؤون ما أكتبه الآن. شعرت بالخزي والحزن.

فكرت كذلك في الآتي:

لا يجب أن يخشى المرء الناس، بل الله وحده. سألت نفسي: كيف سأقف أمام الله فيما يتعلق بذلك؟ هدأت هذه الفكرة من روعي. كثيرًا ما يبدو الأمر على النقيض من ذلك؛ أي أن الأمر أمام الله سيكون أسوأ مما هو أمام الناس، ولكن في هذه الحالة لم يكن كذلك. نعم من الأفضل أن يعيش المرء في ضوء الله لا الناس. إنه أكثر عدلاً منهم، ولا يديننا إلا على ما هو شرير فعلاً، وهو أكثر ذكاءً، فهو يدرك كل شيء، وهو أكثر صلاحًا، فهو يصفح عن كل شيء. ولكن من المستحيل خداعه،

لذا فعملية الإصلاح ممكنة. كم من الحسن أن يعيش الإنسان في كنف هذا النموذج السامي!

فكرت كذلك في الكلمات المريعة التي قالها الرسولان بولس وبطرس عن وجوب طاعة السلطات. «لا تخضعوا للسلطات». هذا ما كان المسيح ليقوله لو سأله أحد عن ذلك. كيف يمكن للمرء أن يخضع لسلطة هدفها ووسيلتها تنحصر في العنف؟ من المستحيل أن نخضع لها بأي درجة كما يستحيل تمامًا على المرء أن يذعن لمجنون ثمل عنيف. أخذت الخالة تانيا تتجادل. أشعر بالشفقة عليها. الساعة الآن الثانية، واليوم عطلة. سأستريح. صحتت خطابًا سأرسله لكارمالينا ومقتطفًا لرومانوف. أريد أن أنام.

غفوت لبرهة من الوقت، ثم استيقظت متعشًا، وكتبت خطابًا لجوربونوف وستراخوف وسيبيرياكوف. بعد الغداء ذهبت لرؤية ماشا. في المساء جاء أورو سوف ولعبت الشطرنج والداما، ثم جاء بيبكوف. نمت في وقت متأخر.

٧ أغسطس.

سأمضي لأفرغ القدر. وجدت محاميًا بولنديًا في انتظار لقاء هذه الشخصية الشهيرة (يقصد نفسه)! شعرت بضيق شديد أنني لم أستطع الوصول إلى الإنسان الموجود في أعماقه. جاءت أبرامانوف لتدعوني للمشاركة في الإشراف على المسرحية^(٣٨٣). كنت أشعر بالضيق،

(٣٨٣) ممثلة مسرح وزوجة كاتب شهير، وطلبت من تولستوي أن يقدم لها الإرشاد فيما يتعلق بعملها المسرحي.

ولكن حمدًا لله أنني تذكرت عدة مرات أنَّ أمري معها يتعلق بما هو مقدس في الحياة. كان الصبية يلتقطون التفاح، أما صوفيا فلم تكن في حالة مزاجية جيدة. بعد الإفطار مضيت لأبذر الأرض. أخشى أن تتناثر البذور بفعل الرياح.

وصلت في وقت متأخر. خرجت تانيا وماشا كوزمينسكايا وماشا ابنتي بصحبة بيبكوف على متون الجياد. انتظرنا حتى الثانية عشرة. نمت في وقت متأخر للغاية.

٨ أغسطس.

انهمكت في الصباح في حراثة الأرض، وبعد الغداء نقلت محصول أوسيب. حل المساء وشعرت بالإنهاك الشديد.

٩ أغسطس.

ودَّعت أوريوسوف وليوفا. أصبحت ضعيفًا جدًا. عدم ضبط مُخزٍ أمام الطعام. قرأت ما كتبه أفلاطون عن الفن، وفكرت في الموضوع. يربط أفلاطون بين الجمال والخير. إنه مخطئ في ذلك. إنه يتحدث في الجمهورية عن لا أخلاقية الشعراء، وبالتالي يندد بهم. في ذلك الوقت - كما هو الأمر الآن - كان الشعراء في مستوى أدنى من أفلاطون، وكان عملهم بدافع التسلية. أشعر أن شيئًا ما غائبًا عن أفكارى في الفن، وأنا سوف أجده.

خرجت لجمع الفطر، واغتسلت في المياه، ولم أفعل شيئًا. الساعة الآن الثامنة. مساء معتاد.

١٠ أغسطس.

انهمكت في القراءة صباحًا، وبعد الغداء ذهبت لحراثة الأرض، وظللت أعمل حتى وقت متأخر. أنهكت بشدة.

١١ أغسطس.

قرأت عن المعاناة التي تبذل في تطهير مستشفيات الولادة. كيف يرتبون المكان من البداية، ويجهزون الأدوات، وكيف يتأكدون من عدم ضررها. لم أفعل شيئًا. ذهبت لجمع الفطر، وفكرت في سوناتا كرويتزر، وفي مقالتي عن الفن. بالنسبة للأولى لا بد وأن أجعل المرأة في حالة انفعال شديدة وهي تحتضر بينما تطلب منه أن يعفو عنها وفي الآن ذاته لا تصدق أنه هو قاتلها فعلاً^(٣٨٤). وصلت مجموعة كبيرة من الشباب، وجاءني زولوتارييف وخوخلوف. إنهما فتیان رائعان.

١٢ أغسطس.

خرجت لحراثة الأرض، وتأخرت على الإفطار. نمت نومًا سيئًا عشية اليوم السابق، ومن الواضح أن صوفيا في حالة عصبية، فهي تتحدث بتوتر وانفعال مع الشباب. أما هم فتحلوا باللطف، واعترفت هي بنفسها أنها تفوهت بما لا يجب التفوه به. ذهبنا لنسبح جميعًا في المياه. في المساء وصل كلوبسكي، ودار بيننا حديث ثقيل الوطأة. لم أستطع أن أمنع عن نفسي الغضب. نمت في وقت متأخر. أورلوف وراتشينسكي طالبان عسكريان، يدخان ويلعبان الورق. مخلوقان

(٣٨٤) لم تخرج النتيجة النهائية على هذه الصورة.

مثيران للأسف... مخلوقات متوحشان!

١٣ أغسطس.

جاء كلوبسكي مجدداً، والحديث معه محبب لكن صعب. ذهبت مسروراً لآل أوفروسيموف. تحدثنا معاً ثم خرجنا لجمع الفطر. لم أكن أفكر في الخروج معهم جميعاً. أود لو أنعم بالوحدة. نمت في وقت متأخر. راودني حلم ثقيل الوطأة... رأيتني أفضل في كل شيء.

١٤ أغسطس.

نهضت في وقت متأخر. ذهبت لأغتسل في المياه. فكرت في الآتي:

كما يحدث في الجسد حينما يشير الألم إلى خرق قد حدث لقانون الجسد ويكون بمثابة إنذار، هكذا الأمر في المجتمع، فالمعاناة الناجمة عن العداوة تشير إلى خرق قد حدث لقانون الوحدة، ويكون الأمر بمثابة إنذار. إن كنت تقوم بفعل تعتقد أنه صالح ووجدت نفسك تختبر معاناة العداوة أو تُجبر الآخرين على أن يشعروا بالعداوة صوبك، عليك أن تتوقف فوراً. هذا يعني أنك لم يعد بمقدورك أن تواصل هذا الفعل الذي أقدمت عليه. عند الشعور بالألم الجسدي أو العداوة الروحية على المرء أن يتوقف عما يفعله من ناحية، ومن ناحية أخرى عليه أن يتعلم أن يقوم بفعل ما كان يُشعره بالألم دون ألم.

أتعجب من أن المرء لا يرى متطلبات العقل بوضوح، لكنني أتناسى

أن مَنْ لم يولد من جديد لا يرى في المقام الأول سوى حياته الجسدية، وحياته الخاصة المليئة بمظاهر السرور، ولا يفكر إلا في الطريقة التي يُزيد بها من مسرات حياته. إنه لا يمكنه التفكير في شيء آخر، بينما أطلبه أنا فجأة بالتفكير بمعزل عن مصالحه الخاصة! أمر غير ممكن بالطبع.

بالأمس استلمت خطاب من دونايف. كان خطاباً سيئاً مفتعلاً، واستلمت خطاباً رائعاً من تشير تكوف. قرأت في كتاب «علم الجمال» لشوبنهاور. يا لحماقته وافتقاده إلى الوضوح! عندما خرجت لجمع الفطر، وكنت قد اصطحبت ضيوفاً لبولجين وقضيت الصباح كله في جمع الفطر، فكرت في أن الفن يُعتبر من أدوات التعبير عن محتوى جديد، وذلك لا يتم بالمحاكاة الساذجة للمشاعر. أما الفن التافه الذي يميز هذه الفترة فهو بمثابة استدعاء لهذه المشاعر التي اختبرها الفنان، ليس من أجل التعبير عن شيء ما، ولكن ببساطة كما كان بيتروشكا يقرأ في كتاب من أجل القراءة ذاتها وحسب.

وصل روجين أثناء الغداء. حكى عن طائفة أليخين، ونظريته عن أكل لحوم البشر، وأنه يتوجب على المسيحية قبل أي شيء آخر أن تُوقف الناس عن ذلك. الحقيقة، والفضل يعود له، أنه يذكرنا ويشير لنا إلى مدى صعوبة الأمر، ولكن على أي حال ليس هذا هو الهدف، لكنه النتيجة. إن فعلت كل شيء بالحب، فلا بد وأن تتسم العلاقات الاقتصادية بالنقاء، وإن تحقق النقاء في الجانب الاقتصادي فقط، فليس من الضروري أن يكون للحب الفضل الرئيس في ذلك. الحقيقة أن المرء

فيما يتعلق بالحب يمكنه أن يكذب على نفسه وعلى الآخرين، ولكن من المستحيل أن يحدث ذلك فيما يتعلق بنقاء العلاقات الاقتصادية، وهذا ما يوضح أهمية الوصول إلى ذلك النقاء. سأنام. إنها الثانية عشرة. ساعدني يا أبي السماوي.

١٥ أغسطس.

نهضت في الثامنة، وذهبت لأغتسل. فكرت في طائفة أليخين وفي كتابة خطاب له. صحّحت في سوناتا كرويتزر على نحو رائع. وصل الشباب (يقصد زولوتاريف وخوخلوف). دعوتهما للعمل بالحصاد. حصدنا الشوفان. بعد الغداء تحدثت معهما. أشعر بالملل والضيق.

١٦ أغسطس.

لم أفعل شيئاً طوال اليوم سوى القراءة في كتاب شوبنهاور عن الفن. حماقة وهراء! ولكن بالحق أخبرني أحدهم أن نظرية شوبنهاور الجمالية هي السائدة الآن.

خرجت لجمع الفطر وتغدينا معاً. ساءت حالتي بشدة، لكنني لم أقم بفعل شرير.

١٧ أغسطس.

وصل آل منجدين. انهزم المطر. مجدداً لا أفعل شيئاً. ذهب خوخلوف وروجين إلى بولجين. قرأت في كتاب شوبنهاور، ولعبت الشطرنج.

١٨ أغسطس.

فكرت في أمر الخدمة العسكرية. لا بد وأن أكتب عنها. لم أقل شيئاً لهم. هذا نوع من الشر السلبي بالطبع، لكنني سعيد بأنني لم أقم بشر إيجابي^(٣٨٥). خرجت بمفردي لجمع الفطر. صليت. كنت في حالة معنوية جيدة.

١٩ أغسطس.

خرجت أراقب حرائق الأرض، وبعد الإفطار ذهبت بصحبة زولوتاريف لمساعدتهم في الحرائق. أنهكت بشدة. وجدت في المنزل المجنونة صوفيا فومينشنا. كان الأمر صعباً معها. لم أستطع أن أمنع نفسي عن الضحك. في المساء غنى زولوتاريف، وأثر فيّ. لديه صوت رائع. جاء آل كيرن.

عاد كل من خوخلوف وبولجين اللطيف. أنا أحبه. نمت في وقت متأخر. كان نومي سيئاً جداً جداً. جاني خطاب من أمريكا من س. ديفيد^(٣٨٦). فكّرت في سوناتا كرويتزر. «المُغوي» أو «الفاسق» ليس سبباً، لكنه حالة، وأعتقد أن الأمر كذلك مع «المُغوية» أو «الفاسقة». إنها حالة من الاضطراب والفضول والرغبة في كل ما هو جديد، وتظهر هذه الحالة من الرغبة في التعامل بهدف المتعة، لا مع شخص بعينه، بل مع الكثيرين. كذلك هو مصطلح «السكر». يمكن للمرء أن يُمسك

(٣٨٥) يقصد بالشر الإيجابي هو أن تفعل شيئاً شريفاً، أما السلبي هو أنك لم تفعل ما كان عليك أن تفعله.

(٣٨٦) أحد أعضاء جمعية تُدعى «العلم المسيحي» بأمريكا.

نفسه عن شيء، أما «السكرير» و«المغوي أو الفاسق» فلا محالة لهما من السقوط فور أن يغفلا للحظة واحدة. أنا «فاسق».

٢٠ أغسطس.

نزلت إلى الطابق السفلي، فوجدت الفتية الأربعة (بوليجين- زولوتاريف- روجين- خوخلوف) ونيكولينكا. شعرت بالسرور الشديد، وقضينا اليوم بأكمله معًا نحن الستة. تحدثت على نحو جيد جدًا بما يفيد هؤلاء الشباب. في المساء رحلوا جميعًا، وكنت سعيدًا بهذه الفرصة التي حباني الله بها كي لا أكون مضرًا لأحد.

٢١ أغسطس.

في الصباح، بينما كنت مستلقيًا على الفراش، فكّرت في الآتي:
لا نهائية الزمان والمكان تبدو أمرًا غير مفهوم، يضم بين طياته تناقضًا إن فكّر المرء فيها في حد ذاتها بمعزل عن الحياة وهدفها ومعناها. ولكن يلزم أن نفهم الحياة والهدف منها في الكمال أو الاقتراب من الخير، وحينها لن يقتصر الأمر على أن لا نهائية المكان والزمان لن تعد غير مفهومة، لكنها أيضًا لن تكشف عن أي تناقض بين طياتها، فسيوضح أن هذه اللا نهائية هي شرط ضروري أو أنها نتيجة لمعنى الحياة. كيف كان من الممكن أن يكون ثمة كمال أو اقتراب من الخير لو كان المكان والزمان محدودين؟

تغديت، وبعدها كتبت ستة خطابات لتشيرتكوف وبيروكوف وسفيشنيكوف وإلكسيف وجروت وشخص آخر. نمت في وقت متأخر.

نهضت في التاسعة. شربت القهوة ثم بدأت أكتب. وصل دوجكين اليهودي. إنه شديد الذكاء والطيبة، لكنه عطلني عن العمل.

يؤسفني أنني لم أكمل الكتابة، ولكن ربما كان هذا ضروريًا بحيث تنصرف كامل قواي إلى المساعدة. اقتربت من نافذة ماشا. كان نيكولاي نيكولايفيتش يتحدث مع البنات عن ليوفا. أمر محزن! بالنسبة لمقاتلي عن الفن فكرت في الآتي:

العالم مليء بأعمال البشر والمشاكل الذين يعززون إليها أهمية فائقة تحت لافتة: النشاط العلمي والفني. لدى الناس متطلبات هائلة، وعادة ما ينحصر نشاطهم داخل حدود الفساد والجنون، ففي العلم ينحصر نشاطهم في الكلاسيكية والواقعية والداروينية والتنويم المغناطيسي والبكتيريا، أما في مجال الفن فينحصر نشاطهم في الرسومات الخلية والتماثيل والمسارح وعروض الباليه والأغاني العاطفية... إلخ. عروض أوبرا فاجنر نموذج لذلك. من الضروري أن نفحص جيدًا ما يتعلق بعدالة المتطلبات التي نُكِنُّ احترامًا لها تأثرًا بأولئك المنخرطين فيها فعلاً. ما تفسير هذه الأنشطة؟ العلم يدفع الإنسانية صوب التقدم ويشارك في صنع رفاهيتها. أما الفن فيزيد من وعي الناس بأنفسهم. هذا هو التفسير العالمي الشائع. لن نجد هذا التفسير في الكتابات المتعلقة بعلم الجمال، لكنه موجود بشدة لدى الرأي العام، وهو مخطئ تمامًا فيما يتعلق بالعلم الحديث. يمكننا الوصول للرخاء المادي بالتجربة لا بالتنظير، بينما الرخاء الروحي على النقيض منه تقريبًا. أما فكرة أن

تكون البشرية على وعي بنفسها فهي غير ضرورية. أكل ما سبق إذن محض هراء وخداع؟ فلنقارن ذلك بالكنيسة. الناس مثلاً يصلون أمام أيقونة سيدة كازان^(٣٨٧) في الكنيسة المسيحية. أيمن أن نقول إذن إن المسيحية بأكملها محض هراء بسبب ذلك؟ لا، ولكن ذلك يتسبب في إحداث انحطاط وتشويه وانحراف. هكذا هو الأمر كذلك مع العلم والفن. فلنحاول فهم الأمر. الأمر كله بسبب قيام أحدهم ببث محتواه الداخلي لشخص آخر. إن بث المحتوى الداخلي للمرء للآخرين من أجل تحقيق الوحدة هو أهم الأمور وهو شيء مقدس، والمهم في عملية البث هذه أن يبث المرء ما هو طيب بداخله للآخرين، فهذا هو المعيار الذي يشير لتحقيق الوحدة. في الواقع ليس هناك انقسام بين العلم والفن، بل إننا لدينا نوعان من عملية البث.

إن سمة النوع الأول هو الجدال المنطقي، أما الثاني فيتسم بملكة المحاكاة.

القيام ببث ما هو ضروري لعملية الوحدة بوسيلة أو بأخرى هو أمر شديد الأهمية، ولا يمكن تحقيقه إلا بملاحظة ثلاثة شروط: يجب أن تكون المادة التي تُبث جديدة، جميلة، وواضحة وحقيقية. لقد كانت هكذا دائماً وهكذا ستظل، وقد كان هذا دائماً شأن الدين، ولكن كل شيء أُسيء استخدامه، والآن لدينا عملية بث لا لما هو مهم وضروري، ولكن لما هو جديد وجميل وحقيقي فقط. لدينا الآن علم وفن مزيفان

(٣٨٧) أيقونة مقدسة ذات مكانة فائقة داخل الكنيسة الأرثوذكسية الروسية للعدراء مريم، وتمثل مريم كحامية وراعية لمدينة كازان وجميع روسيا، والمعروفة باسم الحامي المقدس لروسيا.

لا تتوفر فيهما حتى هذه الشروط الثلاثة. ليس جديدًا أو غير واضح (غير جميل) أو غير حقيقي، ولكن هناك بعض الناس يحافظون على هذه الشروط الثلاثة، لكنهم لا يقومون ببث ما هو هام فعلاً، فالسوفسطائيون في العلم، والسوفسطائيون (أو بالأحرى أصحاب النزعة الجمالية) في الفن وأبناء الطبقات الغنية يُسلُّون أنفسهم بالعلم والفن المزيفين. العلم من أجل العلم، والفن من أجل الفن. يقرأ بتروشكا عملاً لجوجول لا لشيء سوى الاستمتاع بالقراءة في حد ذاتها، ولديهم تلك العقيدة التي مفادها أن أي اكتشاف علمي مفيد في أمر ما، وأن أي تجل فني لا بد وأن ينتج شيئاً صالحاً، وهم يلفقون نظريات لدعم تلك الأفكار. لدينا مثلاً نظرية شوبنهاور وكانط في العلوم.

ماذا علينا أن نفعل إذن؟ من المهم أن نبث بطريقة أو بأخرى ما يساهم حقيقة في رخائنا، وما يحقق الوحدة؛ أي ما هو هام فعلاً. ولكن أن يُمتع الإنسان نفسه بالمعرفة دون أن يعرف الهدف منها، بالطريقة التي يُمتع بها بتروشكا نفسه بكتاب بهدف القراءة في حد ذاتها، أو أن يُمتع المرء نفسه بالفن، لهو أمر دنيء وضار.

الطب هو العلم الذي يدرس كيف يمكن تقديم المساعدة. كي يتعلم الإنسان ذلك، لا بد له من تعلم الكثير مما يمكن أن يحقق ذلك، ومثل هذه الدراسة تستغرق أعواماً. عندما تقضي أعواماً في دراسة ذلك، لن تقول أبداً على هذه الأعوام أنها كانت محض هراء. لا مزيد إذن من العلوم الخيالية المخادعة.

كتبت خطاباً لبوتبخين وبوبوريكين وأليخين. في المساء كانت

صوفيا تتحدث مع نيكولا ينيكولايفيتش عن بوشا وماشا وعن الحياة كالمعتاد. إنها ليست في حاجة لإقناع الآخرين، لكنها تعارض حجج المتحدث لتؤكد لنفسها أنها على حق. كيف يمكنني أن أناقشها وأنا أدرك ذلك وأراه بوضوح؟ بعد ذلك ساءت حالة فانيا واشتبهوا بمخطئين في إصابته بخناق. كم بدت صوفيا حينها مثيرة للأسف بشكل مفرع! إن حياتها الصالحة منحصرة فيه ومرتبطة به كاملاً. إنها تبعد عن نفسها بذلك إمكانية أن تحيا أي حياة صالحة أخرى، وهذا ما يجعلها هلعة. مثال على أحاديث السيدات:

كنت أتحدث عن الخطأ الذي يرتكبه الرأي العام بتأييده للحزن الشديد على فقدان الأطفال. النساء لا يفهمن، ويقلن:

كيف يمكنك معارضة شعور الحزن الطبيعي؟

من الطبيعي أن يشعر المرء بالخوف في الحرب، ولكن لأنهم اعتبروا أن من الشائن أن يشعر المرء بالخوف لم يعد الناس يشعرون بالخوف، وهذا ما أريده؛ أريد أن يقوم الرأي العام بالأمر ذاته مع فقدان الأطفال.

أجابت مينشيكوفا:

لا، ليس بوسع المرء ألا يشعر بالأسى. حتى إن فقدت ابنك في الحرب ستظل تشعر بالأسى.

هذه هي الطريقة التي عادة ما نتجادل بها مع النساء والشباب. إنهم ببساطة لا يفهمون، والأسوأ من ذلك أنهم لا يفهمون ورغم ذلك

يعتقدون أو يتظاهرون أنهم يفهمون. نمت في الثانية، ونهضت أثناء الليل.

٢٣ أغسطس.

نهضت في الثامنة، وتحدثت مع جي. لم أتمكن من الكتابة بسبب أنني لم أحظَ بنوم جيد، فاكثفت فقط بالقراءة والتفكير وتدوين يومياتي. لا أرغب في العمل البدني؛ لأنني أشعر بالضعف وجسدي كله يؤلمني. سأبدأ سوناتا كرويتزر باستشهاد من إنجيل متى ٥: ٢٨ - ٣٠. إن نظرت إلى امرأة كأداة للمتعة حتى وإن كانت زوجتك، فأنت تزني وترتكب خطيئة. يقترن تنفيذ قانون العمل من أجل توفير الخبز بهدف بعيد عن المتعة الشخصية، ولكن عند العمل من أجل تحقيق الفائض لا يظهر هدف سوى الفسق (٣٨٨).

إنني لا أصدق دوجكين اليهودي. إنه يشبه فاينرمان، يحاول إرضاء الناس أكثر من الله، لكنه ذكي وطيب. ذهبت لجرومانت. أشعر بضعف شديد. في المساء انخرطت في حوار تافه. لم أستطع أن أمسك نفسي على الغداء حينما شبّهتني صوفيا بأبيها في صعوبة أن نرضى بالطعام المقدم إلينا. تذكرت أنه يتوجب عليّ أن أمسك نفسي، لكنني لم أذكر أنه يتوجب عليّ أن أروّض نفسي.

(٣٨٨) يقصد أن يكون الجنس من أجل إنجاب الأطفال فقط، ولكن إن تخطى الإنسان ذلك بهدف الاستمتاع بالجنس في حد ذاته فإنه يسقط في الخطيئة.

٢٤ أغسطس.

الحالة ذاتها. كتبت قليلاً. ذهبت لدرس الحنطة. سُررت بذلك. اندلع جدال عنيف بين الزوجين كوزمينسكي. أشعر بالأسف الشديد عليهم. تجادل معهم نيكولاي نيكولايفيتش بشأني. تبين من حوار مع تانيا أن هناك ثلاثة أنواع من الناس فيما يتعلق بالإيمان:

أولئك مَنْ لا يتحدث ضميرهم، أو بالأحرى لا يزعجهم. إنهم يعرفون الفارق بين الخير والشر، لكن في استطاعتهم رغم ذلك أن يقوموا بالشر بهدوء. هذه سذاجة.

أولئك مَنْ يعذبهم ضميرهم ولا بد لهم من القيام بشيء كي يُهدئوه. إنهم يقومون بما ينصح به أطباؤهم الروحيون، سواء كانت قرابين أو صلوات أو الإيمان بكفارة ما، وهم يثقون فيما يُقال لهم. هذا جنون. أولئك مَنْ يطالبهم ضميرهم بإحداث تغيير حقيقي في حياتهم والاقتراب مما يشير إليه الحب العاقل. هذا عقل.

٢٥ أغسطس.

ليوفا مريض. أردت أن أكتب، لكنني كنت أرتعش من فرط الضعف. كتبت خطاباً لأوروسوف وباستوخوف.

خرجت لجمع الفطر. التقيت بالفتيات وكنت شديد السرور. في المساء استغرقت في القراءة والحديث عن شجار الزوجين كوزمينسكي. أشعر بالأسف الشديد عليهما. فكرت في الآتي: تقول الوصية: «تحب الرب إلهك من كل قلبك... وتحب قريبك كنفسك... إلخ». كنت أراها

من قبل تنطوي على مبالغة غير طبيعية حينما تقول إن يحب المرء الرب إلى هذه الدرجة، وكذلك كنت أرى فكرة حب الأعداء، واعتقدت أنها نوع من البلاغة أو الخطابة، لكنني الآن أرى أن حب الله من كل القلب كما تقول الوصية هو مجرد تعبير عن أكثر الأمور وضوحًا والتي لا تستدعي أدنى شك، وكذلك محبة الأعداء. في الحقيقة ما من حب آخر ولا يمكن أن يكون؛ لأن الارتباط بما هو مفيد وبيعث على السرور وكل ما من شأنه أن يملأ القلب بالعزاء هو ليس حبًا، لكنه شيء آخر. «إن أحببتم الذين يحبونكم فأني فضل لكم. فإن الخطاة أيضًا يحبون الذين يحبونهم. وإذا أحسنتم إلى الذين يحسنون إليكم فأني فضل لكم. فإن الخطاة أيضًا يفعلون هكذا». (لو ٦ : ٣٢ ، ٣٣).

وصل الطبيب. بدأت أشعر بالراحة مع الجميع.

٢٦ أغسطس.

استيقظت في وقت متأخر. كتبت قليلًا، لكنني لم أستطع إنهاء شيء. ضعف يكتنفي. ذهبت ليسينكا، وجاءني خطاب من أورفانو، ومن شاب عن الإنجيل. جاءني برقية مزعجة من أبراموفا.

أضطرب من هذه الوعود؛ لأنني لست طاهرًا تمامًا. كما لو أنني أحب أن يلاحقني أحد وأن أرغب في الظهور. عليّ أن أصمت عندما أسمع مثل هذه الاقتراحات، لكن عليّ أن أفعل كل ما في وسعي كي لا يصيبني اليأس. وصلني خطاب من تشيرتكوف. إنه يقول لي في خطابه إن التفكير في الموت يُثبِّط من طاقته في عمل أي شيء. إنه لا يؤمن ولا يزرع في وعيه أنه أداة فاعلة وعضو رباني. يصل العضو إلى كماله

في العالم المادي ثم يفسد ويتآكل، ولكن الأمر ليس كذلك في العالم الروحي، فمع الوقت نتحول إلى الربانية أكثر فأكثر. الموت قد يكون مجرد انتقال من عالم لآخر. لذلك فالتفكير في الموت لا يقضي على الشغف ولا الطاقة ولا السلوك صوب الكمال. في الليل، بينما كنت أوشك على النوم فكرت في الآتي:

لا بد وأني كنت موجودًا من قبل، وكلمات المسيح: «أَنَا مِنَ الْبَدْءِ مَا أَكَلْتُكُمْ أَيْضًا بِهِ» (يوحنا ٨: ٢٥) - «قَبْلَ أَنْ يَكُونَ إِبْرَاهِيمُ أَنَا كَائِنٌ» (يوحنا ٨: ٥٨) تُثبت ذلك.

ما يفعله الله، لا يفعله إلا عبر أعضائه. هذه الأعضاء تتألف منا نحن المخلوقات العاقلة، وكما أنني لا يمكنني نقل أي شيء إلا بحمله بيديّ، كذلك لا يمكن لله أن ينتج ما هو عاقل إلا بمخلوقاته العاقلة التي هي نحن. القول أن الله يمكنه أن ينتج ما هو عاقل دون استخدام مخلوقاته العاقلة يماثل القول بأن بإمكانني العمل في الحقل دون يديّ.

الساعة الآن التاسعة. سأصعد للطابق العلوي. في الصباح رأيت إلكسندر ميخايلوفيتش ولم أتحدث معه بهدف المواساة. استلمت خطابًا من أورفانو وكتبت له خطابًا وكذلك لستراخوف.

٢٧ أغسطس.

نمت نومًا سيئًا. إنه خطأي أنا. قرأت الجريدة الأمريكية: *Dawn* وكذلك *Nationalist*، وكلاهما يدعم الاشتراكية المسيحية. إنهما تدعوان إلى برامج من قبيل: تأميم الصناعة وتحقيق الإخوة بين البشر. هذا هو برنامج *Nationalist*. أما برنامج *Dawn* فهو باختصار

يتضمن استبدال مبدأ الصراع والمنافسة والفرדانية بمبدأ الحياة والعمل المشتركين وتحقيق بنوتنا لله وأخوة البشر. كل هذا جيد جدًا، ولكن الوسائل التي يقترحونها لتحقيق ذلك غير واضحة المعالم ولا يمكن استبدالها. إنهم يقترحون الوعظ بذلك بكل الطرق الممكنة وتطبيق ذلك في الشؤون العملية والعيش وفقًا لمبدأ أخوة البشر بدلًا من الصراع والمنافسة. ولكن كيف يمكن تطبيق هذين المبدئين في عالم قائم على الصراع؟ إن كانت حياة كل إنسان اليوم قائمة على الصراع ضد الآخرين، فلا بد وأن هذا الصراع إذن سيستمر حتى نهايته مع الآخرين جميعًا، كما نرى فعلًا الآن الصراع ضد النساء والأطفال لإجبارهم على العمل أكثر مما تحتمل قوتهم. إن لم يحدث ذلك لن يسير النظام قُدَمًا. شخص آخر ربما يهزمني وبالتالي أهلك. لذا كيف يمكن تطبيق هذه المبادئ في هذا العالم؟ الطريقة الوحيدة هي أن يهب المرء نفسه وحياته كاملاً؛ ألا يقاوم الشر ويموت باسم الحقيقة. لكنهم لا يتحدثون عن ذلك. أود أن أكتب لهم عن ذلك الأمر. قضيت فترة المساء بشكل اعتيادي تمامًا.

٢٨ أغسطس.

استيقظت مبكرًا. وأقدمت على العمل، وكتبت في سوناتا كرويتزر لأربع ساعات. أنهيتها. بدت لي جيدة، لكنني خرجت لجمع الفطر وعدت غير شاعر بالرضى عنها على هذه الصورة. أشعل غضبًا كل مساء تقريبًا، وخاصة من ليوفا: حماقة ووقاحة. استلمت خطابًا من سيريوجا عن باريس. لقد أثرت في صوفيا بالأمس. قالت أثناء جدالها إنها أحبت فانيتشكا بسبب شبهه بي: «نعم، لقد أحبتك كثيرًا، ولكن

حبي لم يشمر شيئاً أبداً». جاءني بالأمس خطاب من تشير تكوف. إنه يشكو من أن التفكير في الموت يجعل طاقة الحياة لديه تتقلص بشدة. أجبته قائلاً إن هذا غير ممكن إن أدرك أننا أدوات في يد الله لازمة له لإتمام عمله، وأننا ننمو. نمت في وقت متأخر. تصالح الزوجان كوزمينسكي.

٢٩ أغسطس.

استيقظت مبكراً. صحّحت قليلاً حتى موعد الإفطار. بعد ذلك خرجت لجمع الفطر، وقضيت طوال اليوم في ذلك. فكرت في الآتي: الغريزة الجنسية هي الرغبة، فإن لم يمثل الإنسان للقانون كاملاً فعلى الأقل يحاول أن يوفر إمكانية تحقيقه. هذه الحقيقة تتأكد من قبل الأفراد، فكلما يقترب الإنسان من تحقيق القانون، كلما يهجر العاطفة الجنسية، والعكس صحيح.

عادة ما يعتقد الناس (وأنا أولهم) أن بإمكان المرء أن يخدم الله ويكون نافعا للناس بالحفاظ على صحته. غير صحيح. كثيراً ما يكون الأمر على النقيض من ذلك. المسيح كان أكثر من خدم الله من بين الناس جميعاً، وانتهى به الأمر بالموت على الصليب حيث أعلن غفرانه لقاتليه. هكذا يمكن لكل إنسان مريض أن يفعل. من المستحيل أن نقول أي الحالتين أفضل لخدمة الله والناس: الصحة أم المرض.

فكرت في أنني أولي سوناتا كرويتزر اهتماماً فائقاً بدافع من خيالي. لا أود أن أظهر أمام الناس وكأنني غير كامل في عملي أو أنه سيئ أو ما شابه ذلك. هذا أمر سيئ جداً، فإن كان هناك ما هو ضروري أو مفيد

للناس في العمل فسوف يلتقطونه ويُنحّون السيء بعيدًا. إن إتمام رواية على نحو كامل لن يجعل أفكاري المطروحة فيها أكثر إقناعًا. لا بد وأن أصبح درويشًا مجذوبًا في كتاباتي كذلك.

خرجت لجمع الفطر والتنوب الصغير وسمعت ماشا تقول بغضب: "أمر يبعث على اليأس أن يكون هذا شاغلهم الرئيس". كانت تتحدث عن الأطفال وقتلهم للضفادع. عزمت على أن أقول لها: "لا تسلكي كدوجكين، وكالمرضة في غرفة تبديل الثياب، لا تعمل لكنها تتنهد. إن كنت أعرف دون شك أنني في حالة جيدة وأن الجميع سيأتون لا محالة إلى مكاني وأرى أن الناس سيذهبون إلى مكان ما حيث تسوء حالتهم فكيف أغضب منهم؟ لا يمكنني أن أشعر صوبهم إلا بالشفقة. علّمني يا أبي أن أسلك مثلك؛ أن أشفق وأن أتصرف على نحو سليم وأنتظر. وصلت المنزل، وما كان يبدو واضحًا يبعث على السرور في أفكاري أصبح الآن يبدو صعبًا. استلقيت قليلًا. جاءت صوفيا وقالت لي: "كم أشعر بالضجر!" أشعر بالأسف الشديد عليها. الساعة الآن التاسعة. نمت في وقت متأخر.

٣٠ أغسطس.

ذهبت بصحبة جي إلى بوليجين سيرًا على الأقدام^(٣٨٩). كانت نزهة لطيفة. وجدت هناك بوليجين يقرأ خطاب برونيفسكي وقد تضمن: إنكار المغزى الاجتماعي للمسيحية، ومواجهة العالم، والرغبة في تنفيذ القانون دون بذل جهد أو شعور بالمعاناة. أما المسيح فقال لنا النقيض

(٣٨٩) المسافة تصل إلى ٢٠ كيلو مترًا.

من ذلك. عدت للمنزل سيرًا على الأقدام. كانت ليلة مقمرة فاتنة. فكرت قليلًا: الوجود وسط الجماعة بالنسبة لي أصبح مستحيلًا. أفضّل أن أكون بمفردي. لكنني لست بمفردي طالما صوفيا معي. أردت الاستمنا.

٣١ أغسطس.

استيقظت في وقت متأخر للغاية، شاعرًا بتراخٍ فكري. قرأت في كتاب إرتيل. لا بأس به على الإطلاق، لكنه قديم وغير مفيد. بعد الغداء أقبلت على العمل بحياكة الأحذية. ذهبت لكوزلوفكا. في المساء قرأت سوناتا كرويتزر أمام الجميع. إنه أمر ضروري جدًا. قرّرت طاعتها في جريدة «الأسبوع». استمع ليوفا لقراءتي. إنه في حاجة لذلك.

١ سبتمبر.

استيقظت مبكرًا رغم أنني نمت في وقت متأخر. فكّرت في ليوفا وكيف أنني أخطأتُ حينما لم أحدثه عن بليتي، أو بالأحرى بليتهم المتمثلة في أنهم جميعًا يبدون كجياذ صعبة المراس، بينما أقف على الجهة المقابلة، وهم لا يشعرون بحركاتي ولا يمكنني جذبهم.

أقل الأوضاع جدوى للناس سواء من الناحية الاقتصادية أو من أي ناحية أخرى هو ذلك الوضع الذي يعمل فيه الإنسان لأجل نفسه فقط ويدافع عن نفسه فقط، وكذلك يمدّها بما هي في حاجة إليه وحدها. أعتقد أن الأمور إن كانت كذلك ولم تتكون جماعات أو أُسر حيث يعمل الناس لأجل بعضهم البعض، لم يكن الناس ليتبنوا من الاستمرار في الحياة. أكثر الأوضاع فائدة للناس سواء من الناحية الاقتصادية أو غيرها

هو ذلك الوضع الذي يفكر فيه كل شخص في خير الجميع، ويُكرّس نفسه بإيثار لخدمة هذا الخير. إن سلك الناس على هذه الصورة سينال كل فرد أكبر قدر ممكن من الخير، لكن هذا السعي من أجل خير الجميع أصبح أمرًا غائبًا بين الناس. الأمر الآن على النقيض من ذلك، فكل يسعى لمصلحته الشخصية بإيذاء الآخرين. هذا الوضع لا يحقق نفعًا على الإطلاق، حتى إنه يُضعف الناس سريعًا. عندما يستعبد فرد الآخرين ويجبرهم على خدمته تكون النتيجة الطبيعية لذلك غير مربحة على الإطلاق وتكون نتيجة فردية أو لمجموعة معينة من الناس، أما الأكثر نفعًا وربحًا هو أن يعمل الجميع من أجل الجميع. هذا الوضع يؤدي لاستشراء القمع وعدم المساواة. هكذا يقوم البعض بمحاولات لإحداث التوازن مثل مجتمعات الطوائف المختلفة، وكذلك محاولات تحرير الناس بصون حقوقهم السياسية. لكن هذه المحاولات دائمًا ما لا تؤدي إلى المرجو منها، فهي تؤدي في العمل مثلاً إلى مساواة أفضل العمال بأسوأهم، وفي مجال الاستفادة بمورد ما يتم تقسيم الأرض إلى حصص متساوية للجميع، لذا يقل حجم الأنصبه أكثر فأكثر؛ الأمر الذي يُقلل من ربح الجميع. لذا فمحاولات إحداث التوازن وتحرير الناس من القمع وصون الحقوق السياسية تؤدي إلى مزيد من الاضطراب والنزاع، وكذلك تفشل محاولات تحرير المقموعين، بينما يزداد عدد المستعبدين لرجل واحد أكثر فأكثر، وكلما زاد تركيز العمل ازداد الربح الناجم عنه، ولكن في الوقت ذاته ازداد الظلم وطأة وضراوة، فما العمل إذن؟

العمل الفردي غير مربح، والعمل الجماعي مربح، ولكن الظلم

وعدم المساواة رهيبان. يود الاشتراكيون التخلص من الظلم وعدم المساواة بتوزيع رأس المال على الشعوب كلها والإنسانية كلها بشكل متعادل، فتصبح الجماعة الاشتراكية نفسها بمثابة الإنسانية جمعاء، ولكن:

أولاً: الأمر لا يقتصر على أن الإنسانية لم تدرك بعد ضرورة ذلك، ولكن الشعوب كذلك لم تدركه طالما لم تصل الإنسانية جمعاء إلى هذا التنظيم بعد.

ثانياً: ليست هناك أدنى إمكانية بين الناس الذين يسعون صوب مصلحتهم الشخصية لأن يجدوا أناساً آخرين يتمتعون بالإثارة الكامل حتى يمكنهم أن يديروا رأس مال الإنسانية دون الاستفادة من السلطة الممنوحة إليهم، ودون أن يجلبوا الظلم واللامساواة مجدداً إلى العالم. هكذا نجد الإنسانية تواجه مجدداً الإشكالية الآتية: إما أن تتنازل عن التقدم الذي حققته بالعمل المشترك بل والتراجع كذلك، وإما أن تقبل بحتمية وجود ظلم وعدم مساواة مثلما لا يمكنك تناول البيض دون أن تكسره، فالصراع هو قانون الإنسانية ولا بد من تقديم بعض التضحيات دائماً. يتبنى البعض هذه الرؤية ويدعمونها، ولكن في الوقت ذاته بإمكان المرء سماع أصوات تعلق أكثر فأكثر؛ إنها أصوات اعتراضات المحرومين ونحيب المقموعين وأولئك المذهولين مما يحدث باسم المسيح أو الحقيقة أو الخير والتي يبدو وكأن عالماً يعترف بها على المستوى الرسمي. الآن يعرف كل طفل أن أكثر شيء يأتي بالريح للجميع أن يهتم كل شخص بالجميع، وأن يعتبر نفسه جزءاً

من هذا الكل، ولكن طالما الوضع ليس كذلك، وليست هناك إمكانية للتسلل داخل روح كل إنسان وإسداء أمر إليه بفعل ذلك، وطالما أنه من المستحيل كذلك أن نرضي الجميع أو أن الأمر سيستغرق وقتًا لا نهائيًا، فلا بديل إذن سوى تعزيز العمل الجماعي الذي ينشأ عن خضوع الكثرة للقلّة، وفي الوقت ذاته إخفاء حقيقة اللا مساواة عن المحرومين لتجنب الهجوم المحتمل منهم، وفعل الخير للمقموعين. هذا ما يفعله الناس الآن، ولكن المنظمات الرأسمالية تزداد حجمًا أكثر فأكثر ويزداد الظلم واللا مساواة وحشية. إلى جانب ذلك تمتد حلقة التنوير فيصبح الظلم واللا مساواة أكثر وضوحًا لأعين الظالم والمظلوم معًا. لم يعد بالإمكان التقدم في هذا الطريق أكثر من ذلك، وأولئك من لا يفكرون كثيرًا، أو لا يفكرون مطلقًا، يحاولون اقتراح طرق وهمية يمكنهم بها ترقيع تلك التمزقات البادية، بتثقيف الناس وزرع الوعي بداخلهم بحاجتهم للجمعيات والمنظمات الجماعية لتحقيق أقصى قدر من الربح. هذه حماقة. إن كان الهدف هو تحقيق أقصى ربح، فكل إنسان يمكنه أن يحقق ربحًا كبيرًا في ظل النظام الرأسمالي، لذا لن تؤدي هذه المحاولات لشيء سوى الحديث والحديث.

إن أكثر الأنظمة نفعًا للناس جميعًا لن تتحقق طالما يهدف كل إنسان إلى الرخاء المادي، لكنها سوف تتحقق عندما يهدف كل إنسان إلى رخاء مستقل عن الأمور الدنيوية؛ عندما يقول كل إنسان من كل قلبه: «طوبى للفقراء... طوبى للحزاني.. طوبى للمضطهدين». حينها فقط، حين لا يعود كل إنسان يبحث عن خيره الأرضي؛ بل يسعى خلف

خيرهُ الروحى المقترن دائماً بالتضحية، حينها فقط ينال الجميع أكبر قدر من الخير. سأطرح مثالا بسيطا: لدينا مجموعة من البشر. إن تمتعوا جميعا بالنظام ورتب ونظف كل منهم ما يتعلق به، فلن يكون مطلوباً من كل منهم سوى قدر ضئيل من العمل من أجل تحقيق النظافة العامة، لكنهم جميعا كانوا قد تعودوا على أن يقوم الآخرون بالتنظيف والترتيب من خلفهم. ماذا يفعل حينها إذن من يريد أن يتمتع بالنظافة؟ عليه أن يعمل من أجل الجميع، ويضحى بنظافته الشخصية تماماً. إن لم يفعل ذلك وعمل من أجل نفسه فقط، لن يصل إلى هدفه. كان من الأسهل طبعاً لو تمكن من إصدار أمر إليهم بذلك، ولكن ليس هناك من بإمكانه إصدار أمر كهذا. لا يتبقى إذن سوى حل واحد أن يعمل بنفسه من أجل الآخرين. في الحقيقة من المستحيل في عالم يعيش فيه أفراد كل لأجل نفسه أن يعيش المرء قليلاً من أجل الآخرين؛ بل عليه أن يمنح نفسه لهم كاملاً. هذا ما يطالب به ضمير الإنسان الذي قدسه المسيح.

ربما أمكنني شرح الأمر على نحو أفضل في وقت آخر، لكن الأمر الآن ليس واضحاً كفاية.

لا أذكر ماذا فعلت بالأمس تحديداً. في المساء قرأت سوناتا كرويتزر لنيكولاى نيكولايفيتش ولليوفا الذي سيغادر غداً. لقد ترك تأثيراً عظيماً على الجميع، وخاصة عليّ أنا شخصياً. كل هذا شديد الأهمية وضروري للغاية. نمت في الثانية.

٢ سبتمبر.

نهضت في وقت متأخر، وبدأت في كتابة البيان في دفترى،

ودونت بعض الأمور الأخرى، ولكن من المستحيل البدء بمثال عام. لا بد من البدء بمثال خاص. سأبدأ مثلاً بالحاجة إلى توفير الخمر أثناء الحرب^(٣٩٠). سأحاول. أردت أن أعمل لكنني لم أجد البلطة. تغديت عند آل كوزمينسكي. وصل الصبية الطلبة العسكريون. لم أتحدث معهم. جي هو من تحدث معهم في غيابي. ثم حكى لي عن أن كيرياكوف قال له إنه لن يقتل العدو فحسب، لكنه سيقتل من لا يقتل العدو كذلك. نوع رهيب من الشر الدموي المتبدل الحاسم المستعد للعمل دائماً. في المساء وأثناء حديث بريء تماماً خرجت صوفيا فجأة عن طورها. أشعر بالأسف الشديد عليها، وفي الوقت ذاته بالسروور من أنني لا أرى سوى ذنبي أنا. نمت في وقت متأخر.

٢ سبتمبر.

(التاريخ ذاته مجدداً. لا بد وأنني أخطأت في موضع ما).

نهضت في الرابعة. صوفيا مضطربة مجدداً، لكنني حمداً لله لم أنس ما عليّ فعله. خرجت بصحبة جي وتانيا. ودّعت جي ثم وصلت بصحبة تانيا إلى عمها سيريوجا. كنت طوال اليوم كالمهووس، لذا لم أكن متنبهاً كفاية لأراعي الله في حديثي مع سيريوجا وشقيقة ماشينكا. نمت مبكراً واستيقظت في الثامنة. أنا بخير صحيحاً وأشعر بالسروور بينما أدون الآن.

تنزهت وسط الحقول. تغديت. قبل الغداء، تجادلت قليلاً وغضبت

(٣٩٠) يقصد الحاجة إلى إغداق الخمر على الجنود كي يتمكنوا من فعل ما لا يستطيعون فعله إن لم يكونوا ثملين. سيذكر في مقالاته مثلاً حوادث محققة عن ذلك إبان الحرب الفرنسية الروسية في سيفاستوبول.

ولم أقم بما كان يتوجب عليّ القيام به. كم هو مذهل أثر التخدير الذي يبعثه التبغ في صاحبه! كم يجب على المرء ألا يرى الدخان وهو يتصاعد ويملاً الغرفة بأكملها! كم هي مريعة ومذهلة أيضاً تلك السخرية التي يكشف عنها سيريوجا! إنها أداة الشر، وهو لا يستخدمها أبداً في الموضوع المناسب. بدأت أدرك ذلك، مع أنني لم أشعر به بعد. نمت في وقت متأخر.

٤ سبتمبر (بيروجوفو).

استيقظت مبكراً، وها أنا أدون يومياتي. لا بد من العودة لياسنايا. عسى أن يساعدني الله على السلوك بشكل جيد حتى أغادر. لا لليأس، بل يجب تقديم فعل المحبة والانتظار دون قلق. أردت أن أكتب عن جدالي مع ماشينكا. هذا ضروري. لم أصور هذا بطريقة سليمة في أعمالني الفنية من قبل. مثال: أجبته عن القول بأن ديو جانس (الفيلسوف اليوناني القديم) إنسان خسيس؛ لأنه يسير عارياً قائلاً: لقد بشر المسيح كذلك بالفقر. تجيب هي قائلة: لا. يقول المسيح: أن أردت أن تكون كاملاً^(٣٩١)... وحاولت أن أكمل الجملة قائلاً: اترك بيتك وحقلك وزوجتك وأطفالك، لكنها لم تسمح لي بإكمال الجملة، وقالت:

قال المسيح «إن أردت أن تكون كاملاً» وهو أمر ليس للجميع

(٣٩١) «بَيْهَا الْمُعَلَّمُ الصَّالِحُ، مَاذَا أَعْمَلُ لِأَرِثَ الْحَيَاةَ الْآبِدِيَّةَ؟» فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «لِمَاذَا تَدْعُونِي صَالِحًا؟ لَيْسَ أَحَدٌ صَالِحًا إِلَّا وَاحِدٌ وَهُوَ اللَّهُ. أَنْتَ تَعْرِفُ الْوَصَايَا: لَا تَزْنِ. لَا تَقْتُلْ. لَا تَسْرِقْ. لَا تَشْهَدْ بِالزُّورِ. أَكْرِمُ أَبَاكَ وَأُمِّيَّ». فَقَالَ: «هَذِهِ كُلُّهَا حَفِظْتَهَا مُنْذُ حَدَّثْتَنِي». فَلَمَّا سَمِعَ يَسُوعُ ذَلِكَ قَالَ لَهُ: «يُعَوِّدُكَ أَيْضًا شَيْءٌ: بِعْ كُلَّ مَا لَكَ وَوَرِّعْ عَلَى الْفُقَرَاءِ، فَيَكُونَ لَكَ كَنْزٌ فِي السَّمَاءِ، وَتَعَالَ أَنْبَعْنِي». لوقا ١٨: ٢٢.

خاصة إن كانت لدى المرء أسرة.

نعم لقد فهمت. دعيني فقط أتحدث.

نعم، أعرف أنك تعودت على أن تكون دائماً المتحدث الوحيد حتى تثير إعجاب الجميع.
لا.

حسناً، سأصمت.

ثم دار الحديث عن الزواج، فقلت:

لقد قال: «ليس الجميع يقبلون هذا الكلام بل الذين أُعطي لهم» (٣٩٢).
هكذا لن تكون لدينا عائلات.

الأمر على النقيض من ذلك، فالعائلة الشريفة تصنع الخير. (صمتُ لبرهة) أريد أن أقول إن القانون هو: العفة الكاملة، وأريد أن أطرح أمثلة لبعض الفتيات اللاتي...

(قاطعتني قائلة) إن كرّست نفسها لله فهذا أمر آخر، وحينها أوافق على العفة الكاملة.

لم أكمل حديثي بعد.

(٣٩٢) وَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مَنْ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ إِلَّا بِسَبَبِ الزَّنى وَتَزَوَّجَ بِأُخْرَى يَزْنِي، وَالَّذِي يَتَزَوَّجُ بِمُطَلَّقَةٍ يَزْنِي. قَالَ لَهُ تَلَامِيذُهُ: «إِنْ كَانَ هَكَذَا أَمْرُ الرَّجُلِ مَعَ الْمَرْأَةِ، فَلَا يُوَافِقُ أَنْ يَتَزَوَّجَ!» فَقَالَ لَهُمْ: «لَيْسَ الْجَمِيعُ يَقْبَلُونَ هَذَا الْكَلَامَ بَلِ الَّذِينَ أُعْطِيَ لَهُمْ، لِأَنَّهُ يُوجَدُ خَصِيَانٌ وَلِدُوا هَكَذَا مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِهِمْ، وَيُوجَدُ خَصِيَانٌ خَصَاهُمُ النَّاسُ، وَيُوجَدُ خَصِيَانٌ خَصَّوْا أَنْفُسَهُمْ لِأَجْلِ مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ. مَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَقْبَلَ فَلْيَقْبَلْ».

ألم أفهم مقصدك؟

لا، لم تفهمي.

بالطبع أنت وحدك مَنْ يفهم كل شيء، والجميع حمقى.

السخرية حقاً أداة دنيئة. التخلص منها صعب، لكنها دنيئة تماماً كالعنف.

٤ سبتمبر^(٣٩٣) (ياسنايا بوليانا).

في هذا الصباح وجدتني كما توقعت أقول لسيريوجا إنه نزق، وإني أحبه، لكنني لا أشعر صوبه بأي شيء آخر، وإنه يبعث الحزن في قلبي، وقد قلت كل ذلك بصورة سيئة والدموع تنهمر من عينيَّ وصوتي يشي بشفقتي على نفسي، وبالتالي لم يكن ذلك يفصح عن خير حقيقي. بدأت طريقي. أخذوا جميعاً ينظرون إلى الأكوام المكدسة في الحقل. إنه قمح غريب! لقد اشتري قمحاً سيئاً وبذر بذوره، وحسناً أني رفضت ذلك من البداية. إنه الآن مشغول تماماً حتى يُثبت لنفسه أنه لم يخطئ، خاصة في حضور الآخرين. هذا ما يفعله دون توقف بقية المخطئين في الكنيسة. في المنزل وبّخت صوفيا جي على أنه لم يتكن يتعامل معها على نحو حسن. استلمت خطاباً جيداً من تشيرتكوف. إنها مريضة للغاية (الشخصية المقصودة غير واضحة). نمت في وقت متأخر.

٥ سبتمبر.

لم أكتب شيئاً. عملت بقطع الأشجار مع سيفاستيان (فلاح من

(٣٩٣) خطأ تكرار ٤ سبتمبر من قبل تولستوي.

ياسنايا). أُصبت بالبرد والرشح. نمت في وقت متأخر.

٦ سبتمبر.

نهضت في وقت متأخر. وصل ميدفيديف وأينيكوفا. شعرت بالحرَج لأنني كنت أود أن أظهر حبي لهما، لكنني لم أكن بصحة جيدة، فأنا مصاب بدور برد قوي. نمت طوال الوقت. سأتغدى.

لا شيء يشير الاهتمام. كنت أشعر بالضيق في وجود الضيوف. ميدفيديف الشاب لا يؤثر فيَّ تقريباً على الإطلاق. نمت في وقت متأخر. وصلت مامونوفا. تُرى ما سبب زيارتها؟

٧ سبتمبر.

استيقظت مبكراً. رَبَّتْ غرْفتي.. أردت أن أكتب في مقالتي عن الفن، لكنني اكتفيت بالتفكير. قرأت المکتوب عن التغير الاقتصادي والاجتماعي والسياسي المتوقع حدوثه، وقد فعلت ذلك بسبب الخطابات التي أرتني إياها أينيكوفا من قبل جمعية «العمل الإلهي» (٣٩٤) في وارسو. تهدف الجمعية إلى طبع حياة الناس بالمسيحية؛ تلك الحياة التي تدّعي أنها مسيحية بالكلام فقط. افتتاحية رائعة، ولكن الحديث يدور فجأة عن الحروب التي يجب علينا الانخراط فيها دفاعاً عن الجمعية. حروب للدفاع عن جمعية «العمل الإلهي»! خطاب مليء بالهراء عن الكفارة والنعمة. إنه اليوم الثالث الذي نتحدث فيه فيروتشكا على نحو رائع بصراحتها المعهودة عن أن الحياة بالنسبة لها لا تكون إلا عندما

(٣٩٤) جمعية دينية كاثوليكية صوفية.

يغازلها الرجال. إنهم جميعاً مشيرون للشفقة مثلها، فطالما الحياة ليست فاعلة بداخلهم، فإنهم يشعرون بالحاجة لبثها في الآخرين. بالأمس قرأتُ صوفيا جهازاً سوناتا كرويتزر، وأدلت تانيا ببعض الملاحظات الصحيحة:

البطلة لن تثير الشفقة.

لن تتوب وتسال الغفران، فخطيئتها صغيرة جداً مقارنة بالعقاب الذي تتعرض له.

أخذت أفكر في الآتي: لماذا لا يمكن تحقيق ملكوت الله على الأرض بالعنف الذي تمارسه الدولة الآن أو بالثورة والدولة الاشتراكية، ولا بتلك الطريقة التي يعظ بها الاشتراكيون الإنجيليون عن طريق نشر الوعي تدريجياً في الناس؟ طالما أن الناس يهدفون إلى خيرهم الشخصي لا يمكن لأي إنسان أن يتوقف عن سعيه لخير الشخصيات لتحقيق ما هو عادل بناء على متطلبات الناس بحيث يكون الجميع على ما يرام. لا يمكن لشخص واحد أن يقوم بذلك لعدة أسباب: أولاً: لا يمكننا أن نحدد ما هو عادل تماماً في هذه المتطلبات، فالإنسان دائماً ما يبالغ في متطلباته. ثانياً: الأهم من ذلك أننا إن كان بإمكاننا أن نجد معياراً لهذه المتطلبات العادلة، يستحيل أن نعلنها وحدها للإنسان، فهو لن ينالها أبداً وسنجد أنفسنا نقارنه بمن ينال قدرًا أقل منه؛ لأن متطلبات الآخرين حوله لن تتشكل على أساس عدالتها، ولكن على أساس تحقيق أكبر قدر من المنفعة الشخصية، وهكذا من الواضح إذن أن الاستفادة العادلة من خيارات العالم لكل شخص ستتحول سريعاً

إلى عملية منافسة وصراع كما هو الأمر في عالمنا الآن. لذلك فتحقيق العدالة في سعي الناس خلف مصالحهم المادية يتطلب وجود أناس قادرين على تحديد مقياسًا للخيرات المادية يمكن أن يطبقه الجميع، ويتطلب كذلك أن يعمل بعدل أولئك من لديهم القدرة على منع الناس من نيل أكثر مما يتوجب عليهم نيله. أولئك من حملوا على عاتقهم تنفيذ المهمتين كانوا موجودين دائمًا، وهم موجودون الآن بين الناس: إنها الحكومات، ولكن لم يحدث حتى الآن لا في الأنظمة الملكية ولا في الجمهوريات أن ظهر أولئك الذين بإمكانهم وضع المعيار الصحيح لتوزيع الخيرات بين الناس ولم يخرقوا هذا المعيار لصالح أنفسهم ولصالح مساعديهم، ولم يدمروا من الأساس الهدف المفترض أن يحققوه من العمل المسند إليهم. وهكذا فإن هذه الوسيلة المعروفة من قبل الجميع عاجزة عن تحقيق الهدف المنشود. بعض الناس يقولون أننا لا بد وأن ندمر هذه الحكومات لنؤسس نوعًا آخر من الحكومات تتولى في الأساس الشؤون الاقتصادية، فبعد أن تسيطر على كافة رؤوس الأموال والأراضي والملكيات المشتركة، يمكنها أن تدير شؤون الناس وتوزع الخيرات الدنيوية بما يتناسب مع عملهم، أو مع احتياجاتهم كما يقول آخرون. حتى الآن لم يتحقق ذلك بنجاح. ولكن دون حتى أن نُجرب هذه الفكرة يمكننا أن نقول أن سعي الناس صوب مصالحهم الشخصية يجعل من تحقيق هذا النظام أمرًا مستحيلًا، وذلك لأن أولئك الناس الذين سيتولون تسيير الأمور الاقتصادية -وسيكون عددهم كثيرًا بالطبع- سيسعون هم أيضًا خلف مصالحهم الشخصية، لذا فلا

محالة سيقوم أولئك الناس عند تأسيسهم لنظام اقتصادي جديد بالسعي خلف مصالحهم الشخصية هم أيضًا، مثلهم في ذلك مثل الحكومات القديمة، وبذلك فإنهم سوف يحولون دون تحقيق ما هم مدعوون لفعله من الأساس. البعض يقولون: فلنتخب أولئك الناس من بين الحكماء والقديسين. ولكن لا يمكن اختيار الحكماء والقديسين إلا من قبل حكماء وقديسين! لو كان كل الناس حكماء وقديسين، لما احتجنا من الأساس لنوع من التنظيم الاجتماعي. هكذا فإننا نجد أن تعذر تحقيق ما يدعو إليه الاشتراكيون هو أمر يشعر به الجميع، حتى هم أنفسهم، لذا انقضت السنون ولم يصيبوا نجاحًا. هكذا تبقى فقط الفكرة الثالثة الخاصة بالاشتراكية الإنجيلية التي تبشر بوجوب التأثير على الوعي، ولكن من الواضح أن نجاح ذلك مرهون فقط بأن يكون لدى الناس جميعًا الوعي ذاته المتعلق بخير العمل الجماعي في ذات الوقت. من الواضح طبعًا أن ذلك غير ممكن، لذا لا يمكننا تأسيس نظام اقتصادي على أساس المنافسة والصراع، ولا على أساس العمل الجماعي. بالتالي فمن غير الممكن تأسيس نظام اقتصادي أفضل من الموجود الآن طالما البشر يهدفون إلى خيرهم الشخصي.

إن السبب الرئيس للضلال الكامن في دعوة الاشتراكية الإنجيلية هو أنهم لا ينتقون من تعاليم الإنجيل إلا تلك الاستنتاجات العملية التي تحقق الخير العام، في حين أنها لم تكن الهدف الرئيس في التعاليم الإنجيلية بقدر ما كانت علامة على صحة الطريق. يشير لنا الإنجيل إلى طريق الحياة، وعند السير فيه يتبين لنا أننا حققنا خيرنا الأرضي كذلك.

إننا نصل إلى هذه الحقيقة لكنها ليست الهدف. إن كان الهدف من التعاليم الإنجيلية ينحصر في الوصول إلى الخير الأرضي، لما حققناه أبداً. إن الهدف أعلى وأبعد من ذلك بكثير، وهو غير متعلق إطلاقاً بالخيرات الأرضية، فالهدف هو خلاص الروح؛ أي ذلك الجوهر الإلهي الموجود داخل الإنسان. يمكن للإنسان أن يصل إلى هذا الخلاص بهجرانه لمصالحه الشخصية والخيرات الأرضية والسعي من أجل تحقيق خير القريب؛ أي بالحب.

هذا السعي وحده هو ما يحقق معه خير الجميع على الأرض؛ أي ملكوت الله على الأرض، ولكن ذلك يحدث بطريقة غير مباشرة، فهو ليس الهدف الرئيس. أما السعي خلف المصالح الشخصية فلا يحقق لا الخير الشخصي ولا الخير العام بينما يحقق سلوك طريق التضحية كليهما. لا أستطيع كتابة المزيد عن الأمر، لكنني سأحاول تبين الأمر أكثر. الآن حان الوقت للعمل بقطع الأشجار. إنها الرابعة.

قطعنا بعض الأشجار. شربت الكفاس على الغداء وشعرت بالألم في معدتي. ظللت طوال الليل مريضاً، ولم أنم البتة.

٨ سبتمبر.

صوفيا مريضة. حلقتها يؤلمها، وأنا أشعر بضعف شديد. استغرقت طوال اليوم في قراءة كتاب "وليام هاولز"^(٣٩٥). لا بأس به. لم أفكر في شيء جدير بالاهتمام، لكنني لم أفكر في شيء شرير ولم أخطئ في شيء

(٣٩٥) أدب وروائي وكاتب مسرحي وناقد أدبي أمريكي، من أتباع الحركة الواقعية في الأدب، والكتاب المقصود هو The Rise of Silas Lapham.

في حق الناس كما كان من الممكن لمريض أن يفعل.
الساعة الآن السابعة. أنا أفضل قليلاً. مكثت على هذه الحالة
كمريض وديع حتى المساء. نعمت بنوم أفضل.
٩ سبتمبر.

استيقظت في التاسعة. أثناء المرور بالقرب من غرفة الاستقبال
رأيت شخصاً لا أعرفه. لم أعرف عليه. لقد كان بولانجي. كنت سعيداً
برؤيته لكني لم أكن سعيداً بخرق حالة الوحدة التي أنعم بها وتبعث
في قلبي السرور. بدا كما لو كان يتقدم للأمام. قرأت في كتاب ويليام
هاولز. جسدي بأكمله كان يؤلمني بالإضافة إلى الإسهال، لكن حالتي
تحسنت. تحدثت مع بولانجي. نمت في وقت متأخر.

١٠ سبتمبر.

تحسنت حالتي كثيراً. فكرت بصفاء ذهن شديد في الآتي:
عهد السيد (وهو الله) بما لديه لعبيده (وهم البشر)، وقد قبلوا ذلك
سواء عن وعي أو عن غير وعي، وظلت ملكية السيد داخل أجسادهم،
بعضهم كان يحافظ عليها والبعض يغطيها بمزيد من الحجب المادية،
أما عهدة الله نفسها؛ ألا وهي الروح، فإما أنهم لم يزدوا منها أو أنها
كانت تتبدد تماماً. حسنة هي المقارنة بالكرم. عهد صاحب الكرم
لعبيده بالكرم، أما هم فصوّراً لأنفسهم أن أهم شيء هو تسوير الكرم
بالأشجار والشجيرات وقاموا بغرسها فعلاً، في حين أमतوا الكروم
ذاتها. هذا ما حدث تحديداً، وما زال يحدث في عالمنا، وتدور تعاليم

الإنجيل عن التحرر من هذا الوهم. سيكون من الجيد أن نجمع كافة المواضيع في الإنجيل التي تتحدث عن هذا الأمر كي نستتير، ولنبدأ من متى ٦: ٢٥ (٣٩٦). الروح أهم من الغداء والثياب، وكذلك هو الأمر مع مثل المسيح عن المواهب وكيف أنه من المطلوب منا أن نزيد من قدر ما مُنِحنا إياه (راجع متى ٢٥: ١٤ - ٣٠). هكذا نقرأ في إنجيلي متى ولوقا. هذا ما يخبرنا أيضًا به مثل وكيل الظلم، وتُذيل بوضوح بخاتمة يقول فيها المسيح أن من المستحيل على المرء أن يخدم سيدين (٣٩٧). التهديد بالفصل عن العمل في المثل يشير إلى تهديد الموت. أما الصفقة التي أبرمها الرجل مع المديونين، فتشير إلى النشاط الذي نقوم به لترسيخ الخلود أو الحياة الحقيقية (نجد هنا تماثل مزدوج فالعفو عن الدائنين لا يتعلق بالإنسان فقط، بل يشير كذلك إلى عفو الله عن الخطاة).

(٣٩٦) لِذَلِكَ أَقُولُ لَكُمْ: لَا تَهْتُمُوا حَيَاتِكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَبِمَا تَشْرَبُونَ، وَلَا أَجْسَادَكُمْ بِمَا تَلْبَسُونَ. أَلَيْسَتْ الْحَيَاةُ أَفْضَلَ مِنَ الطَّعَامِ، وَالْجَسَدُ أَفْضَلَ مِنَ اللَّبَاسِ؟

(٣٩٧) «وقال أيضًا لتلاميذه كان إنسان غني له وكيل فوشي به إليه بأنه يبذر أمواله. فدعاه وقال له ما هذا الذي أسمع عنك أعط حساب وكالتك لأنك لا تقدر أن تكون وكيلًا بعد. فقال الوكيل في نفسه ماذا أفعل لأن سيدي يأخذ مني الوكالة لست أستطيع أن أنقب وأستحي أن أستعطي. قد علمت ماذا أفعل حتى إذا عزلت عن الوكالة يقبلوني في بيوتهم. فدعا كل واحد من مديوني سيده، وقال للأول: كم عليك لسيدي؟ فقال: مائة بث زيت، فقال: خذ صكك واجلس عاجلاً واكتب خمسين. ثم قال لآخر: وأنت كم عليك؟ فقال: مائة كرمق، فقال له خذ صكك واكتب ثمانين. فمدح السيد وكيل الظلم؛ إذ بحكمة فعل؛ لأن أبناء هذا الدهر أحكم من أبناء النور في جيلهم. وأنا أقول لكم اصنعوا لكم أصدقاء بمال الظلم حتى إذا فنيتم يقبلونكم في المظال الأبدية. الأمين في القليل أمين أيضًا في الكثير، والظالم في القليل ظالم أيضًا في الكثير. فإن لم تكونوا أمناء في مال الظلم فمن يأتبكم على الحق. وإن لم تكونوا أمناء في ما هو للغير فمن يعطيكم ما هو لكم. لا يقدر خادم أن يخدم سيدين لأنه إما أن يبغض الواحد ويحب الآخر وإما يلازم الواحد ويحتقر الآخر لا تقدر أن تخدموا الله والمال.» لوقا ١٦: ١ - ١٣.

المشكلة فقط في النص أن الناسخ يخلط الأمر في الآيات ١٠، ١١، ١٢ ويسيء فهمها. إن المعنى هو ذاته الذي يحمله الضيف الذي لم يرد الثياب المخصصة للعرس، وقد أساء الناسخ ثانية فهم المعنى وخلط بينه وبين مثل المأدبة^(٣٩٨). يدعونا الله إلى الحياة المستقبلية السامية، وحياتنا هنا على الأرض بأكملها إما بمثابة زيادة لمواهبنا وإما صفقة مع المديونين وإما إعداد لأنفسنا للوليمة بحيث نكون جديرين بهذه الحياة. هذه هي الفكرة التي يشير إليها عبيد صاحب الكرم والذين ينتظرون سيدهم والعذارى الذين ينتظرون العرس. في هذه الأمثلة تُعلن الفكرة من زاوية أن حياتنا الأرضية بأكملها لا بد وأن تكون بمثابة استعداد دائم لهذه الحياة الأخرى، وأن ما من شيء أكثر أهمية في حياتنا من ذلك، وأن كافة الأفعال الصالحة والمهمة الأخرى من قبيل أفعال الرحمة وحب القريب تنبع لا محالة من هذا الاستعداد ومن إنعاش الموهبة التي منحنا الله إياها. لذا نجد كافة الحديث عن العذارى والمواهب ينتهي في الإصحاح الخامس والعشرين من إنجيل متى، وتُصوّر لنا الآيات ٣١ - ٤٥ ما سيحدث نتيجة مراقبة كل إنسان للحياة بداخله. سيكون هدف الإنسان مقتصرًا على مراقبة ضوء المصباح، وتنمية الموهبة، أما نتائج ذلك ستتمثل في إطعام الجوعى ورعاية المرضى وزيارة المسجونين... إلخ. يمكننا عن طريق هذه السمات الواضحة أن نعرف أولئك الذين ينفذون إرادة الله. نعم، مراقبة ضوء المصباح وتنمية الموهبة وارتداء ثياب العرس هي وحدها الأعمال الأبدية التي تبعث السرور الحقيقي

(٣٩٨) راجع لوقا: ١٤.

والتي تملأ الحياة. كم هي مريعة تلك الضلالة التي اتخذنا بتسوير الكرم بالأشجار بدلاً من رعاية الكرم ذاته! هذا ما يحدث بنسب مريعة في عالمنا الآن.

من التعبيرات الفلاحية الروسية المدهشة: «خَلَّص روحك، عِش من أجلها، واذكر الله واحفظه بداخلك وعِش بما يرضيه». هذا هو القانون الإلهي بأكمله. الساعة الآن الثالثة. قرأت في مجلة «الثروة الروسية» مقالة عن فاجنر بهدف الاستفادة منها في مقالتي عن الفن.

١١ سبتمبر.

لست بخير صحياً. انهمكت من الصباح في كتابة مقدمة لمقالتي عن الفن. ليست جيدة. اندلعت عاصفة رهيبة ليلاً. خرجت لأنظر ما سقط من الأشجار. لا أذكر ماذا فعلت في المساء، لكنني أذكر شيئاً واحداً سرّني؛ ألا وهو أنني أصبحت واعياً أن حياتي تتلخص في رعاية الموهبة التي منحني إياها الله، وأناي أذكر ذلك دائماً، وأن ذلك يحل أي إشكالية تواجهني ويبعث في قلبي السرور. حذفت أربع كلمات خاصة بصوفيا. إنها تتحدث عن الانتقال لموسكو، وهي رغبة ملحة جداً لديها. إنها في حاجة إلى ذلك. سأعرض للظلم ثانية وسأسف على فقداني لوحدي وأشعر بالأسف على أبنائي. عليّ أن أتذكر أن شغلي الشاغل هو روحي، وحينها سيصفو كل شيء وأتحرر وتثمر المصاعب. الانشغال بروحي لا يعني أنني أوافق على الانتقال لموسكو على الإطلاق، بل قد يكون الأمر على النقيض من ذلك، أي أن ذلك قد يكون هو ما يجبرني على عدم الانتقال إلى هناك، لكن اهتمامي ينتقل من فكرة ما هو خارج

مجال إرادتي «طبقاً لإيكتيتوس» فهذا غير ضروري لي وليس مهماً
«طبقاً للتعليم المسيحي»، ويتنقل إلى فكرة ما هو ضروري وهام بالنسبة
لي وداخل مجال سلطتي.

١٢ سبتمبر.

منذ الصباح وأنا أفكر في أخي سيريوجا وضييعته، وتذكرت ولعه
بإدارة شؤونها، وحتى فكرة العمل بهدف الانتهاء من العمل ذاته. قلت
في نفسي: كل انشغال بعمل ما له هدف معين، وتحقيق هذا الهدف
الظاهري له أثر مُسكِر، بمعنى أن الهدف الخارجي لا يمكن أن يكون
حقيقاً أبداً. حيازة الملايين وملكية الأراضي والمنازل والشرائط،
وحتى الثياب الفاخرة لا يمكن أن تكون هدفاً في حد ذاتها بالمعنى
الدقيق للكلمة، بل هي نوع من السُّكْر مثلها مثل كافة الألعاب. لقد
وُهِب البشر جميعاً عمل واحد فقط؛ ألا وهو مراقبة أرواحهم. ما يهم
هو أمر واحد فقط ألا وهو البحث عن ملكوت الله الكامنة بداخلنا،
وأى شيء آخر ينبع تلقائياً من عملية البحث الداخلي ذاتها عن ملكوت
الله. هذا البحث الداخلي لا بد وأن يكون وحده الهدف، ولكن أسوأ
الضلالات الشيطانية هي استبدال هذا الهدف بهدف آخر دنيوي، مهما
كان سامياً، وحتى إن تحقق ملكوت الله على الأرض، وشُفي المرضى
جميعاً وما إلى ذلك. السؤال الوحيد الممكن هو: هل سننال كل ما هو
ضروري لنا على الأرض إن لم ننشغل بشيء سوى العيش من أجل
خلاص أرواحنا؟ علينا أن نُجَرَّب لنعرف. هذا هو السؤال الوحيد
المهم. كان من الأفضل لو كان بإمكانني أن أحرك البشر والحيوانات

كما أشاء، لكنني ليس بإمكانني ذلك، وبالتالي فاهتمامي كله منصب على نفسي. هذا أمر فائق الأهمية. لا بد من التفكير فيه. كتبت قليلاً في مقالتي عن الفن. وصلت كل من صوفيا وراتشينسكايا. كنت في حالة جيدة. في المساء ارتحت قليلاً وقرأت وودعت تانيا. وصل ليوفا. نمت في وقت متأخر.

١٣ سبتمبر.

عدت للتصحيح في مقالة الفن. كتبت قليلاً جداً. خرجت بصحبة السكير كونستانتين وسلكت على نحو جيد وبصلابة ولكن بلطف. بالأمس عدت مجدداً لحياكة الأحذية. استرخيت في المساء. ناضلت الشيطان نضالاً شديداً وقد ضغطني بشدة بإغواءاته الشريرة صوب صوفيا التي تعاملني بعداء شديد. ما بعث فيّ هدوءاً أكثر من أي شيء آخر هو وعيي بأنني عليّ أن أسلك بطريقة ربانية كما يتعامل معنا. إنه لا يغضب ولا يحزن ولا يضعف، لكنه طوال الوقت صالح مسرور، كلي القدرة. هكذا يجب أن أكون أنا أيضاً. كتبت لستراخوف وماينوف عن لغة الاسبرانتو^(٣٩٩). عمل جيد. كتبت لبوشا واستلمت خطاباً منه كذلك. طلبت مني ماشا أن أكتب له. إنها طوال الوقت مليئة بالحيوية، ولها تأثير حيوي على ماشا كوزمينسكايا. أنا أحبها حقاً. قضت فترة المساء في لعب الشطرنج والقراءة.

(٣٩٩) لغة ابتكرها د. لودفيج زامينهوف؛ لتكون بمثابة لغة دولية للبشر جميعاً.

كتبت مجددًا في مقالتي عن الفن، ومرة أخرى كتبت على نحو سيئ. خرجت لأرقب الخسائر الناجمة عن العاصفة ولأجمع الفطر. كنت عابسًا. في طريق العودة بدأت حيويتي تعاودني، وفكرت في الآتي: الحياة هي تحقيق إرادة الله. وما هي إرادة الله؟ كل ما يمكننا أن نضعه هدفًا نصب أعيننا، كإرادة الله، غير كافٍ وغير كامل، وهو مجرد علامة أو سمة، لكنه لا يحمل في حد ذاته إرادة الله، مثلما لا يمكن لعامل واحد صغير أن يفهم عمل المالك بأكمله. إنه أمر مثير للأسف بالطبع أن نقارن إرادة الله مع إرادة أي صاحب عمل، ولكن عدم صلاحية هذه المقارنة هو تحديدًا أكثر ما يكشف لنا عن عدم إمكانية الإنسان فهم إرادة الله بأكملها. لدينا علامات يمكننا أن نتحقق منها كي ننفذ إرادة الله، لكننا لن نعرف أبدًا إرادة الله في حد ذاتها. كل ما يمكننا أن ندركه من تلك السمات هو ما إن كنا نحقق إرادة الله أم لا، أما جوهر تلك الإرادة تحديدًا فسيظل سرًّا مستغلًا على أذهاننا إلى الأبد. وهكذا يجب أن يكون الأمر. لم يكن بالإمكان أن تكون لدينا حياة؛ حياة أبدية، إن كان الهدف الذي نسعى إليه مفهومًا لنا تمامًا، وبالتالي نهائيًا. لقد وُهبنا أكثر العلامات موثوقة التي تشير لنا ما إن كنا نعيش وفقًا لإرادة الله أم لا، وهي علامات لا ترقى للشك أبدًا مثل الجياد التي لا يمكنها إلا أن تسير في اتجاه واحد فقط. أول علامة رئيسة لا ترقى للشك على ذلك نميل إلى إهمالها كثيرًا، هي غياب المعاناة الروحية، مثلما يمكن ألا يشعر الجواد بألم من الشكيمة. إن اختبرت

حرية كاملة لا يمكن لشيء أن يخرقها فأنت تعيش وفقاً لإرادة الله. لدينا علامة أخرى يمكننا أن تفحص الأولى ألا وهي عدم خرق شعورنا بالحب للآخرين. إن لم تشعر بالعداء صوب أي شخص، وتعلم أنهم لا يشعرون بالشر تجاهك، فأنت إذن تعيش وفقاً لإرادة الله. العلامة الثالثة وهي تفحص الأولى كذلك هي النمو الروحي. إن شعرت أن ما تفعله روحياً يهزم ما هو حيواني بداخلك، فأنت تعيش إذن وفقاً لإرادة الله.

عندما نعيش وفقاً لإرادة الله نعرف ذلك جيداً، لكننا لا نعرف إرادة الله في حد ذاتها، ولا بد أن نذكر ونعرف أننا لا نعرفها ولا يمكننا أن نعرفها. علينا ألا نضع نصب أعيننا أهدافاً ظاهرية ونظن أنها هي إرادة الله، مهما بدت لنا هذه الأهداف سامية مثل تعليم الناس الإيمان الحقيقي وتحقيق ملكوت الله على الأرض، وحتى شرح نموذج للحياة وفقاً لإرادة الله... إلخ. يعلم الجواد يقيناً أنه يسير وفقاً لإرادة صاحبه عندما لا يشعر بالزمام يجذبه، لكنه لا يعرف إرادة صاحبه. إن صَوَّر الجواد لنفسه أنه يعرف إرادة صاحبه فكم ستكون النتائج كارثية! ينعطف الفارس بجواده من الطريق إلى الوحل، مما يجبر الجواد على الدخول إلى الفناء المتسخ والملين بالحياد الأخرى. يبدو للجواد أن من الواضح أن إرادة الفارس هي حمل الحمولة على الطريق، فيحمل الجواد الحمولة ويترك الفناء المتسخ ولا يتحدث مع بقية الجياد. لا يعتقد الجواد أن هذه هي رغبة الفارس، ويشكو ويعاني. إنه لا يعرف أن الفارس قد دار حول الساحة كي يضع الأثقال على بقية الجياد ومن ثم يطعمه لأنه يُشفق عليه ويتنظر منه أن ينبج له جياداً أخرى. هكذا

كان الأمر معي، فكم من المرات شعرت بالإحباط واشتكت من سوء مصيري ومن تلك الزمام التي كانت تقودني هنا وهناك وعانيت من ذلك! وكل ذلك بسبب أنني تخيلت أنني أعرف إرادة الله في العالم حق المعرفة. هكذا تخليت عن ممتلكاتي ورفضت كل أنواع ترف العيش وعشت بقدر ما أستطيع وفقاً لإرادة الله، وفجأة وجدت الزمام يجذبني صوب الوحل والزحام. أعتقد أن هذا هو ما بإمكانه إعاقه العمل الإلهي وتعطيله. ربما هذا هو ما يحدث. إنه يحدث لا محالة إن كانت هناك علامات على أنني أعيش وفقاً لإرادة الله. أنتظر النتائج وما سيؤول إليه الأمر، وأشعر بالحزن حينما لا أتمكن من رؤية شيء، والأدهى من ذلك أنني لا أستطيع معرفة تلك النتائج الكبر بمليون مرة من مثيلتها الصغيرة والتي لم يكن من الممكن الوصول إليها سوى بالالتفاف حول الأمر.

نمت بعد الغداء، وجلست في مكاني طويلاً.

١٥ سبتمبر.

نهضت في وقت متأخر. أقبلت ثانية على العمل على مقالة الفن. ومجدداً لم أكتب سوى القليل وعلى نحو سيئ. خرجت لأتمشى. قرأت عن الكالميك^(٤٠٠) وكيف أنهم لا يحتاجون سوى إلى القليل وأنهم لا يزعمون أنفسهم بالعمل مثل الأوروبيين الذين قد وطّنوا أنفسهم على آلاف الشهوات والرغبات، ومن ثم يقضون حياتهم كلها في محاولة إشباعها. قلت في نفسي: ابتهج! ابتهج! إن عمل الحياة ومقصدها يتلخص في البهجة. ابتهج بالسماء والشمس والعشب والأشجار

(٤٠٠) قبيلة من المغول البوذيين.

والحيوانات والبشر. واعملْ جاهداً على ألا يحول شيء بينك وبين هذا الفرح. إن خرق شيء ما شعورك بالفرح، فهذا يعني أنك قد أخطأت في شيء. جد هذا الخطأ وأصلحه. عادة ما يكون سبب تكدير هذا الفرح من قبل الطمع والطموح، وكلاهما لا يمكن إشباعه سوى بالعمل. تجنب العمل من أجل نفسك فقط؛ العمل المضجر والمُعذِّب. العمل من أجل نفع شخص آخر ليس بعمل. كُن كالأطفال. ابتهج دائماً. كم هي ضلالة مريعة سقط عالماً في شباكها عندما صدق أن الكدح فضيلة! الأمر ليس كذلك على الإطلاق، بل إنها رذيلة. المسيح لم يكن يكدح. لا بد من استجلاء هذه الفكرة. ذهبت إلى الحمام العام بصحبة إ. أ. حكى لي قصته. إنه صالح للغاية.

١٦ سبتمبر.

رأيت الكثير في أحلامي. تذكرتها فور أن استيقظت، ثم نسيت كل شيء، وكنت بخير. أذكر شيئاً واحداً فقط؛ أذكر الحجر. من غير الممكن أن يصبح مضرّاً، بل ليس بالإمكان ألا يكون مفيداً. كذلك هو أمر الحديد وكل جماد آخر. لا يمكنه أن يضر بأحد أو بشيء، ولا يمكن أن يرفض الحديد أن نصنع منه محراثاً، ولا يمكن أن يرفض الحجر أن نصنع من حجر الرحي. لكن الإنسان يمكنه أن يكون مضرّاً ولا جدوى منه. إنه أمر مخيف. يستحيل على الإنسان ألا يكون شيئاً. إنه يصبح مضرّاً بالفعل عندما يكون غير مُجدِّد. سأجلب الفأس. قرأت سوناتا كرويتزر جهاراً. لم ترق لي أبداً. إنها تتضمن عناصر سيئة للغاية كُتبت قبل أوانها.

إن تمجيد العمل ومدحه يماثل تمجيد الجماع الجنسي في الزواج
بامرأة واحدة. ليس من الطبيعي أن تكون لديك زوجات كثيرة، كما أنه
ليس من الطبيعي ألا تعمل، لذا فلا هذا ولا ذاك يستحق التقدير.

جلبت الفأس ثم تغديت. عملت بفأسي مرة أخرى. كنت عابساً
بالمساء. قرأت جريدة «الأُسبوع».

١٧ سبتمبر.

نهضت ولديّ رغبة في العمل على سوناتا كرويتزر. جاء إلکسي
جيدکوف^(٤٠١) لأجل العمل في الغابة. أخذنا نقطع في الأشجار معاً.
ما إن عدت وأقبلت على الكتابة، حتى وصل بولجين وبيبيکوف. دار
الحديث ثانية عن الكنائس. بيبيکوف يفهم كل شيء لكنه يسعى صوب
حياة غريزية. يقول أن المرأة التي يجتمع بها قد أخرجته إلى طريق حياته
الرئيس المليء بالطاقة. حكى أيضاً كيف سرق من قبل مائة شجرة
بلوط، ولم يعتبر الأمر أبداً خطيئة. أنت تدين إنساناً وتشعر أنك قمت
بشيء خاطئ، أما هذا فلا يشعر بأي شيء خاطئ مهما فعل. ودّعتهما
ومن بعدهم ليوفا ولامبير. نمت على نحو جيد.

١٨ سبتمبر.

نهضت في وقت متأخر وأقبلت على العمل، لكن سرعان ما وصل
(لي)^(٤٠٢) الأمريكي وعطلني عن العمل، لكنني تمكنت من العمل على

(٤٠١) فلاح فقير من ياسنایا، عاله تولستوي أثناء مرضه، واهتم بزوجه وطفله، وعمل في الأرض
بدلاً منه.

(٤٠٢) محاضر من بوسطن مهتم بالأفكار الاشتراكية وبأفكار تولستوي.

أي حال، ثم خرجت معه لنتمشى. إنه إنسان جاد وديموقراطي. قلت له إنك حتى تكون ديموقراطيًا لا بد وأن تكون أكثر من ديموقراطي. لا بد وأن تعي الحركة الدينية. فهم مقصدي. كان من المحزن أن يركض فوميتش (خادم بمنزل تولستوي) حولنا. ودَّعته بعد الغداء. قضيت فترة المساء دون عمل وشعرت بالملل. إنها الثانية عشرة. سأنام.

١٩ سبتمبر.

نهضت في وقت متأخر جدًا. كتبت بكد وصحَّحت في سوناتا كرويتزر. كل شيء تم إصلاحه حتى بداية تعقد الأمور، ولكن ما بعد ذلك ليس حسنًا. في البداية وصل إليوشا ثم جاء الأمريكي ثانية وسأل عن طريقة معيشة الميردين (ربما يقصد التولستويين). ذهبت معه إلى سينكوف وودعته. في المساء حذفت سطرًا واحدًا من حديثي مع ماشا وتانيا عن كم السرور الذي يشعر به الإنسان عندما ينقل أمره من المحكمة البشرية إلى المحكمة الإلهية، ويكون في حالة من الصلاة الناعمة، ثم فجأة يجد ال..... (جملة مقطوعة) كنت أشعر بالضيق، وحاولت أن أمسك نفسي، لكنني تصرفت على نحو سيئ وأخذت أشكو وآسف على نفسي، ثم وجدتهني أمام هذا الخبث الذي زاد من سرعة دقات قلبي وشعرت أنني مريض. لم أُنم تقريبًا.

٢٠ سبتمبر.

استيقظت في وقت متأخر. وصل جورافوف. في البداية شعرت بالضيق، لكنني تحدثت بعدها معه وعرفت أنه راضٍ عن مصيره، وكتب رواية لا بأس بها عن امرأة مجنونة. تحدثت معه عن العمل. يقوم بحياكة

الأحذية مع أخيه نعم، للعمل في حد ذاته تأثير مُسكر دنيء. كتبت قليلاً. نمت. في المساء ذهبت ليسينكا، والتقيت بأخي سيريوجا. سلكت معه على نحو جيد. في المنزل وجدت دافيدوف. شعرت بالملل. روعي المعنوية منخفضة. لا يمكنني الشعور بالفرح. ساعدني يا أبي!

٢١ سبتمبر.

استيقظت في وقت متأخر. راودني كابوس ليلاً عن امرأة مجنونة تشتعل غضباً وتمسك بي من الخلف. قرأت وكتبت كثيراً. قررت أخيراً أن أعدّل في الرواية. لا داعي من ارتكاب جريمة القتل (٤٠٣). خرجت لأقطع الأشجار بصحبة (ف) والفلاح جرومانتسكي. ماشا بخير. إنها الوحيدة التي تشعر بالسرور. وصل بيستوجيف. ورايفسكي. ما حاجتي إليهما؟ بعد الغداء وفي حضورهما دار مجدداً حوار مؤلم عما لدي لأطبعه. لم أستطع مجدداً أن أشفق على الأعمى وغضبت منه (٤٠٤). رحل يسوجيف ورايفسكي. دوّنت يومياتي.

نعم، أود أن أموت. إنه خطئي. كانت روعي المعنوية منخفضة جداً، وربما السبب الرئيس هو أنني نسيت واجبي في الحياة؛ ألا وهو رعاية روعي وإنقاذها.

٢٢ سبتمبر.

استيقظت مرّحاً سعيداً حتى إنني أبتمس لنفسي وأنا وحدي ليلاً. لم أقبل على العمل حتى رحيل تانيا. ما إن أقبلت بعدها على العمل، حتى

(٤٠٣) تضمنت النسخة الأخيرة من سوناتا كرويتزر جريمة قتل الزوج لزوجته.

(٤٠٤) ربما خادم أعمى في منزله.

وصل باستخوف وشامرايفسكي. أصبح باستخوف معلماً وكذلك دولنير. أندريه بوتكيفيتش سيذهب إلى موسكو. جاءني خطاب جيد من تشيرتكوف. أجلستهم لأقرأ عليهم سوناتا كرويتزر والتي لم تعد تشبه سوناتا كرويتزر القديمة في شيء. إنهم جميعاً يميلون لأن تحدث جريمة القتل ببساطة إثر شجار. قرأت قصة زوج قتل نفسه، وزوجة قتلت أطفالها، وهذا ما زال يؤكد على صحة منظوري. بعدها أخذت أعلم بقطع الأشجار مع بعض الشباب ثم تغديت واصطحبتهم لتولا. سرُت بسرور والتقيت بـ ماشا ابنتي و ماشا كوزمينسكي، وسرنا معاً بسرور حتى المنزل.

٢٣ سبتمبر.

استيقظت مبكراً، وأقبلت على العمل على سوناتا كرويتزر، لكنني لم أعمل سوى قليلٍ. استلقيت قليلاً، ثم ذهبت لأوسيب، وأخذنا معاً نقطع في الأشجار وكذلك سيفاستيانوم. أنهكت. ما لديّ من أفكار قليل. أمسكت نفسي مرتين اليوم بنجاح عن التصرف بضغينة. الساعة الآن السابعة. دوّنت يومياتي وسأصعد للطابق العلوي لأقرأ. حذفت ٤ - ٥ كلمات. يحزنني تذكرها.

بشكل عام كل شيء بخير ومفيد لروحي. التقيت ببيستوجيف الذي كان يهاجم فكرة العفة من منظور الاهتمام باستمرار الجنس البشري. قال: طبقاً للإيمان الكنسي فلا بد وأن تأتي لحظة ينتهي فيها العالم، وطبقاً للعلم لا بد لحياة الإنسان على الأرض أيضاً أن تنتهي، وكذلك الأرض نفسها، لذا فما يزعج الناس هو أن الحياة الأخلاقية

الصالحة سوف تؤدي هي الأخرى إلى نهاية الجنس البشري. ربما الأمر كذلك فعلاً. تذكر مقالة طائفة المرتجفين الأمر ذاته حيث تقول: لماذا لا يُخلَّص ضبط النفس الناس من عنف الموت؟ رائعة! أنهيتها بهدوء في المساء.

٢٤ سبتمبر.

استيقظت مبكراً. لا أذكر لماذا لم أكتب. بالأمس جاءني بعض الشحنات من تولا ومن ضمنها خطابات رائعة من أبولوف^(٤٠٥). إنه الآن ينبذ الكهنوت. كتب: «لم أضايقك من قبل. كنت أخشى أن تكون رغبة تولستوي هي الإبقاء على شيء ما من النظام اللاهوتي الذي أكرهه. لكنني الآن أنضم إليك كي أُكرّس حياتي للنضال ضد الخداع»، بالإضافة إلى الكثير من العبارات القوية والبليغة الأخرى. أحببت القصة التي اخترعها عن المكيدة التي قامت بها مارا لمحاربة نور بوذا. فعلاً كيف يمكن لإنسان أن يحارب المسيحية بطريقة أفضل من أن يتظاهر أنه تلميذ لها؟ قرأت كذلك كتاباً رائعاً من تأليف تيخون زادونسكي^(٤٠٦). لا بد لكل ذلك من نتائج معينة. أحياناً أعتقد أنني موجود أثناء إضرار النار في بعض رقائق الخشب. فور أن تُضرم النيران فيها لا شك أن النيران سوف تشتعل في كل شيء. ما زالت الرقائق باردة لم يلمسها شيء، ولكنها يقيناً سوف تشتعل بالنيران. جاء إيليا والأطفال. بعد الإفطار: قرأت

(٤٠٥) كاهن كان يرأس تولستوي، وقد أرسلت خطاباته عن طريق تشيرتكوف.

(٤٠٦) الكتاب المقصود «نصائح القديس تيخون زادونسكي» جمعها أوزميدوف وزوجة تشيرتكوف.

في كتاب تيخون، ثم ذهبت للغابة لأقطع بعض الأشجار. بعد الغداء كتبت بعض الخطابات لبعض الغرباء. تحدثت صوفيا على الغداء عن كيف راقبت قطارًا وهو يقترب منها، وقد أرادت أن تُلقي بنفسها أسفله. شعرت بالأسف الشديد عليها. الأمر الرئيس هنا هو أنني أعلم كم أستحق اللوم فيما يتعلق بذلك. على سبيل المثال أتذكر شعوري البغيض بالشهوة بعد ولادة ساشا. نعم، لا بد وأن أتذكر خطاياي. تقول: تصالح مع قريبك واصفح عن الإساءة؟ إنه أمر صعب، وربما غير ممكن أن يقول المرء لنفسه سأسامح وأعفو. يمكنه عمل شيء واحد؛ أن يتذكر إن أمكن خطاياه وذنوبه صوب ذلك الشخص الذي لا بد وأن يعفو عنه، فإن كان العفو مستحيلًا فيبساطة سيجد خطاياه وذنوبه معادلة لذنوب الآخر، أو ربما أشد وطأة. يستطيع الكثيرون القيام بذلك، لكنني لم أستطع. لا يستطيع فعل ذلك أولئك الذين لا يعرفون ذنوبهم. إنهم لا يعرفونها لأنهم لا يرونها من الأساس، فلأنهم لم يلمسوا آثامهم أبدًا اخشوشنت واكتست بالقشور داخل أرواحهم، لذا لم يعد بإمكانهم عن طريق التذكر أن يجدوها. لا بد في البداية من توبة عامة كي يمكن تمزيق هذه القشور وبسطها، وحينها ستكون في متناول اليد دائمًا وسيكون بالإمكان رؤية الخطايا اللازمة، وكل منها أسوأ من الأخرى.

في المساء استغرقت في القراءة وكنت واجمًا.

٢٥ سبتمبر.

استيقظت مبكرًا. لم أنعم بنوم جيد. فكرت في الآتي:

العيش وفقًا لإرادة الله ربما يتسبب في كراهية الناس لك؛ كراهية

سامة جدًا، ويختار أولئك الكارهون أضعف الأماكن فيك كعينيك ويصوبون ضرباتهم. يدفعون الأوساخ في كافة الزوايا الضيقة ويتآكل القلب تمامًا. هذا أمر ضروري لمن يريد أن يعيش وفقًا لإرادة الله. إن هذا يفيدني جدًا.

الجانب الأكبر من فشل خطابي بسبب أنني لم أستجمع شتات نفسي بعد من فرحة وعبي بالحقيقة وقد تصورت أنني عرفت كل شيء وعزوت كل شيء إلى نفسي لا إلى الله، واعتقدت أنني أتحدث من نفسي لا الله هو المتحدث بداخلي. لا بد وأن أتذكر دائمًا أنني لا أتكلم من نفسي، بل أنكلم بما قد كشف الله عنه لنا في حكمة كافة حكماء الأرض وفي ضمير كل إنسان. أعدت قراءة سلطان الظلام^(٤٠٧) من دون الفصل الرابع، وأعدت إرسالها. استلمت خطابًا مؤثرًا من تشيرتكوف.

٢٦ سبتمبر.

أجبت خطابًا طويلًا، ولم أفعل شيئًا آخر. كتبت كثيرًا اليوم وأمس. ذهبت إلى اجتماع المجلس بيسينكا، وكتبت بضعة خطابات أخرى. نمت نومًا سيئًا. الإنسان الصالح هو من يتذكر خطاياهم وينسى أفعال الخير التي قام بها ويتذكر كل أفعاله الشريرة. لا تسامح نفسك حتى تتمكن من مسامحة الآخرين.

ذهبت لبافل (الإسكافي) وبدأت حياكة الأحذية. جاءني خطاب

(٤٠٧) سلطان الظلام هي رائعة تولستوي المسرحية، وقد أرسل مخطوطتها إلى المؤلف المسرحي إلكسندر بترفيتش موروزوف، فقام بتعديلات كبيرة فيها، ومنها حذف الفصل الرابع كاملاً.

من ليوفا وستوكهام^(٤٠٨).

٢٧ سبتمبر.

استيقظت مبكرًا. كتبت قليلًا، وعملت بالحياكة، ثم ذهبت للغابة لرؤية ما سقط من الأشجار. دونت أمرًا ما يتعلق بسوناتا كرويتزر، ثم عملت كثيرًا مع إيليا وصوفيا. في المساء عدت للحياكة. جاءني خطاب من تانيا. أمور رحلتها لا تسير بخير. يا للأسف.

٢٨ سبتمبر.

مارست العادة السرية. كانت حالتي مستقرة في البداية، ثم شعرت بالضعف. قرأت في رواية إرتيل. جيدة جدًا. كتبت قليلًا، وعملت بالحياكة. لم يكن لديّ عمل بقطع الأشجار اليوم لذا تمشيت في الغابة. فكرت فيما كتبه تشيرتكوف عن خطية تناقض الأفعال والتصرفات مع الوعي، وكيف أنها أساس كافة الأضحيات والعبادات وهي شرط ضروري للحياة الإنسانية وحركة الحياة، فهي ليست إلا الكمال الذي لا يمكن الوصول إليه وهو يلوح أمامك. الحياة في غياب هذا التناقض عندما لا يرى الإنسان خطاياه هي حياة حيوانية تمامًا. هكذا هي حياة الإنسان الذي لا يرى أمام عينيه الكمال السامي، وكأنه يصد رأسه بالحائط. نعم، كم هي مريعة تلك التوبة وذلك الندم والرغبة في التكفير عن الخطايا عندما يظهر من شيء آخر غير الوعي الذاتي بالخطية! ما هي الخطية على أي حال؟ إنها التنحي عن الطريق المستقيم بالحيد يمنة

(٤٠٨) كاتبة أمريكية وطبيبة، كتب تولستوي مقدمة لأحد كتبها.

أو يسرة. ما الذي ينتج عن إدراكي أنني حُدت إلى اليسار؟ يبدو بوضوح أنه يتوجب عليّ أن أنعطف يمينًا بقدر ما سرت يسارًا. عندما نندم، عادة ما لا نفعل ذلك. نندم على الخطية، ولا نعود للطريق المستقيم الذي انحرفنا عنه بسبب الخطية. أيًا كان حكمك، فسيتضح لا محالة أن الخطية قد تتطلب أي شيء إلا الكفارة. الخطية هي فعل الشر للناس. إن فعلت الشر فمن الواضح أنني بقدر ما فعلت شرًا يتوجب عليّ أن أحاول أن أفعل خيرًا لهذا أو ذاك من البشر. إن جلبت إلى العالم خطية الكذب، فعليّ أن أجلب له الحقيقة. إن أغضبت الله بالخطية، فعليّ أن أسترضيه بفعل الخير. بقدر ما فعلت من خطايا تفسد روحي، بقدر ما يتوجب عليّ أن أفعل الخير الذي يصلح من روحي. في كل الأحوال تُلزم الخطية المرء بالعمل لا بالكفارة.

الساعة الآن الثامنة. أكتب باستمتاع. صوفيا حزينه بسبب أنني أخفي يومياتي عنها، لكنني تعاملت مع الأمر بهدوء. في المساء جاءني خطاب من معلم أطفال مترجم من الألمانية بواسطة مساعده. لقد توصل إلى سر المسيح -طبقًا للسيد أرنولد- وإلى أن تعليم المسيح هو في الأساس تعليم عن الخير. جاءني كذلك خطاب من أحد أفراد «المرتجفين» ووصلتني منشوراتهم. نمت في وقت متأخر، وانهمكت في قراءة كتاب إرتيل. رائع وواسع النطاق وصادق وعظيم. وصل ليوفا.

٢٩ سبتمبر.

استيقظت مبكرًا. ذهبت لجريجوري دانيلكين (فلاح مريض من ياسنايا). لا يمكنه السير الآن وساءت حالته المعنوية. الفتيات سافرن.

الفوضى تعم الغرف. لم أكتب شيئاً وخرجت لقطع الأشجار. أنهكت بشدة. في المساء دار حديث بيني وبين ليوفا. قال إنه يفهم كل شيء وفي الآن ذاته لا يفهم شيئاً. جاءني خطاب جيد من روجين وآخر بالأمس من دوجكين يتسم بالغلو. الآن ينتظر فيت تفسيراً من تانيا. يا للمسكينة! من الصباح وأنا أفكر في الآتي: هناك أناس مريعون يعيشون حياة حيوانية، ولديهم موهبة التفكير المنطقي والكلمة. يقولون: لا حاجة للتفكير المنطقي. لقد توصلوا بالتفكير إلى أنه لا حاجة للتفكير! الدين الزائف هو الأمر المعتاد، وكل ديانات الخرافات كذلك. لدينا أناس يتحدثون ولكن لا يفعلون شيئاً. ليس من الضروري أن يتحدث المرء. هناك أناس يفكرون بطريقة خاطئة... لا داعي للتفكير!

خطرت على ذهني فكرة ثم نسيتها. لا بأس. إنها مجرد فكرة. إن كانت مجرد حجر - ولن أقول مليون روبل - أو لؤلؤة أو ماسة لحفرت في كل مكان حتى وجدتها، لكنها مجرد ضباب... بذرة... فكرة! لكن البذرة تنتج شجرة بلوط، الفكرة تنتج نشاطاً مختلفاً تماماً من قبل أقوى المخلوقات؛ إنه الإنسان، ومع ذلك تبدو لنا وكأن لا قيمة لها!

٢ أكتوبر.

اليوم هو الثاني من أكتوبر، ولا يمكنني أن أتذكر يوم ٣٠ سبتمبر، وأشعر كأن شيئاً لم يحدث؛ صفحة بيضاء. أذكر أن فيت جاء هو وزوجته. يبدو في عيني الخاطئين كجثة لم تُدفن. هذه ليست الحقيقة. إنه مليء بالحياة. إنها تنبض في مكان ما في أقصى أعماقه. لم يحدث شيء سوى أن أعطتني ماشا كوزمينسكي خطاباً تصف لي فيه كيف

تجادلت صوفيا مع ميكا وفوكس وكيف أكد ميكا أنني قبلت أن أقسم أمامه. أحزنني ذلك وأردت أن أدعو ميكا بالخبيث لكنني شعرت أن هذا غير ضروري، وخرجت لأتمشى وفكرت في الآتي: لا تحزن. لا بد من أن يسبِّكَ أحدهم، ولا بد من الكتابة عن ذلك، لا لكي أوضح لمن يؤمنون بالمسيح أن هذا لا يتوافق مع الحياة الربانية، ولكن لجميع مَن يعيشون بوضاعة بحسب العالم. استلمت كذلك خطابات من تشير تكوف وبوشا وروجين وخوخلوف، وكان الأخير مؤثرا حقاً وأجبتُه لتوي. لا بد من الإجابة على هذه الكومة الهائلة من الخطابات. في المساء دارت الأحاديث في مملكة الموتى، وكانت ليلة دنيئة. مارست العادة السرية.

١ أكتوبر.

استيقظت مبكراً. جاءني خطاب من فورويوف وآخر من رئيس المحطة وآخرين. ودَّعت آل فيت وذهبت لبوليجين لكنني لم أجده. تغديت مع بيبكوف وفلاحاته. التقيت بامرأة عجوز عظيمة منهمكة في التنظيم. فكرت في الآتي: من الناحية النظرية لدينا ثلاث طرق لتنظيم العالم (المجتمع البشري). الأولى: أن يقدم أفضل الناس لدى الله قانوناً للناس تؤدي مراعاته لأكبر قدر من السعادة للناس وتجبر السلطات الناس على الالتزام به. هكذا كان الأمر قديماً، ولكن تبين أن هذه السلطات التي من واجبها السهر على تنفيذ هذا القانون، تسيء استخدام سلطتها وتخرق القانون، ليست بمفردها، ولكن كذلك يفعل معاونوها، وهم كثر. الوسيلة الثانية: دعه يعمل، دعه يمر *laissez faire, laissez*

passe والفكرة هنا أننا لسنا في حاجة للسلطات، وأن في سعي كل فرد إلى خيره الخاص سوف تتحقق العدالة تلقائيًا. لكن هذا لا يحدث لعدة أسباب: أولاً: لم تزل السلطة والناس يعتقدون أن من المستحيل القضاء عليها، ولهذا تمارس مجموعة العنف ضد الآخرين؛ أي أن الحكومة ترفض التنازل عن سلطاتها حتى تتمكن من احتجاز المجرمين، بينما المجرم لا يستسلم، لذا فطالما السلطة موجودة فإن الظروف التي يسعى فيها الناس، كل صوب خيره الخاص ليست متكافئة، وهذا ليس فقط بسبب أن ثمة مجموعة أقوى من بقية المجموعات، ولكن كذلك بسبب أن الناس يستفيدون من السلطة في نزاعاتهم. ثانيًا: بسبب أن أثناء السعي المستمر لكل إنسان صوب خيره الخاص يمكن لأقل قدر من الأفضلية أن يحقق له الأفضلية، ولا محالة حينها من ظهور اللا مساواة. تبقى لدينا إذن النظرية الثالثة وهي أن الناس سيدركون أن من الأفضل لهم أن يعيشوا من أجل خير الآخرين، وبالتالي سيسعى الجميع صوب ذلك. هذا ما يعطينا إياه الإيمان المسيحي. ولكن هذا لا يمكن أن يحدث، أولاً: بعيداً عن أي عوائق تقف في طريق تحقيق ذلك، سواء بقيت الحكومة أو النظام الرأسمالي والنظام القائم أم تلاشى كل ذلك، فإن التغيير المحتمل في نظرة الناس للعالم سيحقق ذلك لا محالة. ثانيًا: ليس من الضروري انتظار مدة محددة للبدء في تحقيق ذلك، فأي شخص يُغير من نظره للعالم ويضحى بنفسه لخير الآخرين يشارك بالفعل في تحقيق ذلك الخير. ثالثًا: هذا ما يحدث فعلاً منذ أن عرفنا أي شيء عن حياة البشر.

لقد كتبت كل ذلك على نحو سيئ، ولكن يلزم أن أعيد الكتابة على نحو أوضح.

ودّعت ليوفا وعملت بحياكة الأحذية.

٢ أكتوبر.

استغرقت اليوم أيضًا في التفكير. كثيرًا ما تعامل الناس بعداء لأسباب عديدة؛ أولها: أنهم يقومون بما قام به أسلافهم ويقومون بذلك بكل ما لديهم من قوة دون فحص كافة الأفكار التي تواجههم، بل يُنحونها ببساطة بعيدًا. تعامل الناس أيضًا بمزيد من العداء عندما يثبتون شيئًا ما وفي الوقت ذاته يتجادلون بشأنه بشكل جائر. على سبيل المثال: أنا أطلق على الأطباء أوغادًا لأنهم بدافع من أنانيتهم يقولون ما لا يعرفون ويعثرون الناس، وفي الوقت ذاته أنصح ابني أن يلتحق بكلية الطب إن التحق بالجامعة. يقولون لي: «تُطلق على الأطباء أوغادًا ولا تثق فيهم وتسخر منهم ثم ترسل ابنك لكلية الطب! هذا شيء يستحيل فهمه!». ربما لديّ رغبة في خداع نفسي والتأكيد على أنني محق. إنها نزعة طفولية. بالأمس رقص طفل في هذا المكان، وتناول كعكة، ويريد أن يكرر اليوم ما فعله بالأمس. إن فعل ما يفعله الجميع ولنقل مثلاً أنه رشم الصليب سنقول إنه محافظ، لكنه لم يفعل ما فعله الجميع، بل كرّر فقط ما فعله بالأمس. هذه هي النزعة المحافظة باختصار. إن لم تكن لدى الإنسان القدرة أو راحة البال أحيانًا، فسوف يكرر ما فعله بالأمس كالطفل. كي يوضح الأمر فسوف يُلفّق حجبًا أو يتناول حجبًا موجودة فعلاً، وهذا هو المحافظ. مثلما يلعب الطفل بدمية أو جواد

ويؤكد لنفسه أن الدمية مريضة أو أن الجواد غاضب، ويؤكد لنفسه الأمر بسلسلة كاملة من الكلمات المُجَوَّدة. أيًا كان ما يريده فسوف يؤكد لنفسه وأحيانًا للآخرين. نحن نتحدث مثلما يتحدث بالضبط. في هذا تحديدًا يمكننا جميعًا أن نتسم بالفصاحة والبلاغة. إن كان إنسان لا يفهم الحياة وظواهرها وقوانينها، فسوف يؤكد لنفسه ببلاغة أن كل ما يريده موجود في العالم فعلاً. هكذا يمكن اكتشاف أكثر أمرين يثيران الحنق من الناس: النزعة المحافظة «كل شيء سيسير على نفس منوال الماضي لا محالة»، وعدم الضمير «البلاغة الكاذبة»، وكلاهما يعتبر من ضعفات الأطفال، فهما بمثابة غياب للفكر وعدم فهم للحياة.

٣ أكتوبر.

ذهبت لقطع الأشجار، وعملت على نحو رائع. جلست لأكتب بعض الخطابات. وصلت السويسرية. إنها لطيفة للغاية. إنها تعتنق مذهب الأرواحية تمامًا بالطريقة التي تعرضها مجلة *World Advance Thought*. الأمر شيق للغاية. إنها تؤمن بأن الإيمان بالاتصال بعالم الأرواح يقود إلى الحقيقة. تمشيت ثم عفوت قليلاً بعد الغداء، وشعرت بالاضطراب في معدتي. كتبت خطاباً لبوشا ولم أستطع أن أغفو طويلاً، أما اليوم؛ الثالث من أكتوبر، فقد استيقظت مبكراً للغاية، فلم أحظ بنوم جيد بتاتاً.

الكُونيون^(٤٠٩) - الوجدويون - الكويكرز الجدد (ظهروا منذ ٣٦

(٤٠٩) راجع حاشية ٣٣١، ويتضح من هذا الجزء اهتمام تولستوي بالحركة الدينية في أمريكا والطوائف المختلفة التي ظهرت هناك.

عامًا) - معظم الأرواحيين - السفيدنبورجيون^(٤١٠) - المرتجفون - الكنيسة الكبيرة التي يمثلها هربرت نيوتن.

كل هذه الطوائف والكنائس تكاد تكون واحدة. إنها جميعًا تبحث عن نوع من المسيحية العملية، وينشدون أخوة البشر الشاملة وسمتهم الرئيسة مبدأ اللا مقاومة. أقرأ الآن لبالو. يبدو جيدًا من الوهلة الأولى. بالتأكيد تجب ترجمته، ولكن الاستثناء الذي يورده في إجازة استخدام العنف ضد الطفل كي يمنحه الدواء، ومع المجنون والمسعود (المصاب بداء الكلب) يمثل نقطة ضعف وتراجع عما قاله ويدمر كل شيء.

كم هي مريعة كل تلك الأمور! معالجة السفلس والمنازل التي تعزز العمل بالدعارة والفجور والصليب الأحمر الذي يعزز من عمل الحروب، ومفتشو العمال والمدارس وخزائن المال التي تعزز الإنتاج الصناعي ومستشفيات المجانين التي تعزز الجنون وتعزيز العلاج بتدمير نمط الحياة الصحية... إلخ. وضع الله والطبيعة ترياقًا لكل سم، والناس يحرصون على تحسين الترياق حد الكمال حتى لا يتجنبوا السموم ويستمرروا في تناولها^(٤١١). إنها مقارنات غير جيدة. لا بد من أجد تشبيهات أفضل. أود أن أكتب. الساعة الآن العاشرة. يقول بالو

(٤١٠) أتباع تعاليم المعلم الروحي السويدي سفيدنبورجا، وقد تأسست كنيسة في لندن في عام ١٧٨٧ باسم "أورشليم الجديدة".

(٤١١) المقصود من هذه الفقرة أن بعض المؤسسات التي قد تبدو خيرة هي في حقيقة الأمر تعزز من استمرار الكارثة، فالصليب الأحمر مثلاً يعالج جرحى الحروب، وبذلك يمكن الحد من كارثة الحرب قدر الإمكان فتستمر، بدلًا من أن تتسبب العواقب الوخيمة في وقف الكارثة لعدم وجود حل لها. كذلك هو علاج السفلس يشجع الاستمرار في العلاقات الجنسية... إلخ. نجد الفكرة ذاتها تقريبًا في "في العلبة" لتشخوف.

إن بإمكاننا أن نسمح بالعنف والسجن للمجانين. لا، مستحيل كما هو محرم علينا أن نقتل. إن وضعنا هذا في الاعتبار مقدماً لخشنا من تلك المواقف التي لا بد لنا فيها من ممارسة العنف أو القتل، ولما دفعنا الناس إلى هذه الظروف.

لم أكتب شيئاً. ذهبت إلى مكتب البريد. طلبت من السويسرية أن تساعدني في جمع بعض المعلومات عن الطوائف الدينية الأمريكية. حكّت لي عن العلاج الروحي الذي خضعت له ابنتها. تحدثت أثناء الاجتماع عن التبغ والخمر، لكنني جُوبهت بالرفض. لقد فسد الناس بطريقة مريعة. ذهبت إلى المنزل عبر الحقول. تغذيت. جاءني خطاب من تانيا.

٤ أكتوبر (ياسنيا بوليانا).

استيقظت مبكراً. أنا مدمن للقهوة. بدأت العمل. في الثانية عشرة وصل راخمانوف. عملنا معاً بقطع شجر التنوب. أنهكت بشدة، وكانت أمسيتي كئيبة. هو ونوفوسيلوف يتشاركان الفرحة والسرور. وصلني النقد المكتوب في جريدة «*De la vie*»^(٤١٢). شعرت بحرج شديد، ولم أستطع النوم سريعاً.

٥ أكتوبر.

استيقظت مبكراً. شعرت بالضعف، فنمت ثانية، وأخذت أقرأ بعدها لبالو وأنا مستلقٍ. ذهبت لبوليجين، ثم عدت بصحبة بناتي.

(٤١٢) يقصد النقد الذي كتبه الفيلسوف الفرنسي شارل رينوفي عن كتاب تولستوي "عن الحياة".

الساعة الآن العاشرة. أريد أن أنام. أنا في حالة ذبول فكري. هذا حسن.

٦ أكتوبر.

في الصباح كتبت صياغة جديدة لسوناتا كرويتزر. لا بأس بها، ولكن خاملة. أقوم بذلك من أجل الناس، ولذلك يبدو الأمر صعبًا. عملت بعدها بقطع الأشجار مع راخمانوف ودانيل. صوفيا في حالة معنوية سيئة. حاولت الصمود حتى أقضي على هذا الشعور المزعج، ولكن مع كل محاولاتي لم أستطع أن أستبدله بشعور شفقة حقيقية صوبها. بالأمس حكّت بعض الأحذية. يبدو كما لو أن ماشا تشعر بوجود رجل محتمل بالقرب منها؛ أقصد راخمانوف، وأنها تميل إلى التدلل بشكل غير طبيعي. قد أكون مخطئًا. نمت في وقت متأخر. معدتي مضطربة.

٧ أكتوبر.

استيقظت مبكرًا. قرأت خطاباتي التي كتبتها عند ماشا، شاعرًا أنني نسيت الأسباب التي تدفعني للكتابة، بل والأفكار ذاتها. فكرت في الآتي: بطبيعة الحال يبدو لي الجزء الجيد داخل نفسي ما هو إلا عضو بجسد الله، وأنا أثبت ما وضعه الله بداخلي، أو ما يريد أن يدفع به إلى العالم عن طريقي. ويحزنني ذلك! كيف يمكن لحجر أن يحزن أن يتحكم في مجرى المصدر بحيث تمر عبره المياه التي تروي البهائم والبشر؟ لكن الحجر يفخر بكونه نظيفًا ولا يُلَوِّث المياه. هذا غير حقيقي. كان سيلوث المياه لو لم تغسله المياه مرارًا وتكرارًا.

حضرت عصيدة وتناولتها على الإفطار. أرسلت في طلب من يعالج يد الحداد. إنه في حاجة إلى المال، وعليّ أن أذهب معه ومع

دانيلا. وصل أنتوني تش. أثرت جلبة، ثم هدأت وذهبت مع الحداد لمنزله. لم أرَ فقراً كهذا من قبل! لا بد وأنه مدمن خمر، وهذا لا يجعل الأمر أسهل. الحارس العجوز للمكان أعمى وأصم، وهو يصرخ من ألم قدميه منذ سبعة أسابيع. معدتي تؤلمني. اصطحبت الحداد للعلاج. الأمور بخير في المنزل.

٨ أكتوبر.

جاءني خطاب من تانيا. إنها مفتونة بالرسم. معدتي تؤلمني، ولكن بشكل محتمل. قرأت في «المسيحية الجديدة». جاءني خطاب من تشيرتكوف وأبوللوف. في المساء عملت بالحياكة. ماشا قلقة. نمت في وقت متأخر.

٩ أكتوبر.

استيقظت مبكراً. أشعر بالخزي من قيامي بمقاطعة كلام فوميتش بإصدار صوت صفيّر يشي بالاستهجان، ومن أني تحدثت معه بطريقة سيئة. صحت كثيرًا مما هو غامض. الساعة الآن الثالثة. سأمضي لأعمل بقطع الأشجار. جاءني خطاب من أولجا شبينجلر. سعيد بالخطاب، لكنني آسف على موت أمها. خطاب جيد. اليوم استلمت خطاباً من زولوتاريف يعرب فيه عن شكوكه. وصل المعلم نوفيكوف. خرجت لأعمل بقطع الأشجار مع راخمانوف ودانيلا، ثم انشغلت بالحياكة، وقرأت في رواية «أوبلوموف»^(٤١٣). تصوير هذا النموذج جيد.

(٤١٣) رواية إيفان جونشاروف الشهيرة.

١٠ أكتوبر.

استيقظت في وقت متأخر. تحسنت حالتي قليلاً. تصفحت العمل وراجعته من البداية. أشعر بالتقزز من العمل بأكمله (يقصد سوناتا كرويتزر). روعي المعنوية في الحضيض. عملت حتى الرابعة ثم نمت. بعد الغداء عملت بالحياكة وواصلت قراءة أو بلوموف. قصة الحب ووصف فتنة أولجا مبتدلة بشكل غير عادي. نمت في وقت متأخر.

١١ أكتوبر.

أثناء نمومي فكرت في الآتي: لا أعرف ما إن كان من الضروري أن أكتب أم لا، بل ويبدو لي أن الأمر غير ضروري، لكنني رأيت بإلحاح شديد أنه ليس من الضروري أن أضع لنفسي أهدافاً عامة للكمال، مثل أن أحب الجميع أو أكون محبباً للعمل؛ أي أن أعمل طوال الوقت، وأن أكون معتدلاً... إلخ. لكن يجب عليّ أن أحدد لنفسي -إن جاز التعبير- أقرب الدعائم اللازمة لي؛ أهدافاً من نوعية أن أقضي هذا اليوم مثلاً دون أن أدع لنفسي الفرصة كي يحتاج فيها شعور خبيث؛ أو هدفاً أبسط من ذلك؛ ألا وهو أن أصل إلى تفاهم مع (فلان) أو أن أكتب اليوم أو أن أنهي حياكة حذاء، أو حتى هدفاً أبسط من ذلك؛ ألا أنتزه اليوم مثلاً أو ألا أستسلم لشهوتي وأنهض من على طاولة الغداء وأنا جائع؛ أو هدفاً أبسط من ذلك مثل أن أعطني بنفسني اليوم. ميزة فعل ذلك أنه يجعل المرء لا يتخيل شيئاً عن نفسه. هكذا يعيش أفضل الناس قاطبة. إنهم يعيشون دون أن يفكروا بتأتاً في الفضيلة.

قرأت اليوم مقالة عن التربية والتعليم في جريدة «الوسيط». تدين المقالات إبيكتيتوس وباسكال وجوجول وماركوس أوريليوس على أنهم لم يقترحوا أي تغيير في الظروف الخارجية من أجل تحسين أوضاع الناس، لكنهم أكدوا من أول كلمة -خاصة إبيكتيتوس- أن هذا ليس في نطاق صلاحياتهم. هذا يعني أننا لا يجب أن نغضب من إبيكتيتوس وماركوس أوريليوس وباسكال وجوجول؛ بل أن نشب أنهم غير محقين. لكن المناهضين لهم لا يهتموا بإثبات ذلك لأنهم يعتقدون أن الأمر شديد الجلاء. «إن لم أشعل الموقد سيكون الجو باردًا. إن لم أغلق قفل الباب سأعرض للسرقة. إن لم أسجن السارق فسوف يؤذيني بشروره، والعكس صحيح». الأمر واضح وغير قابل للشك، حتى إنه يستحيل الجدل ضده، ولكن وضوح الأمر الشديد يجعلنا نعتقد أن من المستحيل تمامًا ألا يكون إبيكتيتوس وماركوس أوريليوس وجوجول وباسكال وآخرون قد لاحظوا ذلك، وبالتالي فإن قولهم إن الظروف الخارجية ليست في نطاق أيدينا لا بد وأنه يقصد شيئًا آخر تمامًا. إنهم يقولون إنك بعد أن تشعل الموقد لن تتيقن من أنك سوف تشعر بالدفء. قد يتحطم زجاج النافذة، وقد يفتح الباب، وقد تضطر أنت إلى فتح الباب. وعندما تربط الجواد فهذا لا يضمن احتفاظك به، فيمكن أن يُسرق، ويمكن أن يهلك. كذلك وضع المجرم بالسجن لن يُخلّصك من الشر الذي يمكنه أن يقوم به صوبك، فيمكن أن يقوم بتعليم من يجلس معه في السجن كيف يمكن أن يؤذيك بعد خروجه. إنهم لا يقصدون أن إشعال الموقد أو وضع المجرم في السجن أو وضع القفل

لن يؤدي أبدًا بشماره المرجوة، لكنهم يقصدون أننا علينا أن نفهم أن النتائج المادية قد تكون هكذا أو قد تكون على النقيض من ذلك، لذا فمن المستحيل على الإنسان أن يعلق كل شيء على هذه الأمور المشكوك في جدواها؛ بل عليه أن يستند إلى ما هو غير قابل للشك. وهم يشيرون إلى هذا الأمر؛ ألا وهو فعل الخير للناس. القيام بالخير للناس مثل إشعال الموقد وربط الجياد وحبس المجرم، يمكنه أن يحقق الأهداف العملية ذاتها؛ أي أن فعل الخير للناس سوف يدفع صاحبه، ولن يُسرق منه جواده، ولن يؤذيه السارق أو المجرم، حتى إن البعض يؤكدون أن فعل الخير للناس يحقق هذه الأهداف بصورة أكثر فاعلية، وهذا ما أعتقده ويمكنني كذلك إثباته. لذا فإن اعتبرنا أن الفرص متكافئة في الحالتين فقد يقول البعض إن الأولى تُرجَّح على الثانية، ولكن بالإضافة إلى ذلك فلدينا فائدة ننالها من الأولى تتلخص في حقيقة أن القيام بفعل الخير لا يتعارض مع تحقيق الفائدة العملية مثل إشعال الموقد إن كان لا يتعارض مع فعل الخير في شيء، لذا فلدينا طريقتان لتحقيق أهداف عملية، والطريقة الثانية التي هي فعل الخير، تتميز وحدها بأنها لا يرقى إليها الشك، فهي تستمر في بعث السرور داخل النفس حتى وإن اقترن بإحداث أسوأ العواقب في جسد الإنسان مثلما نرى في حالة الشهداء مثلاً. «لكننا نحن من نتبع الأهداف العملية لا نحرم أنفسنا من إمكانية فعل الخير، بل ونحب أن نقوم به فعلاً، لكننا لا نضعه هدفاً رئيساً لنا». هذا ردهم وهو خاطئ. عندما أشعل الموقد دون أن آخذ حطباً أو أستهلك وقتاً من أحد، حينها نشاطي يمكن ألا يستبعد إمكانية الحياة

الصالحة، وعندما أضع قفلاً ففعلي هذا يناقض الحياة الصالحة، فأنا أعرب بوضوح عن عدم ثقتي في الناس، وأؤكد على استثنائية ملكيتي، وأستدعي في الناس الرغبة في التعدي على هذه الملكية، وقد أتسبب في تذبذب شخص كان يود أن يعيش حياة فاضلة فيسأل نفسه: هل أضع قفلاً أنا الآخر أم لا؟ لكنني عندما أسجن لصاً أو مجرمًا فإن هذا يشي بتناقض مباشر للنشاط الموجّه لتحقيق أهداف عملية وحياة صالحة، فلا بد أن يدرك المرء ما الذي يشكل الأهمية الأكبر وما يمكن التضحية به. الفارق كله يكمن في حل هذه المعضلات.

طلب الحداد ذو اليد المكسورة الإذن بالذهاب إلى المستشفى. ذهب راخمانوف كي يعتني به، بينما ذهبت لتولا. هناك ذهبت بصحبة دافيدوف إلى رودنيف ثم عدت. لعبت الشطرنج وعملت بالحياسة. في الطريق واصلت التفكير في الأمر ذاته. السؤال هو: هل يمكن للإنسان أن يرتكب قدرًا بسيطًا من الدناءة من أجل خير عظيم ومحتمل جدًا؟ لا، وذلك لأن الخير الأعظم والمحتمل جدًا يمكن أن ينقلب إلى شر. من الممكن دائمًا أن تجد رأيين متناقضين بخصوص أي حدث، ولكن الشر المحقق سيبقى كذلك دومًا. لا تُثار الشكوك أو يُتخذ قرار في اتجاه خاطئ إلا لأننا لا نفهم ولا نرى بوضوح روابط الأسباب والعواقب بين العالم الأخلاقي والمادي كما نراها بوضوح في العالم المادي. يبدو لي أنني أرى بوضوح العلاقة بين ضربي لأحد الضعفاء الذي سرق مني بعض حبوب البازلاء وبين حمايتي بعض ذلك من سرقة تلك الحبوب، لكنني لا أرى العلاقة بين فعل الشر الذي قام به هذا الشخص الضعيف لي وبين تبرير ضربي له.

١٢ أكتوبر.

فكرت في الآتي: لو كان قد قيل لنا: «كونوا كاملين كبولس أو حتى كيسوع المسيح»^(٤١٤)، لكان بالإمكان أن تنتهي الحياة تمامًا. سأصبح مثل المسيح، وماذا بعد؟ لكن قيل لنا: «كأبيكم السماوي» وهذا لا حدود له، فبغض النظر عما ستفعله، ومهما تحركت، ستظل بعيدًا. الأمر يشبه حركة مدفوعة من قوتين. دائمًا تكون القوة في جانب تلك الزاوية التي بإمكانها أن تدفعني إلى الأمام، ودائمًا ما سيلوح التعارض بين كمال الآب السماوي وبيني. وهكذا يمكن أن أمضي في طريقي إلى الأبد. عنقي يؤلمني بشدة. قرأت، وأنهيت حياكة أحد الأحذية.

١٣ أكتوبر.

حالي الصحية سيئة. صحّحت على نحو جيد في تلك الرواية المزعجة. تحدثت مع نوفيكونوف. كان يتحدث على نحو أفضل. جاءني خطاب من عامل بالسكك الحديدية ومن بوشا. الساعة الآن الخامسة. سأتناول غدائي. لا بد وأن أكتب بعض الخطابات. قرأت في أو بلوموف. وصل ابني سيريوجا^(٤١٥). إنه كما هو. من الواضح أن رحلته كانت بلا فائدة تمامًا.

١٤ أكتوبر.

رحل سيريوجا. كتبت. قرأت في أو بلوموف. نمت نومًا سيئًا جدًا.

(٤١٤) «فَكُونُوا أَنْتُمْ كَامِلِينَ كَمَا أَنَّ آبَاكُمْ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ هُوَ كَامِلٌ». متى ٥: ٤٨.

(٤١٥) كان في رحلة إلى باريس بصحبة شقيقته تاتيانا.

١٥ أكتوبر.

كتبت. عرج عليّ دافيدوف بصحبة دياكوف. في المساء دار الحديث عن الزواج، وتجادلت مع دافيدوف. إنهم لا يفهمون، لكنهم وافقوني بعد ذلك.

١٦ أكتوبر.

كآبة وحزن ويأس. أتمنى فقط ألا أضرب نفسي والآخرين. كتبت كثيراً في العمل على تصحيح سوناتا كرويتزر. منذ زمن طويل لم أختبر مثل هذه الحالة الكئيبة.

١٧ أكتوبر.

في الحالة ذاتها، لكنني بدأت أخرج. رحلت صوفيا (يقصد إلى موسكو). أنا ودود وطيب معها. كتبت خطابات لشبينجلر وماينوف ولشخص آخر.

١٨ أكتوبر.

الحال نفسه؛ صحّحت في سوناتا كرويتزر دون جدوى. ذهبت إلى يسينكا وحصلت على ستة خطابات تافهة تتطلب ردّاً. جاريسون-تسيرتيليف-خوخلوف الأب. كتبت لكل من الأب والابن خوخلوف. فلينقذني الله من الشر مثل «الإنجيلي» لدوديه^(٤١٦). يبدو أنني كتبت على نحو جيد. كتبت كذلك لأعضاء طائفة المرتجفين. فكرت في أسوأ أيامي. الشيخوخة، وأحياناً الاقتراب من الموت لا الشيخوخة،

(٤١٦) رواية للكاتب الفرنسي الشهير ألفونس دوديه.

هي انتقال أجزاء من الكائن (لا أعرف ما إن كانت أجزاء فعلاً أم لا) إلى عالم آخر بعيد. أحياناً أشعر أنني أعيش في ذلك العالم فعلاً. إن حياتي الصالحة (عندما تكون فاعلة) هي نتيجة لوعيي بهذا العالم السامي. كثيراً ما ينتقل الرضيع والطفل والشاب بين عالمنا والآخر الماضي، وتصبح أفعالهم السيئة بمثابة عواقب لوعيهم بهذا العالم الماضي الأدنى. عالم كامل كامن في دقيقة واحدة؛ إنها تحديداً لحظة اتصال الوعي بالماضي بالوعي بالمستقبل. الأمر ليس كذلك.. إنها مجرد كلمات، ولكن ما هو حقيقي في ذلك هو أنني أشعر بمركز الثقل موجود الآن خلف التابوت.

١٩ أكتوبر.

وصل بوبوف أمس في وقت متأخر من الليل. أنا سعيد بوصوله. نمت في وقت متأخر واستيقظت مبكراً. وصلت سيدة من أورل تقول لي: «أريد أن أعيش على نحو أفضل، وأن أثقف وأذهب إلى القرية. اعتقدت أنك يمكنك أن ترتب لي ذلك، لكن يبدو أنني مخطئة». كل هذا بدافع من الخبث والأنانية. إنها بائسة إلى حد لا يمكن وصفه. إنها جالسة الآن في غرفة المكتب. وعبر محاولات متعددة قالت إن ليس لديها مال وإنها تريد أن تقتل نفسها. بعد أن هدأت تناولت بعض الطعام ورحلت. عملت تحت القنطرة، وسمعت أصواتاً؛ إنه جوربونوف وتشيستياكوف آتيان من عند تشيرتكوف. تشيستياكوف ضعيف لكنه واضح وذكي وبسيط. تمشيت معه ثم تغديت. لست في حالة معنوية جيدة.

٢٠ أكتوبر.

أنا في حالة صحية سيئة تماماً وأشعر بكآبة شديدة. ودّعت ماشا

كوزمينسكايا. تحدثت معها حتى لا تعلق آمالا كبيرة على الأمر^(٤١٧). عبثًا كتبت خطابًا لصوفيا عن أنني مُثقل بالزَّوَّار. دار حديث بيني وبين جيونيف. في البداية غضبت منه بينما احتفظ بهدوئه فدعوته للجدال وبدأت أسخر منه -على حد تعبيره- مما ألمه كثيرًا. في المساء تحدثت معه ثانية وعرفت أنه نُفي وسُجن وأنه عانى من عذاب معنوي شديد حتى فقد عادة القراءة في منفاه وأصبح لا يقرأ الآن ويعاني من اللامبالاة. بالإضافة إلى ذلك تحدث بحب شديد عن بولانجر مؤكِّدًا على أنه شخص صالح. إنه رجل محطم صالح ومريض منهك ويعاني بشدة، لكنني تعاملت بطريقة متبجحة متباهية وحاولت أن أختال في المعرض وأنظاها بأني شخصية رائعة. شعرت بالأسف والخزي الشديد من ذلك حتى إني بكيت عندما فارقت.

٢١ أكتوبر.

تحدثت مع شيسيتياكوف عن زواجه. ثمة أمر غير طبيعي في دور المعلم والناصح الذي يجعلوني ألعبه. تحدثت بحدة وسخرية مع نوفيوكوف. كل ما فعلته أن لطخت نفسي بالخزي والعار وها أنا أكرر الأمر ذاته ثانية. آه لو كان بإمكانني فقط أن أقول ما قلته بحب! كم أنا بعيد عن ذلك!

رحل كل من تشيسيتياكوف وجوربونوف. عملت بجدية شديدة حتى الخامسة في تصحيح الجزء الأخير من سوناتا كرويتزر. لا بأس بها. تغديت. في المساء دار الحوار ثانية مع نوفيوكوف، ولم أتحدث

(٤١٧) كانت ذاهبة إلى سان بطرسبرج لنشر طبعة جديدة من سوناتا كرويتزر.

مجددًا بشفقة أو حب. لا بد من أن أظفر بذلك. طوال الوقت أشعر
بضعف الحياة بداخلي.

٢٢ أكتوبر.

نهضت في الثامنة. جاءني خطاب بائس من صوفيا. لكنني أصفه
مجددًا بالبائس من الناحية الجبرية فقط، لا الحسائية؛ أي أنني أعرف أنه
لا بد وأن يكون بائس، فكيف لا يكون كذلك؟ فما يؤدي إلى هذا البؤس
واضح ومعروف. تحدثت مع جيونيف ثم فكرت في الآتي تحديدًا:

في عالمنا يعتبرون الشراهة مصدرًا للبهجة. يأكلون عندما يفرحون
بالتعارف أو الزواج. الجميع يصنعون الولائم، وكلما ازداد المرء ثراءً
كلما تناول طعامًا أفضل، فالناس ترى سعادتها في الشراهة. العكس
صحيح كذلك، فعندما لا تكون الشراهة ممكنة ولا يتوفر سوى الخبز
والماء يشعر الناس بالبؤس وكأنهم قد حُكِم عليهم بالإعدام، وبالتالي
فعندما لا يأكلون يشعرون بأشد بلية ممكنة. لم يتناول (تانيير)^(٤١٨) طعامًا
لأربعين يومًا، وكلما كانت تمر أيامه دون طعام كلما كان يزداد سرورًا.
كذلك لا يتناول النُّسَّاك الطعام إلا في أقل الحدود الممكنة، وهم كذلك
سعداء. هنا منبع الضلالة الكبيرة. لا بد من تقديم الخبز لمن يريد طعامًا.
الحديث عن ذلك ليس له أهمية، فحتى الشرير بإمكانه أن يطعم كلبًا،
وهو ليس طبيبًا لفعله ذلك، فالشعور بالشفقة على الناس فيما يتعلق
بطعامهم في الأساس، والاهتمام بتوفير الطعام للناس ونسيان طعام
الروح هو خطية كبيرة. السبب ليس في شعورنا في حد ذاته بالشفقة

(٤١٨) غير معروفة هوية هذا الشخص.

على الناس لجوعهم أو شعورهم بالبرد، فهذا ليس أمرًا خاطئًا، ولكن السبب هو أننا نحن من لدينا فائض من الطعام والثياب، نحن من نؤمن أن سعادتنا في ذلك، نشعر بالخجل من الجوعى والذين يشعرون بالبرد. لم يكن بإمكان ديوجانس (الفيلسوف اليوناني) أن يشعر شعورًا آخر بالأسف سوى على جهله بالحقيقة. أما نحن، وفيما يتعلق بالتححرر من الشراهة والترف، علينا أن نتحرر من تلك الشفقة الكاذبة، وأن نكتسب شفقة حقيقية وحيدة على جهلنا وضلالتنا وخطيتنا.

لماذا لا يشعر أحد بالهلع من أن الناس يعيشون دون نور الحقيقة (بل إن البعض يعتبرون أن من المفيد أن نخفي الحقيقة عن العامة) لأعوام وأجيال، ونشعر فقط بالهلع من أن الناس يأكلون طعامًا سيئًا وقليلًا ويتنفسون هواءً فاسدًا؟ يقولون: «إنهم يموتون من الطعام السيئ والهواء الفاسد». أجيبهم قائلًا: «يا لها من كارثة! ولكن ما الحاجة لحياة أجيال من الناس دون معرفة الحقيقة؟ الأمر الرئيس هنا هو أن بالإمكان تزويد الناس بكل ما يعوزهم ماديًا: الهواء النقي والطعام الجيد وأفضل الثياب، ويظلون مع ذلك بشرًا لا أهمية ولا ضرورة لهم؛ يبعثون الضرر من حولهم، ويظلون فاسقين تمامًا، ولكن العكس غير ممكن، فلا يمكن أن يعرف الناس الحقيقة المتاحة للإنسانية في وقتهم ويظلون مع ذلك مجرد مخلوقات تافهة مضرة.

بقدر ما أذكر كان ذلك في يوم أحد، وكنت أنا وماشا وراخمانوف وبوبوف نعمل بسرور. قطعنا الأشجار، وقضينا أمسية رائعة، وودعت في نهاية الأمسية ضيفي الرائعين راخمانوف وبوبوف.

٢٣ أكتوبر.

تأخرت في الاستيقاظ. وصلت صوفيا. أول ما قالته كان عن شعورها بالعرفان لخطابي الطيب لها، واعترفت أن خطابها كان سيئاً. لم أفعل شيئاً طوال اليوم، واستغرقت في القراءة. مرضت ساشا، واعتقدوا أنها الحمى القرمزية، ونقلوها للطابق السفلي وعزلوها.

٢٤ أكتوبر.

حالي الصحية السيئة تؤثر على معنوياتي. أكافح محاولاً تحمل الألم بأفضل شكل ممكن. أود لو أموت... إنها خطية! أقرأ في مذكرات جولوفاتشيفا. فكرت في الآتي:

إن إدراك تفاهة وكارثية الحياة بكامل كياني، لا الاعتراف بعقلانية الحياة هو ما قادني إلى وعي ديني حقيقي لا يتزعزع. الفارق يكمن في الآتي: إما أن نعترف بالعقل، أو أن نجد أنفسنا منساقين صوب الهاوية ونشعر بالهلع بعد أن نراها. يبدو لي أن شيئاً واحداً هو ما يمكنه أن يقود إلى إيمان حقيقي لا يتزعزع؛ ألا وهو إدراك فساد كافة الطرق عدا الطريق الوحيد الحقيقي الذي لا يتزعزع. هذا ما حدث معي، وأعتقد أنه لا بد وأن يحدث مع الجميع. ولكن قد يكون هناك طريق آخر: إدراك الطريق الوحيد الحقيقي بواسطة وحي أو رؤيا. ربما يصلح هذا مع أناس آخرين ذوي طبائع أكثر حساسية وطُهرًا. هذا الإيمان الأكثر وضوحاً وإشراقاً لا ينبع فقط من حب الحقيقة والخير بقدر ما ينبع من الوعي بالهلاك المحكوم به على كافة الطرق الأخرى. ربما يصل البعض مثلي بطريقة

سلبية (باختبار الهلاك الذي تفضي إليه كافة الطرق عدا الحقيقي)، وآخرون يصلون بطريقة إيجابية (بإدراك الطريق الحقيقي من البداية).

في هذا وفي ذاك لدينا مَنْ يصلون بالعقل وحده، ولدينا مَنْ يدركون الطريق بكامل كيانهم. لا يمكن للناس جميعاً أن يتعاملوا مع الحقيقة إلا عن طريق الآتي:

أن يدركوا خير الحقيقة بالعقل.

أن يدركوا ذلك بكل كيانهم.

أن يدركوا بالعقل الهلاك الذي تُفضي إليه كافة الطرق الأخرى عدا الحقيقي.

أن يدركوا ذلك بكل كيانهم.

في الحقيقة إذن كل إنسان يعرف الحقيقة لا بد وأن يكون قد عرفها بطريقة من الطرق السالفة باختلاف الدرجات.

الطريقة الثالثة؛ ألا وهي الإدراك العقلي للهلاك الذي تفضي إليه كافة الطرق عدا الحقيقي، سرعان ما ستتحوّل إلى الرابعة خاصة عندما تزداد طبيعة الإنسان ميلاً إلى خيره الشخصي. وسيؤدي ذلك إلى تجنب الكثير من المسارات الخاطئة التي تؤدي إلى الهلاك بوضوح. هكذا كان تيار الوعي بداخلي، وأظن أنه كان كذلك مع الجميع: بادئ ذي بدء يُحب الإنسان الحقيقة عقلياً (أحببتها منذ سن الخامسة عشرة عندما أُعجبت بروسو) ثم يبدأ في الوعي عقلياً بالهلاك الذي تؤدي إليه الطرق المزيفة، ثم يبدأ في الاقتناع بكيانه كله أنها جميعاً طرق تؤدي إلى

الهلاك سوى الطريق الوحيد الحقيقي، وبعد ذلك لا بد وأن كل مخلوق سيحب الحقيقة. ما زال ذلك يبدو ضروريًا لي.

فكرت كذلك في الآتي:

لدينا طريقتان للتفكير؛ الأولى: أي شخص يفكر من أجل حسم مسألة ما لا يعترف بأي استنتاج قد توصل إليه أي شخص من قبله، ويبدأ في التوصل إلى استنتاجاته من البداية تمامًا عبر المقدمات التي لا بد وأن تصل به إلى النتائج. الطريقة الأخرى أن يعترف من يفكر مقدمًا بجزء من النتائج (حتى وإن كانت نتيجة واحدة) التي تم التوصل إليها ويحاول حل المسألة العالقة أمامه بحيث تتوافق مع النتيجة التي في يده. هذا يشبه حل معادلة فيها الكثير من القيم المجهولة بافتراض ناتج قيمة واحدة مجهولة. يمكن التوصل إلى الحل، ولكن في حالة واحدة فقط؛ أن تكون كافة الحسابات في الحالات الأخرى متشابهة للغاية مع الصحيحة، لكن هذا سوف يكون دائمًا مستحيلًا.

مثال: هل الحكم بالإعدام أمر منطقي؟ يمكن التفكير في المسألة كالتالي: الناس يعيشون معًا، وكل منهم يسعى صوب خيره، وهم يضعون بعض القواعد لحياتهم المشتركة. هل من المنطقي أن تكون من بين تلك القواعد قاعدة تقضي بأن بعض الأفعال تحتم على الناس أن يقتلوا من يرتكبها؟ هذا هو النوع الأول من التفكير. النوع الثاني يسير على المنوال الآتي: بعد الاعتراف مقدمًا بوجوب وجود الحكومة يمكن إثبات ضرورة الحكم بالإعدام بفكرة أن غياب الإعدام قد يؤدي للقضاء على الحكومة.

مثال آخر: هل من المنطقي أن أقضي حياتي في كتابة أمور أهميتها مشكوك فيها، وأن أجبر الآخرين على أن يوفروا سُبل معيشتي؟ يمكن التفكير في الأمر كالآتي: أنا أعترف بمساواة الناس جميعاً، لذا فكلُّ لديه الحق في أن يحيا حياة كريمة مثلي.

مثال آخر على طريقة التفكير في الأمر: الأوراق التي أكتب عليها تعتبر شرطاً رئيساً لكل مجتمع، لذا فالمساواة بين الناس يجب أن تكون في أمر آخر. كما أننا يمكن أن نحل مسألة من قبيل: $2x + 10 = x + y$ دون أن نحدد قيمة أي من هذه الرموز، بل باقتطاع قيمة طرف من الآخر وحساب الناتج. هذه أيضاً طريقة صحيحة. لدينا طريقة أخرى وهي أن نفترض أن x تساوي بلا ريب a ، أي أن $x = a$ ، وهكذا يمكننا معرفة قيمة y . إن استخدمنا هذه الطريقة، سيكون لدينا عدد لا نهائي من الحالات غير صحيحة، وحالة واحدة فقط هي الصحيحة؛ ألا وهي عندما نتوصل إلى أن $x = 4$.

هذه هي النماذج المستمرة للتفكير في الحياة وإمكانية الوفاء بتعاليم الحقيقة، وهذه هي الأساليب التي يفكر بها الناس في حياتهم الخاصة وحياتهم الاجتماعية. يقول المُفكِّر: ”نعم، إنني أريد اتباع تعاليم الحقيقة“، لكن حقيقة أنه في منصب أو وظيفة معينة مثل قيصر أو وزير أو جلاد أو جندي أو كاهن أو نائب عام أو تاجر أو مالك أراضٍ أو طبيب أو عالم أو كاتب يكتب من أجل المال، تجعله يضفي معنى معيناً على موقفه؛ على x الخاصة به، وبذلك يتوصل إلى الحساب الصحيح للمسألة التي تواجهه. من الواضح أن ذلك لا يمكن أن يكون

صحيحًا بالطبع، وهذا ما ينطبق كذلك على المسائل العامة. يقولون: «نعم، دعنا نقود العالم بتعاليم الحقيقة: العدالة والفضيلة». وهم يحبون هذه الحقائق بشكل خاص، ولكن شرط أن تبقى باريس بعاهراتها وبرجها المدعو إيفل^(٤١٩) وبشاركو^(٤٢٠)... إلخ، وإن بقيت فقط ألمانيا وروسيا وإنجلترا بكذا وكذا... إلخ. ولكن كل ما سبق لا يدمر فقط إمكانية تنفيذ الحقيقة، بل كذلك إمكانية فهمها من الأساس. هذا ما يفسر معرفة الناس منذ زمن طويل للحقيقة، ورغم ذلك لا يفهمونها ولا ينفذونها.

في المساء تحدثت مع ديتيريكس ونوفيكوف. معدتي تؤلمني طوال الوقت. لم أستطع النوم طوال الليل.

٢٥ أكتوبر.

استيقظت في وقت متأخر جدًا. معدتي تؤلمني وأكافح ضد الصفراء. تجادلت قليلاً مع صوفيا حول علم الحساب. ديتيريكس يكتب شيئاً ما. مصيبة! الساعة الآن الخامسة. سأتنزه.

خرجت، وفي المساء لعبت الشطرنج، وشعرت بالضيق من وجود ديتيريكس.

(٤١٩) كتب تولستوي في بعض مقالاته عن تشييد برج باريس ووصفه بنوع من الجنون أن يتم كل هذا العمل من أجل بناء برج لا معنى له. راجع ترجمتي الصادرة عن آفاق "في العلم والأخلاق والسياسة".

(٤٢٠) طبيب أعصاب فرنسي تلميذ رويد على يده. يبدو من السياق إذن سخرية تولستوي منه.

٢٦ أكتوبر.

استيقظت في وقت متأخر. خرجت لأتنزه وسط الغابات حتى موعد الإفطار. وصل سيريوجا تعاملت معه على نحو أخرق. حاولت الكتابة في مقالتي عن الفن، ولكن بلا جدوى. لقد مضيت بعيداً جداً، ولم أكن في حالة معنوية جيدة. قبل الغداء ابتعدت مجدداً وفكرت بصفاء. في المساء شعرت بالضيق من وجود تيديريخس ولعبت الشطرنج.

٢٧ أكتوبر.

استيقظت مبكراً، وأردت أن أستمني. يا للفحش! وصل روجين وبدا نحيلاً مريضاً. حكى أن ليسكوف وأوبولينسكي والجميع يجدون أن موقف الحكومة والمجتمع قد تحدد صوبي؛ إنه علاقة رافض بالتأكيد لتعاليم تولستوي الأناركية المدمرة. يقولون تعاليم تولستوي رغم أنها تعاليم المسيح. عسى أن يمنحنا الله ذلك! هذا ليس جيداً ولا سيئاً، لكنه نوع من التقدم. إنه شيء مُحدّد تماماً. حكى ديتيريخس لنا عن اتهام الأسقف فورونيجسكي لتشيرتكوف، وأرانا إياه. بالأمس جاءني خطاب من فاسيلي إيفانوفيتش يحكي فيه عن كيف يعامله فويكوف وكيف تركته زوجته. فكرت في الآتي:

وعبي بسوء حالتي الصحية وعنايتي بها والتفكير بشكل رئيس بأني الآن مريض وغير قادر على العمل، وأني أود فقط لو أتعافى وحينها أعود للعمل هو خطية عظيمة، أي أنه خطأ كبير. هذا يماثل القول: أنا لا أريد ما وُهِبَ إياه، بل أريد ما أرغب فيه، وتحديداً فإنني أريد أن يكون

اليوم كأمس. «معدتي تؤلمني، لكن أسناني لا تؤلمني»... إلخ. يمكن دائماً أن يفرح المرء في اللحظة الآنية بما هو موجود ويقوم بما يمكنه القيام به، أي أن يبذل ما لديه من قوى فعلاً... كل هذا ممكن.

قرأت ثانية ما أرسل لي من قصائد والت ويتمان. كثير من المواضيع طنانة وفارغة، لكنني وجدت كذلك بعض المواضيع الجيدة هنا وهناك مثل «سيرة الكاتب»^(٤٢١). كاتب السيرة يعرف الكاتب، ويمكنه أن يصفه! لكنني لا أعرف من أنا. ليست لدي أدنى فكرة. نادراً ما لاح لي شيء من نفسي طوال أعوام حياتي الطويلة.

تذكرت كيف كنت أعيش وأنا شاب باسم مُثل الماضي، لأشبه أبي وجدي وأعيش كما عاشوا. أبنائي، وخاصة عزيزي ميشا يعيشون بغرائزي التي كانت في الأربعينيات من العمر. إنه لا يحاكي حاضري الآن، ولكن ماضيّ عندما كنت في الأربعينيات من العمر. لماذا؟ أليس ذلك بسبب ما فكرت فيه من قبل عن أن الطفل لا يعيش هنا كاملاً، ولكن جزءاً منه ينتمي إلى الموضع الذي أتى منه؛ من درجة دنيا من التطور، أما أنا فعلى العكس من ذلك، أعيش فعلاً في المكان الذي أنا ذاهب إليه؛ في درجة عليا من التطور، لكنني ما زلت متخلفاً في هذا المكان كطفل. هذا ساذج جداً، لكنني لا أستطيع فعل شيء آخر إلا الاعتراف به.

وحده من كرس حياته لخدمة الله والقريب يدرك أن ذلك غير

(٤٢١) في النص الأصلي هناك علامة استفهام بجانب العبارة، وغير واضح العمل الذي يتحدث عنه لويتمان.

ممکن إلا عبر الذات وتركيز نشاطه على ذاته؛ على جوهره الإلهي الذي بإمكانه أن يخدم الآخرين. ومع الألم الذي يشعر به في قلبه يدرك حتمية توجيه كافة طاقته نحو نفسه، ولكن كيف أصف الأمر؟ لا يتوجب على من يريد إنقاذ شخص يغرق أن يصرخ راکضاً صوب الشاطئ، وليس عليه حتى أن يلقي بنفسه في المياه بشبابه وحذائه، بل عليه أن يخلع ثيابه ويحرك أعضائه بعناية سابحاً صوب الغريق. كل ما يمكن أن يفعله إنسان لآخر دائماً ما يتم عبر نفسه ونشاطه والطاقة المترکزة في نشاطه. هذا ما يحب تناسيه أولئك الذين لم ينتقلوا بحياتهم بعد من حيز الحياة الشخصية إلى خدمة الله والقريب، فيقولون عن الحياة إن العناية بالذات والتركيز على خلاصهم الشخصي هو أنانية... إلخ. إنهم يحبون القول أنه من الممكن من أجل حب الناس أن يضحي المرء بخلاصه ومبادئه! كم يحبون قول ذلك! كل هذا محض كذب وعاطفية، فالحب من دون تربة حقيقية غير ممكن.

الساعة الآن الثانية عشرة. أشعر بشعور رائع في داخلي. سأصعد للأعلى. بعد الإفطار سأحاول الكتابة في مقالي عن الفن. يقول روجين إنه في انتظار الاضطهاد. جاءني خطاب رائع من بوبوف.

لم أستطع كتابة شيء، وسرت بعيداً في الغابة. فكرت على نحو جيد. تغديت وقضيت مساءً رتيباً مع سيريوجا وديتيريكس. نمت مبكراً.

أشعر بالقوة والصحة والصلابة. بالأمس وصل الطبيب رودنيف، وذهبت معه إلى أنتونيتش، وقد حدد مكان الخُراج. سنرى. وصل أليخين. اصطحبت ديتريخس بصعوبة وتحدثت معه، ولكن الأمر غير ممكن! إنه شديد الثقة في فكره رغم أنه ما زال ضعيفاً. بينما أتحدث مع أليخين قلت إن السعادة هي الموضع الذي يتطابق فيه خط الحياة مع المثال المنشود، وإن أهم عمل في الحياة هو بذل الجهود من أجل تطابق هذين الخطين، وإن كافة الأديان كاذبة، وإن مفهوم الكفارة^(٤٢٢) في الحقيقة ليس إلا ذريعة لتخليص الإنسان من بذل ذلك الجهد. استمع لما أقوله ولم يفهم بوضوح مقصدي، وربما فهم شيئاً آخر، وقال: «أما أنا؛ فأرى الأمر على النحو التالي...» وبدأ يشرح فكرتي باستفاضة ويتحدث عن أن السعادة هي نقطة تقاطع الخطين.

فكرت في الآتي:

فكرة لرواية أو مسرحية «الميلاد الروحي». إنه يكتشف فساد حياته وحقيقة الحياة الحقيقية، ويختار الطريق الأول. يعطف على الفقراء ويعتني بالمرضى ويؤسس مجتمعاً من العمل المشترك ويعظ ويسير في اتجاه خاطئ. حينها يهاجمه الجميع ويهاجمون الحقيقة بسعادة^(٤٢٣).

الحديث عن إنسان يبدو دائماً كما لو أنني كنت أتحدث معه متمنياً

(٤٢٢) يقصد كفارة المسيح الذي أرسله الآب ليُصلب كفارة عن البشر وخطاياهم أو خطية آدم الأصلية كما تؤمن أغلب الطوائف المسيحية.

(٤٢٣) عبر تولستوي عن هذه الأفكار في رائعته «الأب سيرجيه».

أن أظل صديقاً له. الكشف عن المثال المسيحي الحقيقي أمام المجتمع يجبر الناس بعد أن يشعروا بفساد حياتهم أن يبحثوا عن موطئ قدم. ومن الغريب في زماننا أن أصحاب الفكر الحر يتمسكون بإطار الدولة والكنيسة؛ الأمر الذي كان مجرد التفكير فيه منذ خمسة أعوام من شأنه أن يثير السخرية الشديدة. هم يركزون كذلك على العلم والفن. طالما لم يرتفع الجسر بعد من أحد جانبيه، فهذا يعني أن الأعمدة الاحتياطية على الطرف الآخر ما زالت ضعيفة، لكن الجسر الآن يركز بالفعل على أعمدة احتياطية بكل ثقله، وهو أمر جيد، فإن كانت هذه الأعمدة جيدة حقاً فسوف تحتل الثقل، وإن لم تكن كذلك فسينهار سريعاً.

سأذهب إلى المنزل بعد النزهة، وها أنا أفكر في الماضي، أفكر في أن الوعي بالحقيقة يحيط بالناس. حتى في زمني هذا (من وجهة نظري) يحدث كما لو أنني أصعد درجة وأسمع في قلب الأيام الخريفية صرخات وأصوات فلاحين يغطون الإسطبل وأصوات مطارق النجارين الذين يشيدون أكواخنا، والصبية يتقافزون في الوحل وأناس ذاهبون إلى الغداء. زوجتي تقوم بالتصحیحات. ديتريخس يكتب شيئاً ما تافهاً وأطفالي يتعلمون اللاتينية. ما هذا؟ وما الهدف من ذلك؟ إنهم جميعاً لا يقومون بما يريدونه ولا بما هم في حاجة إليه، بل يقومون بما ينبع من تلك السلسلة العشوائية التي وجدوا أنفسهم قد انخرطوا فيها. إنها سلسلة عشوائية وليس من الضروري أن نمد هذه السلسلة، بل على العكس؛ لا بد من أن نحلها، وعلى كل شخص ألا يسعى إلا صوب العمل الأبدي للنمو العام من أجل التوحد باسمه وحده (يقصد الله).

الساعة الآن الثالثة. لا بد وأن أتنزه. لا أرغب في الكتابة، وأشعر
بميل للنوم.

تمشيت طويلاً. تحدثت صوفيا بهدوء مع أليخين، بينما صمتُ.
أشعر بالارتباك من سوء صحة (ر).

٢٩ أكتوبر.

فكرت في الآتي: الناس يريدون طوال الوقت أن يصححوا من
أقوال المسيح.

إنه صالح وعظيم، ولكن... إنه.... نحتاج إلى فهمه... إلخ.
إنه يقول: «في العالم سيكون لكم ضيق. أنكروا كل شيء، وكذلك
حياتكم... احملوا صليبيكم... اترك حقلك وزوجتك وأطفالك... إلخ».
لا بد وأن نفهم المقصود من كل هذه الأقوال، فكما يقولون إنها
تشكل نوع من المبالغة والتصوف.

هذا ما يقوله كل من لا يعترف به. لذا فهؤلاء وآخرون ممن
تشبعوا روحياً بتعاليمه، ومع رغبتهم في تنفيذ إرادته يصححون أقواله
ويخترعون وسائل للوصول إلى مراده دون هذه الإجراءات المتطرفة.
طوال ألفي عام وهم يصححون له دون جدوى. آخر ما قاموا به من
تصحيح يتعلق بالعدالة أو الاشتراكية المسيحية. يقول: احمل صليبك
فيقولون إنه صوفي!

”لا ضرورة لكل ذلك. كل ما يلزمنا أن نفهمه هو أنه يتوجب
علينا أن نعيش من أجل خير الناس، وحينها سيتضح كل شيء من تلقاء

نفسه“. هذا ما يقوله الوضعيون من الناس والعلماء، لكنهم يتناسون ما لم يتناسه الصوفي (كما يطلقون عليه) ألا وهو أننا لا يمكننا أن نغرس في نفوس الناس في لحظة واحدة لا جدوى اهتمام كل إنسان بذاته، ولا يمكننا أن نلهم الناس بفائدة العيش المشترك. لا يمكننا أن نغرس ذلك في نفس همجي ليست لدينا علاقة قوية به. يستحيل أن نغرس ذلك في أنفس الشباب الأناني المليء بالشهوات، لذا سيتبين لنا لا محالة أن أولئك الذين توقفوا عن السعي خلف مصالحهم الشخصية وعاشوا من أجل خير الجميع سيُسحقون من قبل أولئك الذين يسعون خلف مصالحهم الشخصية، وبالتالي لن يتحقق الأمر أبدًا، فقد نسي أهل العلم وأولئك الإيجابيون ما بإمكانه أن يدمر كافة افتراضاتهم. أما الذي يدعونه صوفيًا فلم ينس ذلك، بل أشار مباشرة لما سيحدث؛ أي أن الإنسان الذي سيتخلى عن السعي خلف مصالحه الشخصية، لا بد وأنه سيختنق تمامًا وسط أولئك الذين يسعون خلف مصالحهم الشخصية، وأن ما من حل وسط في هذا العالم، فإما أن يسعى الإنسان خلف مصالحه الشخصية مثل الجميع، وإما أن يكون مستعدًا لفقدان كل ما هو شخصي؛ أي أن يكون مستعدًا للموت. هذا ما قاله، وأشار للناس إلى خير آخر؛ ألا وهو الخير الروحي، والأمر لا يقتصر على أنه لا يعتمد على الخير الشخصي، بل إنه كذلك يتواءم مع التضحية بالنفس. نلاحظ إذن في تعاليمه أن ليس ثمة خداع أو غموض. إننا لم ننل شيئًا من نظريات أولئك الذين يريدون تصحيح كلام المسيح. لم يحدث هذا أبدًا ولا يمكن أن يحدث، أما نظريات المسيح فيمكننا أن نخرج منها بعدة أمور؛ أولها أن ثمة خير

لكل فرد بشكل مستقل، يدرك خيره الروحي، وأن هناك خيرًا عامًا لا بد له أن ينبع في البداية من إنكار بعض الأفراد لمصالحهم الشخصية، ثم إنكار الجميع لها لأجل الخير الروحي. إن السعي خلف العدالة لن يؤدي لشيء إلا التعاسة وخيبة الأمل وهلاك الفكرة ذاتها واستمرار الصراع، أما السعي خلف إنكار الذات فيؤدي إلى سعي الفرد خلف خيره الروحي الأسمى ويخفف من حدة الصراع بالرضوخ، كما أن القدوة الحسنة تفشي تأثيرها. المسيح أفضل من مصححيه.

استمنيت. استيقظت في وقت متأخر وخرجت لأتمشى. بعد الإفطار تحدثت مع أليخين وروجين بهدوء. تمشيت ثانية، ولم أكتب شيئًا. بعد الغداء تجادلت مع أليخين وروجين. أشعر بالضيق. الساعة الآن التاسعة، لم أرَ ماشا. في الصباح فكرت في الآتي: كثيرًا ما أحزن من شعوري بالعجز عن نقل الحقيقة للناس، ومن عدم قدرتي على التأثير فيهم. السبب في ذلك أنني لا أرى سوى شرورهم. الأمر أن الخير الكامن في أرواحهم يخضع للشر المكتنف أورااحهم، لذا كي نتمكن من التأثير في إنسان، لا بد وأن نستدعي الخير في روحه ونسلحه ضد الشر. كيف يمكننا فعل ذلك ونحن لا نرى في روحه سوى الشر؟ الشر ينبعث هو الآخر بتأثير من العنف والخوف، وهما بذلك يحققون شيئًا يتظاهر بالخير؛ إنه النفاق. لا يمكننا انتهاج طريقة للتأثير بخلاف العنف سوى باستدعاء الخير الكامن في الروح. الشر لا ينتج سوى شرٍّ. هذا قانون. هذا ما كتب عنه في لوقا ١١ : ١٧ (٤٢٤). الساعة الآن التاسعة.

(٤٢٤) كُلُّ مَمْلَكَةٍ مُنْقَسِمَةٍ عَلَى ذَاتِهَا تَحْرُبُ، وَبَيْتٌ مُنْقَسِمٌ عَلَى بَيْتٍ يَسْقُطُ.

لا بد وأن أكتب خطاباً لتشير تكوف، وأن أودع روجين.

٣٠ أكتوبر.

استيقظت وودعت صوفيا وروجين (ذهبا إلى تولا). تبادلنا القبلات. خرجت لأتمشى. تحدثت مع أليخين. إنه يرتكب خطيئة عندما يظن نفسه ونمط حياته مقدسين. إنها خطيئة عظيمة. يبدو له أن هناك حالتين فقط: الحياة الدنيوية الكاذبة والحياة المشتركة المقدسة. هذا خطأ فظ. قلت في نفسي: لدينا الآتي: العالم الدنيوي، وأقصد بهذا معظم الناس الذين يعيشون حياة أنانية دنيوية. وسط هذه الأغلبية دائماً ما ظهرت مجموعة من الناس أدركت الهلاك الذي تفضي إليه هذه الحياة فانفصلوا عن الآخرين وعن عالم المصالح الشخصية، وعاشوا من أجل الخير الروحي، وهم يختبرون هذا الوعي الجديد في كافة مواقف الحياة وأكثرها اختلافاً وتنوعاً. في كل موقف من هذه المواقف يسعون إلى التضحية بما هو شخصي كي يصلوا إلى الخير الروحي. هذا السعي يخرج الناس من الأوضاع الكاذبة التي يعتقدونها العالم سامية ويُفضي بهم إلى أوضاع يجدها العالم دُنْياً، وهي الأوضاع الحقيقية التي تشكل حياتهم وتشكل بشكل عام بداية تأسيس ملكوت الله. هكذا كان دائماً مسار الحياة الحقيقية، ولكن بجانب ذلك دائماً ما يحدث الآتي؛ لأن الناس لا يفهمون أن الحياة الحقيقية تكمن في رحلة الخروج بصدق ولطف من الأوضاع الكاذبة، وإخراج الآخرين معهم، لا يتصورون حياتهم إلا بعد التحرر نهائياً من الكذب، ويحاولون تحرير أنفسهم منه بطرق كاذبة، فيبترون علاقاتهم بالناس بقسوة ودون حب حتى يبدأوا

بأقصى سرعة الحياة الحقيقية التي يحدّدونها لأنفسهم بطريقة سطحية تماماً. هذا خداع، خداع قديم؛ أن تجعل الحياة تبدو وكأنها حقيقية وكأن الناس يحبون الخير. هذا شر أسوأ.

تنزهت مع أندريوشا. تحدثت مع إلكسي ميتروفانوفيتش عن أن الصراع شديد القسوة، وإن الحياة مستحيلة من غيره. يبدو وكأنه يفهم ما أقول. الساعة الآن الثالثة. أريد أن أنام.

نمت على الأريكة عند تانيا حتى موعد الغداء تقريباً. وصلت صوفيا. مَرَضَ فانيتشكا. أشعر بالأسف الشديد على صوفيا. لعبت الشطرنج وجلست مع أليخين. إنه غير مسيحي الفكر، وشديد الثقة في نفسه وكذلك شديد الرضى عن نفسه ولذلك فهو قاسٍ. أشعر بالضيق في حضوره، وكذلك يتجشأ بصورة معيبة. لقد أكّد لي على صحة وجهة نظري في (ر).

٣١ أكتوبر.

استيقظت مبكراً. أشعر بالحزن. نعم، لم أدون بالأمس أنني غضبت من فوميتش لأنه شرب القهوة التي أردتها، وأدليت بملاحظات قاسية عنه، والأسوأ من كل ذلك أنني أردت ألا يستمع له أليخين. يا للخسة والدناءة! عليّ ألا أنسى ذلك. بالأمس وصلني خطاب طويل من تشيرتكوف. إنه ينتقد سوناتا كرويتزر بإنصاف شديد. كنت أود لو أتبع نصيحته لكن ليست لديّ رغبة في ذلك. فتور وحزن وكآبة. ولكن الأمور ليست سيئة بالنسبة لي. الموت أمامي؛ أي الحياة، فلماذا إذن لا أشعر بالسرور؟ الأمر فقط بسبب أنني أشعر أن فقدت اهتمامي

(ولن أقول هنا بنفسى أو بمسراتى فقد ماتت ودُفنت حمداً لله) بخير الناس؛ الناس العاديين، وأنه يجب تثقيفهم ويجب ألا يشربوا الخمر وألا يعيشوا في فقر. أشعر أن اهتمامى يفتر حتى تجاه الخير العام، وكذلك صوب تأسيس ملكوت الله على الأرض. فيما يتعلق بهذا البرود فكرت في الآتى: يعيش الإنسان عبر ثلاث مراحل، وأنا أعرف جيداً ظروف العيش في تلك المرحلة الثالثة. في المرحلة الأولى لا يعيش الإنسان إلا من أجل شهواته: الطعام والشراب والمتعة والصيد والنساء والخيلاء والكبرياء، وتمتلئ حياته بكل ذلك. هذا ما حدث معى حتى عمر الثلاثين، حتى بدأ شعري يشيب (وكثيراً ما يحدث ذلك مع الناس قبل ذلك بكثير)، ثم بدأت أهتم بخير الناس؛ الناس جميعاً، وقد بدأ ذلك بدرجة شديدة مع أنشطتي المدرسية التي قمت بها، مع أن مسعاى هذا قد لاح قبل ذلك في حياتى الشخصية. مات هذا الاهتمام في الفترة الأولى من حياتى الأسرية لكنه عاد للظهور ثانية بقوة جديدة مفزعة ووعىي بخيلاء حياتى الشخصية. إن وعىي الدينى بأكمله قد تركز في جهودى الموجهة لخير الناس؛ في العمل على تحقيق ملكوت الله. وكان سعىي شديداً، حتى إنه ملأ حياتى بأكملها، كما كان سعىي صوب خيرى الشخصى. الآن أشعر بالضعف يتتاب هذا السعى، فلم يعد يملأ حياتى بأكملها، ولم يعد يجذبني بشكل مباشر، فأصبح لزاماً عليّ أن أجادل نفسى قائلاً إن العمل جيد؛ أقصد العمل المتعلق بتقديم مساعدة مادية للناس أو الكفاح ضد السُّكر وأوهام الحكومة والكنيسة. أشعر بقاعدة جديدة للحياة تنمو في داخلى، لا تنمو، بل تفصل نفسها وتحرر

من قيودها. إنها قاعدة جديدة سوف تستبدل كل شيء، حتى الرغبة في مساعدة الناس، تمامًا كما ابتلعت الرغبة في مساعدة الناس سعيي القديم خلف خيري الشخصي. إنها خدمة الله وتنفيذ إرادته المرتبطة بجوهره الذي أتمني عليه (يقصد الروح). لا أقصد الكمال في حد ذاته... لا. كان هذا في البداية هو ما يُغذّي حبي لخيري الشخصي. لكن هذا السعي إلهي ونقي بعكس الجسدي غير النقي فقد أصبح منفراً لي، وهو سعي ينشد الحفاظ على طهارة الهبة التي منحني إياها الله للدخل في حياة بلا دنس؛ في حياة أخرى. إنه السعي إلى الأفضل؛ إلى حياة سامية والحفاظ على استعدادي الدائم. أصبح هذا السعي يملكني أكثر فأكثر، وأنا أرى كيف يملكني كاملاً ويحل محل كافة المساعي القديمة ويملأ حياتي كاملاً. لم أعبر عن الأمر بوضوح، لكنني أشعر به بوضوح. ما يهم هنا هو أنه مع بداية تلاشي السعي خلف خيري الشخصي بداخلي، في الوقت الذي لم يكن اهتمامي الديني قد نما بداخلي فعلاً، فقد بدأ أولاً في صورة سعي إلى تحقيق الخير العام للإنسانية، شعرت بالهلع، لكنني سرعان ما شعرت بالهدوء عندما ظهر شعور ديني في السعي إلى تحقيق خير الإنسانية، وقد وجدت في هذا السعي الرضى الكامل للسعي إلى خير الفرد. هكذا هو الأمر الآن، فعندما تلاشى بداخلي هذا السعي الشديد لخير الإنسانية شعرت بالخوف قليلاً كما لو أنني خاوٍ، ولكن هذه الحياة وإعداد النفس لها قد حل محل ما كان موجوداً بالفعل. لقد نتج عنه كما حدث تمامًا مع السعي خلف خيري الشخصي، فقد أصبح يجد إشباعاً كاملاً، بل وأفضل، في السعي خلف الخير العام.

بالاستعداد لهذه الحياة يمكنني أن أصل فعلاً إلى أهداف خير الإنسانية بدرجة أفضل من السابق حينما كنت أضع خير الإنسانية ذاته هدفاً أمامي. مثلما كان الأمر أثناء سعيي خلف الخير العام فقد حققت حينها خيري الشخصي أكثر مما حققته عندما كنت أضع خيري الشخصي ذاته هدفاً أمام عيني. في السعي إلى الله - كما أفعل الآن - وفي الحفاظ على طهارة الجوهر الرباني بداخلي، وفي السعي إلى تلك الحياة التي يتم تنقيتها من أجلها، لا بد وأني سأصل بشكل أفضل إلى الخير العام وخيري الشخصي بهدوء نوعاً ما وبسرور دون شك. ساعدني يا رب! الساعة الآن الثالثة. أود أن أذهب إلى يسينكا.

ذهبت إلى يسينكا واستلمت خطابات جيدة من سيميونوف، وقضيت مساءً اعتيادياً. أشعر بالحزن والارتباك بسبب (ر).

١ نوفمبر.

نهضت في وقت متأخر وتمشيت واستغرقت في التفكير. كتبت خطابات لبوشا وفاسيلي وإيفانوفيتش وماينوف وليف. إنهم يشعرون بالقلق على (ر) وأرسلوا خطاباً. قرأت في *Le Disciple*^(٤٢٥). ما هذه الدناءة! أشعر باللامبالاة. في المساء كتبت خطابات أخرى لتانيا ولشخص آخر. فكرت في الآتي: "إن كوكبنا سوف يستمر في الدوران هكذا حتى لا يصبح أكثر من كرة فارغة من الهواء والماء، ويتلاشى من على سطحه البشر والحيوانات والنباتات"^(٤٢٦)، وتبدو له أن هذه

(٤٢٥) التلميذ من تأليف Paul Bourget.

(٤٢٦) بالفرنسية في الأصل.

التصورات تثبت بوضوح تمامًا تفاهة الإنسان، في الوقت الذي لا يمكن لشيء إثبات عظمته وأبديته. أمر من اثنين: إما أن هذا التفكير صادر عن دودة لا يمكنها التفكير بشكل آخر في الزمان والمكان، وحينها سنعتبر أن كل ذلك محض هراء، وإما أن من يجادل بشأن تدمير العالم ليس لديه ما يمكنه أن يدمره!

٢ نوفمبر.

نهضت في وقت متأخر، ووجدت باشكوف في المكتب، ومعه رسالة غبية. أجبت عن الرسالة وتحدثت مع الشاب. كتبت خطابين آخرين وذهبت لكوزلوفكا. فكرت في الآتي: لا يجب الغضب من الأشرار، فهم يحددون ويؤكدون الخير في الأختيار، وأنا لا أؤاسي نفسي بذلك ولا أتلاعب بالكلمات. من دونهم لم يكن من الممكن للخير أن يوجد. وطالما كل شيء مطلوب، إذن فكل شيء على ما يرام. شعرت طوال اليوم بالكآبة. في المساء تحدثت مع صوفيا عن معلم اللغة الفرنسية، وقد أجابني بكلمتين حذفتهما من هنا. يا للألم! استلمت خطابًا من شقيقتي تانيا تحدثني فيه عن قراءتها لسوناتا كرويتزر. الرواية تترك أثرًا. الأمور بخير وأنا مسرور. قرأت في المجلة التي يتولى جروت تحريرها. أخطأت وصببت غضبي على تروبتسكوي. إن فلسفته تهدف إلى إثبات والدة الإله الإيبيرية^(٤٢٧)! إنه يطرح حلًا لمعادلة يتكون من العديد من س، ص، ك، ولكن عندما نضع لـ (س) قيمة اعتباطية فإننا

(٤٢٧) يقصد أنها تهدف إلى إثبات الخرافات، وهو يشير إلى أيقونة شهيرة للعدراء مريم يعتقد العامة أنها مصدر بركة ومعجزات.

نحصل على أكثر الحلول غباءً. وكم بذل من جهد في هذا العمل! المجلة بأكملها عبارة عن مقالات منتقاة دون أفكار كما أنها تفتقد إلى وضوح الأفكار.

الساعة الآن الثانية عشرة. سأنام.

٣ نوفمبر.

استيقظت في وقت متأخر. تمشيت. الأطفال مرضى، وصوفيا مضطربة. أحاول تقديم يد العون، ولكن بلا جدوى. أشعر بالشفقة عليها. كتبت كثيرًا عن العلم والفن، ولكن بالكاد يمكنني الخروج بشيء جيد. في المساء شعرت بالإنهاك ولعبت الشطرنج وتحدثت مع أبنائي وإلكسي ميتروفانوفيتش. فكرت في الآتي: إنه خطأ عظيم أن نعتقد أن ملكوت الله موجودة هناك بعد الموت، كما أنه خطأ عظيم كذلك أن نظن أنها هنا. إنها بداخلنا، فليست هناك حدود إذن بين هنا وهناك. الساعة الآن الثانية عشرة. سأنام.

٥ نوفمبر.

نهضت بصعوبة وذهبت لكوزلوفكا. لم أستطع الكتابة بعد عودتي. قرأت في *Revue des deux Mondes*. استمنيت. ذهبت ليسينكا. بعد الغداء أصيب جسدي بالرعشة. أكلت باعتدال وتحسنت حالتي. لعبت الورق بمفردي وفكرت في مقالتي عن الفن. إن مربط الفرس هنا أنني لم أكن أفهم سابقًا أن العلم والفن من دون أساس ديني؛ أي من دون هدف يخدمانه هما محض سفاهة.

٥ نوفمبر (٤٢٨).

نمت بصورة أفضل، لكنني ما زلت أرى أحلامًا. استغرقت طوال الصباح في قراءة *Revue des deux Mondes* ولعبت الورق بمفردي في محاولة للتكهن بمصير مقالة الفن. نعم، أهم ما توصلت إليه بالأمس هو أن العلم والفن من دون أساس ديني محض تفاهة وشر. سأوضح كيف يمكن أن يكون العلم والفن شرًا: نظرية العدوى ونظرية الوراثة والتنويم المغناطيسي.. هذا في العلم، أما في الفن فأتحدث عن كل ما يوجب الشهوات. أود أن أبدأ في كتابة المقالات في دفتر جديد من دون تصحيح. أود كذلك أن أكتب مقالة عن يوم تاتيانا (٤٢٩) وعن احتفال الناس به بالرصانة والاعتدال وتولي أمر كافة الحانات والنزل كما في السويد. الساعة الآن الثالثة.

ذهبت لكوزلوفكا. قضيت فترة المساء بالمنزل. صحتي لم تكن على ما يرام.

٦ نوفمبر.

عاودت الكتابة في مقالة الفن. كتبت قليلًا وعلى نحو لا بأس به. الكمية قليلة ولا أشعر برغبة في الاستمرار.

لا شيء لأفعله. ليست هناك ضرورة لإجبار نفسي على فعل شيء.

(٤٢٨) تكرار التاريخ من قبل المؤلف، وليس سهوًا من المترجم.

(٤٢٩) يوم ديني أرثوذكسي يتم الاحتفال به في ٢٥ كانون الثاني (يناير) وفقًا للتقويم الميلادي، في الثاني عشر من كانون الثاني (يناير) وفقًا لجولييان. سُمِّيَ على اسم القديس تاتيانا، وهو شهيد مسيحي في روما في القرن الثالث في عهد الإمبراطور إلكسندر سيفيروس.

في المساء وصل فرنسي جديد^(٤٣٠) يُدعى جيفيه لامبيراً. استلمت خطاباً من ليوفا. إنه يبرر موقفه. كتبت له خطاباً في الصباح المبكر. لم أحظ بنوم جيد. صوفيا محمومة. لا أرى ماشا سوى قليل، وأشعر بالحرمان. روحي المعنوية منخفضة جداً. لا أريد شيئاً وأشعر باللا مبالاة. لا تراودني الشكوك، ولكني كذلك لا أشعر بحمية صوب شيء ما، ولا بالسرور. نمتُ مبكراً.

٧ نوفمبر.

جاءني خطاب من تشير تكوف، يخبرني فيه أنهم يريدون العيش في تولاً. أنا سعيد جداً. ذهبت لكوزلوفكا، ثم إلى تولاً بعد الإفطار. كنت مسروراً في طريقي، ولكن كل هذا السرور يدعو للأسف. أنهيت قراءة أوبلوموف. كم هي رديئة! تصلني الأخبار بالتأثير الذي تحدثه سوناتا كرويتزر، وأنا سعيد بذلك، وهو أمر غير حسن. ذهبت اليوم لتولاً، وبينما كنت أقرب إلى كل جلبة وغباء ودناءة الحياة فكرت في الآتي: لا حاجة للغضب من غباء الحياة أو من اليأس كما اعتدت أن أشعر. كل ذلك كان بمثابة دلالة على نقص إيماني. الآن قد ازداد إيماني قوة، وأدرك أن كل ذلك يغلي في مرجل ويتم طبخه، وإلا سيفسد ويتخثر وينسكب. ماذا أريد إذن؟ هل أريد ألا تتطور الأمور؟ هل أريد ألا يخطئ الناس وألا يعانون؟ ولكن هذه هي الطريقة الوحيدة الذي يعرف بها المرء أخطأه ويجد الطريق السليم. البعض يجدونه لأجل أنفسهم، والبعض لأجل الآخرين، والبعض لكليهما. إنهم جميعاً يحققون إرادة

(٤٣٠) مُرَبِّ للأبناء الصغار.

الله سواء أرادوا ذلك أو لا. كم من الجيد أن يرغب المرء في تحقيق إرادة الله! الجميع يقومون. أكتب ذلك وتراودني الشكوك أحياناً لئلا أكون قد بالغت أو استخدمت تعبيرات عاطفية أو فلسفية مسيحية. لا، لا يمكنني ذلك. أخشى فعل ذلك. لا شيء أسوأ من إضافة كمية مفرطة من الملح إلى أكلة جيدة وإعادة طبخها. هنا تحديداً يمكننا أن نفهم ماذا يمكن لتغيير بيروبولوف الطفيف أن يفعل^(٤٣١). الساعة الآن التاسعة. سأصعد للطابق الأعلى.

تحدثت بالأعلى إلى إلکسي ميتروفانوفيتش. إنه يعارضني قائلاً إن العلم يمكنه أن يشير إلى القانون الأخلاقي، وإن الكهرباء يمكنها بشكل ما أن تشير إلى ضرورة التبادل. كان منهمكاً طوال هذا الوقت في قراءة كتابي «عن الحياة». إنه يقرأ الكتاب ولا يدرك أنه يقول ما يقوله الكتاب بالضبط، ولكن كل ما في الأمر أنه يقوله على نحو أسوأ، فقد عبرت بطريقة جيدة عن الأمر، وبذلت قصارى جهدي كي أفند تلك الفكرة التي مفادها أن المرء بإمكانه أن يتنحى بعيداً عن شيء ويدرسه من مراقبة الظل الذي يطرحه هذا الشيء. نعم، ليس بإمكانك أن تثبت شيئاً للناس، بمعنى أنك ليس بإمكانك أن تفند أوهام الناس، فلكلّ وهمه الخاص به، وعندما تحاول أن تبدد هذه الأوهام تجمعها جميعاً في نوع واحد نموذجي من الأوهام، ولكن لكلّ وهمه الخاص، ولهذا السبب تحديداً فالكل يعتقد أنك لم تبدد أوهامه. إنه يعتقد أنك تتحدث عن وهم شخص آخر، فكيف يمكنك فعلاً أن تتعامل مع كل هذه

(٤٣١) راجع حاشية ٣٧٨.

الأوهام! لذا فلا داعي فعلاً لأن تحاول أن تفند شيئاً أو تجادل. بالفن وحده يمكنك أن تؤثر على أولئك الغارقين في أوهامهم وأن تقوم بما آملت القيام به بالجدال. بالفن يمكنك أن تبعد الغارق في أوهامه عن الفضلات التي يتمسك بها وأن توجهه حيث يجب أن يتوجه. يمكنك التوصل إلى استنتاجات جديدة من فكرة ما بالتفكير المنطقي، ولكن لا يجب أن تحاول الجدال أو التنفيذ... عليك أن تجذب الشخص.

تحدثت مع أطفالتي عن الحياة والجوانب المظلمة. يبدو أنهم يقفون إلى جانب فوميتش ضد جوربونوف وآخرين. وبخّته (غالباً) يقصد أحد أبنائه) على أنه لطّخ نفسه بـ.... يا لهم من بائسين! كم فسدوا! نعم، بيت القصيد في الأوهام، وفي أنهم يقبلون شيئاً ما بسرور ويبدو لهم ما هو غير طبيعي طبيعياً تماماً، وبالتالي يبدو منطقياً. نمت في وقت متأخر. أبنائي مرضى وصوفيا ساخطة، بينما أنا فاطر الشعور تماماً. سأنام.

٨ نوفمبر.

استيقظت في وقت متأخر. حاولت أن أكتب في مقالتي عن الفن، ولكن بلا جدوى. لعبت الورق بمفردي. إنه نوع من الجنون. قرأت. تحدثت مع أبنائي عن الخدم. إن خطاباً وصلني من ليوفا، وطريقة حياتنا بأكملها جعلتني أفكر. إن حياتنا بهذه الطريقة؛ أقصد بمن نستعبدهم للعمل لدينا من أجل متعتنا الخاصة تبدو طبيعية لنا، بل إننا حتى نفكر كما يقول الأطفال: «على أي حال، إن أحداً لم يجعله هكذا. لقد أصبح خادماً من تلقاء نفسه»، وكما يقول المعلم: «إن كان هناك إنسان لا يشعر

بالإذلال من العمل بالتخلص من فضلاتي، فأنا إذن لا أذله في شيء»
ونعتقد أننا لبييرليون بعض الشيء وأن لدينا مبرراتنا. ولكن هذا الموقف
بأكمله مناقض تمامًا للوضع الإنساني، حتى أن الأمر لا يقتصر على أنه
يستحيل إقرار هذا الوضع، لكن حتى من المستحيل مجرد تخيل مثل
هذا الموقف إن لم يكن نتاجًا لشر معروف لنا تمامًا، ونكون قد أكدنا
على أنه قد مضى وانتهى. إن لم تكن هناك عبودية لما أمكننا تصور
شيء مشابه. الأمر لا يقتصر على أن كل ذلك نتيجة للعبودية، لكنه يمثل
العبودية في حد ذاتها. إن مصدر كل ذلك هو القتل، ولا يمكن أن يكون
شيئًا آخر. نمت في وقت متأخر. آه من كل هذه الأمراض! ما زال القلق
واللامبالاة يتناوبان في داخلي.

٩ نوفمبر.

استيقظت مبكرًا. ذهبت لكوزلوفكا. جاءني خطاب من
ليبيدينسكي ودوناييف وخطاب جيد من أنينكوف. استغرقت في التفكير
على نحو جيد أثناء تمشيتي وصليت «أبانا» بسرور. وفكرت كذلك
في خاتمة سوناتا كرويتزر. في السابق كان الزواج يهدف إلى الحصول
على الزوجة لحيازتها. تغيرت العلاقة صوب المرأة مجددًا بفعل
الحرب والأسر، فقد سمح الرجل لنفسه أن يشبع شهوته دون أن يفكر
في المرأة، وتمثل ذلك في وضع «الحريم». ثم عمل الزواج الأحادي
على تغيير عدد الزوجات، لكنه لم يغير العلاقة صوبهن. ظلت العلاقة
الحقيقية صوب الزوجة مناقضة لذلك، فقد ظل الرجل دائمًا قادرًا على
أن يحظى بامرأة وهو قادر كذلك على أن يمسك نفسه عن إقامة العلاقة

الجنسية، أما المرأة - وخاصة من تعرف رجلاً - فلا يمكنها إلا بصعوبة هائلة أن تمسك نفسها عن إقامة العلاقة عندما يكون بإمكانها أن تحظى بها، ومن هنا يتضح أن من يطلب الإشباع ليس الرجل على الإطلاق، بل المرأة. يمكن للمرأة أن تطلب ذلك؛ لأن بالنسبة لها الأمر ليست متعة تخلو من الواجبات، مثلما هو الوضع مع الرجل، وعلى النقيض من ذلك فهي تمنح نفسها بألم وتنتظر الألم والمعاناة والاهتمام. يبدو أن ضرورة الزواج تشكلت بسبب ذلك، فيحدث أن يلتقي روحياً أي رجل وامرأة، ويعدان بعضهما البعض أنهما إن رُزقا بأطفال سيكون كل منهما للآخر وحده. لا بد إذن أن تكون المطالبة بإقامة العلاقة الجنسية من قبلها هي لا من قبله.

فكرت كثيراً في مقالتي عن العلم والفن، واتضح الأفكار أمام عيني، لكنني عندما حاولت إثبات أن العلم اليوم خاطئ؛ لأنه لا يخدم أهدافاً دينية بدأت أفقد تركيزي ولم أعد قادراً على أن أشرح لنفسني كيف يمكن للعلم أن يخدم الدين. أمعنت التفكير في ذلك في كوزلوفكا. عدت سيراً وبدأت أعيد التفكير في الأمر ثانية وأحاول أن أجد إجابة لسؤالي. حتى تحظى المعرفة بأهمية لا بد لها وأن تخدم الخير؛ ألا وهو وحدة الناس. إن الحقيقة، شأنها شأن الحب، تعمل هي أيضاً على وحدة الناس، فبينما يحاول الناس الوصول إلى الحقيقة، توحدهم ببعضهم البعض، ومن هنا يظهر ضرر الخرافات، فهي تُفرِّق الناس. العلم كذلك يُوحِّد الناس، ولكن كي يحدث ذلك عليه أن يقود الناس فعلاً صوب الحقيقة. التعبيرات المختلفة عن الحقيقة لا بد وأن

تكون واضحة ومفهومة وحقيقية ولا شك فيها. هل تفعل أغلب العلوم ذلك الآن؟ الأمر على النقيض من ذلك، فتعبيراته تفتقر إلى الوضوح ولا يمكن فهمها، والأمر لا يقتصر على أن حقائقه مشكوك فيها فقط لكنها كذلك تثير الجدل، ولا تؤدي إلى الوحدة، بل الفُرقة^(٤٣٢). السبب في ذلك أن أولئك الذين يدعون أنفسهم كهنة العلم قد فقدوا الأساس الديني الذي كانوا يرتكزون عليه (هذا ليس صحيحًا تمامًا)^(٤٣٣)، ولم يجعلوا هدفهم أن يوحدوا الناس، بل أصبحت أهدافهم هي اهتماماتهم السطحية ومجدهم وتسليتهم.

الساعة الآن الثانية عشرة. سأنام.

١٠ نوفمبر.

ما زلت حيًا، لكنني في حالة سيئة إلى درجة دنيئة. ما زال الغضب يكتنفني وكذلك الرغبة. في الصباح قطعت شجرة سنط، وانشغلت بذلك حتى موعد الإفطار، وكذلك قبل الغداء. بعد الغداء وجدتني فجأة أكتب قصة آل فريدريخس^(٤٣٤). عرفت صباحًا أن آل كوزمينسكي عرفوا أخبار (ر)، وارتبكت بشدة، ولكن لماذا؟ فلأفعل ما يتوجب فعله، وليحدث ما يحدث. كتبت خطابات لزولوتاريف وتشيرتكوف وليبيدينسكي ودونايف. في المساء جاءني خطاب من ليوفا يخبرني فيه

(٤٣٢) من المهم قراءة ما كتبه كارل بوبر في هذا الموضوع بعد أعوام طويلة، فهو يُقنِّد هذه الاتهامات بوضوح.

(٤٣٣) الملاحظة من قبل تولستوي نفسه.

(٤٣٤) العنوان الأوّل لقصة «الشیطان».

عن غضبه، أما أنا فما زلت أشعر بالغضب، لكنني لم أعد أشعر بالرغبة.

١١ نوفمبر.

في الصباح خرجت لأتنزه. صليت واستغرقت في التفكير: شعوري بعدم الرضى عن حياتي نابع من أنني أتناسى أنني لست سيداً بل عاملاً. حتى أكون بخير لا بد وأن أنفذ إرادة سيدي. حينها فقط سأكون بخير. إن المهم هنا أنني لن أشعر بأي عبء من الرغبات التي لم تتحقق أو الشكوك مما يجبرني على التصرف بشكل معين. إن تعليمات سيدي واضحة: الحقيقة والحب. من الضروري أن أشعر في داخلي أنني سفير له.

حافظْ على نفسك بكرامة، وتذكرْ مَنْ تُمثل.

كُنْ لطيفاً ولبقاً ودبلوماسياً، حكيماً كالحية.

ضع نصب عينيك هدفاً واحداً؛ ألا وهو تنفيذ واجبك كسفير لله.

غفوت، ثم أكلت ثم كتبت قليلاً في آل فريديريكس. سأذهب الآن لقطع الأشجار.

عملت بقطع الأشجار، ثم تغديت. في المساء كتبت خطاباً لزولوتاريف. نمت في وقت متأخر، وكان نومي سيئاً. أشعر بكآبة شديدة. تراودني الرغبة طوال الوقت. استلمت خطاباً من تشيرتكوف. إنها مريضة (يقصد زوجة تشيرتكوف)، وقد أوشكت على الموت.

١٢ نوفمبر.

استيقظت مبكراً. رتبت غرفتي وعملت بقطع الأشجار. كتبت في

فيدريكس، وأضفت قليلاً لسوناتا كرويتزر. في المساء أتممت خطاباً لزولوتاريف. تحسنت حالتي قليلاً. سأنام في الثانية عشرة.

١٣ نوفمبر.

أقرأ في كتاب إيفانز^(٤٣٥). لا بأس به، ولكن الجزئيات المتعلقة بالعلاج هي محض هراء. فكرت في الآتي: لو لم تكن هناك عبودية لما كان هناك تعدد زوجات ولا قتل ولا خدم ولا تناول لحوم. كتبت خطاباً لزولوتاريف، وهذه حقيقة: لقد فقدنا وعينا بالحياة الحقيقية واستعضنا عنه بوعي زائف بالحياة الجسدية، وكل هذا بسبب الخبز الجاهز أماناً دائماً والخدم الذين يخدموننا. ظهر ذلك بدوره بسبب القتل والأسر والعبودية. آه، كم يتوجب عليّ توضيح ذلك! الساعة الآن الثانية عشرة.

١٤ نوفمبر.

استلمت خطاباً رائعاً من ماريا إلكسندروفنا وأولجا إلكسيفنا وأوزيرتسكايا. بالأمس وصلتني أخبار مهمة من ليوفا عن خوخلوف، ومن بوشا من موسكو عن أن زوجة تشيرتكوف في حالة سيئة للغاية، وأنهما رحلا إلى سان بطرسبرج. في الصباح تنزهت قليلاً، ثم كتبت كثيراً في فريديريكس، ثم ذهبت إلى دوماشكا (فلاحة مريضة من ياسنايا) وجلبت الكفير. متى سوف أحيا دون شعور بالخزي؟ تغديت ولعبت الشطرنج وثرثرت كثيراً مع ألكسي ميتروفانوفيتش. يقول إن للقوانين المادية قوة النفس تماماً. قلت له إن معرفتك بالقانون المادي

(٤٣٥) وارن فيلت إيفانز هو فيلسوف ومؤلف أمريكي والكتاب المقصود هو: The divine law

هي محض خداع للمشاعر. إن هذا مجرد إلهاء. أنت تعرف نفسك، ولك وعي بنفسك: أنت مثلاً ليف نيكولايفتش، ولكن إن تشتت انتباهك عن ذاتك؛ عن ليف نيكولايفتش فستجده مجرد إنسان، وإن تشتت انتباهك الروحي ستجده مجرد حيوان، وإن تشتت انتباهك عن العملية الفيزيولوجية فستجد محض عملية كيميائية تحدث أمامك، وإن تشتت انتباهك عن هذه العمليات ستجد محض قوى مادية، ويكون هذا بمثابة إلهاء عن الإلهاء! الأمر كذلك مع الأرقام فقد تبدو مجرد قيم.

طوال الوقت تزعجني فكرة أن العبودية القائمة خلفنا تحطم حياتنا وتفسد وعينا بالحياة. كتبت كثيراً إلى حد ما. خرجت لأعمل. ذهبت إلى دوماشكا المريضة، وفكرت في الآتي: هل تبحث عن أفضل طريقة تتجاوز بها شخصاً ما، وأضيف كذلك: صعوبة ما؟ لن تجد أمامك سوى طريقة واحدة: أن تكون مستعداً لتعرض للإذلال من أجل الله، ومن أجل هذا الإنسان بكل طواعية، أو من أجل الناس بشكل عام.

الناس في حاجة لأن يشعروا أنهم على حق في أعين أنفسهم، ولا يمكنهم الاستمرار في العيش من دون ذلك الشعور، لذا فإن كانت حياتهم سيئة لا يمكنهم أن يفكروا بطريقة سليمة، وهنا يتضح كيف تفسد أفكارنا تماماً بسبب إرث العبودية الذي ورثناه، وهذا سبب الاضطراب الذي يصيب أفكارنا. إن قاعدة الحياة الرئيسة هي أن تجذب الكمال (التقدم للامام) من الطرفين؛ ألا وهما تحسين أفكارنا وحياتنا على السواء حتى لا يتأخر طرف عن الآخر ويجذبه في الاتجاه المعاكس. لقد وضعنا نصب أعيننا مثلاً سامية، لكن حياتنا ما زالت دنيئة، والعكس

مع الشعب، فحياتهم سامية ومثلهم دنيئة.

١٥ نوفمبر.

تانيا قادمة. استلمت خطابًا جيدًا من تشيرتكوف بشأن الاتصال الجنسي، واختلف الموقف تجاهه بحسب درجة الوعي. كتبت خطابًا عن خوخلوف كنت قد رأيت فحواه في حلمي، وكتبت خطابًا آخر لتشيرتكوف. في انتظار تانيا.

١٦ نوفمبر.

لقد خلطت الأيام. اليوم ١٦ نوفمبر. الساعة الآن الثالثة. ليست عيني هي ما تؤلمني، لكنني منهك. وصلت تانيا، ولسبب ما أشعر بالحزن. لم أفعل شيئًا طوال اليوم.

١٧ نوفمبر.

لم أستطع كذلك كتابة شيء. عملت بفأسي. يوم فارغ! لعبت الورق بمفردي، واستغرقت في التفكير. كتبت خطابات لتشيرتكوف وخوخلوف وسترخوف.

١٨ نوفمبر.

استيقظت في وقت متأخر. وخرجت للتنزه وفكرت في الآتي:
لا أستطيع التفكير في السعادة الشخصية، ولا حتى في السعادة، بل في السلام. هذا أفضل. لقد فعلت الكثير من الخيرات.

الناس في حاجة إلى أن يكونوا على حق في أعين أنفسهم حتى يستطيعوا الاستمرار في العيش. إن لم يكونوا على حق، فإنهم يهربون

فوراً من كل ما يفضح حقيقتهم، ولا يسمعون ولا يفهمون ما هو مفهوم، فهذا يبدو لهم بمثابة حكم إعدام. ليس ذلك فحسب، بل إنهم يجلبون الاضطراب لأنفسهم كذلك حتى لا يسمعوا ولا يفكروا.

كتبت فعلاً من قبل إن الشر يأكل زوائد الخير مثلما يفعل حمض الكبريتيك بالمواد، وينظف الخير مثل القرميد. من المدهش كيف تقوم الطبيعة بعملية إنقاذ حتى في ذلك، فالشر يطهر ويُقوّي الخير. أنا أعرف هذا من واقع تجربتي الشخصية. كلما يزداد الناس شرّاً، كلما ازداد سعيهم خلف الخير. من المستحيل ألا يسعوا إليه، فهم في حاجة إليه حتى يُخفي شروهم. لا بد للأناي من التضحية، وللمتكبر من التواضع. كلما يزداد الإنسان برودة كلما يكون في حاجة إلى الدفء.

نعم، للمصير وجود، أي أن ما يشاءه الله وحده هو ما سيحدث، ويمكنه أن يصل لمراده بطرق لا حصر لها، وما من زمان بالنسبة له. ما سيحدث بعد ١٠٠٠ عام بالنسبة له حاضر الآن، ومن ذلك ندرك أن المصير لا يمنعنا عن فعل شيء.

لقد ادعوا أن خوخلوف مجنون لرفضه تأدية الخدمة العسكرية. نعم، لدينا فئة واحدة من الناس لا أمل منها ألا وهي المجانين، لكن المجانين في الأساس هم أولئك الأطباء الذين يدعون أن غيرهم مجانين.

فكرت في عملي "فريدريخس" وأنا أتنزه قبل الغداء. أمامه حياتان ولديه مخرجان، وفي النهاية سيجد الثالث؛ أن يقتل نفسه.

كتبت كثيراً في فريدريخس. في المساء عملت بحياكة الأحذية.

استلمت خطابًا جيدًا جدًا من زولوتاريف، وآخر من تشيرتكوف.
الساعة الآن العاشرة. سأصعد إلى الأعلى.

١٩ نوفمبر.

استغرقت فترة الصباح كلها في الكتابة. بشكل أو بآخر أنهيت
فريدريخس. في المساء قرأت مسرحية إيسن "كوميديا الحب". كم
هي سيئة! آه من تلك الملاحظات الألمانية الذكية! دنيئة حقًا! لم
أدون أن صوفيا قد استاءت بالأمس لأننا لم ننتظرها وبدأنا القراءة.
تبين أنها غاضبة في الأساس من تانيا؛ لأنها تركتها وهي تعزف.
تقول: "أنا وحيدة تمامًا في هذه الأسرة". قد أكون أنا المذنب. أشعر
بالأسف الشديد عليها؛ أسف مشوب بالحب. كم من الحسن أني لم
أسئ إليها، بل قلت لها الحقيقة؛ ألا وهي أني لديّ قلب عليل. رقت
لحالي وشعرت بالأسف عليّ. خرجت لأتمشى في الصباح وفكرت
فيها وفي كتابة خطاب لها يمكنها أن تقرأه بعد موتي. أريد أن أخبرها
أنها يجب أن تستمر في البحث عن الإيمان وعن قواعد الحياة الروحية،
وأنها يجب ألا تعيش كما تعيش الآن بغرائزها وحسب، فجميع غرائزها
محصورة في الأمومة والحب (لا ليست جميعها)، ولا يجب أن تفعل
ما يفعله الجميع، فالآخرون أنفسهم لا يعرفون الحقيقة؛ لأن الأساس
الذي يستندون إليه يتهاوى.

٢٠ نوفمبر.

استيقظت في وقت متأخر وقطعت بعض الأشجار، ثم أول ما
فعلت كان مراجعة فريدريخس. العمل يمضي على نحو رائع. ذهبت

لدفوريكي، وفي الطريق اتضحت تلك الأمور لي:

شخصية الحماة مبتذلة. إنها كاذبة، تقدم الهدايا وتتحدث عنها بعد ذلك.

يدفع دينه الثاني الذي كان بإمكانه إخفاؤه، وهو ليبرالي بعض الشيء في علاقته بالفلاحين.

ذهبت صوفيا إلى تولا، ولم تعد. إنها الخامسة مساءً. سأتناول الغداء.

قرأت في الصحيفة صباح اليوم عن كيف رتبَّ الإمبراطور الألماني مولتكا احتفالاً باليوبيل من أجل مآثره العظيمة، وخطرت على ذهني بحوية شديدة فكرة التناقض البادي بين رفض خوخلوف تأدية الخدمة العسكرية وبين الاحتفالات العسكرية^(٤٣٦) وخطبة الإمبراطور والعروض العسكرية... إلخ. عندما أكون واثقاً من نفسي أعتقد أن موضوعات كتاباتي تشبه زجاجات مليئة بالكفير: فزجاجة واحدة قادرة على أن تشملك بينما تُشعرك بقية الزجاجات بالحموضة. عسى أن ينضج الله بداخلي هذين الموضوعين: العبيد والعبودية، والحرب ورفض تأدية الخدمة العسكرية، بحيث أن أكتب عنهما، فيبدو لي كما لو أنهما يكتسبان حموضة بداخلي.

٢١ نوفمبر.

فكرت بينما أتمشى: لا يحيا الإنسان بإرادته، فثمة قوة أرسلته إلى

(٤٣٦) يقصد احتفالات ٨ نوفمبر بمرور ٥٠٠ عام على تأسيس المدفعية الروسية.

هذا العالم وهي ما تحركه. تشكل هذه القوة (بغض النظر عن نظرتك إلى العالم والإنسان سواء كانت مادية أو مثالية) كل شيء في العالم، من الجاذبية إلى نكران الذات، وفي هذه الحركة يضع الإنسان لنفسه أهدافاً تضيء له طريق كفاحه وسعيه، ويسأل نفسه: لماذا يعيش؟ لا يمكن للإنسان ألا يفعل ذلك إلا بالتفكير المنطقي، لذلك من غير الممكن ألا يعتبر أن تصرفاته صحيحة في عين نفسه. إنه يسير حاملاً مصباحه ويقول إنه يرى العشب والحجر والطريق وأنه لا مجال للتساؤل عمَّ إن كان محققاً أم لا، فليس بإمكانه إلا السير، وليس بإمكانه ألا يرى ويسمى ما رآه في ضوء المصباح طالما يسير ويرى. أحدهما يرى بصورة أفضل وينظر إلى أبعد ويؤجّه نفسه إلى الطريق. من المستحيل أن نشعر بالغضب من إنسان لا يرى الطريق جيداً، وكذلك من المستحيل أن نشعر بالأسف، ولكن كل ما في إمكاننا هو أن نساعد على أن يرى أفضل طريق ممكن. إن هذا هو ما يتوجب علينا فعله، ففيه معنى الحياة كاملاً؛ أن تدرك أنه ليس بإمكانه السير في طريق آخر، وأن مهما كان طريقه فإنه يسير صوب الله كما تفعل أنت. لا تغضب ولا تأسف، بل سر حيثما ترى مثلما يتحرك هو الآخر.

قرأت في كتاب إيفانز، وبطبيعة الحال لا وجود للمادة خارج كياني -خارج كياني ثمة كائنات- ذات وعي بدرجات مختلفة وتشبهني شخصياً. والمادة هي وسيلتي للتواصل معهم.

كتبت في فريدريخس وصححت قليلاً، وأود لو يتضح كل شيء بداخلي. رحلت صوفيا بصحبة تانيا إلى موسكو.

٢٢ نوفمبر.

أنهيت كتاب لاتود^(٤٣٧). إنه بحث نفسي رائع حقًا. المهم هنا أنني لا بد وأن أدون بعض الاقتباسات من مقالة دي فوغ^(٤٣٨) عن المعرض والحرب. «دعنا نقول أيها المتحدثون عن قولكم إن مصلحة البشرية ستتحقق بالعلم والعمل والتواصل، وأن العصر الذهبي سوف يحل، أن كل ذلك محض دناءة إن حدث فعلاً. كذلك هو قولكم عن أنه لا بد من إراقة الدماء... إلخ». أردت أن أكتب بشدة عن ذلك. طوال الوقت ألعب الورق بمفردي وأتنزه مع الأطفال. كتبت قليلاً في فريديرخس. صَحَّحت قليلاً، وفي المساء ثرثرنا. جاءني خطاب من جي. إنه ليس بصحة جيدة. الساعة الآن العاشرة. سأشرب الشاي.

٢٣ نوفمبر.

ما زلت حيًا بالكاد. طوال الصباح ألعب الورق بمفردي. ثم عملت بقطع الأشجار وأنهكت بشدة. حالتي المعنوية سيئة، ولم أكن لأرى أحدًا في هذه الحالة. نمت بالنهار. في المساء غفوت في الثالثة. جاءني خطاب من دوجيكن وآخر من ليوفا. إنه طوال الوقت يريد أن يثبت بالكلمات أن أعماله طيبة. لم يعد بإمكانه رؤية شيء آخر. ما العمل؟ يمكن للجميع أن يروا مثلاً، وبغض النظر عن سمو هذا المثال فإنه بإمكانه التأثير في الناس، لكن الأفكار والكلمات التي لم يَرَق الإنسان بعد إلى مستواها تترك فيه أثراً ضاراً. سوف يعتاد إفساد كل ما هو مهم. هذا ما يحدث مع ليوفا.

(٤٣٧) الكاتب الفرنسي جان هنري لاتود.

(٤٣٨) ماري أوجين ميلشبيور: دبلوماسي فرنسي وكاتب ومستشرق وعالم آثار.

استيقظت مبكرًا جدًا. فكرت ثم بدأت القراءة في كتاب إيفانز. حتى هو لا يصدق ما يقوله ولا يفهم جيدًا، لكنه كاتب رائع، وقراءة كتبه تثير العديد من الأفكار المهمة. فكّرت في الآتي: الروح تقود المادة، فالأخيرة ليست إلا تجلّ للأولى كما يقول إيفانز. كل هذا حسن. أود أن أقول: هناك كائنات واعية، وهي تتعامل مع بعضها البعض داخل إطار المادة وفي حيز من الزمان والمكان. مثال: لديّ كبد فاسد، وهذا يعني حدوث تغيرات مادية، أو إن قلت مثلًا إنني أعاني بسبب أنهم سجنوني، أو إنني أشعر بالضعف من جلوسي في غرفتي دون أن أخرج منها... كل هذا يؤثر على روحي. لكن كل هذه التغيرات قد حدثت بسبب من نشاط روحي في الأساس. حياتي السيئة هي التي أفسدت كبدي، وحياتي السيئة هي التي أودت بي إلى السجن وشعوري بالضعف من عدم إمكاني الخروج من المكان. القول أن هذا يحدث لأسباب مادية يماثل أن يسير إنسان لساعة تحت النوافذ ويقول إنه يشم رائحة سيئة من الـ.... وإن سلوكة ليس هو السبب، ويستشهد على صحة وجهة نظره قائلاً إن سلوكة مهما تغير فستظل الرائحة التنتة موجودة. ستستمر الرائحة التنتة وستحل الأمراض والكوارث عاقبة لأفعالي، ولكن كي نقضي عليها لا يتوجب فقط تنظيف الـ.... ولا معالجة كبدي ولا الهروب من السجن، بل يجب ألا أفعل من الأساس كل ما وصل بي إلى هذه المصائب. سينتهي أمر الرائحة الكريهة، وستزول المصائب، ولكن يجب أن أقوم بما يضمن لي ألا يتكرر انبعاث هذه الرائحة أو حدوث تلك المصائب. إن خطأ

إيفانز وبقية العلماء يتلخص تحديدًا في أنهم يؤكدون على أن الروح كما أنها هي المصدر والمحرك ومالك السلطة، فإن بإمكانها أن تُصلح ما هو مادي. يمكن للروح فعل ذلك حقًا ولكن داخل إطار الزمان والمكان. لكن الإنسان ليس بإمكانه ألا يسير لمدة ساعة ويقنع الناس ألا يفعلوا ذلك هم أيضًا حتى لا تنبعث الرائحة الكريهة. ليس بالإمكان صنع رائحة عطرة في المرحاض، كما أنه لا يمكن إعادة النظر لهذا الأعمى والقوة لهذه اليد الضامرة. الفكرة الرئيسة الأخرى هنا هي جدال الماديين أنك إن غيرت وضع بعض الأجزاء المادية في العقل، فإن نشاط الروح سيتغير أو ينهار تمامًا، وهذا يعني أن نشاط الروح في العقل؛ أي في المادة. ذلك يماثل القول أنك إن أدت القضيبي أو حللته تمامًا، فإن العربة ستنعطف، وهذا يعني أن القضيبي هو سبب حركة العربة. كما أن القضيبي هنا هو أداة لنقل قوة الحركة، هكذا هي المادة أداة لنقل القوة للنشاط الروحي، لذا فإن استقلت عربة بها قضيبي سحب، فمن الضروري أن تفترض أن جوادًا يجرها أو أنها تسير بقوة البخار أو بأي قوة بشكل عام، ولكن تغير حركة العربة بتغيير حركة القضيبي لا يثبت على الإطلاق أن القضيبي هو القوة المحركة لها. كذلك إن تم أي نوع من النشاط عبر تركيبة معينة من جزيئات مادية فمن الضروري أن نفترض أن ثمة قوة روحية هي المحركة لها، ولكن توقف النشاط لا يثبت أبدًا أن تركيبة مادية معينة كانت هي سبب ذلك النشاط.

لكن الماديين يجيبون عن ذلك قائلين: نحن نعترف بالقوة، ولكن بقوة الحركة فقط، لا بالآلاف القوى المختلفة كما تفعل أنت. نحن

نختصر كافة القوى الأخرى في حركة بسيطة هي الدافعة. أجيبهم قائلاً:
هذا رائع لكنني سأعود هنا إلى ما ذكرته في كتابي «عن الحياة» عن أنني
لا أعرف إلا قوة واحدة فقط؛ ألا وهي قوة حياتي ولا يمكنني فهمها إلا
بمثابة قوة مُوحّدة.

ما أقوله غير واضح. أنهكت.

خرجت لقطع بعض الشجر. الطقس فاتن، ودرجة الحرارة ١٠،
وبعد ذلك راجعت بسرور وكد شديدين في فريديرخس. خرجت
مجدداً مع الأطفال إلى البركة، ثم عاودت الكتابة بعد عودتي حتى
انتهيت منها.

بعد الغداء لعبت شطرنج ودوّنت يومياتي. الساعة الآن التاسعة.
سأصعد للطابق العلوي.

٢٤ نوفمبر (٤٣٩).

قضيت مساء الأمس مع الأطفال نقطع الأشجار، وكنت مسروراً.
وصلت صوفيا صباح اليوم، وبدأت منهكة حائقة. لم أحظ بنوم جيد،
وذهبت ليسينكا، ثم عملت بقطع الأشجار مع إلكسي ميتروفانوفيتش.
إن الشطرنج يبعث فيه شعوراً سيئاً. اشتعل غضب صوفيا على الغداء.
لم أستطع مجدداً أن أشعر بالأسف عليها أو أتمنى لها الأفضل. في
المساء استغرقت في قراءة إيفانز. يتحدث عن أن الروح تسيطر كذلك
على الوظائف اللاواعية للجسم وكذلك الأفكار الكامنة في اللاوعي.

(٤٣٩) تكرر تاريخ اليوم من قبل تولستوي.

ثم تطرق إلى تأثير الخيالات والأفكار . ما ذكره ليس مجرد طيش كما كنت أعتقد. حاولت أن أوقف هذه الحرقة في المعدة بعد أن قررت أن الأمر لا يجب أن يكون كذلك. الساعة الآن الثانية عشرة. لا بد وأن أقنع نفسي في الأساس أنني سعيد وأن عليّ أن أعمل.

تانيا مريضة. أقول لماشيا: تانيا لا تساعدنا. إنها ذكية. تجيبني: أنا لا أحب المساعدة من تانيا، فهي لا تقدم المساعدة بطيبة قلب.

٢٦ نوفمبر.

لقد فوّت يوماً. استيقظت مبكراً وخرجت لقطع الأشجار، ثم غفوت وبعدها كتبت عن العلم والفن. بعد أن استيقظت فكرت بوضوح شديد في ذلك. كتبت بشكل لا بأس به. جاءني خطاب من سوفورين. قرأت قصة ليسكوف. مصطنعة وسيئة^(٤٤٠).

إن سمة الحقيقة؛ أي الحب الذي يتسم بإنكار الذات، هي أنني لا يمكنني أن أغضب من الإنسان الذي أحبه وأعمل من أجله إن لم يقبل أعماله واحتقرها، وألا أمنح ما أقوم به من عمل تقديرًا كبيرًا. في المقابل فإن سمة الحب الكاذب هي الأنانية. حكّت لي صوفيا عن إليوشا. أشعر بالأسف الشديد عليه.

٢٧ نوفمبر.

في الصباح عملت بقطع الأشجار، وحاولت الكتابة عن العلم والفن، ولكن بلا جدوى. تنزهت بعيداً في الحقول والغابات. بعد

(٤٤٠) غالبًا يقصد قصة «Фигура» بمعنى هيئة أو صورة أو شخصية.

الغداء ولعب الشطرنج (ضميري يؤنبني على لعب الشطرنج وغيره)
كتبت خطاباً لماشينكا وإلين وجي ودوجكين وجولتسيف.

٢٨ نوفمبر.

إننا في الصباح الآن. بعد العمل وشرب القهوة استغرقت في التفكير أثناء لعب الورق بمفردي. جاء أحد المتجولين^(٤٤١) اليوم وأعطيته ١٥ كوبيكًا، فطلب مني بعض السراويل، لكنني رفضت مع أن لديَّ بعضًا منها. فكرت فيما قرأته في كتاب إيفانز عن أن الحياة هي الحب. عندما تكون الحياة كذلك تمتلئ بالفرح والصلاح. هذا يعني أن الشيء الوحيد الذي نحن في حاجة إليه هو الحب؛ أن نكون قادرين على الحب وأن نكتسب القدرة على محبة الجميع دائمًا، وأن نكسر عادة ألا نحب أحدًا سواء كنا نراه مباشرة أو لا. بالطبع أنا أعرف ذلك، وبالطبع كتبت عنه، وبالطبع يجب أن أؤمن به، فلماذا إذن لا أقوم به، ولماذا لا يمكنني أن أعيش طبقًا له؟ إن الحياة التي عشتها بأكملها ليست إلا بمثابة تلمس لطريقي، بينما كان عليَّ أن أؤسس حياتي بقوة على هذه القاعدة، وألا أرغب أو أفعل إلا شيئًا واحدًا؛ فعل الخير للناس، أن أحبهم وأزيد قدر المحبة في قلوبهم، وأقلل من الكراهية. الخير للناس؟ أي خير؟ إنه شيء واحد: الحب. أعرف هذا من واقع خبرتي الشخصية لذا فهو وحده ما أتمناه للناس وأعمل من أجله. أن أعيش فعلاً، لا أن أتمسك لطريقي، يعني أن أنسى أنني روسي أو مالك أراضٍ أو فلاح أو متزوج أو

(٤٤١) انتشرت في روسيا في ذلك الوقت أعداد كبيرة من الناس تطوف روسيا سيرًا على الأقدام وتعيش على ما يُقدَّم لها من إحسان.

أحب... إلخ، وأن أذكر فقط أمرًا واحدًا: الكائن أمامك إنسان، عليك أن تفعل الخير لنفسك وله طوال الوقت وأن تحقق إرادة من أرسلك إلى هذا العالم، وأن تربط نفسك به بالحب. هذا ما كتبته في قصة خرافية، ولكن بصورة أفضل.

فكرت على هذا المنوال بجلاء وصعدت للأعلى وفي ذهني فكرة أن أطبق الفكرة عمليًا. وقفت لبرهة عند حجرة الطعام. كان الأطفال هناك، ولم تسنح الفرصة، فدخلت غرفة المعيشة. كانت تانيا مستلقية على الأريكة، ونوفيكوف يقرأ جهراً لها، وشعرت بالإحراج، وبدلاً من أضع أفكارني قيد التنفيذ استدرت وخرجت. لكنني لست يائساً، فأنا أعمل هنا بالطابق السفلي على نفسي كي أفهم وأشعر بالشفقة والحب صوبهم. نعم، هذا هو الأمر الوحيد الذي أحتاج إليه. الساعة الآن الواحدة، وأعتقد أنني لن أكتب.

١ ديسمبر.

كما هو متوقع لم أكتب شيئاً. لا أذكر ماذا فعلت تحديداً، ليس فقط في يوم ٢٨، ولكن كذلك في يومي ٢٩، ٣٠. اليوم ١ ديسمبر وأنا في ياسنايا بوليانا. نعم، أول أمس، بعدما كتبت بيوم هاجمني الشيطان بضراوة في صورة عاطفة الخيلاء، ورغبة في أن ينشر الجميع آرائني فجأة، وفي مساء ٢٩ نوفمبر بدأت أجادل نوفيكوف مجدداً بشأن العلم والخدم وكنت أجادل بغضب. في الصباح التالي، في يوم ٣٠ نوفمبر، استمنيت. كان الأمر منفراً جداً، وشعرت أنني ارتكبت جريمة. في هذا اليوم، ٣٠ نوفمبر، استولى عليّ الشيطان ثانية بصورة أقوى، فقد

بدأت الصباح بغضب وحقد، ليس في الجدل فقط، بل أخذت أهاجم نوفيكون بكرة إلى حد أنني عندما حاولت بعدها أن أكتب بكلمة لم أكتب سوى صفحة ونصف، وشعرت أن الوضع يستحيل أن يستمر هكذا، فمضيت إليه أطلب صفحة. تظاهر أنه غير غاضب فشعرت بمزيد من الخجل والدناءة في نفسي. اليوم هاجمني أسوأ شيطان ممكن. استيقظت في وقت متأخر وذهبت لبافل من أجل أن أجلب قلب حذاء. بالأمس أغضبني كذلك أن فوميتش كذب واستهلك كمية هائلة من الحطب لسنا في حاجة إليها. إنهم يقطعون الأشجار في كل مكان. اليوم رأيت الحديقة قد تشوهت من فرط ما قطعوا من أشجار بينما يقول بافل لي أن فوميتش أخذ أكثر من ٥٠ حمولة فماذا عنه؟ تمكن الشيطان مني وجعلني أشعل غضبًا. من المخزي أن أراجع الآن بينما ما زال عليّ أن أقاتله. لا أفهم كيف ولماذا جعلت نفسي تحت سلطان هذه القوة الشريرة؟ لا بد وأن ذلك بسبب خطيئي، فالصفراء وانقباض الأمعاء ليسا سببين كافيين لتفسير ذلك. أنا مسرور أنني لم أسقط ولم أتفوه بكلمة واحدة، وأني أرغب في أن أخلص هذا وذاك من متاعب الكراهية. كل هذا بعدما دوت ما دونه في ٢٨ نوفمبر. أرى الآن بالعقل أن لا حياة سوى في الحب، لكنني لست قادرًا بعد على استدعائها داخل قلبي. لا يمكنني استدعاء الحب، لكن بإمكانني التخلص من الكراهية وانتزاعها من قلبي؛ لأنها تريد اكتساحه وتلويثه تمامًا. هذا حالي حتى الآن فساعدني يا سيدي.

استلمت خطابًا جيدًا من بيروكونوف. قرأت رواية جميلة

لموباسان^(٤٤٢) مع أن موضوعها دنيء. فكرت هذا الصباح في دوماشكا (فلاحة مريضة). نحن نولي عنايتنا بشفاء جسدها، لكننا لا نفكر في روحها، فنحن ببساطة لا نواسيها كما يجب. بدأت أفكر. هنا تحديداً يأتي دور التعزيات التي يقوم بها جيش الخلاص^(٤٤٣)، إنها تعزيات تتأسس على التحكم في العواطف ورفع الروح المعنوية والآمال في الحياة بعد الموت بالترانيم والأنغام. يمكنني أن أفهم كيف ينجحون في ذلك، ومدى أهمية الأمر بالنسبة لهم أنفسهم حينما يبتهج مريض يحتضر على فراشه ويقضي آخر لحظات حياته في حالة من النشوة الروحية، ولكن هل هذا أمر صالح؟ أعتقد لا. لا يمكنني فعل ذلك. إن فعلت فسأموت خزيًا. ولكن من المؤكد أن ذلك بسبب أنني لا أؤمن، أما هم فيؤمنون. لا يمكنني فعل ذلك، ولكن ما بإمكانني وما عليّ فعله هو أن أقوم للآخرين بما أتمنى أن يقوموا به صوبي. كنت سأود ألا يتركوني أموت وحيداً ككلب، غارقاً في غمرة أحزاني بينما أغادر العالم، بل كنت سأود أن يشاركوني أحزاني، وأن يفسروا لي ما يعرفونه عن موقفي. هذا ما يجب عليّ فعله. ذهبت لأراها. كانت جالسة هناك متورمة ومثيرة للشفقة وتحديث ببساطة. لوّحت أمها، أما أبوها فكان مشغولاً بمساعدة الفتاة الصغيرة في ارتداء ثيابها. جلست لمدة طويلة لا أعرف كيف أبدأ، وأخيراً سألتها ما إن كانت خائفة من الموت. هل تريد أن تتجنب الموت؟ قالت ببساطة: «نعم». بدأت أحدث دوماشكا

(٤٤٢) Fort comme la mort: قوي كالموت.

(٤٤٣) جيش الخلاص جماعة مسيحية بروتستانتية دولية مستقلة عن الكنائس تقوم بأعمال خيرية لمساعدة الفقراء.

قائلاً: «ستكونين على ما يرام هناك. ليس عليك أن تخافي الموت». تحدثت على نحو سيئ وبرود، ولكن كان من المستحيل عليّ أن أقول لها الأكاذيب وأختلق قصصاً مزيفة. كانت أمها جالسة تُلَوِّح وأبوها ينصت، لكنني عرفت بنفسني أنني في هذه اللحظة تحديداً شعرت بالغضب؛ لأن تصور الجنة الذي كان في رأسي أنا نفسي قد فسد. يا إله الحب، ساعدني أن أكون كاملاً كما أنت كامل. ساعدني أو خذني بعيداً عن هنا وخلصني، أعد صنعي كي لا أكون دنيئاً شريراً كاذباً شرهاً إلى كل ما هو شرير وإلى الشهوات والمديح، كي لا أكون مخلوقاً فاسداً. ساعدني أو اقضِ عليّ تماماً.

في اللحظة التي أردت أن أكتب فيها ما يدور في رأسي، جاءت صوفيا وبدأت تتحدث بالسوء عن كاتيا وماشا وقطعت حبل أفكارني. وبدلاً من أن أنحي الكتابة جانباً وأتحدث معها حديثاً طيباً، قلت لها إنها تعطلني. دونت ذلك عندما صفقت الباب من خلفها، وسألني فوميتش هل يجهز الغداء الآن أم لا. ومجدداً، بدلاً من إجابته بهدوء، حدثته بجفاء قائلاً إن هذا أمر لا يخصني. يا إله العقل والحب، ساعدني!

لا خلاص حتى تكره نفسك، فلن يمكنك أن تحب الآخرين حتى تكره نفسك. لكنني لا أقصد عاطفة الكراهية، بل إنني لا أقصد حتى الكراهية، بل الازدراء، وبالقليل من التفكير أدرك أنني أقصد العناية بالروح، مثلما يعتني المرء بجسده فيطعمه ويدفئه عندما يتطلب الأمر منه ذلك، ومثلما أنا مشغول الآن بفوميتش، عليّ أن أعني به وبالجميع وبكل من ألتقيه. سأصعد إلى الطابق العلوي الآن لتناول الغداء.

ساعدني يا إلهي كي أنفذ وصيتك.

لم أنفذها للأسف. بعد الغداء لعبت شطرنج، وشعرت بالخزي والملل، ثم ذهبت لأعمل بحياكة الأحذية. وصل الصبية وتعاملت معهم على نحو طيب، ثم وصلت ماشا. تعاملت معها على نحو أفضل. إنها جادة وذكية وهادئة وطيبة، ثم صعدت للطابق العلوي وشربت الشاي. كان كل شيء ليمضي على نحو جيد، لكن صوفيا استلمت خطابًا من مينجدين يُعلمها فيه بطلب دي فوجوي أن يترجم سوناتا كرويتزر للفرنسية. قلت: هذا ليس ضروريًا. قالت صوفيا إن الناس يظنونها طماعا وهي على النقيض من ذلك. قلت شيئًا ما، فبدأت تتحدث بتهكم وتملكني الغضب ثانية، ونسيت أنها لا بد وأن تظهر محقة في عين نفسها وقلت إنني سأغادر، وهبطت للطابق السفلي ونمت. كانت مستعدة على نحو ما للانخراط في مشاجرة رهيبة لتسمم كل شيء. استجمعت شتات نفسي وعدت وطلبت منها أن تهدأ لكنها لم تكن لتهدأ طبعًا، فخرجت وتمشيت حول الحديقة. تمشيت وقلت في نفسي: كم من المريع أنني نسيت فعلاً الأمر الرئيس؛ ألا وهو أن الإنسان إن لم يعتبر حياته بمثابة إرسالية من الله فلن تكون حياة بل جحيم. أعرف هذا منذ وقت طويل، وكتبته منذ فترة طويلة في اليوميات والخطابات، واليوم قرأته في الخطابات التي لدى ماشا، ومع ذلك يمكنني أن أنساه، بل إنني بعدما نسيت فعلاً أعاني وأخطئ مثلما فعلت اليوم. نعم إنها إرسالية وعليّ أن أنفذ إرادة من أرسلني. الساعة الآن الواحدة. سأنام.

٢ ديسمبر.

أدوّن الآن يوميات ١ ديسمبر. ليس عليّ أن أتذكر فقط أنني رسول قد كُلف بعمل، بل إنني ملزم كذلك برعاية العمل وأن أسمو بنفسي. سأصعد للطابق العلوي. ساعدني يا إله العقل والحب.

٣ ديسمبر.

كل ما لا نمثل فيه لقانون الله بسبب أن الناس يقولون: نريد الدين، لكننا نريد الدين الذي لا يغير شيئاً من نمط حياتنا، في حين أن الدين بمثابة قوة تشكل الحياة. هذا يماثل أن يرغب الإنسان في استقلال عربية القطار دون أن يتغير موضعه. لم أكتب شيئاً بغض النظر عن وضوح الأفكار في ذهني. كان من الممكن أن أبدأ الكتابة لكنها كانت لتخرج في صورة سيئة. عملت بحياكة الأحذية. هدأت صوفيا، لكنها منهكة تماماً. كتبت الآتي في دفثري: «أؤمن أنك قد ائتمنتني على عملك وقوتك، وعملك هو أن تتجلى فيّ وفي العالم. في هذا معنى حياتي». ذهبت ليسينكا.

٣ ديسمبر.

وصل كل من إرتيل وتشيستياكوف وبيريليتشيكوف. تحدثت كثيراً وبحمية عن الفن. الساعة الآن الثانية عشرة. سأصعد إلى الطابق العلوي. سأذكر!

بعد الإفطار أقبلت على العمل. قطعت بعض الأشجار بصحبة تشيستياكوف وبيريليتشيكوف حتى الغداء. في المساء استغرقنا في

الحديث. فتور! بيريليتشياكوف إنسان مليء بالحيوية. كنت سأكتب التصريح، لكنني لم أستطع.

٤ ديسمبر.

معدتي تؤلمني، ولم أنم طوال الليل. قرأ ضيوفني سوناتا كرويتزر، بينما قرأت رواية إرتيل وجريدة «الفكر الروسي». في المساء انخرطنا في الحديث. تشيستياكوف وبيريليتشياكوف يتحليان باللطف الشديد.

٥ ديسمبر.

تحسنت حالتي قليلاً. تنزهت. ذهبت لدوماشكا. تحسنت المسكينة بعض الشيء. بعد ذلك أقبلت على العمل على سوناتا كرويتزر، لكنني لم أقم بشيء سوى التصحيح فيها حتى الغداء. هذا ما فعلته كذلك بعد الغداء. انشغلت فقط قليلاً في حياكة الأحذية. قررت أن أنشرها في مجموعة يوريفسكي، وصوفيا راضية عن ذلك. سافرت بصحبة تانيا لتولا. نمتُ قليلاً جدًّا.

٦ ديسمبر.

استيقظت في السابعة وأقبلت مجدداً على العمل، وتمشيت قبل الإفطار ثم عملت ثانية حتى موعد الغداء. تصفحت سوناتا كرويتزر بأكملها وحذفت بعض المقاطع وأجريت بعض التصحيحات والإضافات. لقد سئمت منها بشكل مريع. إن بيت القصيد هنا أنها مزيفة من الناحية الفنية. لدي أفكار تتضح في ذهني أكثر فأكثر عن قصة

كوني^(٤٤٤). بشكل عام أنا في حالة من الإلهام منذ يومين، ولكن ما الذي سينتج عن تلك الحالة تحديداً؟ هذا ما لا أعرفه. ربما سينتهي الأمر غداً كما كان يحدث دائماً بعد حالات أرقى. قرأت في مقالة ليسيفيتش وجولتسوف. هراء!

أؤمن أنك قد عهدت إليّ بقوتك كي أنفذ أفعالك. إن عملي هو أن أزيد من توقد قوتك بداخلي وفي العالم كله. ليس الأمر على هذا النحو تماماً. الساعة الآن التاسعة مساءً. أود أن أكتب، لكنني أمسك نفسي حتى لا أعيد الكتابة بعد ذلك.

٨ ديسمبر.

تمشيت كثيراً. ذهبت لسينكا. عملت بتصحيح سوناتا كرويتزر. حكّت حذاءً لماشا. أزعجتني سوناتا كرويتزر جداً.

٩ ديسمبر.

ذهبت إلى دوماشكا. إنها مستقلة تنن ولا تجيبني حتى. حدثتها عن الله، وذكّرتها به، لكنني لم أستطع أن أقول شيئاً آخر. نعم، أنا خادم، عضو إلهي. عند رؤية دوماشكا أشعر أن هذا ليس عملي، ولم يُعهد به إليّ. فكرت بوضوح وسرور في أن حياتي ما هي إلا قوة الله، قوة الحياة التي تسري فيّ، تسري في جزء محدود من الكل، ويمكنني أن أسمح لهذه القوة أن تسري في داخلي أو أن أوقفها. هذا كل دوري في الحياة. لا يمكنني القضاء على هذه القوة لكن يمكنني إيقافها عن السريان بداخلي.

(٤٤٤) يقصد رواية «البعث»، فالقصة الرئيسة في الرواية سمعها تولستوي من مُحامٍ يدعى كوني.

أما حياة العالم فتبدولي على النحو الآتي: ثمة سائل أو غاز أو نور يسري عبر عدد لا نهائي من الأنابيب المتنوعة. هذا النور هو قوة الحياة، هو الله. أما الأنابيب فهي نحن وكافة المخلوقات. بعض الأنابيب ساكنة تمامًا، والبعض الآخر يتحرك قليلًا، وثمة البعض منها كبير حجمًا، وأخيرًا هناك نحن البشر الذين نمثل أنابيب متحركة. يمكننا أن نُفَوِّت النور تمامًا، ويمكننا التعطيم على النور لفترة من الوقت. تلك الحياة التي نسميها: الحياة الشخصية هي القدرة على عدم السماح بمرور النور عبرنا، أما الحياة الحقيقية فهي القدرة على السماح للنور بأن يسري فينا كاملاً دون إعاقته، ولكن عندما يفعل الإنسان ذلك تنتهي حركة حياته. إنها تنتهي عندما يبدأ الإنسان حقًا في فعل ذلك. إن حركة الحياة تنتهي، وحينها يشعر الإنسان أنه قد فعل لتوه كل ما يتوجب عليه فعله حتى أنه لم يعد موجودًا. عندما يدرك الإنسان سلبية وجوده الشخصي، فإنه ينقل طاقة حياته إلى ما يسري فيه؛ إلى الله. حمدًا لله أنني أختبر ذلك. أردت أن أوضح بصورة أفضل عن إيماني بأن قوة الله تسري بداخلي، وأنها هي التي تقوم بعمل الله، لكن اقتنعت بعدها أنني لست في حاجة لفعل ذلك. يكفي القول أنني لست أنا؛ بل قوة الله العاملة فيّ. كما قال يوحنا: «الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: لَا يَقْدِرُ الابْنُ أَنْ يَعْمَلَ مِنْ نَفْسِهِ شَيْئًا إِلَّا مَا يَنْظُرُ الْآبَ يَعْمَلُ. لِأَنَّ مَهْمَا عَمَلَ ذَاكَ فَهَذَا يَعْمَلُهُ الْابْنُ كَذَلِكَ» (٥: ١٩). في كل مرة أتذكر ذلك يتضح أمامي الآتي: من شأن الكدر والسخط أن تخمد حديتهما، ويزول الاهتمام بآراء الآخرين.

١٠ ديسمبر.

وصلني بالأمس خطاب من إرتيل وجايدبيروف علمت منه أنهم لم يوافقوا على سوناتا كرويتزر. وصلتنى كذلك ترجمات جانزين (٤٤٥) وقرأت المقالة المنشورة في *Paris illustré* عن بونداريف. وجدتني أفكر في الآتي: إنهم يشرحون الأمور بطريقة غير سليمة. كان من اللازم أن يكون الشرح باختصار ووضوح، لذا فإنني أفكر في الآتي تحديداً: عدم المشاركة في العنف الذي تقوم به الحكومات والجيش والمحاكم.

الامتناع عن الممارسة الجنسية.

الامتناع عن المخدرات والكحوليات والتبغ.
العمل.

هذا كل شيء دون تنميق، وباختصار ووضوح. جاءني خطاب من تشيرتكوف وآخر من أبوللوف، عرفت أن المسكين قد تخلى عن كل شيء. سبداً المعاناة إذن! الساعة الآن الثانية. معدتي تؤلمني. قضيت إذن يوماً آخر بالقليل من العمل الذهني.

١١ ديسمبر.

معدتي تؤلمني طوال الوقت، وكذلك كبدي. لا أذكر ماذا فعلت. قرأت وتمشيت ودوّنت الآتي: ما تبدو لنا أنها حركة حياتنا الشخصية،

(٤٤٥) مترجم دانماركي للأعمال الروسية.

هي في الحقيقة حركة شكل حياتنا عندما تتوجه صوب الحياة الإلهية. عندما نكون في اتجاه إرادة الله، تسري فينا تلك الإرادة، وحينها تتساقط أوهامنا وندرك أن حياتنا، وأنا نحن أنفسنا لسنا إلا قوة الله. في تلك اللحظة تتضح لنا ضرورة أن نُخرج وعينا من كل ما يحبس كى يسير في اتجاه قوة الله. ومع ذلك فإن هذه الصعوبة يتم التغلب عليها وتفقد مسألة الخلود والحياة المستقبلية أهميتها. إن الوعي بالحياة ينتقل من الأشكال المتحركة إلى مصدر القوة ذاتها؛ إلى إرادة الله الأبدية اللانهاية. لقد انتقلت من مرحلة إدراك الشكل إلى الوعي بالحياة نفسها. كيف يمكن حينها أن تراودني الشكوك بخصوص أن ما كان وما هو كائن، كان وسيكون ولن يموت أبداً؟ إنني أدرك نفسي بقوة الحياة التي تسري في داخلي. إن حركة حياتي هي بمثابة تأرجح لهذا الإطار الواقف في الزاوية المتجهة صوب القوة، وقد وطد نفسه تدريجياً للثبات في هذا الاتجاه. إن توطيده لنفسه في الاتجاه ذاته يجعل الحركة تتوقف، وتنتهي الحياة الشخصية الجسدية، وأتحول أنا نفسي لأكون القوة التي تسري عبري. ولكن ما طبيعة هذه القوة غير المحدودة؟ عندما سرت عبري لم أعد أنا، بل أصبحت جزءاً من كل شيء، ولكن عندما توقفت عن أصبح جزءاً اتحدثُ بكل شيء... أهى النيرفانا؟ يبدو ذلك. هذا سر أبدي، وليس من الضروري أن أعرف أكثر من ذلك. لأعرف فقط أنني لا أخشى الموت. في يدك أستودع روحي! إن حالة عزلتي عنه التي تسبب فيها الشكل أو الإطار الذي كان يمر عبره ستنتهي، وها أنا أتحّد به. أمر غريب! بدأت مؤخراً أشعر أنني عندما أموت، فإنني لن أموت حقيقة بل

إنني سأعيش في كل شيء آخر. أتخيل في البداية أنني سأموت هنا وأعود للحياة في شكل آخر، ولنقل مثلاً بأبسط تصور أنني سأعود في صورة طفل، وسأطور مرة أخرى أو أجد نفسي في وضع جديد، وشكل جديد تسري فيه قوة الله دون أدنى عوائق. حسناً، لكنني إن لم أتذكر نفسي، كما أنني لا أتذكر الآن حيواتي السابقة، فهل سيحدث لي ذلك فعلاً؟ لست أنا. نعم، ولماذا يجب أن تكون أناي هي نفسها، فأناي ستكون كل ما سيكون. كل ما يمكن أن يحدث أن أصل ثانية لأن أكون جزءاً من هذه الأنا التي كنتها بشكل ما. وهذا يعني أن ما من هلاك ودمار، ما من موت. هذا هو الفهم البوذي المباشر للأمر إذن: الأمر ليس أنني لن أموت، ولكن بالأحرى كيف يمكن ألا أعيش؟ أن أحيأ يعني أن الاتصال مجدداً بشكل أو إطار جديد هو أمر رائع، لا أن أحيأ بشكل جيد. ولكن ألا أعيش يعني أن أتصل مجدداً بأي شكل أو إطار، لذا فعدم العيش أمر مستحيل لأن قوة الله الواحدة في حد ذاتها دون الاتصال بأي شكل هي مجرد فكرة لديّ، ومن الواضح أنها فكرة غير دقيقة وغير كاملة. إن القوة الإلهية تُحرّك وتوجّه أشكال الحياة المختلفة، أي أنها تعيش في أشكال. هذه ليست فكرة بل إنها الحقيقة فعلاً، وهي تمر عبر المخلوقات وتوجههم بقدر ما تكون الأجساد شفافة وصافية. أنا واحد من هذه المخلوقات، والمادة تشكل حدود شكلي أنا وبقية المخلوقات.

لذا فالحب هو سمتنا الرئيسة نحن المخلوقات الحية، فهو ما يُعبّر عن وحدة القوة التي تسري عبرنا. إن الحب هو إدراك الوحدة والسعي صوبها. يبدو لي أن ليس بإمكانني أن أكون ما أريد، فكل ما أستطيعه

هو ألا أعوق القوة الإلهية عن التجلي داخل إطارى المحدود. شعرت بالألم طوال اليوم، لكنى لم أشعر بالكآبة. صوفيا تُصعّب الأمور على نفسها جدًا.

١٢ ديسمبر.

أشعر بالألم طوال الوقت. أقرأ مجلة أمريكية جديدة وأناضل ضد ألمى بنجاح. جاء بوليجين وببيكوف. بوليجين هو الآخر يشعر بالضعف الشديد. بالأمس أعرب إلکسى ميتروفاوفيتش عن إعجابه بمسرحيتى الكوميدية (يقصد ثمار التنوير). مجرد التذكر لا يبعث فيّ السرور. الساعة الآن الثانية عشرة. سأصعد للطابق العلوى.

١٧ ديسمبر.

لم أكتب أو أفعل شيئاً طوال خمسة أيام كاملة. استغرقت في القراءة وعانيت من الألم. حاولت مراجعة مسرحيتى الكوميدية، لكنى توقفت في منتصف الفصل الأول. قرأت في *Revue des Deux Mondes* وقصة سلييتسوف^(٤٤٦). قرأت كذلك في المجلة رواية رائعة -*Chante-Pleure*^(٤٤٧)، وهي رائعة حقاً في وصف الفقر والإذلال الذى يسببه الفقر في القرى. برج إيفل وهذا الفقر! ذهبت ماشاً إلى بيروجوفو، وعادت من هناك متحمسة ومفعمة بالحياة. حكى عن حالة شقيقها سيريوجا الروحية المفزعة وانفصاله عن أسرته. من الغريب أن هذا يوقظ بداخلى الحذر الشديد تجاه نفسى. هذا أمر حسن والحمد لله. دار حوار بينى وبين

(٤٤٦) يقصد قصة «أوقات صعبة» للكاتب فاسيلي سلييتسوف.

(٤٤٧) «الغناء صرخة» للروائى الفرنسى إميل يوفيلون.

صوفيا وانتهى بشعور جيد متبادل بيننا. نعم، من قبل كان الشعور المتبادل بيننا ضعيفة وسخط، ثم بدأت أمسك نفسي عن التعبير عن الضغينة، لكن الضغينة كما هي، والأمور هكذا أسوأ لأنني صامت، والصمت يثير النفور أكثر في هذه الحالات. لكن حان الوقت الآن الذي أصبح بإمكانني فيه بالكاد تحمل الضغينة والغضب وألا أتلوث بهما، ويمكنني في الوقت ذاته أن أجيء؛ أي أن أشير إلى الأخطاء. هذا أمر ضروري. أنا في حاجة إلى ألا أحول دون تجلي الله في داخلي والذي يعمل بداخلي بهدوء وتأکید مذهلين. في الفترة الأخيرة أزور حفيد أباكوموف المريض (٤٤٨). استلمت خطاباً لطيفاً من سوفورين عن سوناتا كرويتزر، وآخر يثير الضيق من والد خوخلوف يتهمني فيه بأني أتسبب في هلاك أبنائه (٤٤٩). أجمع الآن الحقائق بوهن عما يمكنه أن يبرز التعاليم التي أريد تضمينها في رواية كوني. كثيراً ما أرغب في الكتابة وأفكر بسرور فيها. استلمت خطاباً من تشير تكوف وإرتيل. اليوم ١٧ ديسمبر، وحالتي أفضل. أردت في الصباح أن أكتب، ولكن لم تكن الرغبة قوية؛ لذا عملت بحياكة الأحذية. قرابة الغداء وصل دافيدوف ورايفسكي. وصل ليوفا أول أمس. لقد ألمي أن أراه يأمر أحدهم أن يخلع له حذاءه عندما عاد من الصيد ويزجر صبيّاً صغيراً لأنه لم يخلع له الحذاء بصورة سليمة. كنت غاضباً، لكنني قررت بعدها أنني لا بد وأن أتصرف بطريقة ربانية، بمحبة ولطف. هذا ما أفعله، وهكذا الوضع أفضل.

(٤٤٨) ربما أباكوموف هو أحد فلاحي ياستايا.

(٤٤٩) أحد أبنائه، ترك قرينه، وأصبح يعمل في مزرعة تولستوية، والآخر رفض الالتحاق بالخدمة العسكرية تائراً بأفكار تولستوي.

١٨ ديسمبر.

فارقني الألم، وإن كنت لم أسترِدْ صحتي كاملةً. اليوم صَحَّحت قليلاً في الفصل الأول من مسرحيتي الكوميدية. لم يمضِ العمل بصورة حسنة. ذهبت لزيارة مريض. كنت ودوداً معه طوال الوقت. تذكرت أن الله بداخلي، وسيتصرف من خلالي إن لم أُعَقِّ عمله، وهذه الفكرة زودتني بالهدوء والصلابة. الساعة الآن الثانية عشرة.

١٩ ديسمبر.

قرأت في رواية سليبتسوف «أوقات صعبة». نعم، كانت متطلبات فترة الستينيات مختلفة، ولأنها كانت مرتبطة باغتيال أول مارس (٤٥٠)، فقد اعتقد الناس أنها متطلبات غير سليمة، ولكن هذا غير صحيح، وستظل هذه المتطلبات قائمة إلى أن تُلبَّى.

٢٢ ديسمبر.

انشغلت في مراجعة مسرحيتي الكوميدية طوال الأيام الثلاثة التي مضت. إنها سيئة. أتى الكثيرون. يؤدون بروفة (على مسرحية ثمار التنوير). أحياناً ما يجعلني ذلك أشعر بالكآبة والخزي، ولكن فكرة ألا أعيق تجلي الله بداخلي تمدني بالعون. لا بد وأن أكتب عن المعطف. لقد صنعت صوفيا لي معطفاً جديداً. لستُ في حاجة إليه، لكنه ملكي، وليوفا يود الآن أن يرتديه بينما أشعر بالأسف. لقد عاد من الصيد وشعرت بالانزعاج لأنه لوثة بالدم. أوشكت تقريباً على الغضب منه.

(٤٥٠) اغتيال القيصر إلكسندر الثاني.

في السابق لا بد وأنني كنت سأغضب وأتشاجر معه. هذا مثال جيد. من المهم أن أكتب غداً.

٢٧ ديسمبر.

لم أكتب شيئاً في الفترة من يوم ٢٢ وحتى ٢٧. نحن الآن في مساء يوم ٢٧. رحلوا جميعاً إلى تولا للتدريب (على المسرحية). أردت أن أذهب معهم لكنني عدت في الطريق، وها أنا جالس مع صوفيا. الساعة الآن الثانية عشرة بينما أدون يومياتي. كتبت قليلاً في رواية كوني. أشعر بالكآبة من زيف الحياة التي تحيط بي، ومن حقيقة أنني لا أستطيع أن أجد طريقة أكشف بها لهم عن أخطائهم دون أن أسيء إليهم. إنهم يتدربون على مسرحيتي، وأنا أعتقد أنها تؤثر عليهم فعلاً، وأنهم في أعماق قلوبهم يشعرون بوخز ضمائرهم ولذلك يشعرون بالكآبة، ولكنني في الآن ذاته أشعر بالخزي من هذه التكلفة الباهظة التي للمسرحية بينما كل هذا الفقر المدقع يحيط بنا. بينما كنت أتمشى اليوم فكرت في الآتي: أولئك من يقولون إن الحياة ما هي إلا وادي للأحزان والدموع، وأنها مكان للتجربة... إلخ، بينما العالم الآخر هو عالم من البركة، يؤكدون بطريقة غير مباشرة أن عالم الله غير المحدود رائع، أو أن الحياة رائعة في العالم الإلهي بأكمله إلا في مكان وزمان معينين، وهما المكان والزمان الذين نعيش فيهما الآن. يا لها من مصادفة غريبة!

يوم أمس وجدتني فجأة في الصباح قد بدأت الكتابة في رواية كوني (يقصد: البعث) وكتبت بشكل لا بأس به على ما أعتقد. بالأمس كانوا يؤدون بروفة، وكان هناك حشد من الناس، وشعر الجميع بالكآبة.

بدأت فيرا (كوزمينسكي) بالصياح، وحاولت مواساتها وقلت لها: ”لقد أحببت ذلك؛ لأنه بدا بسيطاً وذكياً“. ما قصدته هو أن المرء ليس بإمكانه أن يعيش من أجل نفسه وحده. إن هذا بمثابة موت. المرء لا يحيا حقاً إلا عندما يعيش من أجل الآخرين، أو على الأقل يُعد نفسه كي يعيش من أجل الآخرين. ولكن كيف؟ إن الناس ليسوا في حاجة إليّ أو إليك. بيت القصيد هنا هو أنك عندما تعيش من أجل نفسك، فإنك تبحث عن أولئك من يمكنك أن تستفيد من التعامل معهم، وكلهم أغنياء بالطبع ويتمتعون بالقوة والنفوذ، لذا فعندما تعيش من أجل نفسك وتنظر حولك كي تجد شخصاً ما يمكن أن تكون مفيداً له، فلن تجد. ولكن إن تفهم المرء أن الحياة الحقيقية هي الحياة في خدمة الآخرين، فإنه سوف يبحث عن الفقراء والمرضى وأولئك الذين لا يشعرون بالرضى، وحينها لن يكفي وقته لخدمة كل أولئك الناس.

أول أمس، يوم ٢٥ كتبت خطابات لتشير تكوف وبولانجي وأنينكوفا وسيميونوف وماشينكا وإلكسيف وشخص آخر. شعرت فجأة بالخزي والاشمئزاز من أنني قد استخدمت أسلوباً وعظيماً في خطاباتي. لا بد وأن أتوقف عن ذلك.

بالنسبة ليوم ٢٤ فقد انشغلت كذلك في كتابة بعض الخطابات، وأجريت بعض التصحيحات على مسرحيتي الكوميدية وقرأت.

هذا ما فكرت فيه في يوم ٢٣ وبدالي شديد الأهمية: إنه خطأ فلسفي شديد أن نعترف بثلاثة مبادئ روحية: الحق - الخير - الجمال. الأمر ليس على هذه الصورة. هناك حقيقة واحدة، وهي أن الحقيقة إن قدّست

نشاط الإنسان، فإن عاقبته لا بد وأن تكون خيرًا (لصاحبه وللآخرين)،
وتجلي الخير دائمًا ما يكون جميلًا. الحقيقة التي تنتهي بعاقبة غير خيرة
مثل نظرية الأعداد أو علم الجبر المتخيل أو بقع السديم المرتبطة ببداية
العالم، وما إلى ذلك، والخير الذي لا يتأسس على حقائق مثل فعل
الإحسان بتكوين النقود، والجمال الذي لا يستند على أساس من الخير
مثل جمال الزهور وشكل المرأة... كل ما سبق لا يشكل جوهر الحقيقة
ولا الخير ولا الجمال، لكنها مجرد أمور تشبهها.

للحياة الرهبانية خيرات كثيرة، وأولها جميعًا حقيقة إزالة مصادر
الإغواء وشغل الوقت كاملاً بالصلوات التي لا تتسبب في أي أضرار.
هذا حسن للغاية، ولكن لماذا لا يُشغل الوقت بالعمل الذي يعول به
المرء نفسه والآخرين وهو الأمر الطبيعي للإنسان؟

السؤال عن حرية الإرادة: أمام الإنسان دائمًا اختياران: إما أن يسلك
وفقًا للجسد أو للروح؛ أن يسلك وفقًا لنفسه أو وفقًا لله الذي بداخله،
وما إن يُتخذ الاختيار حتى تتحدد التصرفات سواء في هذا الاتجاه أو
الآخر بحتمية قاتلة. أمعنت التفكير في هذا الأمر بمزيد من التفصيل.
سأحاول التعبير عن تلك الفكرة غدًا.

٣١ ديسمبر (٢٩ - ٣١).

في هذه الأيام الأخيرة كنت أحاول الكتابة في رواية كوني. راجعت
قليلاً لكنني لم أحرز أدنى تقدم. طوال الوقت كانوا يقومون بالبروفات
ويتعالى ضجيج المسرحية وأشعر بالضيق من حضور كل هذا العدد،
وطوال الوقت كنت أشعر بالخزي. ربما المسرحية ليست سيئة، لكنني

مازلت أشعر بالخزي. جاءني خطاب آخر من تشيرتكوف، ولكن انطباعاتي الرئيسة في هذه الأيام كانت كالآتي:

أشعر بالأسف على تانيا. إنها تتدلل على تسينجير وهي تعيسة.

أول أمس قرأوا سوناتا كرويتزر، واستمعت لقراءتهم. لقد تركت انطباعاً رهيباً. لم يفهم ستاخوفيتش كلمة واحدة، ولكن إيليا فهم.

أقرأ في كتاب مينسكي (في نور الضمير). البداية (الجانب السلبي) قوية بشكل ملفت، ولكن الجانب الإيجابي مريع. إنه ليس مجرد هذيان، بل جنون كامل.

اليوم شعرت بآلم في رأسي. قرأت ونمت. الساعة الآن الثامنة مساءً. أريد أن أكتب خطاباً، وإن استطعت سأعمل على تصحيح المسرحية.



